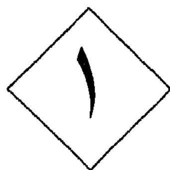


التراجيديات
اليونانية



تراجيديات سوفقليس

ترجمها عن اليونانية وقدم لها وعلق عليها :
د. عبد الرحمن بدوي



تصدير عام

(١)

سيرة حياته

المصدر الرئيسي لدينا عن حياة سوفقليس هو «حياة سوفقليس»[١] التي وصلت إلينا في عدد كبير من المخطوطات، وخير نشرة لها هي تلك التي قام بها يان Jahn-Michaelis ضمن نشرته لمسرحية «الكترا» (ط٣ في بون Bonn سنة ١٨٨٢)، وقد وردت بمجموع من الأخبار المتعلقة بهذه الحياة. ويتلوها في الأهمية النبذة الموجزة الواردة في معجم سويداس Suidas (تحت الاسم سجما ٨١٥).

وقد ولد في قرية (ديموس) كولونوس Kolonos الاتتيكية، أما وكان أبوه صاحب مصنع أسلحة ويدعى سوفلّوس Sophillos وهو من قبيلة Aigeis. متى ولد؟ اختلف في ذلك بين تاريخين هما: ٤٩٦ و٤٩٥. وقد استنتج تاريخ ميلاده من تاريخ وفاته «المعروف بيقين» فمن الثابت أنه توفي في سنة ٤٠٦ق.م. وهو في التسعين من عمره، كما تشهد على ذلك لوحة من المرمر عثر عليها في پاروس (البيت رقم ٦٤). وتبعاً لهذا التاريخ للوفاة يكون مولده في سنة ٤٩٦ق.م. (٤٩٦ ـ ٩٠ = ٤٠٦). أما في «حياة سوفقليس» فقد ورد أنه ولد في سنة ٤٩٥/ ٤ «في عهد ولاية فيليب» وقد تقع بين عامي ٤٩٥/ ٤.

وتزوج مرّتين: الأولى هي نيكوسترات Nikostrate («حياة» بند ١٣)، وقد أنجب منها ولداً يدعى أيوفون Iophon الذي سيصبح مؤلفاً لمآسي مثل أبيه «شرح على مسرحية الضفادع» لأرسطوفان ٧٨؛ وفي معجم سويداس تحت الاسم)، وقد

(١) Soph. Genus Rat Dios. وسنشير إليها بكلمة: «حياته».

أنجب هو الآخر ولداً أسماه باسم جده: سوفقليس، وسينجب ولداً سيسمى باسم جده: أيوفون. خلاصة نسبهم تتلخص فيما يلي:

سوفيلّوس

سوفقليس (رقم ١)

أيوفون (رقم ١)

سوفقليس (رقم ٢)

أيوفون (رقم ٢).

أما زوجته الثانية فاسمها سقيونيرن Sikyonirm. وقد أنجب منها ولداً اسمه: أرستون Ariston، وسيكون أيضاً مؤلفاً لمآسي مثل أبيه.

أما عن هيئته الجسمانية فيذكر أنه كان جميلاً جداً. وتلقى تربية بدنية وموسيقية ممتازة. ويروى أنه بعد انتصار اليونانيين على الفرس في معركة سلاميس (أو سلامين) التي اشترك هو فيها، أنه وقف عارياً ومعه قيثارته وافتتح الاحتفال بهذا النصر. وكان أستاذه في الموسيقى («حياة» بند ٣) هو لامپروس Lampros، الذي عده أرستوكسينوس («في الموسيقى» تأليف فلوطرخس) أحد أبرز الموسيقيين في عصره. إلى جانب پندار وپراتينس Pratinas.

أما في مجال التأليف المسرحي للمآسي فقد أخذ عن اسخولوس («حياة» بند ٤).

نشاطه السياسي

وانعقدت أواصر الصداقة بينه وبين السياسي العظيم پركليس. وكان من نتيجة ذلك أنه مارس الحياة السياسية، وتولى مناصب إدارية. ففي سنة ٤٤٣ق.م. عيّن عضواً في مجمع أمناء الخزانة الذين يقومون بالإشراف على الخزانة التي تمولها الجزية المفروضة على حلفاء أثينا؛ وكانوا مكلفين أيضاً بمراجعة عامة للجزَى (جمع: جزية).

وفي سنة ٤٤١ق.م. انتخب لمنصب: «استراتيجي»: أي قائد في الجيش أو الأسطول البحري. وهو أيضاً منصب مدني متفاوت السعة في الاختصاصات. وبهذه الصفة اشترك مع پركليس في حملة شامس Samos سنة ٤٤١ ـ ٤٣٩

(راجع: فلوطرخس: «بركليس» ٨: ٣؛ واسطرابون جـ١٤ ص٦٣٨).

وبعد ذلك ببضع سنوات عين قائداً مع نقياس (راجع: فلوطرخس: «نقياس» ١٥: ٢).

وبعد الكارثة الكبرى التي أصابت الجيش الأثيني في صقلية، قام الشعب في أثينا، وسلّم السلطة إلى لجنة الانقاذ العام. واختير عشرة مندوبين عن الشعب Peopoilas من بين المواطنين الذين يتجاوز عمر الواحد منهم سن الخدمة العسكرية. وكان منهم سوفقليس، وكان آنذاك في سن الثالثة والثمانين. وقام هؤلاء المندوبون بعملهم خير قيام. فاقتصدوا في النفقات العامة، وحصّنوا السونيون (وهو رأس في الجنوب الغربي من أتيكا)، وصنعوا أسطولاً جديداً، وواجهوا الأعداء في خليج سارونيك وعلى سواحل آسيا الصغرى. وهكذا أنقذوا مدينة أثينا.

لكن لم تكد أثينا تنتصر على أعدائها في الخارج إلاّ وقد احتدم النزاع بين أبنائها في الداخل. إذ قام حزب يطالب بحكم الأقلية (الأوليجاركية Oligarchic)، ومن أجل هذا طالبوا بوضع دستور جديد. فكلف الشعب لجنة مؤلفة من ثلاثين عضواً (هم العشرة السابقو الذكر، يضاف إليهم عشرون منتخبون). ووضعت هذه اللجنة دستوراً معتدلاً لم يَرْضَ عنه الأوليجاركيون، فعملوا على استصدار قرار بتشكيل حكومة من أربعمائة شخص. وكان سوفقليس أحد المندوبين الموافقين على هذا القرار. وقد ندم على هذا فيما بعد، لكنه برر موقفه بأن هذا كان أحسن تصرف في هذا الظرف (راجع: أرسطو: «الخطابة» المقالة الثالثة، ص١٤١٩أ٢٦، وراجع ترجمتنا لكتاب «الخطابة» هذا، الذي صدر ضمن مطبوعات وزارة الإعلام في بغداد سنة ١٩٨١).

وربما كان هذا هو السبب الذي من أجله أصدر أيون الذي من خيوس هذا الحكم على سوفقليس، حين قال عنه: «في السياسة لم يكن سوفقليس أوفر حظاً في الفهم والمبادرة عن أي شخص شريف آخر في أثينا».

وحوالي أوائل يوليو سنة ٤٤٠ق.م، لما انتصر بركليس على أهالي جزيرة شامس بالقرب من جزيرة تراجيا Tragia، أُرسِل سوفقليس إلى جزيرة لسبوس. وفي ذلك الوقت التقى سوفقليس مع إيون Ion في جزيرة خيوس، وهو اللقاء الذي ذكره إيون في Epidemiai وأورده أيضاً أثيناي (جـ١٣، ص٦٠٣هـ). وفي أثناء غيبته

حصل يوريفيدس على أول فوز له بالجائزة في مباراة المآسي في عيد ديونسيوس في سنة ٤٤١. وبعد انتهاء الحرب ضد شامس نسمع عن منافسة بين سوفقليس ويوريفيدس لأول مرة لنيل جائزة المأساة وكان ترتيب يوريفيدس هو الثاني بعد سوفقليس. كذلك وقعت منافسة أخرى بينهما في سنة ٤٣١ تقدم فيها يوريفيدس بأربع مسرحيات هي: «ميديا»، «فيلوكتيت»، «دكتيس» و«ترستال».

تقواه في الدين

وتشير المصادر اليونانية القديمة إلى تقوى سوفقليس، وتورد نوادر مفيدة في هذا الصدد لسنا ندري مدى صحتها. ومنها نادرة تؤيد لنا صحتها بعض النقوش. ومفادها أن سوفقليس كان ينتسب إلى جماعة دينية إخوانية تضم مبادىء سرية خاصة لبطل طبيب اسمه ألكون Alcon أو أمينوس Amynos، وضمت إليه بعد ذلك اسقلابيوس لما أن أحضر أهل أثينا. في سنة ٤٢١ق.م. ـ، بعد صلح نقياس ـ من أپيدور تمثالاً لاسقلابيوس. وكان سوفقليس بوصفه كاهناً في عبادة أمينوس، هو الذي استقبل هذا الإله الجديد: اسقلابيوس واحتفظ به في بيته فترةً من الوقت إلى أن يجد مكاناً في الألوسينسون، وقد كافأه إخوانه في تلك الجماعة الدينية على إيوائه لتمثال اسقلابيوس بأن خلعوا عليه لقب: دكسيون Dexion (= الميمون الطالع)، وبعد ذلك خصّوه بمحراب في معبد صغير كرّسوه لعبادة أمينوس واسقلابيوس. وقد بقيت لدينا بضع كلمات من نشيد ألّفه سوفقليس احتفاء باسقلابيوس.

وتقوى سوفقليس بسيطة شعبية، لا فلسفة فيها ولا تعمق.

موقفه من معاصريه

كان سوفقليس لطيف المعشر، مهذّب الخلق، بعيداً عن الحقد والنفاسة تجاه رصفائه من المؤلفين والمفكرين.

ففيما يتعلق بموقفه من رصفائه من مؤلفي المآسي نجده أولاً بالنسبة إلى أبي المسرح التراجيدي اليوناني وأستاذه في هذا المعنى وهو أسخولوس ـ فإنه يشيد به ويقدره كل التقدير ويشهد في ذلك ما ورد في «حياته» وما قاله خاميليون Chamailcan (راجع Achenée, I, 22a × 428 f.).

وفيما يتعلق بمنافسه الأصغر منه سناً: يوريفيدس، فإنه يقول بحسب ما أورده أرسطو في كتابه «فن الشعر» (ص١٤٦٠ أ٣٣): «سوفقليس قال إنه يصوّر الناس كما يجب أن يكونوا، بينما يوريفيدس صوّرهم كما هم (في الواقع)». وثم رسائل قيل إنها تبودلت بين سوفقليس ويوريفيدس.

وكانت له علاقات واتصالات وثيقة مع المؤرخ هيرودوت (حوالي ٤٨٥ق.م. ـ ٤٢٥ق.م.). ووجه إليه ايلجيا وصلتنا منها شذرة. (راجع Anth. lyr. I 67,2 Diehl).

ولا شك أنه التقى بسقراط (٤٦٩ ـ ٣٩٩) مراراً عديدة في مدينة أثينا إذ كانا يعيشان معاً في نفس المدينة طوال ٦٣ سنة. لكن ليس لدينا نص صريح يتحدث عن لقاء بينهما، وما جرى فيه.

أما أفلاطون فيحسن بنا أن نورد ما دار في محاورة «السياسة» (ص٣٢٩ب، جـ، د). . كان الحديث يجري عن متاعب الشيخوخة: فقال كيفالوس لسقراط إن الشيوخ الطاعنين في السن يأسفون على لذات الشباب ويتذكرون لذات الحب، والخمر واللحم الشهي وسائر المتع التي من هذا الجنس، ويحزنون كما لو كانوا قد فقدوا خيرات عظيمة. . ويؤكد أن هؤلاء الشيوخ يُرجِعون إلى الشيخوخة كلَّ المصائب والشرور. وتابع كيفالوس كلامه قائلاً:

«أما رأيي أنا، يا سقراط، فهو أن هؤلاء الشيوخ لا يدركون السبب الحقيقي في هذا: لأنه لو كانت الشيخوخة هي السبب الحقيقي، لكان لها نفس التأثير عليَّ أنا وعلى كل أولئك الذين بلغوا تلك السنّ. لكنني على العكس، لاقيت شيوخاً تسري فيهم مشاعر مخالفة لهذا تماماً، ومن بينهم الشاعر سوفقليس: كنت ذات يوم عنده، فسأله أحدهم: «ما هو شعورك يا سوفقليس، فيما يتعلق بالحب؟ هل لا تزال قادراً على أن تجامع امرأة؟

«فأجاب سوفقليس: اسكت، يا صديقي، إنني مسرور جداً لأنني أفلتُّ من الحب، كما لو كنت أفلتُّ من بين يدي سيّد مجنون ومتوحش». ولاح لي (أنا: كيفالوس) أن جوابه هذا كان جميلاً آنذاك، وحتى اليوم لا يزال يبدو لي جميلاً فمن المؤكد أنه فيما يتعلق باضطرابات الحواس هذه فإن الشيخوخة تؤمن الطمأنينة والتحرر الكاملين. وذلك لأنه حينما تفقد المواجيد عنفها وتريحني، فإن كلمة

سوفقليس تتحقق بكل دقة: فهناك يتخلص المرء من كثير من الطغاة المتوحشين».

لكن اللقاء المذكور في هذا النص إنما هو بين كيفالوس وسوفقليس، ولا يشير إلى أي لقاء بين سقراط وسوفقليس.

كذلك كان سوفقليس على علاقة مع إيون الذي من جزيرة خيوس، والذي عاش تقريباً في المدة ما بين سنة ٤٩٠ وسنة ٤٢٢ق.م. وكان مؤلفاً متعدد الجوانب: إذ نظم قصائد من نوع الديثرمبوس، وأهاجي، وأناشيد رثاء الموتى، وإيلجيات، كما ألّف مآسي، كوميديات، وقد تعرف إلى سوفقليس إبان ولاية سوفقليس كقائد (استراتيجوس) على جزيرة خيوس في الفترة بين سنة ٤٤١ و٤٣٩. فقد التقيا في مدأبة حضرها پركليس. ويروي إيون (بحسب ما ورد في Achenée XIII 603e) كيف أن سوفقليس أثناء هذه المأدبة كان يهزل مع صبي جميل، كما أنه تحدث مع أحد المدرّسين عن الشعر. كذلك تخبرنا هذه الرواية أن سوفقليس قال: پركليس كان يقدر الصفات السياسية في سوفقليس.

وتحكى لنا «حياة» (بند ١٠) أنه أحبّ مدينة أثينا إلى درجة أنه رفض أن يغادرها لما أن جاءت إليه دعوات عديدة من كثير من الملوك لتعميم في ممالكهم.

وكان يحبّ الشباب (Achen. XIII,603e)، كما يدل على ذلك أيضاً ما رواه إيون الذي من خيوس وذكرناه منذ قليل. وقد وصف حُبّ الشباب بطريقة مأساوية في مسرحية Niube (راجع 604d, 557e).

(٢)

مؤلفاته

إلى جانب المسرحيات، ألّف سوفقليس:

١ ـ إيلجيات.

٢ ـ پايانات، والپايان Paian: (١) في الأصل: نشيد موجه إلى أپولون وأرتمس للتخلص من مرض؛ (٢) نشيد للحصول على النجاح في مسألة؛ (٣) نشيد النص؛ (٤) نشيد رسمي جليل.

٣ ـ بحث بالنثر حول الكورس.

١ ـ ولم يبق من الإيلجيات إلا شذرتان، نشرتا في Anth. lyr. I, 67, 1-2 نشرة Diehl.

٢ ـ ومن النوع الثاني توجد شذرة من پايان مكتوبة على أحد النقوش.

٣ ـ أما البحث الخاص بالكورس والمكتوب بالنثر، فكان قد كتبه في مسابقة اشترك فيها مع ثسپيس Thespis وخورلّوس Chorillos. لكن لم يبق لنا منها شيء.

عدد المسرحيات المأساوية

يقول آرستوفانس البيزنطي («حياة سوفقليس» بند ١٨) إن عدد المآسي التي ألفها سوفقليس هو ١٣٠ (مائة وثلاثون مسرحية)، من بينها ٧ (أو ١٧) ليست صحيحة النسبة إلى سوفقليس.

ويقول سويداس في «معجمه» أن عددها ١٢٣ (مائة وثلاثاً وعشرين). فإن حذفنا من ١٣٠ السبع (وليس السبع عشرة) غير الصحيحة الواردة في تقدير أرستوفانس البيزنطي، فيمكن أن نقول إن الرقم الذي أورده سويداس هو نفس الرقم الذي ذكره أرستوفانس البيزنطي.

أما انتصارات سوفقليس في المباريات التي أقيمت للمسرحيات الرباعية في أعياد ديونسيوس ـ فعددها ٢٤ بحسب سويداس؛ و٢٠ بحسب كرستيوس Karystios («حياته» بند ٨). فإن أخذنا بما يقوله سويداس، وكان سوفقليس قد اشترك في هذا المباريات ٣١ مرة، فإنه لم يكن المنتصر الأول في ٧ مباريات فقط، كان فيها ترتيبه: الثاني. ولم يكن ترتيبه الثالث في أية مباريات.

ولم يحصل أي مؤلف تراجيدي يوناني آخر على مثل هذا المقدار من الانتصارات: فاسخولوس لم ينتصر إبان حياته إلا ثلاث عشرة مرة، ويوريفيدس لم يحصل طوال حياته إلا على أربعة انتصارات، ويضاف إليها انتصار خامس بعد وفاته.

لكن لم يصل إلينا إلا سبع مسرحيات فقط! وهكذا ضاعت ١١٦ مسرحية! ولم يبق لنا منها إلا شذرات قليلة، باستثناء مسرحية واحدة بقيت لنا منها ٤٠٠ بيت شعر، وهي مسرحية: «جنيّات الغابات والجبال» ـ التي عثر على مخطوطها بين أوراق البردي التي عثر عليها في أهناسيا (محافظة بني سويف في مصر العليا) في

سنة ١٩١٢ ونشرها A.S.Huns في أكسفورد في سنة ١٩١٢.

والشذرات الباقية من هذه المسرحيات المائة وست عشرة قد تولى الباحثون جمعها في الكتب التالية:

- Navek: Fragnenta Tragicorum Graecorum, 2.ed.1889, ff. 131 ff.
- Diehl: Supplementum Sophocleum, 1913.
- Munt: Fragmenta tragica papyraeau, 1912.
- Lewis camphell: Sophocles, vol. II (1887) 462.
- Pearson: The Fragments of Sophocles, 3 Vols. Cambridge 1917.

وقد يعني هذا الكتاب الأخير عن الأربعة السابقة عليه[١].

ومن أهم مصادرنا لهذه الشذرات أوراق البردي المصرية التي اكتشفت في أواخر القرن الماضي.

المآسي التي وصلت إلينا.

أما المآسي التي وصلت إلينا فعددها سبع هي:

١ ـ «أنتيجونا»	٢ ـ «آياس»	٣ ـ «أوديب ملكاً»
٤ ـ «التراخينيات»	٥ ـ «إلكترا»	٦ ـ «فيلوكتيت»

٧ ـ «أوديب في كولونا»

كأننا لا نعرف تاريخ تأليف أو تمثيل هذه المسرحيات على وجه الدقة. وقد حاول الباحثون مع ذلك تحديد ذلك بطريقة تقريبية طبعاً. وكانت نتائج محاولاتهم كما يلي:

١ ـ «أنتيجونا»: من المؤكد أن هذه المسرحية قد مُثلت قبل تولي سوفقليس منصب القيادة (استراتيجوس) في شامس بقليل، ويغلب على الظن أن ذلك حدث في سنة ٤٤٣ق.م.، ونالت الجائزة الأولى.

٢ ـ «أياس»: لم تذكر المصادر تاريخ تأليفها أو تمثيلها. وقد انتهت الأبحاث

(١) راجع عنها

A. Paclr: The Greete and Latin lateriry texts from. Greco-roman Egypt. amn arbor, unvers it y cy Michigam press, 1952.

في هذا الصدد إلى أنها أقدم في التأليف والتمثيل من مسرحية «أنتيجونا».

٣ ـ «أوديب ملكاً»: لا يعرف تاريخ تمثيلها. لكن من المحتمل أن تاريخ تمثيل مهزلة أرسطوفان التي عنوانها: «الأخرنيون» تحدد لنا السنة التي قبلها مثلت مسرحية «أوديب ملكاً» لأنها تشير إليها. ونحن نعلم أن مسرحية أرسطوفان هذه قد مثلت في سنة ٤٢٥ق.م.

٤ ـ «التراخينيات»: لم يذكر لها تاريخ. لكن يمكن إثبات أنها أُلِّفت بعد مسرحية «هرقل» ليوريفيدس، التي أُلِّفت بين سنة ٤٢١ و٤١٥ق.م.

٥ ـ «إلكترا»: من الصعب تاريخ تأليفها أو عرضها على المسرح. لكن يمكن إثبات أنها أقدم من مسرحية يوريفيدس التي بنفس العنوان. وهذه الأخيرة من المحتمل جداً أن تكون قد عرضت للتمثيل في مباريات عيد ديونسيوس في سنة ٤١٣ق.م. ولهذا يُرَجّح أن مسرحية «إلكترا» لسوفقليس قد ألفت في الفترة ما بين سنة ٤١٩ وسنة ٤١٥.

٦ ـ «فيلوكتيت»: يفترض أنها مثلت في عهد أرخونية (ولاية) جلاوكپوس Glaukippos التي كانت في سنة ٤٠٩ق.م.

٧ ـ «أوديب في كولونا»: هذه المسرحية مثلت بعد وفاة سوفقليس وقد تولى الإشراف على تمثيلها حفيده في سنة ٤٠١ق.م.؛ ونالت الانتصار. واسم هذا الحفيد كاسم جدّه ولهذا يعرف باسم «سوفقليس» الثاني، وهو ابن أيوفون بن سوفقليس الأول الكبير.

أما النشرات العلمية النقدية للنص اليوناني لهذه المسرحيات السبع فعديدة. وأفضلها النشرة التالية:

- Richard Jebb: Sophocles: The Plays and fragments. Cambridge, 7 vols.

مخطوطات النص اليوناني

والنص اليوناني لهذه المسرحيات التي وصلتنا موجود في عدد هائل من المخطوطات يكاد يبلغ المائتين، وهي مخطوطات ترجع إما إلى العصر الوسيط، أو إلى عصر النهضة في أوروبا، وقد وضع بنداً بها:

- A. Turyn: «The manuscrifts of Sophocles», in Traditio, vol. II, (1944), ff. 1-41.

ويشتمل هذا الثبت على وصف مفصل لمائة وتسعين مخطوطاً لمسرحيات سوفقليس التي وصلتنا.

وهذه المخطوطات ترجع كلها إلى نسخة أمّ واحدة؛ هي منتخب المسرحيات الذي وضع في عهد الأباطرة الرومان المعروفين بالأنطونين، وربما في عهد حكم الأمبراطور هادريان (Adrianus). وهذا المنتخب، فيما يتصل بسوفقليس، كان يحتوي على النص اليوناني لمسرحيات سوفقليس السبع التي وصلتنا، وهي: «أياس»، «الكترا»، «أوديب ملكاً»، «أنتيجونا»، «التراخينيات»، «فيلوكتيت»، «أوديب في كولونا» ـ على هذا الترتيب.

والمخطوطات التي وصلتنا ترجع في نسخها إلى مخطوط مفقود اليوم، كان إما على ورق بردي، أو على ورق پرشان، وكان يحتوي في أوله على «حياة» سوفقليس؛ كل واحدة منها مزودة ببيان لموضوعات المسرحية وبقطع ملحقة. وكان النص مكتوباً بحروف إبهامية onciales، والنص يملأ الصفحة كلها، في الوجه والظهر. وبين السطور ترد اختلافات قراءة قديمة وتعليقات للشرح. كذلك كان في الهوامش اختلافات قراءة، وحواش شارحة scholies، أضيفت إلى النسخة التي كتبت في القرن الثاني الميلادي. وهذه النسخة صارت النسخة الأمّ لنص سوفقليس.

(٣)

خصائص فن سوفقليس

وَلدت التراجيديا (= المأساة) اليونانية من تأمُّل الأساطير بعين المواطن، كما قال ڤالتر نستله Walter Nestle. ذلك أن الشعراء المأساويين إنما استقوا موضوعاتهم وأشخاصهم من الأساطير البطولية التي صاغها هوميروس وغيره من شعراء الملاحم في ملاحم شعرية، ورسمها الرسامون في أثينا على الأواني.

وهذه الأساطير تدور حول أبطال. والأبطال كانوا ملوكاً أو قُواداً أقيمت لهم عبادة بعد وفاتهم. فحين كان يموت ملك قوي، كان يدفن في قبر فخم، حوله قبور عامة الناس العاديين. وتقام له عبادة وشعائر وطقوس لتخليد ذكراه. وكانت

قبور الملوك تشيد في أماكن يعدها أهل المدينة مواضع رمزية: مثل السوق، أبواب المدينة، أو الحدود الخاصة بالمدينة. وحول هؤلاء الملوك يخلق الخيال الشعبي أساطير البطولة المميزة لكل واحد منهم.

لكن هذه الأساطير ليست مأساوية بطبعها، بل هي في المقام الأول تدور حول أعمال مجيدة خارقة تنسب إلى هؤلاء الأبطال.

ثم أتى الشعراء المأساويون فالتقطوا من هذه الأساطير النوادر التي تنطوي على جانب حزين، أو مؤثّر في النفوس، واتخذوا منها موضوعات لمآسيهم. ومن أجل الحصول على أكبر قدر من التأثير في نفوس المشاهدين، كان هؤلاء الشعراء يلجأون إلى المبالغة في الأحداث الأليمة التي نسبتها الأساطير إلى الأبطال. وفي هذا السبيل يغيرون في أفعال الشخصيات، وينسبون إليهم أعمالاً لا تذكر الأساطير أنهم هم الذين قاموا بها، ويعدلون في الدوافع كي تتّسق على الصورة المأساوية التي يريدونها للأبطال. وبالجملة، كان شعراء المآسي يتصرفون بحرية تامة في خلق أبطالهم وشخصياتهم الذين استقوهم من الأساطير.

ولعل أبرز العوامل المأساوية هو الصراع بين الآلهة وبين الإنسان. ذلك لأن الآلهة هم الذين يقررون المصير المحتوم لكل إنسان، وهو مصير غالباً ما يتسم بالقسوة والعنف والشقاء. لهذا يحاول الإنسان الإفلات منه: إما بتحدي الإله، أو باسترضائه، أو بالاستعانة بإله معادٍ للإله الذي فرض عليه هذا المصير.

ومن الوسائل الرئيسية - والعادية - للاتصال بين الآلهة وبين الإنسان: الوحي. وهذا الوحي يؤديه إلى الإنسان كاهن (أو كاهنة) في معبد يحظى بالشهرة في هذا المجال، مثل معبد أپولون في مدينة دلف. وقد كان عامة الناس في بلاد اليونان يلجاؤون إلى استشارة الوحي في الأمور التي تهمهم، مثل: هل أتزوج أو لا أتزوج؟ والملوك وأعيان المدينة كانوا يستشيرون الوحي في الأمر العظيم الذي يهمهم، فيسألون الوحي: هل يجب علينا أن نحارب ضد العدوّ المعين، أو يجب ألا نحاربه؟ أما في المآسي، فإن السؤال الغالب الذي يسأله البطل هو: ماذا أفعل في الموقف الفلاني أو مع الشخص الفلاني؟ لكن إجابات الوحي مبهمة عادة: فمثلاً أوديب حين سأل الوحي في دلف عما سيكون أمره، أجابه الوحي بأنه سيقتل أباه وسيتزوج أمّه، لكنه لم يخبره أن ملك كورنثوس وملكتها هما ليسا أباه وأمّه. وكريون لما استشار وحي دلف أخبره هذا الوحي أن رجلاً سينجس أرض ثيبا،

لكنه لم يخبره عمن سيتولى هذا «التنجيس». وفي مسرحية «فيلوكتيت» لسوفقليس، نجد النبوءة التي تنبأ بها العرّاف فيلينوس الطروادي غير محددة: هل نيوپتوليم هو الذي سيستولي على طروادة؟ أو نيوپتوليم بفضل قوس فيلوكتيت؟ أو نيوپتوليم، وفيلوكتيت، وهذه القوس معاً؟

وتتميز مآسي سوفقليس عن مآسي سلفه العظيم اسخولوس بأنه نسب إلى إرادة الإنسان في التعامل مع الأحداث دوراً أكبر كثيراً من الدور الذي نسبه إليها اسخولوس. ولكنه بقي مع ذلك يفسح أيضاً مجالاً واسعاً لإرادة الآلهة ولهذا ترجّح بين هذين الموقفين: فنجد أنه في مسرحية: «ألكترا» يؤكد قوة إرادة الكترا، وثقتها بنفسها، بينما نجده يصوّر أوديب في موقف العاجز الخوّار الإرادة: فهو لا يفعل ما يجب عليه أن يفعله، وفضائله وعيوبه تعمل معاً على إخفاقه. ويقرر في «أوديب في كولونا» أنه ليس مسئولاً بل هو ضحية للأقدار.

«ويلذ لسوفقليس أن يوزّع بين عدة شخصيات الأحداث النفسية المختلفة في موقف معين. إنه يصنع صنيع الرسّام: فالمأساة تعالج معالجة لوحة يتوزع فيها الضوء في مواضع متقابلة ابتداءً من بؤرة ثابتة فهو يضع تكمس Tecmesse في ظل اياس، ويضع اسمينا بالقرب من أنتيجونا، ويضع خروسوثنيس Chrysothenis إلى جوار الكترا، ويضع نيوپتوليم في مواجهة فيلوكتيت بل قد يحدث أحياناً أن الحركة الدرامية تقتصر على نقل المُشاهد من جانب إلى آخر من اللوحة المزدوجة. والمثل الأبرز (والأقل اتقاناً) لهذا الترتيب يتجلى في مسرحية «التراخينيات»: فالنزاع بين الشخصيتين الرئيستين يحدث بواسطة أشخاص وسطاء: يتتابعون على المسرح، بحيث أن المأساة تصبح مؤلفة من قطعتين ذواتي صيغتين مختلفتين. ويلجأ سوفقليس أحياناً إلى حيل ضعيفة، مثل: الاعترافات الناقصة أو المتأخرة عن أوانها، أو التعديل التصريحي، بواسطة لمسات غير مشعور بها، في الوقائع أو في أخلاق الأشخاص. فمثلاً في مسرحية «فيلوكتيت» نجد أن النبوءة التي نطق بها العرّاف هيلينوس، والتي يتوقف عليها كل شيء، لم تورد بكاملها ـ بما في ذلك ذكر الحادث الموشك على الوقوع ـ إلاّ في البيت رقم ١٣٣٩ أي قبيل الخاتمة»[١].

---

(١) روبير بيار Pignarre في مقدمة ترجمته مآسي سوفقليس إلى الفرنسية، ص٢٠ باريس، ١٩٦٤.

ويقول فلوطرخس[1] إن سوفقليس قد مرّ بثلاث مراحل متتالية: فإنه وقد تخلص من «انتفاخ» اسخولوس وصار متمكناً من الشكل الفني، فإنه في المرحلة الأولى كان لا يزال ذا خشونة ومبالغة، فخلص منهما في المرحلة الثانية، لكنه لم يبلغ أوجّه إلاّ في المرحلة الثالثة التي فيها تجلى اتقانه في وصف الحياة الأخلاقية. وكان الشاعر الكوميدي فرونيخوس Phrynichos قد تحدث ـ في القرن الرابع قبل الميلاد ـ عن خشونة سوفقليس؛ لكنه لم يقصد بهذا الطعن في فنه، بل بالعكس لإطرائه، مقارنة إياها بالطعم الخشن لنبيذ فرامنه Pramné؛ وأخذ عليه أنه بعد ذلك صب كثيراً من الماء على هذا النبيذ في المرحلة التالية.

وفرونيخوس هو الذي قال في ملهاة بعنوان: «ربات الفن» التي كتبها في سنة ٤٠٥ق.م. بعد وفاة سوفقليس بعام واحد (في سنة ٤٠٦ق.م.): «ما أسعد سوفقليس! لقد مات بعد حياة طويلة، وكان صاحب حظ سعيد وموهبة. لقد ألّف مآسي عديدة وجميلة، وظفر بنهاية جميلة، دون أن يعاني أيّ بلاء أبداً».

وهذا الحكم يناقض الأسطورة التي تقول إنه عانى متاعب في أخريات عمره من جرّاء النزاع الذي قام بين أبنائه من زوجته الأولى نيقوسترات، وأبنائه من زوجته الثانية ثيوريس Theoris التي من سقيون حول استغلال أموال ومجد أبيهم. وبلغ النزاع حداً جعلهم يرفعون الأمر إلى القضاء مطالبين بفرض وصاية على أبيهم، بدعوى أنه خَرِف في أواخر عمره. فلما مثل سوفقليس أمام القضاة دافع عن نفسه بأن قرأ عليهم نشيد الكورس الوارد في مسرحية «أوديب في كولون» (الأبيات رقم ٦٦٨ وما يتلوها) وربما كان السبب في صنيع هؤلاء الأبناء العاقين لأبيهم هو أنه كان يؤثر بالعطف خصوصاً حفيده المعروف باسم «سوفقليس» الثاني وإليه أوصى بالإشراف على تمثيل آخر مسرحياته، كما ذكرنا من قبل.

(٤)

تقوى سوفقليس

اعتاد الباحثون منذ العصر القديم حتى هذا القرن الحالي أن ينعتوا سوفقليس

(١) في رسالة De profectious in virtuta.

بالتقوى الدينية القوية، وبالاعتقاد في الآلهة، وفي قدراتهم اللانهائية؛ وأ المظاهر الخارجية لهذه التقوى وهي أنه كان كاهناً يخدم في معبد ألكون الوحي الإلهي تفسيراً ممعناً في الورع.

واستمر هذا الاعتقاد في تقوى سوفقليس سائداً حتى لدى الباحـ النصف الأول من هذا القرن: إنه لا نزال نجده عند ڤرنر ييجر Jaeger (توفي سنة ١٩٦١) في كتابه العظيم «پايديا، أو تكوين الإنسان اليوناني» الثاني، الفصل ٢) - وعند وبسنر T.B.L. Websner في كتابه: «المد سوفقليس»، (لندن، ١٩٣٦؛ ط، ١٩٦٩)، - وعند ماذالينه Maddalena كتابه: «سوفقليس» (تورنتو ١٩٥٩؛ ط٢ ١٩٦٣)، - وعند تورولاً olla «بحث في شعر سوفقليس» (باري، ١٩٣٤).

لكن قام باحثون آخرون ابتداء خصوصاً من الثلث الثاني من هذ فشككوا في صِحّة هذه الدعوى، وأبرزوا ما في مسرحيات سوفقليس لتصرفات الآلهة مع الإنسان، ولتحيزهم دون مبرر للطرف الظالم، وا المتقلبة، ولعدم انصافهم للأبرياء.

فنجد أولاً كارل رينهرت[1] يقول: «إن آلهة سوفقليس لا يقدمون إلى أي عزاء، وإذا غيروا مصيره من أجل أن يعرف ذاته فإنما ذلك لا يتمّ إلا عنه ونبذه وإذلاله. وفي هذا التمزق وحده وما يتلوه من تطهر فإنه يتغ تمزقه واضطرابه ويكتسب حالة من الانسجام مع النظام الإلهي. ولهذا ف سوفقليس المأساويين هم أناس مهجورون، مستأصلون، منبوذون. لكـ استئصالهم ما كان ليكون أليماً إلى هذا الحدّ لو أن الاستئصال لم يكن وثـ بالطبيعة إلى هذا الحد.

«إن المأساة عند أسخولوس لم تعرف هذا الاستئصال، ولا عكسه النوع من التعرية والتعريض. ذلك لأن الشخصيات في مسرحيات اسخـ سواء أكان إنساناً، أو نصف إله، أو بطلاً، أينما كان فإنه لم يكن متوحداً، يقيم دائماً في حضن مركب مما هو إلهي وإنساني».

---

(١) Karl Reinhard. «سوفقليس»، ١٩٣٣، ترجمة فرنسية، باريس ١٩٧١، ص٢٥.

ومن ناحية أخرى يقول جي راشيه[1]: «إن ما يلفت الانتباه لدى قراءة مسرحيات سوفقليس هو - بالمقارنة مع أسخولوس، وخصوصاً مع يوريفيدس - غياب الآلهة، ونوع من عدم الاكتراث عند الآلهة نحو بني الإنسان، وإذا تدخلوا فإن تدخلهم يكون غالباً لإصابة بني الإنسان بالمزيد من الشقاء. وفي أقدم مسرحيات سوفقليس الباقية لدينا، أعني في مسرحية: «آياس» تحتل إحدى الآلهات مكانة بارزة: لكن إذا كانت الإلاهة أثينا تظهر فيها بوصفها حامية أوليس وآل أتريوس، فإنها إنما تحمي الطرف الأخسّ، لأن تعاطفنا إنما هو مع آياس وتكمس، وطويقروس. وتكمس يصيح قائلاً: إن الأمور ما كانت لتبلغ هذا المبلغ من السوء لولا الآلهة». ويقول تكمس إن «پلاس (الإلاهة أثينا) هي التي دبّرت هذه المتاعب إرضاءً لأوليس». (الأبيات ٩٥٠ و٩٥٣). وهكذا فإن الإلاهة قد سمحت لنفسها بأن تكون ظالمة من أجل إرضاء مَنْ قررت حمايته! وفي مسرحية «التراخينيات» يصرخ هرقل... يازيوس! أيّ دمار أوقعته بي، أيّ دمار» (البيت رقم ٩٩٥)، وهو يتهم ظُلْم الآلهة. وفي مسرحية «أنتيجونا» نجد كريون يكتشف ما في قدرة الآلهة من شرور فيقول: «لقد فهمتُ! إنه إلٰه هو الذي ضرب رأسي بعصا غليظة، وساقني إلى طرق مستوحشة، وقلب وداس على سروري» (الأبيات رقم ١٢٧٢ - ١٢٧٦). وفي مسرحية «فيلوكتيت» نجد الكورس يتبرأ من البلايا التي أصيب بها البطل، ويقول: «إنها إرادة الآلهة، وليس هذا من عمل مكائدنا» (البيتان ١١١٧ - ١١١٨)».

ويتابع راشيه فيقول: «والآلهة حينما لا يصيبون الإنسان بالشر، فإنهم غير مكترثين بل هذا هو لُبّ المأساة عند سوفقليس» ففي مسرحية «آياس» نجد أن الإلاهة هيرا... غير مكترثة لما أصاب البطل (آياس) من مصائب. وفي المسرحيات الأخرى نجد الشخصيات تتهم أپولون، أوزيوس، أو أيّ إله آخر، بما أصابهم من مصائب، لكن هذا هو رأي هؤلاء الشخصيات، والأكثر احتمالاً هو أن هؤلاء الآلهة اتخذوا موقف المتفرج غير المكترث...».

(١) Guy Rachlet: «التراجيديا اليونانية» ص٢٠٤. باريس سنة ١٩٧٣.

٥

تجديداته في فن المسرح

تنسب إلى سوفقليس التجديدات الآتية في فن المسرح:

١ ـ أنه كان أول من أدخل ممثلاً ثالثاً في عملية تمثيل المسرحيات، بينما كان التمثيل قبل ذلك يقتصر على ممثلين اثنين فقط. وعنه أخذ أستاذه اسخولوس هذا التجديد، وذلك في مسرحياته الأخيرة («الأورستيات»، و«پروميثيوس»).

٢ ـ أنه لم يشترك في تمثيل مسرحياته؛ وكان في الغالب يعتمد في تمثيلها على الممثل تليپوليم Tlepoleme.

٣ ـ زاد عدد أعضاء الكورس إلى خمسة عشر عضواً، وكانوا قبل ذلك محددين باثني عشر عضواً. وقسّم الكورس إلى قسمين متساويين كل قسم يتألف من ٧ أعضاء، وعلى رأس كل الأعضاء رئيس الكورس. Coryphée، وكان دوره أكبر بكثير من سائر الأعضاء، وغالباً ما يتدخل وحده في الحوار مع الشخصيات باسم الكورس كله. وكان يجلس في وسط الصف الأول، وعن يمينه ويساره يجلس رئيساً نصفي الكورس ويطلق عليهما اسم Parastalés.

٤ ـ توقف عن تقديم المسرحيات الثلاثية ذات الموضوع الواحد، وصار يقدم في المباريات ثلاثات من المسرحية ذوات موضوعات مختلفة. وكان أسخولوس يقدم ثلاثات من المآسي المتفقة في الموضوع. ولهذا فإننا لا نعرف لسوفقليس أية ثلاثية، باستثناء ما زعمه البعض من أنه قدم ثلاثية بعنوان: «طيلان».

٥ ـ وبحسب أرسطو، كان سوفقليس أول من أشار بوضع «ديكور» مرسوم Skenographia؛ غير أن ڤتروڤيوس يزعم أن أسخولوس طلب من الرسام أجاترخوس Agatarchos أن يرسم منظراً في تمثيل إحدى مسرحياته؛ لكن أسخولوس إنما أخذ هذه الفكرة عن تلميذه سوفقليس.

٦ ـ أنه كان في تأليفه لمسرحياته يحسب حساباً لمواهب الممثلين لمسرحياته، ويستشير دائرة محددة من المثقفين، ولا يعير اهتماماً لعامة المشاهدين والجمهور.

ولو قارنا بين فن سوفقليس وفن سلفه وأستاذه، أسخولوس، لوجدنا فارقاً كبيراً في الأسلوب وطريقة رسم الأشخاص وفي الأهداف.

فمن ناحية الأسلوب نجد أن لغة أسخولوس خشنة، غامضة، جريئة في التجديد، لا يبررها أحياناً المنطق ولا النحو. وعلى العكس من ذلك نجد في أسلوب سوفقليس وضوحاً، كأنه ليس الوضوح المنطقي بل الوضوح في التشكيل التجسيمي وفي عرض الموضوع.

ولقد قال بنفسه إن التراجيديا نشأت من الجمع بين الروح الأپولونية والروح الديونسيوسية. لكن الشعراء التراجيديين اليونانيين تفاوتوا في القدر الذي أخذوا به من كلا الجانبين: الأپولون، والديونسيوس. فأسخيلوس كان أوفر حظاً من الديونوسيوسية، بينما كان سوفقليس ـ على عكس ذلك ـ أوفر قدراً من الأپولونية، وفي هذا كان أقرب إلى أسلوب هوميروس المتسم بالوضوح والإشراق.

وفيما يتصل بالعقدة المسرحية Plot، نجد أنها عند أسخولوس تسير في خط واحد مستقيم، بينما هي عند سوفقليس مركبة متشابكة. فنحن في «الأورستيات» نجد أن أجاممنون ينتقم من پاريس، وقلوطمنسترة، تنتقم من أجاممنون ومن كسّندى، وايجستوس ينتقم من أجاممنون. وأورست ينتقم لأبيه من قلوطمنسترة، ومن أيجستوس، ثم كان عليه بعد ذلك أن يواجه أرواح الانتقام التي تريد أن تنتقم لقلوطمنسترة. فالشخصيات هنا تتصادم، أولى من أن تتصارع بعضها مع بعض: فهم يُحَطِّمون وبعد ذلك يتحطمون.

وأما الكورس، فكما لاحظ أرسطو: «الكورس في مسرحيات سوفقليس هو بمثابة زميل للممثل». ولهذا فإنه يشارك سائر الممثلين في أوهامهم كما هي الحال في مسرحيتي «أنتيجونا» و«أياس»، بينما هي تشارك كريون وأياس ـ على التوالي ـ في وجهة نظره، وهي وجهة نظر خافتة. وأحياناً يتخذ الكورس موقف «المشاهد المثالي»، ناطقاً بملاحظات وتعليقات فلسفية، كما هي الحال في القصيدة الثالثة في مسرحية «أوديب ملكاً» وفي أحيان ثالثة يكون الكورس مجرد أداة للغناء، من أجل التخفيف من وطأة العنف المأساوي، وذلك بالرقص والموسيقى.

وسوفقليس لم يشغل نفسه بالمشاكل الدينية مثلما فعل أسخولوس، ولا بالمشاكل العقلية والاجتماعية مثلما فعل يوريفيدس. ذلك لأنه كان فناناً اقتصر على

عرض الشخصيات الإنسانية والمشاكل الإنسانية البحتة.

وقد حظي سوفقليس بالتقدير والإعجاب من جانب المشاهدين والنقاد على مدى التاريخ نظراً لبراعته الهائلة في رسم الشخصيات، وخصوصاً الشخصيات النسوية: الكترا، وأنتيجونا، وديانيرا، وتكمسا، وغيرها. وكذلك لقدرته العظيمة على معالجة المواقف والعقد الدرامية. وأرسطو في «فن الشعر» أشار مراراً إلى مسرحية «أوديب ملكاً»، وهذا يدل على أنه عدّها نموذجاً عالياً في البناء الفني المسرحي.

د. عبد الرحمن بدوي

باريس في يوليو ١٩٩٤

مَسْرحيَّة «آيَاسْ»

مقدّمة «آياس»

بقلم الدكتور عبد الرحمن بدوي

بطل هذه المسرحية هو من أبرز الأبطال الصناديد الذين اشتركوا في الحملة التي قام بها اليونانيون ضد مدينة طروادة في الشمال الغربي لآسيا الصغرى (تركيا الآن)، والتي كان السبب في قيامها هو أن پاريس، ابن فريام، ملك طروادة، جاء إلى اسپرطة ونزل ضيفاً على ملكها: منلاوس، فهامت زوجة هذا الأخير - واسمها: هيلانة - به؛ واستغل پاريس فرصة سفر منلاوس إلى كريت، فاتفق مع هيلانة على الهرب، وهربا معاً حاملين ما في خزائن منلاوس من كنوز، وأبحرا إلى وطنه، طروادة. فجمع زعماء اليونانيين أسطولاً بحرياً ضخماً لغزو طروادة واستعادة هيلانة، ورأس هذه الحملة آجاممنون، أخو منلاوس، ووصل هذا الأسطول إلى شواطىء آسيا الصغرى بالقرب من طروادة، وحاصر اليونانيون هذه المدينة حصاراً دام عشر سنوات، وانتهى بالاستيلاء على طروادة. وهذه الحرب هي موضوع ملحمة هوميروس الشهيرة وعنوانها: «الإلياذة».

وكان أشجع الأبطال اليونانيين في هذه الحرب وأشدهم صموداً وبسالة هو آخيلوس، ويتلوه في المرتبة مباشرة: آياس.

وآياس هو ابن طلامون، ملك سلاميس (ثغر في جزيرة مواجهة لإقليم آتيكا الذي قاعدته مدينة أثينة). وأمه هي پريبويا Periboea (أو أريبويا Eriboea) بنت

ألكاثوس Alecathos. وكان طلامون حليفاً لهرقل البطل الجبار ذي الأعمال السبعة الخارقة، وكان ابناً لزيوس كبير آلهة اليونانيين؛ فالتمس من أبيه زيوس أن يهب حليفه طلامون ابناً شجاعاً جداً؛ وكان الجواب عن دعائه هذا ظهور نسر، فكان هذا علامة على أن الدعاء سيستجاب. ولهذا سمّى طلامون ابنه الذي ولد له من پريبويا باسم: «آياس»، وهو من الكلمة اليونانية aietos ومعناها: النسر. وقد أنجب طلامون ابناً آخر يدعى طويكر، وذلك من زوجة أخرى تدعى هسيونة.

وامتاز آياس في حرب طروادة بالشجاعة الهائلة التي لا تخشى أحداً، وبالقوة البدنية التي جعلت رفاقه في الحرب على طروادة يشبّهونه بـ«البرج» إذ كان يتقدم في المعركة كأنه برج من الصخر المتين، ومعه ترس ضخم ثقيل يحتمي به في النزال. وكثيراً ما كان يقاتل إلى جانبه أخوه، غير الشقيق: طويكر الذي كان ماهراً في الرمي بالسهام.

ولصموده في القتال والدفاع كان آياس يعدّ «متراس اليونانيين» فكم صمد في رد هجمات الطرواديين، وأنقذ اليونانيين في مواطن حرجة أوشكوا فيها على الهزيمة الساحقة لولا بسالة آياس.

ولما قام اليونانيون بحملتهم ضد طروادة، خرج آياس من مدينة سلامين على رأس اثنتي عشرة سفينة. وها نحن أولاء نذكر بعض أعماله الجليلة في هذه الحرب:

أ ـ قام بمبارزة هكتور Hector ثاني أبطال طروادة بعد پاريس، وأوشك أن يسحقه تحت صخرة، لولا أن نزل الظلام ففرق بين المتبارزين. وإعجاباً من كليهما بشجاعة الآخر أهداه هكتور سيفاً، وأهدى هو لهكتور حزاماً من البورفير.

ب ـ ولما غضب آخيلوس غضبته المشهورة وانحاز لخيمته تاركاً القتال، اشترك آياس في الوفد الذي بعث به الجيش اليوناني إلى آخيلوس لاسترضائه، وكان هو من أصدقاء آخيلوس، ولكنه مع ذلك ترك لأودسيوس أن يتكلم هو لاسترضاء آخيلوس.

جـ ـ ووقع أودسيوس في مركز حرج وهو يقاتل أهل طروادة، فأنجده آياس.

د ـ ولما بلغ الطرواديون الأسوار التي كانت تحمي السفن اليونانية الراسية فإن آياس ـ ومعه آياس آخر (ابن أويليا الذي من أوپونت) أنقذا منسثيا Ménesthée وردّ هجوم الطرواديين.

هـ ـ ولما هاجم الطرواديون الأسطول اليوناني، تولى آياس الدفاع عن هذا الأسطول: فكان يذرع أسطح السفن، شاهراً عصا طويلة، وكان هدفاً لقذائف الأعداء بيد أنه لم ينجح في منعهم من إحراق إحدى سفن الأسطول اليوناني. . . لكن الموقف لم يُنقَذ إلا بفضل تدخل پاتروكل والموربين. ولما قتل پاتروكل وانتزع هكتور سلاحه ودرعه، فإن آياس غطى جسمه بترسه.

و ـ ولما پاريس قتل آخيلوس، فإن آياس حمل جثته إلى معسكر اليونانيين وكذلك سلاحه، بينما كان أودسيوس يصد الطرواديين. وسنرى طويكر في مسرحيتنا هذه يقدّر أعمال آياس الجليلة في مواجهة منلاوس وأجاممنون، ويمنّ بها عليهما.

وبعد مصرع آخيلوس قام نزاع بين رؤساء الجيش اليوناني حول من هو الأحق بأسلحته، واحتد النزاع خصوصاً بين آياس وأودسيوس في هذا الشأن. فاقترح سائر الرؤساء اللجوء إلى التصويت (الاقتراع) ـ وفي بعض الروايات: الاحتكام إلى العرّاف الطروادي هلينوس Helenos الذي كان من بين الأسرى الطرواديين عند اليونانيين. هل كان التصويت عادلاً ولم يحدث فيه تلاعب أو غش؟ ـ هذا هو ما ادّعاه طويكروس في مساجلة مع أودسيوس. لكن ما وقع فعلاً هو أن أودسيوس هو الذي أعلن عن فوزه.

وانتقاماً من آياس لهزيمته في هذا التصويت ـ أو التحكيم ـ فإنه صمم أن يهاجم حلفاءه اليونانيين إبّان الليل. لكن الإلاهة أثينا تدخلت فأصابت آياس بالجنون. . . وأدى به جنونه هذا إلى أن يتصور أن قطيعاً من الأغنام والثيران هم أعداؤه المطلوب الانتقام منهم، فراح يقتل في هذا القطيع المسكين من الحيوان.

ثم عاد إليه عقله وأفاق من نوبة الجنون الكارثة هذه؛ فراح يتأمل فيما فعل، ويؤنب نفسه على ارتكاب هذه الحماقة الكبرى، ولما بلغ به التأنيب والشعور بالعار أشُدَّه، قرر أن ينتحر، فألقى بجسمه على سنّ السيف الذي كان هكتور قد أهداه إليه.

وهذه المعركة النفسية الرهيبة التي خاضها آياس مع نفسه هي أجمل وأروع ما في مسرحيتنا هذه، وتعدّ من أروع ما أبدعه الفن المأساوي عند اليونان، وفن المأساة بعامة على مدى العصور حتى يوم الناس هذا.

وبعد انتحار آياس، رفض أجاممنون ومنلاوس أن يدفن آياس في قبر، وأن تقام له مراسم جنازة، بدعوى ما ارتكبه من أعمال جنونية إبان نوبته الجنونية. لكن أودسيوس تدخل في الأمر، وكفكف من غلوائهما؛ فأذعنا يائسين، على شرط أن يتحمل أودسيوس وحده مسئولية هذا القرار. وأراد أودسيوس أن يشترك بنفسه في تشييع الجنازة لكن طويكروس استعفاه من ذلك، فأعفى أودسيوس نفسه من المشاركة في الجنازة.

وقد ذكرت «الإلياذة» لهوميروس أعمال آياس المجيدة في معارك حرب طروادة في المواضع التالية:

- النشيد السابع، الأبيات ٩٢ ـ ٣١٣.
- النشيد الحادي عشر، الأبيات ٤٥٩ ـ ٤٨٨.
- النشيد الثاني عشر، الأبيات ٣٣٠ وما يليه.
- النشيد الخامس عشر، الأبيات ٦٧٦ وما يليه.
- النشيد السابع عشر، الأبيات ١١٣ ـ ١٤٠؛ ٦٢٨ ـ ٦٥٥؛ ٧٠٥ ـ ٧٣٥ ـ؛ ٧٤٨ ـ ٧٥٦.

ووردت أخبار النزاع بين آياس وأودسيوس حول جثة آخيلوس في «القصائد الدورية»، وفي النشيد الخامس من «الأوديسا» لهوميروس (البيت رقم ٣٠٩ وما يليه) ـ وفي «قصائد الألعاب الاسثمية» (القصيدة الرابعة) و«قصائد الألعاب النمياوية (القصيدة رقم ٨)» للشاعر بنداروس Pindaros.

وأما النزاع حول دفن آياس فمردّه إلى ما كان اليونانيون يولونه من اهتمام بالغ ومراسم احتفالية وطقوس خاصة بدفن الميّت:

فكانوا إذا مات إنسان، يغلقون عينيه، ويضعون بين أسنانه قطعة من النقود بزعم أنه سيدفعها أجرة لخارون، الملاّح الذي ينقل الموتى في العالم الآخر. ويغطي وجهه بقناع. ثم تغسل الجثة، وتدهن بالعطور، وتكفن في ثلاثة أكفان بيضاء. ويُرقّد في بهو المنزل على سرير تحاط به القرابين، وأثناء عرض الجثة يقوم الرجال والنساء بالنواح على التبادل: الرجال وهم واقفون وأذرعتهم ممدودة إلى الأمام وراحة اليد مفتوحة والأصابع مضمومة؛ أما النساء فينتزعن شعورهن.

ويظل عرض الجثة نهاراً بكامله؛ وفي اليوم التالي قبل الفجر - حتى لا تنجس الشمس من هذا المشهد - ترفع الجثة، وتحمل على عربة أو على سرير؛ وتتبع الجثة محمولة هكذا امرأةٌ ومعها إناء فيه مواد الرش (أو الوضوء) وكانت إما من النبيذ أو العسل ويتوقف النواح والعويل، وتسير الجنازة في مركب مؤلف من الرجال ومن أقرب الأقربين للميت، في صمت؛ كذلك كان يشترك في الموكب شباب يلبسون حُلَل الزينة تشريفاً للميت.

أما ما يفعل بجثة الميت فقد اختلفت فيه العادات بحسب العصور. ففي أقدم العصور كان دفن الميت في التراب هو المتّبع؛ لكن في عصرقصائد هوميروس كان المتبع هو إحراق الجثة. أما في العصر الكلاسيكي (القرن الخامس قبل الميلاد وما يليه) فقد كان العرف الشائع هو الدفن في التراب؛ أما إحراق الجثة فكان أمراً استثنائياً، وذلك بالنسبة إلى الجنود الذين قتلوا في القتال. وكانت القبور ممتدة على طول الطُرق الخارجة من المدن. ويتم دفن الميت بوضع جثته مباشرة في التراب، أو وهو ملفوف في كفن. وبجانب الجثة توضع قرابين هي: قرابين مملوءة بالعطور، وتماثيل صغيرة من الطين المطبوخ، أو حاجيات شخصية. وبعد تغطية اللحد بالتراب ترش السوائل (نبيذ، عسل، الخ)، وتذبح ذبيحة على القبر - أما إذا استعمل إحراق الجثة، فإنها كانت توضع على محرقة، أي أخشاب يقوم بإشعال النار فيها أقارب المتوفى، ويلقى في النار بخصلات من شعره وبعض الأشياء التي كانت تلازمه في حياته. ثم يؤخذ رماد الجثة فيوضع في إجّانة توضع في خزانة (أو تمثال) في منزل الميت.

أما المحاربين الذين يقتلون في ساحة المعارك من أجل الوطن فكان من حقهم الاحتفال بجنائزهم في احتفال شعبي عام، وتُلْقَى خطبة تأبين في مدح الميت يصحبها غالباً ألعاب جنائزية.

وبعد دفن الميت تقام مأدبة طعام، فيها يتوالى الخطباء مشيدين بمناقب الميت، وبعد انتهاء المأدبة يأخذ أهل البيت في تطهيره.

ويحتفل بذكرى الميت في اليوم الثالث، والتاسع، والثلاثين من دفن الميت: وذلك بإقامة مأدبة طعام، ويُرَشُّ على شاهد القبر بالزيت، وتجدّد التيجان والرباطات التي وضعت على الشاهد. وفي أثينة كان يحتفل في يوم معين من كل عام بعيد الموتى، ويشارك فيه كل سكان المدينة.

وقد توسعنا في ذكر هذه التفاصيل، لأننا سنرى النزاع الشديد حول مسألة دفن الموتى يتفاقم في مسرحيات يونانية أخرى.

(٢)

المسرحية

استلهم سوفقليس في تأليفه لهذه المسرحية، إلى جانب «الإلياذة» لهوميروس ملحمتين مفقودتين أُلِّفتا بعد عصر هوميروس، هما: «أثيوپيد» Ethigide و«الإلياذة الصغيرة».

كما أنه واصل تهذيب شخصية آياس كما عرضتها «الإلياذة». ذلك أن «الإلياذة» صورته في صورة الرجل الضخم المتكامل الجسم الخشن الطباع، وشبهته بالحمار في عناده ومقاومته. ثم جاء فندارس (پندار) Pindar (٥١٨ ـ ٤٣٨ قبل الميلاد) في قصائده عن الألعاب النمياوية (القصيدة رقم ٨ البيت رقم ٢٣ وما يليه) فجعل منه رمزاً للشجاعة السيئة الحظ، وفريسة للدسائس أمام قضاة متحيزين. يقول فندارس:

«إن الحسد يتشبث دائماً بالتفوق والاستحقاق؛ ولا يتشاجر مع التفاهة. لقد عضّ ابن طلامون، وجعله يسقط وقد نفذ سيفه فيه. لو قام نزاع فإنه لو كان قلبك باسلاً، لكن لسانك غير ما هو فإن نصيبك سيكون النسيان، بينما أنبل المكافآت ستعطى للمكار الغدّار. إن الداناثيين، في تصويت شرعيّ، آثروا أودسيوس، أما آياس فقد حُرِم من السلاح الذهبي، فقد أسلم نفسه للموت».

وفي الأسطورة المنقولة يذكر أنه حين قام النزاع بين أودسيوس وآياس على من يرث أسلحة آخيلوس التي صنعها هفايستوس ـ فإن القوم احتكموا إلى الأسرى الطروادبين ليقرروا من كان من أبطال اليونان أشدهم إيقاعاً بهم في القتال فأجمع هؤلاء الأسرى على أن أودسيوس كان أشد في البطش بهم من آياس. ووافق الزعماء اليونانيون على هذا الحكم، وأعطوا أسلحة آخيلوس إلى أودسيوس وحرم منها آياس. وهكذا تغلب من هو أمهر على من هو أشجع. فأغتاظ آياس لهذا الحكم وأحسّ أنه مظلوم ظلماً أوقعه في نوبة جنون حملته على أن ينتقم لنفسه

بذبح قطعان الجيش من الثيران والأغنام. ثم لما أفاق من نوبته وأدرك فظاعة ما ارتكبه طعن نفسه بسيفه ووقع على الأرض قتيلاً.

وبحسب هذه الرواية التقليدية إذن كان الأسرى الطرواديون هم المسؤولين عن هذا الحكم الظالم. لكن جاء فندارس فألقى المسئولية على الزعماء اليونانيين لا على الأسرى الطرواديين، كما رأينا في الأبيات التي أوردنا ترجمتها منذ قليل.

وبهذا الرأي أخذ سوفقليس في مسرحيتنا هذه.

كما أنه ينسب إلى سوفقليس أنه أول من جعل آياس يفكر طويلاً في بشاعة الحماقة التي ارتكبها في نوبة جنون بقتله لقطعان الثيران والغنم. فلم يكن انتحاره نتيجة لفورة كارثة فقد فيها عقله، بل كان بعد تفكير عقلي ومحاكمة لنفسه، وشعور بوخز من ضميره، وما جلب عليه عمله هذا من عار. وهكذا أصبح انتحاره جزاءً وفاقاً عن فعلته البشعة هذه وعقاباً حكم به على نفسه بنفسه وهو في تمام وعيه وكمال شعوره بالمسئولية.

لكن هل كان سوفقليس أول من ابتكر هذا المعنى الأخلاقي النبيل من مأساة آياس؟ لا نستطيع الجزم بهذا، لأن اسخولوس عالج هذه الأسطورة نفسها - أسطورة آياس - في ثلاثية من المسرحيات؛ ألفها اسخولوس قبل مسرحية سوفقليس بزمان طويل، لكن هذه الثلاثية فقدت. ولهذا لا يمكن إلا تعليق الحكم في هذه المسألة.

تاريخ تأليف المسرحية

وهذا يقودنا إلى الكلام عن تاريخ تأليف هذه المسرحية.

لم تذكر لنا الوثائق تاريخ تمثيل هذه المسرحية في المباريات التي كانت تقام لعرض المسرحيات. ولهذا لجأ الباحثون إلى خصائص أدبية في نظم المسرحية نفسها. وتضاربت آراؤهم في هذا الشأن تضارباً شديداً؛ بيد أننا لا نستطيع هنا أن نخوض طويلاً في حجج كلا الفريقين: الفريق الذي يرى أن سوفقليس ألّفها في فترة مبكرة من حياته، والفريق الذي يقول بأنه ألفها في فترة متأخرة عن مسرحية «أنتيجونا» التي مثّلت في سنة ٤٤٣ق.م.، وتعدّ أقدم مسرحيات سوفقليس الثابتة التاريخ في التمثيل. وعلى رأس الفريق الأول روبرت (I,R. 344)، ومن شأن هذا الرأي أن يجعل فندارس هو الذي تأثر بسوفقليس وليس العكس.

أما الفريق الثاني الذي يقول إن «أنتيجونا» أسبق من «آياس» فيحتجون بأن المجاميع الغنائية في «آياس» أهم وأكثر تركيباً وتعقيداً مما هي في «أنتيجونا»، وأن الحوار في وزن الإيامبو (السداسي الأقدام) أكثر مرونة في «آياس» منه في «أنتيجونا».

تقسيم المسرحية

ومسرحية «آياس» ـ مثلها مثل مسرحية «التراخينيات» لسوفقليس ـ تتألف من قسمين متميزين: في القسم الأول يظهر آياس وحده؛ وفي القسم الثاني يختفي آياس ليقوم مقامه للدفاع عنه طويكروس. ومن هنا أمكن أن يقوم بكلا الدورين على التوالي ممثل واحد. لكن في كلا الحالين البطل الفعلي هو آياس؛ آياس وهو حي في القسم الأول، وآياس وهو جثة ميتة في القسم الثاني.

وفي القسم الأول يظهر آياس في أسوأ مظهر: لقد فقد عقله وأنهال على قطيع من الثيران والغنم يذبّح فيه متوهماً أنه إنما يذبّح رؤساء اليونانيين الذين حكموا لصالح عدوه ومنافسه أودسيوس. وهذا العمل الجنوني قد جعله هدفاً للسخرية والشماتة من جانب أعدائه: ابني «أتريوس: أجاممنون ومنلاوس، ثم أودسيوس، فضلاً عن سائر الزعماء اليونانيين. ثم إنه أفاق من نوبة جنونه هذه وسط الضحايا من المواشي البريئة التي لا ذنب لها في النزاع على أسلحة أخيلوس! وتبلغ مأساة الرجل أقصاها في كلا الحالين: حالة عقب تذبيحه للمواشي وهو مزهوّ بهذا العمل ـ في جنونه ـ وكأنه انتقم فعلاً من أعدائه الذين أخذوا حقه؛ وحاله لما أفاق من جنونه وتكاثرت عليه سهام التوبيخ من ضميره.

وكم يؤثر في النفس رثاؤه لنفسه وهو يعدد مراحل حياته في مناجيات تقطّع نياط القلوب:

أ ـ إخفاقه في حياته (البيت رقم ٤٣٠ وما يتلوه).

ب ـ وصاياه الأخيرة (البيت ٥٤٥ وما يتلوها).

جـ ـ الانقلاب الوهمي في تصوراته الذي جعله يتوهم أنه ربما يستطيع الإفلات من مصيره المحتوم (البيت رقم ٦٤٦ وما يليه).

د ـ تذبذبه بين حب النور، وبين تبرمه بالحياة (البيت رقم ٨١٥ وما يليه).

”آياس“

شخصيات المسرحية

أثينا، بنت زيوس، وإلاهة الحكمة	’Αθηνα
أودسيوس، ابن لاثرت، وملك ايتاكا	
آياس بن طليمونس ورئيس أهل سلاميس	·Α’ίας, παις τ ελαμωνος
كورس من رجال مدينة سلاميس، وهم ملاّحون	
تكميسا، بنت طويطاس، وصاحبة آياس	τεκμησα
رسول، تخبر	’Αγγελος
تويكروس، أخو آياس	
منلاوس، ابن أتريوس، وآخو آجاممنون، وملك لقدمونيا (أسبرطة)	Μενελαος
أجاممنون، ابن أتريوس، وملك أرجوس وموقبنا	Αγαμεμνων

[في المعسكر اليوناني، على شواطىء البحر الأسود. يبدأ النهار في البزوغ. أودسيوس أمام خيمة آياس، يفحص باهتمام آثاراً تؤدي إليها. ويرتعد فجأة لدى سماعه صوت أثينا. وكانت هذه الإلاهة قد برزت للجمهور فوق الخيمة. أودسيوس يسمعها دون أن يراها].

أثينا: دائماً النبيل مقيد، يا ابن لائرتس، دائماً تبحث في وسيلة لمفاجأة أعدائك! هاأنت ذا هذه المرة، أمام خيمة آياس، بالقرب من سفنه، عند نهاية خطوطك وإني لألحظك منذ مُدَّة: وأراك تقتفي أثره، وتتفحّص آثاره الأخيرة، ابتغاء أن تعرف هل هو في بيته أو لا. حتى ليظن المرء أن حاسّة شمّ كلب من لاقونيا[1] تقودك مباشرة إلى الغرض: نعم، الرجل موجود في بيته؛ وقد عاد منذ لحظة، والعَرَق لا يزال يتصبب من جبينه ومن ذراعيه، ذراعيّ الجزّار. وليس عليك بعد أن تتربص بقلق ما عسى أن يخفيه هذا الباب؛ بل عليك بالأحرى أن تخبرني عن السبب في تحمّلك هذه المشقة: فأنا أعلم، وفي وسعي أن أخبرك.

أودسيوس: آه! صوت أثينا، صوت إلاهتي المحبوبة؛ متى ما سمعته تعرفت نداءه، مهما كنتِ بعيدة عن عينيّ! وقلبي يتعلق به تعلقاً شديداً. وكأنه نفير اتروسكي في سرادق من البرونز. نعم، هذه المرة أيضاً أنت فَهِمْتني: وها هي خطواتي تدور حول عدوّ، هو آياس، الرجل ذو التُّرس إنه هو الذي أتعقب أثره

(١) اشتهرت كلاب لاقونيا، والإناث منها بخاصة، في العصر القديم بقوة حاسة الشم لديها. وقد ذكر الشاعر بندارِ («شذرات»، نشر في Pucil ص١٨٢) هذا النوع من الكلاب ووصفه بأنه «أمهر الكلاب في مطاردة الفريسة». وأشار إليها أرسطو في كتابه «طباع الحيوان، ص٦٠٨أ».

منذ لحظات. إنه في هذه الليلة عينها، قد ارتكب جريمة نكراء ـ إن كان هو الجاني فعلاً: ذلك لأننا لا نعرف شيئاً مؤكداً عن هذا الأمر: ونحن نخبط خبط عشواء، وهذا هو السبب في أنني أردت القيام بهذه المهمة. لقد اكتشفنا أن ذراع إنسانٍ قد أبادت بأن ذبحت كل غنيمتنا بما في ذلك حُرّاس المواشي. والكل يتّهم آياس بأنه هو الذي ارتكب هذه الفِعْلة. ذلك لأن أحد الحرّاس شاهده يتواثب وحده في وسط السهل، وسيفه لا يزال مخضّباً بدم طازج. ونبّه، وحدّد. فانطلقت من فوري في إِثْر الرجل. واقتادني بعض آثار الأقدام، لكن آثاراً أخرى أضلّتني. فلا أستطيع أن أعلم لمن هي. وها أنت قد جئتِ في الوقت المناسب: إن يدك هي التي ينبغي دائماً أن تدلّني على الطريق الذي ينبغي أن أسلكه.

أثينا: أنا أعلم هذا، يا أودسيوس؛ لقد لحقتُ بك لغرضٍ واحد هو أن أحمي قيْدك.

أودسيوس: إذن أخبريني، يا مولاتي العزيزة، هل أنا أعمل ما ينبغي.

أثينا: لا تشكّنّ في هذا، إنه هو الذي فعل هذه الفِعْلة.

أودسيوس: وما هو الدافع الذي دفعه إلى القيام بهذا العنف الجنوني؟

أثينا: الغيظ الشديد الذي يكنّه لك بسبب رفضك إعطاءه أسلحة أخيلوس.

أودسيوس: ولماذا إذن انقضّ على حيوانات؟

أثينا: لقد اعتقد أنه غمس يديه في دمك.

أودسيوس: إذن كانت خُطّته موجّهة ضد أهل أرجوس؟

أثينا: وكاد ينجزها لولا أنني كنت ساهرة.

أودسيوس: أية خُطّةُ متهورة كانت هذه! ومِنْ أين أتته هذه الثقة بنفسه؟

أثينا: وحده، إبّان الليل، وبطريقة غادرة، قام بهذا الهجوم.

أودسيوس: هل بلغ غرضه ومضى حتى النهاية؟

أثينا: لقد وصل حتى أبواب الزعيمين[١].

أودسيوس: ووقف عند هذا الحدّ حميّته القتّالة؟

(١) أي: أجاممنون، ومنلاوس.

أثينا: ذلك لأنني تدخلتُ حينئذ. لقد أسقطتُ على عينيه وهماً كثيفاً بانتصار رهيب، ووجّهته نحو الحيوانات، نحو الغنيمة التي لم تكن قُسّمت بعد، كان يحرسها رعاتكم. فانقضّ عليها وقام بذبح عظيم في رؤوس الحيوانات ذوات القرون، وراح يقتل فيها تقتيلاً. فحيناً يتخيل أنه يمسك بابنَيْ أتريوس[1]، وأنه يذبحهما بيده؛ وحيناً آخر يخيّل إليه أنه يهاجم زعيماً آخر. وأنا من ناحيتي كنت أدفع هذا الرجل المصاب بالهذيان إلى أعماق مصيدة الموت: ولما بَلَغ أربه من مذبحته هذه، راح يربط بالحبال كل ما بقي حيّاً من الثيران وسائر الدواب، واقتادها إلى بيته، معتقداً أنه إنما يقتاد أَسْرَى، وليس دواب ذوات قرون. وهنالك أخذ في تعذيبها وهي مقيّدة بالحبال. ولكني أريد منك أن تكون شاهداً على هذا الجنون الصارخ وأن تخبر به كلّ اليونانيين. لا تَخَفّ وابق ههنا. ولا تَخْشَ أن يكون منظره جالباً للشقاء. وسأصرف عنك شعاع نظراته: إنها لن تمسَّ ملامحك. (تنحني نحو مدخل الخيمة وترفع صوتها). اسمع يا هذا، يا من توثّق في الظهور أذرع أسراك، اخرج إذن؛ إني أناديك أنت يا آياس، اسْمَع اسمك وتعالَ أمام بابك.

أودسيوس: ماذا تفعلين يا أثينا؟ لا، لا تناديه.

أثينا: دَعْك من هذا! وعلى رِسْلِك. أتريد أن تظهر بمظهر الجبان؟

أودسيوس: كلا، لكن ليَبْقَ في بيته! هذا كافٍ، بحق الآلهة.

أثينا: لكن، ماذا تخاف؟ أليس هو إنساناً؟

أودسيوس: بل هو أيضاً عدو، ولا يزال كذلك.

أثينا: إذن! وهل هناك ما هو أغرب من السخرية من العدو؟

أودسيوس: يكفيني أنا أن أعلم أنه هو في بيته.

أثينا: أتخشى إذن أن ترى مجنوناً وجهاً لوجه؟

أودسيوس: لو كان عاقلاً، لما كنت أخاف منه.

أثينا: وحتى لو كنت قريباً منه جداً، فإنه لن يراك.

أودسيوس: كيف؟ ألا يبصر بنفس العينين؟

أثينا: سأضع حجاباً على عينيه، حتى لو كانتا مفتوحتين تماماً.

---

(١) أجاممنون ومنلاوس.

أودسيوس: لا شيء مستحيل بالنسبة إلى الإِله.

أثينا: توقف عن الكلام، وابق كما أنت.

أودسيوس: سأبقى - وإن كان بودّي أن أكون في مكانٍ آخر.

أثينا: هيّا، يا آياس! لقد ناديتك مرتين. ألا تحفل بحليفتك؟

(يفتح الباب؛ وآياس يظهر، وفي يده سيف ملطخ بالدماء).

آياس: السلام عليك، يا أثينا! السلام عليك يا ابنة زيوس! آه! كم ساعدتِني كثيرا؟ أريد أن أقدّم إليك قرباناً من الأواني الذهبية شكراً على هذا الصيد الجميل.

أثينا: مرحى! لكن خبّرني: هل غمست سيفك كما حلا لك في دم جنود أرجوس؟

آياس: نعم، وفي مقدوري أن أفخر بهذا، وأنا لا أنكر هذا.

أثينا: وهل رفعت سيفك أيضاً على ابني أتريوس؟

آياس: نعم! ولن ينالا آياس من الآن وصاعداً.

أثينا: لقد ماتا إذن، إن صحّ فهمي لما تقول.

آياس: نعم ماتا. وليأتيا إذن ليأخذا مني الآن أسلحتي!

أثينا: حسنٌ جداً! لكن ماذا جرى لابن لاثرتس؟ ماذا كان مصيره هو؟ هل أفلت؟

آياس: آه، هذا الماكر البغيض، هل تسألين أين هو؟

أثينا: نعم، أنا أقصد أودسيوس، خصمك القديم.

آياس: أيتها الإلاهة، إن هذا هو ما يسرّني أكثر. إنه عندي، جالس ومقيد بالأغلال. ولا أريد بعد أن يموت.

أثينا: قبل أن. . .؟ لكن ماذا تريد أكثر من ذلك؟

آياس: قبل أن - وهو مقيد في عمود سقفي. . .

أثينا: ماذا تزعم بعد أن تفعله بهذا المسكين؟

آياس: قبل أن يموت تحت الضرب بالسوط وظهره يسيل عليه الدم.

أثينا: أوه! كلا، لا تقرب هكذا هذا البائس.

آياس: كما تشائين، يا أثينا! وحققي، إن شئت، كل رغباتك الأخرى. لكن هذا الرجل سينال هذا المصير، وليس مصيراً آخر.

أثينا: ليكن إذن! إن كانت هذه هي رغبتك. إذهب إذن واضربه كما تشاء وحَقق أهواءك.

آياس: سأفعل ذلك. أما أنت فلا أسألك إلاّ أن تكوني دائماً إلى جنبي حليفةً على نفس الحال.

(الباب يغلق دون آياس).

أثينا: أنت ترى، يا أودسيوس، قوة الآلهة. هل يبدي أحد فطنة أكثر؟ وشجاعة أنبل في وقت العمل؟

أودسيوس: لا أحد، حسبما أعلم. إن هذا المسكين، مهما كان عدوّاً لي، فإني أشفق عليه فيما أشاهده هكذا يترنح تحت كارثة. والواقع أنني أفكر في نفسي أكثر مما أفكر فيه هو. وإني أرى، أننا جميعاً ـ نحن الذين نعيش ههنا ـ لسنا إلاّ أشباحاً أو ظلالاً خفيفة.

أثينا: تشبّع من هذا المنظر، واحترز من النطق بكلام وقح في حق الآلهة. ولا تنتفخ غروراً لو حَصّلت مزيّة من قوّتك أو من الثروة الضخمة. إن يوماً واحداً يكفي لإعلاء أو إنزال كل المصائب الإنسانية. إن الآلهة يحبون العقلاء، ويبغضون الأشرار.

[أثينا تختفي. أودسيوس ينصرف. الكورس يدخل وهو مكوّن من ملاّحين من سلاميس].

قائد الكورس: يا ابن طلامون، يا سيد مدينة سلاميس، تلك الجزيرة التي تستحم قواعدها في ماء البحر، إني مسرورة بألوان نجاحك.

لكن حين يصيبك زيوس برهيبة، أو حين ينطلق من صفوف اليونانيين ضدّك هجوم شائعة ضارّة ـ فإني أشعر بقلق عميق وأنشغل مثلما نفعل عين الورَشان[1].

---

(١) تحت تأثير الخوف. وكان اليونانيون القدماء يعتقدون أن الطرف بالعين علامة على الخوف (راجع كتاب «الفراسة» المنحول على أرسطو ص١٨١٣ سطر ٢٠م. والورشان: نوع من الحمام البرّي. Ὄμμα.

وهكذا، في الليلة الماضية، إذا أنا صدّقتُ الشائعات المخيفة التي تحيط بنا وترمي إلى سربلتك بالعار، يقال إنّك انقضضت على المرعى الذي فيه تلعب الأفراس المجنونة، وذَبَحْتَ كل مواشي اليونانيين التي كانت بقية الغنيمة التي ظفرت بها رماحنا، وانهلت ذبحاً بسيفك الوضّاء(١).

وهذه هي الروايات التي اخترعها أودسيوس وراح يهمس بها في آذان الجميع؛ وقد أفلح في إقناعهم بها. واليوم وأنت مُتَّهَم فإن كل ما يقوله يصير جديراً بالتصديق، والسامع يطيب له ـ أكثر من الراوي ـ أن يهين آلامك.

صوّب سهامك نحو الفطن فإنها تصيب الهدف دائماً. لو كانت مصوّبة ضدي أنا، فمن ذا الذي يصدّق مثل هذه الأقاويل؟ إن الحسد إنما يهاجم الأقوياء. ومع ذلك فإنه بدون العظماء فإن الصّغار ليسوا إلاّ جداراً مترنحاً لا يحمي جيداً. ولكي يَثْبُت المتراس لابد للحجارة الصغيرة من أن تسندها الحجارة الكبيرة، كما أنه لا بد للعظماء من معونة الصغار. بيد أن الحمقى لا يتعلمون في الوقت المناسب وليست لديهم أدنى فكرة عن هذه الحقائق.

والحمقى هم الذين يصيحون ضدّك، ونحن عاجزون، نحن الآخرين، عن دفع هجماتهم، حينما لا تكون أنت موجوداً ههنا. لكن لأنهم، بعيداً عن مرآك، يتصايحون كسرب من الطيور أمام رخم كبير، فلا شكّ أن الخوف سيتملكهم إذا أنت ظهرت فجأة، وسينهارون صامتين بغير صوت.

الكورس: أهي إذن أرتميس، ابنة زيوس، راكبة الثيران، هي التي أطلقتك على قطيع المواشي الهادىء الخاص بالجيش؟ آه! يا لها من شائعة مروّعة جالبة لشعوري بالعار! لا بد أنك أخطأت في مكافأتها على انتصارٍ أحرزته! من أجل قربان مجيد من الغنائم، ومن أجل صَيْدٍ، حرمتها(٢) منه؟ أو ربما كان أنواليوس(٣)، الإله ذو الدرع البرونزي، الذي ربما قد ساعد برمحه، قد اشتكى منك اليوم ونصب لك أحبولة أثناء الليل انتقاماً من إهانة؟

---

(١) قائد الكورس، وهو مخلص متحمس لآياس، يمجّد ـ عن قصد ـ ذبح آياس لأعدائه. لكن الكورس سيقر بالحقيقة كلها فيما بعد (البيت رقم ٢٣١).

(٢) المقصودة هنا هي أرتميس تورروبول، إلاهة الغنائم.

(٣) اسم من أسماء آريس، إله الحرب؛ وقد يميّز بين كليهما أحياناً.

كلا، لا يمكن أبداً، يا ابن طلامون، أن تكون قد ضَلَلْت إلى درجة أن تنقض على قطيع من الحيوان.

كلا، كلا؛ لا بد أن داءً مرسلاً من السماء قد انقضّ عليك. آه! ألا ليت زيوس وفوبوس يتفضلان بصرف هذه الشائعة القاسية التي أطلقها اليونانيون!

أما إذا استمر هؤلاء الملوك في اختراع مثل هذه الحكايات بدهاء وخسّة: فأما أن هذا الأمير، المنحدر من السلالة البغيضة لأبناء سسوفوس[1]، سيستمر في إثارة الشائعة الشريرة، بينما أنت، يا سيديّ، باق هكذا كما أنت الآن في خيمتك[2] القائمة على شاطىء الأمواج.

هيا! إذن وانهض، وغادر هذا الكرسي الذي تتجمد عليه من بطالة طويلة حافلة بالقلق. إنك لهذه الحال تدفع إلى السماء شعلة مصيبتك.

وحينئذ تهبّ وقاحة أعدائك دون خوفٍ خلال الأودية المكشوفة لكل أنواع الرياح. إنهم جميعاً هناك يتهانفون عليك بكلمات مليئات تسبب لي الآلام. والعذاب قد اتخذ له مقاماً في قلبي.

[تكمسّا تخرج من الخيمة]

تكمسّا: يا خَدَم سفينة آياس، ويا أبناء أخي أرخثيا، ابن الأرض ـ هذا موضوع يدعونا نحن جميعاً إلى النواح نحن الذين نهتم بسلالة طالمون ههنا، بعيداً عن وطنه. في الساعة التي نحن فيها الآن آياس الرهيب، العظيم، المتوحش يرقد على الأرض فريسةً لعاصفة هوجاء.

قائد الجوقة: آه! أي حزن ثقيل جاءتنا به الليلة الماضية بعد الهدوء! تكلمي يا ابنة تلويتاس الأفروجي[3]. أنتِ التي سباك آياس المهتاج وصرت زوجة له، وأنت التي يحميك حبّه لك. أنتِ تعرفين وتقدرين بكلمة منك أن تجعلينا نستشف الحقيقة[4].

---

(١) تقول بعض الروايات إن أمكليا، والدة ديونسيون، كانت قبل زواجها من لائرتس، على علاقة جنسية مع سسوفوس، وحملت منه عند حدوث هذا الزواج.

(٢) الخيمة هي كوخ من الأخشاب، تنصب مفرقاً للإقامة فترة قصيرة.

(٣) يعتقد سوفقليس أن أهل سلاميس هم من ذرية ازخيا، شأنهم شأن أهل أثينة.

(٤) تكمسا هي بنت تلوتياس الأفروجي. وقد سباها آياس أثناء غارة ضد مدينة أبيه. وصارت رفيقة له وبقيت بالقرب منه أمام طروادة.

تكمسّا: وأنّى لي أن أقدر على أن أفسّر لك ما لا يمكن تفسيره؟ إنك ستعلم أَلَماً يساوي الموت. إن آياس، وقد أصيب بأزمة جنون، آياسنا النبيل، قد تسربل بالعار في هذه الليلة. وما عليك إلاّ أن تشاهد في خيمته الفراس الدامية التي ذبحها ذراع إنسانية: إنه هو الذي قام بهذه المذبحة الهائلة.

الكورس: آه! أيُّ خبر جئتِ به من هذا البطل الطيّاش؟ إنه خبّر يسحقني ويرهقني.

إن الدانايات تصيح بهذا الخبر في ترويع؛ وإن شائعة رهيبة تضخمه.

إني خائفة مما سيحدث. إن الجاني، إذا ما اكتُشِف، فإنه سيموت، لأنه بسيفه الكابي قد ذبح بذراعه الطائشة ثيراننا ورعاتنا الراكبين عليها.

تكمسّا: إنه من هناك، من هناك جاء إليّ سائقاً هذا القطيع المقيد بالحبال. إنه ذبح منه قِسْماً على أرض الخيمة؛ والباقي قد قَطّع جوانبه بأن شقها إلى نصفين. وبعد ذلك أمسك بكبشين ذوي أقدام بيضاء[1]. فقطع من أولهما الرأس واللسان، ورمي بهما على التراب. أما الكبش الثاني فقد ربطه إلى عمود، ثم أخذ رباطاً غليظاً للخيل وصنع منه سوطاً مزدوجاً رنّاناً، ضرب به الكبش وهو ينهال عليه بالشتائم القبيحة التي لا يستطيع أن يعلّمه إياها إلاّ إله، وليس إنسان.

الكورس: هذه هي اللحظة التي ينبغي عليّ فيها أن أغطيّ رأسي بخمر وأن أهرب وأنا أسترق الخُطَى؛ أو أن أجلس على كرسيّ سباحة عند حافة سفينتي السريعة، وأن أطلقها بآخر سرعتها من طرائق البحر.

لأن التهديدات التي يتوعدنا بها ابنا أتريوس مروّعة جدا. إني أخشى الهلاك تحت الحجارة ونحن نرجَم بها، في الوقت الذي فيه البطل يُزهقه ههنا مصير مروّع.

تكمسّا: لقد انتهى الأمر الآن فإن الزوبعة التي أنقضّت فجأة على رأسه هي بسبيل الهدوء، دون أن يكون قد لمع أيُّ برق: إن آياس قد استردّ عقله الآن. لكن عقب ذلك صار فريسة لحزن جديد. إن تأمله في الشر الذي أحدثه هو ولم يشاركه

(١) في حالة الجنون التي أصيب بها تخيل آياس أن هذين الكبشين هما أجاممنون ومنلاوس ابنا أتريوس. وهذا يفسّر الاهتمام هنا بوصف قتلهما الموهوم.

فيه أحدٌ غيره لا يتركه يشاهد إلاّ الآلام التي لا نهاية لها.

(تلحق بالكورس وتُبعده عن الخيمة).

قائد الكورس: انتهت الأزمة، وأظن أن الأمور ستتحسّن. متى ما ابتعد، لاح أن الشرّ قد أصبح أقل شناعة.

تكمسّا: أيّ شيء تفضّل لو تُرِك لك الاختيار؟ أتريد أن تكون سعيداً وأنت تُحْزِن رجالك؟ أو تتألم مثلهم ومعهم؟

قائد الكورس: الشر المزدوج أسوأ من الشر المفرد، أيتها المرأة؟ هذا أمرٌ يعرفه الجميع.

تكمسّا: ونحن، وإن لم نكن مَرْضى، فإننا مع ذلك مُصابون.

قائد الكورس: ماذا تقصدين بهذا؟ إني لا أفهم كلامك.

تكمسّا: في أشدّ حالات الأزمة شعر آياس بالفرح من الشرور التي أمسكت به، وبينما أثار ذلك حُزْننا فإننا ـ نحن الذين كنا إلى جواره ـ لم تفقد عقولنا. وفي هذه الساعة التي فيها شُفِي واستردّ أنفاسه فإنه أصبح بكل كيانه فريسة لغمّ شديد، بينما نحن نتألّم بنفس المقدار من الألم الذي عانيناه من قبل. أليس في هذا شر مزدوج بدلاً من شرّ واحد؟

قائد الجوقة: هذا صحيح، وأنا أخشى أن تكون هذه الضربة قد جاءت من أحد الآلهة. وكيف نشك في هذا، إذا كان يعاني من الألم بعد شفائه مثلما كان يعاني أثناء إصابته!

تكمسّا: نعم، الأمر هكذا، ولا بد لك أن تعرف هذا.

قائد الكورس: لكن كيف بدأ الداء؟ وكيف انقضّ عليه؟ أفصحي عن آلامك لأناس مستعدين للتعاطف معك فيها.

تكمسّا: ستعرف كلّ شيء، لأنك من رجالنا. كان ذلك في نصف الليل، ولم تَعُد نيران المساء متّقدة. وفجأةً أمسك آياس بسيفه ذي الحدّين، وتملكته الرغبة في القتال دون هدف. فقلت له لأردعه: ماذا تفعل، يا آياس؟ لماذا تتأهب للخروج من غير أن يكون أحدٌ قد دعاك؟ أنت لم تتلقّ رسالة، ولم تسمع صوت النفير. وفي هذه الساعة الجيش نائم». فأجاب عليّ بكلمات موجزة وبالعبارة

التقليدية: «زينة النساء، أيتها المرأة، هي الصمت». فهمت قصده، وسكتُّ، ومضى هو وحده. ماذا حدث له بعد ذلك هناك؟ لست أدري؟ وأخيراً عاد وهو يقتاد ثيراناً وكلاب الرعاة مكبلة بالقيود، وغنيمة من ذوات القرون. وأخذ يقطع رؤوس بعضها، ويرفع أبواز بعضها الآخر ويذبحها أو ينهال عليها ضرباً؛ والبعض الثالث صار يعذّبه، وكانت كلها مقيّدة. وقد انقض على هذا القطيع كما لو كان مجموعة من البَشر. وفجأة، وقد اجتاز الباب، راح يخاطب شبحاً وأطلق سيلاً من الشتائم ضد ابني أتريوس، وسيلاً مماثلاً ضد أودسيوس، وصاحب هذا كله بصيحات من الضحك: آه! يا له من انتقام مستكبر قد أجراه عليهم! ثم أسرع بالدخول في خيمته. وبمضيّ الوقت، وشيئاً فشيئاً، استردّ رُشْده، ولكن بعناء[1]. ولما شاهد هذه الكارثة التي ملأت مسكنه راح يضرب رأسه، ويصيح صيحات عالية، وانحطّ على كومة الجُثَث التي كوّنتها هذه المذبحة، وراح ينتزع شعره بكلتا يديه. ثم خاطبني وهدّدني بأفظع الآلام إذا أنا لم أكشف له عمّا جرى له: لقد أراد أن يعرف ما آل إليه من حال. وأنا، يا أصحابي، وقد تملكني الخوف، أخبرته بما فعل، أو على الأقل بما أعرفه عما فعل. هنالك أنطلق في الأنين المروّع الذي لم أسمع مثله من قبل منه ـ وهو الذي لم يكن يُكفُّ فيما مضى عن القول بأن الأنين هكذا هو من شيمة الجبناء والنفوس الضعيفة. لكن لم تكن تصدر عنه صيحات اغاثة من الألم، بل أنّات خافتة؛ ويخيّل إلى المرء أنه يسمع خوار ثور. وها هوذا الآن صريع الشقاء، يرفض الأكل والشراب، ساكناً لا يتحرك، راقداً بين الحيوانات التي صرعها بسيفه. إن الأمر واضح؛ وهو يتأمل في هذه المصيبة؛ وهذا هو ما تنبىء عنه أقواله وشكواه. ولهذا جئت إليكم يا أصدقاء، فادخلوا، وأعينوني ما استطعتم. إن رجالاً مثله لا يمكن أن يذعنوا إلاّ لصوت رجال منهم.

قائد الكورس: آه، يا تكمسّا يا بنت طليطاس. روايتك تملؤني فزعاً. هل مصائبه ألقت ببطلنا في هذيان محموم؟

(يُسْمَع صوت آياس وهو يئنّ في خيمته).

آياس: يا ويلتاه! يا ويلتاه على نفسي!

تكمسّا: وأخشى ألا يزداد الأمر سوءاً: ألا تسمع آياس وصرخة النداء هذه؟

---

(١) استرداد آياس لرشده تجديد من عند سوفقليس؛ ويمثل حادثاً جوهرياً في هذه المسرحية.

آياس: يا ويلتاه! يا ويلتاه على نفسي!

قائد الكورس: أنا أعتقد أن هذا الرجل مريض، أو أنه يتألم من ذكرى بلاء قديم راح يتأمل في نتائجه.

آياس: آه! يا وَلَدي، يا ولدي!

تكمسّا: آه! يا لي من بائسة! إنه ينادي عليك أنت يا يوروساكس[1]. فيم يفكّر؟ وأنت، أين أنت؟ آه! وارحمتا لي!

آياس: بل أنا أنادي على تويكروس. أين تويكروس إذن؟ هل سيستمر أبداً في الجري وراء الغنائم، بينما أنا أموت؟

قائد الكورس: يلوح أنه استرد كل رُشده. هيّا! افتحوا! ربما عندما يراني يسترجع شيئاً من الخجل.

تكمسا: ها أنذا أفتح. وتستطيع أن تشاهد العمل الذي قام به والحالةَ التي هو عليها.

(تفتح الباب. يُشاهَد آياس منهاراً وسط الحيوانات التي ذبحها).

آياس: آه! يا بحارتي، يا أصدقائي! وحدكم بقيتم مخلصين لقانون الإخلاص.

انظروا إذن أية موجة جاءت منذ قليل، تحت تأثير عاصفة قتّالة، من أجل الهجوم عليّ والإحداق بي.

قائد الكورس: واأسفاه! يلوح لي أن عليك سيماء شاهد صادق جدّاً. هذا الفعل وحده يثبت أنه صادر عن مجنون.

آياس: آه! يا خدماً لمهنة البحر، يا من أبحرتم لضرب الأمواج بمقاذيفكم.

أنتم، أنتم وحدكم الذين أراهم قادرين على صرف المصيبة عنّي. هيّا، هيّا وأعينوني إذن على تحطيم نفسي.

قائد الكورس: تكلّم بما هو أفضل من هذا، ولا تزد في مصيبتك بتطبيق دواء مؤلم على ألمك.

---

(١) هو ابن آياس من تكمسّا.

آياس: ها أنت ذا تشاهد الجسور، الشجاع، البطلَ الذي لم يرتعد أبداً في القتال وهو يواجه العدو، وهذا الذي أثار الخوف في نفوس الوحوش المحصَّنة ضد الخوف...

آه! كم أُهان اليوم بألوان السخرية!

تكمسّا: كلا، يا آياس، يا مولاي! أتوسل إليك، لا تتكلم هكذا.

آياس: اخرجي من هنا! أريني ظهرك واذهبي! آه! آه!

تكمسّا: بحقّ الآلهة، استجِبْ لرجائي، واستَعِدْ رُشْدَك.

آياس: يا لشقائي! بذراعي أنا أطلقتُ جنيّات الانتقام. لقد انقضضت على الثيران ذوات القرون، وعلى الأغنام الجميلة. لقد استحممتُ في دمها الأسود.

قائد الكورس: لماذا تغتم؟ قُضِي الأمر: وما كان لا يمكن أن يكون غير ما كان.

آياس: وأنت يا من هو دائماً بالمرصاد، يا من أنت دائماً وفي كل مكانٍ أداةٌ للمصائب، يا ابن لائرتس، يا أبغض ماكر في الجيش. كم من الضحكات الطويلة المسرورة سخرت بها منّي أنا؟

قائد الكورس: بإقرار من إله يبكي المرء دائماً أو يضحك.

آياس: آه! لو استطعت أن أراه، في حالة البؤس التي أنا فيها! واأسفاه! واأسفاه لي!

قائد الكورس: لا تنطق بكلمات متعجرفة! ألا تقيس درجة الشقاء التي وصلتَ إليها؟

آياس: يا زيوس، يا أوّل صانع لأجدادي، أعمل بحيث أن الغدّار، الخبيث، المخيف يَهْلِك، هو والمَلِكَان[1] معه، وأن أموت أنا أيضاً!

تكمسّا: إذا كانت هذه هي أمنيتك، فتمنّ إذن أن أموت معك. وإلاّ فلماذا أعيش أنا، إذا مُتَّ أنت؟

(١) اجاممنون ومنلاوس.

آياس: آه! الظُّلُمات، شمسي أنا هي: أربوس[1]، هو بالنسبة إليّ مليء بالضياء. خُذيني، خذيني، إني أريد أن أعيش عندك، خذيني! لم أَعد جديراً بتوجيه عيني نحو الآلهة، ولا نحو بني الإنسان، ابتغاء استجداء العون. إن ابنة[2] زيوس، الإلاهة القديرة هي التي تعذبني وتقتلني. أين أهرب، أين أعثر على ملجأ أمين، إذا كان ماضيّ ـ يا أصدقائي ـ يموت مع أولئك الأموات، وإذا كنت مقدّراً لصيد مجنون؟ آه! الأولى أن يأتي جيش بأكمله، والرمح في كل يدٍ، أن يُهْرَعوا إلى هنا ليقتلوني!

تكمسّا: آه! يا لشقائي! أكان من الضروري أن أسمع بطلاً نادراً كهذا يستخدم كلمات ما كان له أبداً في الماضي أن يستخدمها.

آياس: أيها المضيق ذو الأمواج المزمجرة، وأيتها المغارات، والشاطىء والمرعى عند ساحل المياه، لقد أحتجزتني وقتاً طويلاً ودون انقطاع في طروادة.

لكنك لن تحتجزني بعدُ هناك أبداً طالما كنت أتنفس حياً ـ وليكن كل إنسان عاقل شاهداً عليَّ ههنا.

ويا أمواج كسماندر القريبة مني، والعذبة عند أهل أرجوس لن ترى بعدُ الإنسان الذي كُنْتَه، الإنسان الذي لم تشاهد له طروادة نظيراً في الجيش القادم من الأرض اليونانية ـ وأنا أستعمل هنا عبارة فيها كبرياء؛ ولكنه لم يَعُد الآن إلاّ ميتاً يُدْفَن في العار.

قائد الكورس: لا أقدر أن أدافع عنك، ولا أن أسمح لك بالكلام، وسط هذه المصائب والشرور التي وقعتَ فيها.

آياس: آه! آه! «آياس»! من دار بخلده يوماً أن هذا الاسم يتناسب مع الشرور التي ابتليتُ[3] بها؟ حان الوقت للنطق به مرتين بل ثلاث مرات: آه! آه! «آياس ابني أنا اصطدم بأمثال هذه الويلات. لقد عاد أبي من أرض إيدا هذه بعد أن استولى ـ بشجاعته ـ على المرتبة الأولى في الجيش وأتى إلى بيته بمجدٍ لا غبار[3]

---

(١) Erebos: العالم السفلي، عالم الظلمات.

(٢) المقصود بها هنا: أثينا.

(٣) هنا في الأصل اليوناني تورية بين الاسم «آياس» وبين لفظ يوناني بنطق مشابه معناه: «واأسفاه».

عليه[1]. وأنا، ابنه، قد ذهبت إلى طروادة، وأنا أتمتع بقوة مماثلة لقوة أبي، وبساعدي قمت بمغامرات مساوية لمغامراته - ولكن ها أنذا الآن أموت ههنا ويحتقرني أهل أرجوس! ومع ذلك فإن ثمّ شيئاً أعلمه حق العلم وهو أنه لو كان أخيلوس وهو حيٌ قسّم أسلحته، من أجل تكريس شجاعة بطل، لكنت أنا وحدي من يستحق أن يأخذها. لكن آل أتريوس، بمؤامراتهم، أعطوها لرجل ماكر فقط، واستبعدوا شجاعتي؛ ولو أن عينيّ ونفسي الضالة لم تجعلني حينذاك أنحرف عن خُطّتي، لما كانوا قد أصدروا حكماً من هذا النوع ضد أحد. وكان لا بد أن ابنة زيوس ذات النظرة المتوحشة، هذه الإلاهة التي لا تُقْهَر قد جعلتني أتعثر، في اللحظة التي رفعت فيها ذراعي عليهم، بأن تعشش في قلبي غضبة جنونية أدّت بي إلى أن أغمس يديّ في دم هذه الحيوانات، بينما هم يسخرون الآن منّي لأنهم أفلتوا منّي على الرغم مني واأسفاه. لكن حين يريد الإله بك شرّاً، فإن أجبن الجبناء يفلت من أقوى الأقوياء. والآن، ما العمل؟ من الواضح أن الآلهة يكرهونني، وجيش اليونانيين يبغضني؛ وإقليم طروادة كله يكرهني وحتى هذه السهول المنبسطة أمام عيوني. فهل أترك هذا الأسطول في راحة، من أجل العودة إلى بيتي، وأترك آل أتريوس وحدهم، وأعبر بحرايجه قافلاً؟ فماذا سيكون منظري هكذا حينما أظهر أمام والدي طلامون؟ هل سيتحمل منظري إذا ظهرت أمامه، بدون أي شيء يميّزني، وبدون هذه المكافأة على البسالة التي نال هو على مثلها في الماضي تاجاً نبيلاً مجيداً؟ كلا، هذه الفكرة لا تُحْتَمَل. هل يجب عليَّ إذن أن أذهب صوب دفاعات الطرواديين لأبارز وحدي كل واحد منهم وبعد ضربة قاضية أموت في النهاية؟ لكن هذا سيكون من شأنه أن يملأ بالسرور قلوب آل أتريوس. هذا مستحيل! بل الأحرىٰ بي هو أن أبحث عن مغامرة تبرهن لأبي العجوز على أنني، وهو والدي، لست خالياً من البسالة. إنه من العار على الإنسان أن يتمنى أن يعيش طويلاً، إذا كان لا يعمل إلا أن ينتقل من مصيبة إلى مصيبة أخرى. وماذا عسى أن يزودنا يومٌ بلذةٍ، إذا كان هذا اليوم لا يفعل إلاّ أن يقدّم أو يؤخّر ساعة الموت؟ إني لا أقيم وزناً لإنسانٍ لا يعرف إلاّ التلهيّ بالآمال الكاذبة. إما أن يحيا

---

(١) اشترك طلامون - والد آياس - في حملة هرقل ضد طروادة، ومكافأة له على هذا أعطاه هرقل: هسيونية أخت فريام وابنة لاترميدون. وآياس هو ابن پريبونه، الزوجة الأولى لطلامون، بينما طويكروس هو ابن هسيونة.

المرء بنبالة، وإما أن يهلك بنبالة ـ تلك هي القاعدة التي ينبغي أن يلتزم بها صاحب الدم النبيل. هذا هو كل شيء. لقد قلتُ ما كان عليَّ أن أقوله.

قائد الكورس: لا يستطيع أحد أن يدّعي أنك قُلْتَ قولاً مستعاراً من الغير. إن قولك، يا آياس، صادر عن أعمق أعماقك. كُفَّ إذن، ودع من يحبونك يسعوا لصرفك عما اعتزمت عليه، وتخلَّ عن هذه الأفكار.

تكمسّا: يا مولاي، يا آياس! لا شقاء للإنسان أكبر من أن يكون ألعوبة في يد المصير. إنّي أنا وُلِدتُ من أبٍ حرّ، أبٍ جعلت منه كنوزُه رجلاً قويّاً بين كل أهل أفروجيا؛ لكن هاأنذا الآن عَبْدة! ولا شك أن الآلهة هي التي قررت لي ذلك، وأيضاً ذراعك. ومن هنا وقد صرت حليلة لك، فإني لم أعد أفكرّ إلا فيك أنت. ولهذا أستحلفك، بحق زيوس، المهيمن على بيتنا، وبحق هذا الفِراش الذي جمعنا. اعفني من الكلمات القاسية التي قدأسمعها من أعدائك، لو أنك تركتني تحت نِير إنسانٍ آخر. في اليوم الذي فيه تموت وتتركني، كن متأكداً أنني في هذا اليوم سيستولي الأرجوسيون عليَّ بالقوة، وسأكون أنا وكذلك ابنك في عداد العبيد. وسيقول أحد سادتي، بكلمات شريرة: «انظر إذن صاحبة آياس، أقوى أبطال الجيش»، في أية عبودية صارت اليوم، بعد أن كانت تنعم بمكانة تحسد عليها». هذا هو ما سيقولونه[1]، وبينما يطاردني القَدَر، فإن أمثال هذه العبارات ستكون عاراً عليك وعلى أهلك. فأصْغِ إلى صوت الشرف، إنه يمنعك من أن تترك أباك في شيخوخته الحزينة، وأن تترك أمَّك، أُمّك التي بلغت من الكِبْر عتيّاً، والتي تتوجه الآن بالدعاء إلى الآلهة كيما تعود ذات يومٍ حيّاً إلى مسكنك. ارحم ولدك، يا سيدي، أتريد أن يعيش بعيداً عنك، محروماً مّن العناية الواجبة للطفولة، وحده، تحت وصاية أوصياء لا يحفلون به؟ آه! أيُّ مصير بائس تريد أن تهيئه لنا وتقرضه عليه وعليَّ أنا بأن تموت؟! ليس عندي من أتوجه إليه بعينيّ سواك أنت. إن رُمْحك قد دمَّر وطني.

وأبي وأمي قد أنزلتهما ضربة أخرى من ضربات القدر إلى الحضيض وأحالتهما إلى مَوْتى يسكنان في العالم السفلي ومَنْ ذا الذي يستطيع أن يعوّض عن وطني وثروتي غيرك، أنت؟ إن حياتي كلها فيك أنت، فيك أنت وحدك. وعليك

(١) سوفقليس يستهلم ههنا ما قاله هكتور لأندروماك في النشيد السادس من «الإلياذة».

أنت أن تتذكرني. إن واجب الإنسان هو ألا ينسى الإحسان الذي أُسْدِي إليه والفضل يدعو الفضل. ومن يفقد ذكر نعمة لا يمكن عدُّه منحدراً من دم شريف.

قائد الكورس: أوه، يا آياس، إني أريد أن يكون قلبك متفتحاً على الرحمة مثل قلبي أنا: إن عليك أن تستجيب لأماني هذه المرأة.

آياس: من المؤكد أنها ستحصل منّي على الموافقة التامّة، لو أنها وافقت على أن تعمل ما تؤمر به.

تكمسا: أنا مستعدة، يا آياس الحزين أن أطيعك في كل شيء.

آياس: إذن أحضري إليّ ابني كي أراه.

تكمسّا: إنني في حالة خوفي جعلته يرحل.

آياس: تريدين أن تقولي: حينما حلّت بي المصائب؟

تكمسّا: من الممكن أن يقع ابني المسكين تحت نظرك ويهلك.

آياس: كان ذلك سيكون مصيراً خليقاً بمصيري!

تكمسّا: أنا حرصت على أن أُبعِد عنه هذا الخطر.

آياس: لا أملك إلاّ أن أوافق على فعلك هذا وفطنتك.

تكمسّا: وأية خدمة أخرى أستطيع أن أؤديها لك؟

آياس: دعيني أتحدث معه وأن أراه أمامي.

تكمسّا: إن خدماً يحرسونه بالقرب من ههنا.

آياس: لماذا تتأخرين إذن؟ لماذا ليس هو موجوداً ههنا؟

تكمسّا: يا ولدي، أبوك يدعوك. على واحدٍ مِمّن يوجهون خطواته أن يأتي به إلى ههنا.

آياس: هل سيأتي، أو أن صوتك لا يصل إليه؟

تكمسّا: بلى! أنظر إلى العبد الذي يقتاده.

(تتلقى الولد من يد العبد، وتضعه بين ذراعي آياس).

آياس: هاتِ، هاتِ به إليّ. إنه لن يفزع من هذا الدم العبيط، إن كان هو ابني حقاً ويسري فيه دم أبيه بل يجب، على العكس من ذلك، تدريبه على أخلاق

آياس الخشنة، ويجب أن يكون له قلب مثل قلبه. لكن، يا بُنَيّ، كن أسعد حالاً من أبيك، وفيما عدا ذلك كُنْ شبيهاً به ولن تكون شقياً، هناك شيء أحسدك عليه الآن هو أنك لا تعي مصائبنا. ألاّ يسعد الإنسان بشيء: هذا هو أسعد أوقات الحياة. وهو ينتهي متى ما عرف ما هو السرور وما هو الألم. وحين تبلغ هذه المرحلة احرص - في مواجهة العدوّ - على أن تكشف عن حقيقة نفسك وعن الوالد الذي أنجبك. وإلى أن يحين ذلك الوقت، غَذّ نفسك بالأنفاس الرقيقة ومَتّع شبابك ابتغاء سرور أمك. وأنا أعلم أنه لا يوجد أحد من الأخاويين تبلغ به الوقاحة حدّ إهانتك، حتى بعد أن أتركك. وسأترك ههنا حارساً يكون من القوّة بحيث يسهر على بابك، وتويكروس[1] لن يشكو من متاعبه من تربيتك - مهما يكن بعيداً الآن يطارد أعداءنا. ومنكم، أيها الجنود والبحّارة جميعاً، أطلب أولاً أن تساعدوا تويكروس في خدمتي على هذا النحو؛ وبعد ذلك أخبروه بما أوصى به. فعليه أن يتذكر أن يعيد ابني إليّ، ليراه طلامون وتراه أُمّي أربيا. إنه هو الذي سيغذّي شيخوختهما حتى اليوم الذي فيه يلتحقان بآلهة العالم السفلى. وفيما يتعلق بأسلحتي فإني أقصد ألاّ يضعها أحد القضاة للمزاد بين الأخاويين، وخصوصاً من تسبّب في ضياعي. وأنت يا ولدي خذ هذا الترس الذي تدين باسمك[2] له: يوروساس، وهيّئه جيداً بواسطة سيره المثبت جيداً إنه ترس متين يتكون من سبع جلدات من جلد الثيران. وسائر سلاحي ينبغي أن يدفن مع جثتي. (مخاطباً تكمسّا): هيّا! بسرعة! خذي مني هذا الولد الآن. ثم أغلقي بابنا بالمزلاج، بدلاً من أن تبكي أمام الخيمة؛ إننا نعلم أن النساء يطيب لهنّ النواح. أغلقي الباب دون تأخير. لا يخلق بالطبيب الحاذق أن يرتل تعزيمات سحرية حينما يقتضي الداء استعمال المشرط.

قائد الكورس: إنني أستشعر الخوف، حين أسمع كلاماً بهذه الحميّة. إن كلمات حادّة كهذه لا تسرّني أبداً.

تكمسّا: أوه يا آياس، يا سيدي! على ماذا عزمت من أعماق قلبك؟

آياس: لا تبحثي عن هذا ولا تسأليني، لا بد من ضبط النفس.

---

(١) هو أخو آياس.

(٢) معناه باليونانية: «ذو الترس الواسع».

تكمسّا: يا ويلتاه، بحق ابنك، وبحق الآلهة، أتوسل إليك لا تغدُرْ بنا.

آياس: أنتِ تبالغين في إرهاقي. ألا تعلمين أنني لا أدين بعد للآلهة بأيّة خدمة؟

تكمسّا: تكلم بكلام أقل نحساً.

آياس: وأنت تكلّمي مع من يصغي إليك.

تكمسّا: ألا تريد إذن أن تصغي إليّ؟

آياس: أنت تتكلمين الآن أكثرمما ينبغي.

تكمسّا: ذلك لأنني أرتعد خوفاً، يا سيدي.

آياس: اذهبي إذن وأغلقي الباب، وبسرعة.

تكمسّا: بحق الآلهة، تأثر بكلامي.

آياس: يلوح لي أنك ساذجة حقاً؛ إنك تريدين أن تبدئي اليوم بتكوين أخلاقي.

(يدخل هو وأهله في الخيمة).

الكورس: أي مدينة سلاميس النبيلة! أنت مستقرة هناك سعيدة في منتصف الأمواج التي ترتطم بالشواطىء، ذات شهرة عند الجميع إلى الأبد[١].

بينما أنا البائس أعسكر منذ وقت طويل في مروج إيدا هذه، منذ أشهر لا عداد لها، واستهلك نفسي في الانتظار، ولم يَبْق عندي غير أَمَلٍ واحد مُرّ، أمل مجيء اليوم الذي أنزل فيه إلى الجحيم الكريه الأسود.

وها هو آياس، وقد امتلأ بجنون إلٰهي يقاوم كل عناية أبذلها له ـ ويا ويلتاه لي ـ يرغمني على مواجهة محنةٍ جديدة.

لقد جعلته من قبل يذهب كبطل منتصر دائماً في المعارك العنيفة لكنه لم يَعد اليوم ـ وهو معزول في يأسه ـ غير هدفٍ لآلام مروّعة تخيف كل أهله وأنصاره.

---

(١) من المحتمل أن تكون ههنا إشارة إلى انتصار اليونانيين على أسطول الفرس في سلاميس، على الرغم من أن هذه المعركة قد حدثت بعد عهد آياس بأكثر من أربعة قرون.

والمغامرات القديمة التي قام بها ساعده، وكانت شواهد على بسالته الهائلة، قد صارت من الآن فصاعداً مادة للجحود عند أولئك الجاحدين البائسين الذين هم ابنا أتريوس.

آه! حينما ستعلم أمّه، المُثقلة بالأعوام القديمة، والتي شيب رأسها السنّ، أنه مريضٌ في عقله، فإن هذه المسكينة ستطلق صرخة ممزّقة لا نشيداً نائحاً كنشيد البلبل الباكي، وستعبر عن آلامها بنبرات حادّة جدّاً، بينما ذراعاها ينقضّان على صدرها بضربات صخّابة، أو على جبينها الكالح منتزعة شعرها.

الاختفاء في العالم السفلي هو الأمر الأفضل بالنسبة إلى من يشكو من اختلال عقله، وهو الذي قيّض له دمّه أن يكون أشجع الأبطال بين كل الأخاويين في أعمالهم العريقة، لكنه صار غير أمين على غرائزه الفطرية، وصار يتعلق بغيرها التي تضلّله.

آه! أيها الوالد المسكين! يا للمصيبة التي سيخبرونك بها والتي حَلّت بابنك! لأنه لا واحد من الأياكيد Aeacides الإلٰهيين كان فريسة لمصير قاس مثل هذا المصير.

(آياس يظهر عند باب الخيمة).

آياس: نعم، إن الزمان في مجراه الطويل المتواصل يكشف عما بقي مستتراً في الظل، كما أنه يخفي ما كان يلمع في النور. ليس هناك إذن شيء لا يمكن توقّعه، لا شيء مستبعد إذن من الإمكان: فأوثق قَسَم وأثبت إرادة يمكن أن تنهار. وأنا الذي أبديت منذ قليل عن مقاومة صلبة كالحديد الخارج من التفسية أشعر الآن بتراخي هذه اللهجة الحادة، حينما أسمع هذه المرأة. إن الشفقة تمنعني من أن أتركها أرملة، وأن أترك ابني يتيماً، في وسط أعدائي. وأولىٰ بي أن أذهب إلى مروج الشاطىء لأستحمّ ولأتطهرّ من نجاساتي، وأنجو هكذا ـ ربما ـ من الغضبة العنيفة التي غضبتها الإلاهة. وسأذهب بعد ذلك إلى مكان لم تطأه أقدام بني الإنسان، وهناك سأحفر الأرض وأخبىء فيها هذا السيف، هذا السلاح البغيض أشد البغض، حتى لا يستطيع أحدٌ بعد ذلك أن يراه: وعلى «الليل» وهادس أن يحفظاه هناك تحت الأرض! منذ اليوم الذي فيه استلمت يداي من هكتور هذه الهديّة التي أهدانيها أعدى أعدائي، لم أَلْقَ من جانب أهل أرجوس أيّ شيء طيّب. وقد صدق قول الناس قديماً حين قالوا: «إن هدايا العدوّ ليست هدايا: إنّك لن تكسب منها

شيئاً». ولهذا ففي المستقبل سأعمل على الإذعان للآلهة، وسأتعلم أن أوقر آل أتريوس. إنهم رؤساؤنا، لا بد من الرضوخ لهم، لا شك في هذا، إن أشدّ القُرَى ترهيباً تُذْعن للحقوق المقرّرة. والشتاء الذي يسير في الثلوج يخلي المكان للصيف الحامل للحصاد. والعربة الحزينة التي للّيل تنحني أمام النهار ذي الخيول البيضاء، ابتغاء تركه يتلألأ بكل أنواره. وأنفاس الرياح العاتية تُنِيم البحر ذا الأمواج المزمجرة. والنوم القويّ جداً يترك الكائنات التي قيّدها ولا يحتفظ طويلاً بسلطانه عليها. ونحن، الكائنات العاقلة، لا نقدر على هذا؟ وفيما يتعلق بي أنا، لقد تعلمتُ الآن أنه يجب على المرء ألا يكره عدوّه إلاّ وهو يدرك أنه لن يبقى عدوّاً له إلى الأبد. والناس الذين تخقق صداقتهم ملجأ أميناً ليسوا كثيرين. لكن تسير الأمور كلها سيراً حسناً. ادخلي، أيتها المرأة، وادعِي الآلهة أن تحقق أمانيّ تحقيقاً تامّاً. وأنتم، أيضاً، يا أصدقائي، حققوها مثلها، ومتى ما جاء تويكروس فأخبراه أن يفكرّ فيَّ وأن يكون طيّباً معكم. أنا ذاهب إلى حيث ينبغي عليَّ أن أذهب. أما أنتم فاعملوا ما طلبت منكم أن تعملوه؛ ومن يدري، ربما تعلّمتم أنه على الرغم من البلاء الذي أعانيه الآن، فإنني وجدت أخيراً النجاة.

(يذهب).

الكورس: إني أهتز من الرغبة[1]، إني أطير سروراً.

إيو[2]، إيو! پان، پان! يا من يطيب لك التردد على شواطئنا، اذهب وغادر كلاّنا[3]، تلك القمة الصخرية التي تغطيها الثلوج، وتجلَّ لنا أنت أيها الإله الذي يقود كورس الآلهة، تعالَ حرّك بيننا رقصات نوسا[4] Nysa أو كنوس، التي تعلمتها بدون معلّم.

---

(١) أي: الرغبة في الرقص.

(٢) بنت أناخوس، إله النهر وأول ملك لأرجوس. وكانت إحدى كاهنات هيرا، لكنها جلبت على نفسها كراهية هذه الإلاهة لما أثارت حبّ زيوس لها. وحلمت مراراً أن زيوس سيأتي إليها مغازلاً. ولما خرجت من بيتها تحولت إلى بقرة بيضاء جميلة، إما بفعل زيوس أو بفعل هيرا، زوجة زيوس التي عاقبتها بأن أرسلت إليها ذبابة تلسعها باستمرار. أما پان Pan فهو إله المراعي، وخصوصاً الضان والماعز. وكان ـ مثل أبيه هرمس على صلة وثيقة بإقليم أركاديا (في شمال البلوپونيز). ومثله مثل أبولون كان أيضاً يعشق الموسيقى وينفخ في ناي عرف باسمه: ناي پان.

(٣) ولد پان وأبوه هرمس على جبل في أركاديا اسمه كُلاّنا.

(٤) لا يعرف مكانها على وجه الدقة، ولكن سوفقليس يجعل مكانها في يوبيا.

في هذه الساعة أنا لا أفكرّ إلاّ في الرقص. وليأت مولانا أپولون - إلٰه ديلوس - عابراً بحر إيكار[1]، على شكله المعهود، ولينضمّ إلينا، وموافقاً لأمانينا أبداً.

آرس[2] يخلّص نظراتنا من الحزن البغيض.

يا إيو، يا إيو! حان الوقت! الوقت الذي فيه، يا زيوس، ينتشر اللألاء الصافي على سفننا السريعة وهي متأهّبة للطيران على البحار، في اليوم الذي فيه آياس، وقد نسي آلامه فجأة، يؤدي كل طقوس أضاحينا للآلهة، بروح تقيّة تلتزم بالنظام الدقيق. لا شيء إلاّ ويمحوه الزمان القدير، ومن ناحيتي لن أقول عن شيء إنه مستحيل، متى ما تخلى آياس - بعد أن يتحول، على عكس ما هو متوقع -، أقول: متى ما تخلّى عن غضباته الجنونية ضد ابنَيْ أتريوس، وعن مشاجراته الوحشية.

(يدخل رسول).

الرسول: يا أصدقائي، أريد أوّلاً أن أخبركم بخبر. إن تويكروس موجود هنا، لقد وصل من جبال موسيا منذ برهة. ولما وصل إلى مركز الميدان الذي اجتمع فيه الزعماء، انهال كل اليونانيين عليه بالشتائم. وتقدّم محاطاً بدائرة من الجنود الذين لما بلغهم النبأ جاءوا على الفور وأمطروه بالإهانات. ولم يَسْلَم من أحد عن يمين وشمال. ونعتوه بأنه أخو المجنون، المجنون الذي يريد الشر للجيش ولن يحميه من الهلاك مطحوناً تحت الحجارة. وبلغ الأمر حداً جعل السواعد تستل السيوف من أغمادها وتصوّب أسّنتها نحو الرياح. ثم هدأ العراك بعد أن بلغ شوطاً بعيداً، لما تدخل الشيوخ. لكن أين آياس؟ خبروني حتى أبلّغه هذه الأنباء. إن من واجبي أن أقدّم إليه تقريراً كاملاً عن هذا الأمر.

رئيس الكورس: إنه ليس في بيته، لقد رحل منذ قليل. إنه يرتّب مشروعاته الجديدة وفقاً لمشاعر جديدة.

الرسول: آه! يا للشقاء! من أرسلني أرسلني إذن بِأَخَرَةٍ - أو سيلوح أني أنا تأخرت طويلاً؟

---

(١) في البحر بين ساموس وميكونري غرق إيكار.

(٢) إله الحرب عند اليونان.

رئيس الكورس: وأي إهمالٍ قد ارتكب إذن في هذه المهمّة الملِحّة؟

الرسول: إن تويكروس منعنا من ترك آياس يخرج من بيته، قبل أن يَحضر هو ههنا.

رئيس الكورس: لكن إذا كان قد ارتحل فذلك لأنه قرّر أن يسلك الطريق الصحيح: لقد أراد الصلح مع الآلهة.

الرسول: هذه كلمات مليئة بالسذاجة الحمقاء! ـ إن كان كلخاس[(١)] عرّافاً صادقاً.

رئيس الكورس: ماذا تقول؟ ماذا تعرف عن هذا الأمر؟

الرسول: كل ما أعرفه هو ما يلي، وقد كنتُ أنا شاهداً عليه. من جماعة الملوك الثلاثة المجتمعين في مجلس، كلخاس وحده هو الذي قام[(٢)]. لقد ترك آل أتريوس، ووضع يده بمودّة في يد طويكروس وقال له موصياً إياه بأن يحبس آياس بأي ثمن في خيمته طالما كان هذا النهار مضيئاً وأن يمنعه من الخروج من الخيمة إذا أراد أن يراه حيّاً، لأنه في هذا اليوم، في هذا اليوم وحده، ستطارده غضبة أثينا الإلٰهية. وقال هذا العرّاف إن الكائنات الشاذّة والباطلة ستنهار تحت وطأة المصائب التي ستبعث بها الآلهة. وهكذا سيحدث لكل أولئك الذين ولدوا بَشَراً وتصوروا تصوّرات ليست من شأن الإنسان. لقد صار آياس مجنوناً في اليوم الذي فيه غادر مسكنه وسمع أباه يلقي عليه مواعظ حكيمة، قائلاً: «أي بنيّ! ـ هكذا قال له والده هذا ـ «تَمَنَّ النصر في المعركة، لكن دائماً النصر بمعونة إلٰه». لكنه بوقاحة وجنون ردّ عليه قائلاً: «إن هذا النصر بمعونة إلٰه، يا أبي، يمكن أن يناله أتفه الناس. أما أنا فبدون الآلهة أنا متأكد من الظفر بالمجد». هكذا تفاخر بنفسه. وفي مرة أخرى، لما دعته أثينا الإلٰهية أن يدير ذراعه القتّال ناحية العدو، فإنه أجاب عليها بهذا الجواب المخيف: «مولاتي! اذهبي وساعدي الأرجوسيين الآخرين، فإن الجبهة لن تنهار حيث أكون أنا». وبمثل هذه الأقوال جرّ على نفسه غضب الإلاهة القاسي: إن أفكاره ليست أفكار إنسان. فإن نجا في ذلك اليوم، فلربما أنقذناه بمساعدة أحد

(١) كلخاس، ابن ثستور، كان عرّاف الجيش اليوناني الذي كان يحاصر طروادة.
(٢) تكمسا توجه الكلام هنا إلى يوريساكس.

الآلهة. ولم يَقل العرّاف أكثر من هذا. فنهض طويكروس على الفور وبعث بي حاملاً إليك هذه الأوامر. وعليكِ بمراعاتها جيداً: فإننا لو أخللنا بها فإن بطلنا سيهلك، أو أن كلخاس لا يعرف شيئاً.

رئيس الكورس: يا تكمسّا البائسة! والمخلوقة المسكينة! تعالي وتدبّري بدورك الرواية التي ذكرها هذا الرجل. إنها تمزّق نياط القلوب، ولا يمكن أحداً أن يبتهج لها.

(تكمسّا تخرج من الخيمة).

تكمسّا: بعناء شديد توقفت أحزاني الهائلة، وها أنتم ذا توقظونني من جديد أنا الشقيّة!

رئيس الكورس: استمعي إلى هذا الرجل: لقد أخبرنا بالمصير المحتوم على آياس، وهو يعذّبني ههنا.

تكمسّا: آه! ماذا تقول أيها الرجل؟ هل قُضِي علينا نهائياً؟

الرسول: أما مصيرك أنتِ، فأنا أجهله؛ أما مصير آياس، فإنه إن كان قد رحل فعلاً، فأنا لست مطمئناً عليه.

تكمسّا: ماذا؟ نعم هو ارتحل، وإن قلبي المليء بالقلق ليتساءل ماذا تريد أن تقول.

الرسول: لقد أمرنا طويكروس بأن نحبسه في خيمته ولا نتركه يخرج وحده.

تكمسّا: وأين يوجد طويكروس؟ ماذا يحمله على أن يقول هذا القول؟

الرسول: لقد وصل منذ قليل، وهو يخشى من أن يكون في ارتحال آياس هلاكه.

تكمسّا: يا لشقائي! ومن أخبره بهذا؟

الرسول: العرّاف كلخاس ابن ثستور. إنه في هذا اليوم سيتقرّر موت آياس أو نجاته.

تكمسّا: واأسفاه! الرحمة، يا أصدقائي! احموني ههنا من أن أصبح ألعوبة في يد القَدَر. اهرعوا. وعلى البعض منكم أن يفعلوا ما يجب من أجل أن يأتي

طويكروس بأسرع ما يمكن. وعلى الآخرين أن يذهبوا ويفتشوا في كل زوايا المغرب، والجنوب، وأن يتتبعوا آثار هذه الرحلة المنحوسة. إني أدرك الآن: أن هذا الرجل (آياس) قد خدعني واستبعدني من مودّة الأمس. أمّاه! ماذا أفعل يا ولدي؟ لا يجوز. البقاء دون فعل شيء. كلا، كلا! سأذهب إلى هناك، أنا أيضاً، سأذهب إلى حيث تقدر قُواي أن تحملني. هيا فلنرحل، ولنسرع! ليس الوقت وقت البقاء قاعدين، حين نريد أن ننقذ إنساناً يُطيح بنفسه نحو الموت.

رئيس الكورس: أنا مستعد للسير، وسأثبت ذلك بشيء غير الكلام. الأفعال والخطوات ستتبع بسرعة.

(الكورس يخرج وراء تكمسّا. مكان المسرح يتغير. مرعى على شاطىء البحر تتخلله بعض الخمائل. آياس قد غرس سيفه في الأرض، وسِنه في الهواء).

آياس: سكّين الذبح مُشهَرة هناك بحيث تقطع بأحسن طريقة ـ إن كان ثمّ متسع لتقدير كل شيء. إنها هدية من أبغض ضيوفي وأكرههم لرؤيتي، وأعني به هكتور. وهي، مغروزةُ في أرض معادية، أرض بلاد طروادة، وقد شحذت بِمسِنّ يقطع الحديد. وقد غرزتها بكل عناية حتى تنفحني بأسرع موت. وهكذا فيما يتعلق بي أنا مستعد.

والآن، أنت، يا زيوس، أول مَنْ أطلب منه المعونة. إنني لا أطلب منك مِنّة كبيرة. كل ما أطلبه منك هو أن ترسل إلى طويكروس برسولٍ يحمل النبأ المحزن، حتى يكون أول من يحمل جسمي الذي نفذ فيه هذا الحديد الدامي. ولا يجوز أن يراه قبله أعدائي فيرموا به إلى الكلاب والطيور. هذا، يا زيوس، هو كل ما أنتظره منك. لكنني في الوقت نفسه أهيب بهرمس العالم السفلي، مرشد الأموات؛ ليرقدني بحنان، وأن أمزّق جانبي بوثبة يسيرة وسريعة من هذا السيف. وأهيب أيضاً بالعذارى الخالدات اللواتي يرقبن جرائم بني الإنسان ـ أن يساعدنني، وأعني بهن الأرنيات القاسيات ذوات الركب السريعة. وليعلمن كيف أنهار، أنا الشقيّ، تحت ضربات ابنَيْ أتريوس، وليمسكن بهما ليقضين عليهما قضاءً تامّاً هذين الشقّيين، وبطريقة قاسية؛ وكما سيرونني ههنا أسفك دمي بنفسي، فليهلكاهما تحت ضربات أقرب الناس إليهما، وهكذا يسفكون دمهما وهو دمهم أيضاً. هيّا، أيتها «الأرنيات»، أيتها المنتقمات المتعجّلات» امضين واعددن المأدبة ولا تبقين على شعبهما، شعبهما كله. وأنت، أيتها الشمس، يا من تقتادين مركبتك في أعالي

السماء، حينما تشاهدين أرضَ أجدادي امسكي بِلُجمك الذهبية من أجل أن تعلني عن مصائبي ونهايتي لأبي ولأمي المسكينة! إن هذه البائسة حين تسمع النبأ، فإنها ستزفر زفرة طويلة تملأ فضاء المدينة! لكن ما جدوى الشكوى بغير طائل! ينبغي، على العكس إنجاز المهمة، وبحميّة. أيها الموت، أيها الموت جاءت الساعة، تعال، أَلْقِ نظرةً عليَّ. أما أنتِ، هناك، ففي وسعي أن أتحادث معكِ بعد، وستكونين دائماً بالقرب منّي. بينما أنت، يا ضوء النهار الساطع، أنت أيتها الشمس، الجالسة على مركبتك، إني أحيّيك لآخر مرة، ولن أفعل ذلك بعدُ أبداً. أيها النور ويا أرض وطني المقدسة، يا سلاميس، يا قاعدة بيت أجدادي!، ويا مدينة أثينة بشعبك الشقيق! وأنت أيتها الينابيع والأنهار التي أشاهدها بعينيّ، ويا سهول إقليم طروادة، إني أحيّيك جميعاً ههنا: وداعاً! يا من أطعمتني! هذه آخر كلمة يوجهها إليك آياس! ومن الآن فصاعداً سأتكلم مع أولئك الموجودين هناك في العالم السفلي.

(يرمي بنفسه على سيفه. لكن خميلة تحجب جثته عن رؤية الكورس الذي يدخل الآن في الأوركسترا).

أول نصف كورس: أَلَمٌ على أَلَم، ودائماً أَلم! أيّ شيء إذن لم أعانِ! ولا مكان يعلم ما هو سِرّي! انتباه! انتباه! أنا أسمع الآن ضجّة!

ثاني نصف كورس: إننا نحن رفاقك على سفينتك الموجودة في البحر.

أول نصف كورس: وماذا تريدون أن تقولوا لي؟

ثاني نصف كورس: لقد استكشفت الجانب الغربي من الأسطول.

أول نصف كورس: وماذا وجدت هناك؟

ثاني نصف كورس: تَعَباً هائلاً، دون أن أعثر على ما يجتذب نظري.

أول نصف كورس: وأنا أيضاً لم أظفر بشيء من وراء تجوالي في الشاطىء الشرقي. هذا الرجل لم يظهر في أيّ مكان.

الكورس: ألا يوجد أحد، أو بين هؤلاء الصيّادين الأجلاف يمضي ليله في ترقب فريسته.

أو بين الإلاهات اللواتي يَسْكنّ في الأولمب، أو بين كل الأنهار التي تجري من البوسفور، أحدٌ يشاهد الإنسان شارداً، الإنسانَ ذا القلب المستوحش، ويدلّنا

عليه بصيحة! إنه يؤلمني أن أتذكر أنني ههنا، أُضَيّع زماني ومتاعبي، دون أن ألقى في مسيرتي ريحاً مواتية، ودون أن أستطيع أن أبصر بطلنا الشارد.

(صرخة ترتفع من وراء خميلة).

تكمسّا: يا ويلتاه! يا ويلتاه! عليّ!

رئيس الكورس: مِمّن تنطلق إذن هذه الصرخة الصادرة هناك من الأجمة القريبة؟

تكمسّا: آه! يا لي من بائسة!

رئيس الكورس: إنها الزوجة، الأسيرة، المسكينة: تكمسّا، التي أراها غائصةً في هذه البلوى.

تكمسّا: بالنسبة إليّ هذه هي النهاية، والموت، والدمار، يا أصدقائي!

رئيس الكورس: ما هذا إذن؟

تكمسّا: آياس ها هناك، طريحاً على الأرض، غارقاً في دمه الذي لا يزال يصدر منه الدخان، وقد نفذ فيه حديد يحجبه عنّا جسمه.

الكورس: يا ويلتاه! وعودتي! واأسفاه! مولاي! إنك أيها البائس قد قتلت رفيقتك في الطريق. يا ويلتاه! امرأتك المسكينة!

تكمسّا: هذا هو مصير آياس. يحق لك أن تنوحي.

رئيس الكورس: بأية يدٍ فعل البائس فعلته هذه؟

تكمسّا: بيده هو. الأمر واضح؛ إن السيف المغروز في الأرض وينفذ في جسمه يدلّ أيضاً على القاتل.

الكورس: آه، بالنسبة إليّ، يا لها من مصيبة! لقد سفكتَ دَمَك وحدك، بعيداً عن حضن أصدقائك.

وأنا الأصمّ عن كل شيء، والجاهل بكل شيء، قد أخفقت في مهمتي. أين يرقد إذن آياس العنيد، آياس المنحوس الاسم؟

تكمسّا: لا يمكن أن يُرَى. سأغطيه بهذا الرداء الذي سيستره كله. ولن

تكون لدى أحدٍ ـ حتى لو كان من أقربائه ـ الشجاعة أن يراه في هذه الحال وهو يبصق بمنخريه وينزف من جوفه دم أسود ناجم عن انتحاره. أمّاه! ماذا أصنع؟ مَنْ من أهله سيحمله؟ أين طويكروس؟ سيصل إذن في الوقت المناسب، لو أنه جاء الآن ليساعدني في تجهيز جثة أخيه! أيّ آياس المسكين، ماذا كنت، وماذا أنت الآن من هذه الساعة؟ إنك تستحقّ حتى أن يذرف أعداؤك الدموع عليك.

الكورس: كان لا بد لك بقلبك الذي لا يلين أن ينتهي بك الأمر إلى استنفاد حظّك، حظّك الأليم من الآلام الهائلة. لماذا إذن وبكل وحشية، آناء الليل وأطراف النهار، كنت تطلق للشكوى الحاقدة ضد آل أتريوس، وبحميّة رهيبة؟

نعم! إنه هناك، مروِّعاً، .وهو الأصل فيما حلّ بنا من شرور: اليوم الذي فيه خُلِق لصالح أشجع الشجعان ذلك النزاع حول أسلحة ملعونة!

تكمسّا: يا ويلتاه! ويلي على نفسي!

رئيس الكورس: إني أعلم أن مصيبة حقيقية قد نفذت فيك حتى الكبد.

تكمسّا: يا ويلتاه! يا ويلتاه!

رئيس الكورس: لا يدهشني أنك تضاعفين النواح في الساعة التي فيها تحرمين، أيتها المرأة، من مثل صاحبك هذا.

تكمسّا: أنت تتخيل هذا، أنت؛ أما أنا فإن روحي تشعر بأكثر مما تريد.

رئيس الكورس: أنا أوافق على هذا مثلك أنت.

تكمسّا: آه، يا ولدي الصغير! نحو أيّ نير من العبودية نحن سائران الآن تحت سلطان السادّة الذين سيتحكمون فينا من الآن فصاعداً!

الكورس! أواه من السلوك المروّع الذي يعزوه كلامك إلى الأتريوسيين الفظيعين، في حضرة مثل هذه المصيبة، حفظتك الآلهة منها!

تكمسّا: ما كان لنا أن نصير إلى ما صرنا إليه لو أن الآلهة ساعدتنا.

رئيس الكورس: لقد جلبوا علينا بهذا حِملاً من البلايا ثقيلاً جداً.

تكمسّا: نعم، إن هذا من فعل ابنة زيوس! إنّ پلاّس، الإلاهة المروِّعة، قد أرادت إرضاء أودسيوس.

الكورس: نعم، إنه يتباهى بالنصر في قلبه الأسود، بطل الاحتمال هذا؛ إنه يسخر من نوبات الجنون الأليم هذه، إنه يستغرق في الضحك منها ـ واأسفاه! يا للرحمة! ـ ومعه يضحك، حين يروى لهما النبأ، الملكان المنحدران من سلالة أتريوس.

تكمسّا: آه آه! ليضحكوا ما طاب لهم الضحك وليفرحوا بمصائبه. إذا كانوا لم يحبّوه وهو حي فإنهم سيبكون عليه ميتاً من غير شك، حين يفتقدونه في ساحة القتال. إن النفوس الدنيئة لا يفهمون قيمة ما يملكون إلا في اليوم الذي فيه يفقدونه. وإذا كان موته يؤلمني أكثر من فرحهم فيه، فإنه بالنسبة إليه هو أمرٌ عذب، لأنه حصل مبتغاه وهو الموت كما اشتهاه هو. لماذا إذن يهينونه بضحكاتهم؟ إنه بموته أرضى الآلهة، ولم يُرْض آل أتريوس. ويستطيع أودسيوس بعد ذلك أن يضيِّع وقته في الوقاحة: إن آياس لم يَعُد موجوداً بالنسبة إليهم. أما بالنسبة إليّ أنا فإنه لم يترك بموته إلاّ الآلام والزفرات.

[تدخل في الخيمة. ويسمع نواح طويكروس من بعيد، قبل رؤيته وهو يدخل في الأوركسترا].

طويكروس: يا ويلتاه! يا ويلتاه عليّ!

رئيس الكورس: اسكُتْ. يخيل إليّ إني أسمع صوت طويكروس، والنواح الذي يصدر عنه إنما يتعلق بهذه الكارثة.

طويكروس: يا عزيزي آياس، أيها الوجه الأخوي، هل أصابك حقاً المصير الذي أكّده الصوت العام؟

رئيس الكورس: نعم، لقد مات فعلاً يا طويكروس، كن متأكداً من ذلك.

طويكروس: آه! هذا المصير الساحق الذي يبهظ كاهلي!

رئيس الكورس: أجل، قُضِي الأمر.

طويكروس: آه! الويل! الويل!

رئيس الكورس: ولك الحق في أن تنوح.

طويكروس: آه! يا له من ألمٍ قاسٍ.

رئيس الكورس: قاسٍ جداً، يا طويكروس.

طويكروس: الويل! وابنه، ماذا صار؟ في أي مكان من إقليم طروادة هو موجود الآن؟ خبّرني.

رئيس الكورس: إنه وحده، بالقرب من الخِيام.

طويكروس: ألا تذهب بسرعة للإتيان به إلى هنا؟ يجب ألا يأتي أحدٌ من أعدائنا ليخطفه منّا، كما عبث مع صغار لبؤة أرملة. اذهب، وبسرعة! ساعدنا. إن العالم مستعدّ دائماً لإهانة الموتى متى ما صاروا تحت التراب.

رئيس الكورس: ولهذا السبب فإن البطل هو نفسه قد دعا له وهو لا يزال حيّاً، يا طويكروس، من أن ترعاه، كما تفعل أنت هنا الآن.

طويكروس: آه! هذا أشد المناظر إيلاماً لي طوال حياتي[١]؛ وإن أخشى طريق على قلبي لهو الطريق الذي أوصلني إلى ههنا. منذ أن أخبروني بموتك يا آياس العزيز جداً. وقد أسرعت الخطى لتعقب أَثَرك. إن شائعة كانت من السرعة حتى خُيّل لنا أنها جاءت من إله، شاعت فجأة في الجيش اليوناني: قُضِي الأمر، لقد مُتَّ. فلما سمعتها، أنا البائس، انتحيت ناحية للنواح. أما الآن فأنا أراك، ورؤيتي إياك تجعلني أموت. آه! يا للشقاء! هيّا! اكشُفوا عنه حتى أشاهد مصيبتي بتمامها. يا له من منظر مؤلم، ومرآة لشجاعة قاسية جداً! إن موتك، يا آياس، كم سيذر من الأحزان في حياتي! أين أذهب الآن! وإلى مَن مِن الناس! أنا الذي لم أستطع أبداً أن أقدم لك المساعدة في وسط آلامك! أَجَلْ حقاً سيستقبلني طلامون أبونا بالرقة والترحاب، حين أعود وحدي بدونك!! كيف أشك في هذا؟ وهو الذي لم يمنح ابنه المنتصر ابتساماً أعذب من هذا لأجل هذا؟ وهو الذي سيرغم نفسه، وسيعفيني من الشتائم، يعفيني أنا ابن الزنا، ابن الأسيرة المنحدرة من دم[٢] الأعداء، أنا، يا عزيزي آياس، الذي خنّتك بجُبني ونذالتي - بل وبغدرٍ أيضاً كي أحصل، بواسطة موتك، على سلطانك وقصرك! هذا هو ما سيقوله لي أبي بما فُطِر عليه من حِدّة ومرارة، زادت منهما الشيخوخة وهو المتأهب دائماً للغضب

(١) طويكروس اقترب من جثة أخيه آياس.

(٢) لأن أمه هسيونة كانت أسيرة حرب.

والنزاع بغير موجب. وبالجملة فسأُرفَص وأُنفَى من وطني[١]، وسيتحدث الناس عني كعبد، لا كإنسان حرّ. هذا هو ما سيحدث عند عودتي. وفي إقليم طروادة كم لي من أعداء، وما أقل من يسندونني! كل هذا إنما جلبه عليَّ موتك. أواه! ما العمل؟ كيف أخلّصك من هذا السلاح البرّاق، هذا السلاح القاسي الذي قتلك وانتزع منك حياتك، أيها المسكين؟ لقد شاهدتَ كيف أن هكتور وهو يموت قد انتهى بأن قتلك أنت أيضاً بدورك. أرجوكم أن تُعْجَبوا بمصير هذين الرجلين. إنه بواسطة الحزام الذي أهداه إليه آياس، رُبِط إلى عربة على نحوٍ تسبّب في شقّ لحمه، وجُرّ ومُزّق بلا رحمة، بينما، بينما ذلك الرجل[٢] الذي منه تلقى هكتور هذه الهبة قد هلك بواسطة السيف الذي سقط عليه سقطة مميتة. أليست «أريني» هي التي صنعت هذا السيف، و«هادس» هذا الصانع المتوحش، هو الذي صنع هذا الحزام؟ فيما يتعلق بي أنا، أقول عن طيب خاطر إن الآلهة يتفنّنون في تشكيل مصائر بني الإنسان. وكثير من الناس يرفضون أن يفكروا مثل هذا التفكير: ليحتفظوا بآرائهم لأنفسهم، أما أنا فسأحتفظ بآرائي أنا.

رئيس الكورس: لا تقل أكثر من هذا عن هذا الموضوع. والأولى بك أن تهتم بالمدفن الذي ستدفن فيه آياس، وبالقول الذي ستقوله. إني أبصر هناك عدوّاً ربما يأتي ـ وهو الوغد السافل، ليسخر من مصائبنا.

طويكروس: أيّ محارب في الجيش تراه إذن قادماً؟

رئيس الكورس: إنه منلاوس الذي من أجله ركبنا البحر.

طويكروس: إني أراه؛ إنه يُتَعَرَّف بهدوء كلما اقترب.

(منلاوس يدخل)

---

(١) وذلك هو فعلاً ما سيحدث لطويكروس. فإنه لما عاد إلى سلاميس بعد أن فصل عن السفينة التي كانت تحمل يوريساكس، فإن طلاون قد لامه على أنه لم يستطع الانتقام لآياس، ولا استعادة ابن آياس. بل إن طلامون اتهمه بقتل آياس. ولما لم يستطع طويكروس النزول من السفينة اضطر إلى أن يذهب إلى المنفى: فلجأ حينئذ إلى جزيرة قبرص، وهناك أسّس مدينة سلاميس الجديدة (سلاميس قبرص). لسوفقليس مسرحية مفقودة عنوانها «طويكروس» ولعلها كانت تروي مغامراته وما جرى له بعد وفاة أخيه.

(٢) أي: آياس.

منلاوس: أنت، أيها البطل! إني أمنعك من أن تأخذ هذا الميّت بين ذراعيك؛ اتركه حيث هو.

طويكروس: وماذا يدعوك إلى أن تتفوه بكل هذه الكلمات؟

منلاوس: هذا هو ما يلذّ لي، ويلذّ لرئيس جيشنا.

طويكروس: وهل تستطيع أن تذكر لي السبب الموجب لهذا؟

منلاوس: السبب هو أنا ظنَنّا أننا بهذا الرجل قد أتينا من بلاد اليونان بحليف، وصديق لليونانيين، لكن عند التجربة اكتشفنا فيه عدوّاً لنا أسوأ من الأفروجيين. أَلَم يتآمر لقتل كل الجيش! ألم يقم بالحرب ضدّنا، في وسط الليل، ليقضي علينا بالسيف؟ ولولا أن إلاهةً قد خنقت محاولته، لَكُنّا نحن قد عانينا الموت الذي عاناه هو، وكُنّا نحن المطروحين الآن على الأرض، قد صرعنا الموت المُخزِي، بينما كان هو سيبقى حيّاً! لحسن الحظ صرف الإله عنّا وقاحته الجنونية إلى أغنامنا وثيراننا، ومن أجل هذا لا يوجد اليوم رجل هو من القوة بحيث يضع جثته في القبر؛ ولهذا فإن جثته الملقاة على الرمل الأحمر[١] ستكون غذاء لطيور الشاطىء. وإذا كنا لم نستطع التغلّب عليه وهو حي فإننا سنجعله يطيع وهو ميت، طوعاً أو كرهاً، وسواعدنا هي التي ستُنْهِضه لأنه لم يقبل أبداً أن يستمع إلى أية لمحَة صادرة من أفواهنا، طالما كان حيّاً - إنه لمن شيمة الخائن أن يدّعي لنفسه، وهو من الرعية، أنه لن يطيع الرؤساء. إن القوانين لا يمكن أن تراعى في الدولة كما ينبغي، إذا لم يَسُد الخوف. والجيش لن يكشف عن حكمة في النظام، دون رادع من الخوف والاحترام[٢]. وعلى الإنسان أن يعلم أنه حتى لو كان عملاقاً جباراً فإن من الممكن أن يهلك بسبب تافه، ومن يشعر في قلبه بالخوف والعار معاً فإنه يحمل النجاة في داخل نفسه؛ هذا أمر لا شك فيه. ولتعلم جيداً أن البلد الذي يستطيع فيه الإنسان أن يبسط وقاحته كما يلذّ له وأن يعمل ما يشاء، حتى مع مواتاة الريح، فإنه سينتهي بالسقوط في الهاوية[٣]. إنّ في نفسي

---

(١) معنى هذا أن جثة آياس قد نقلت إلى شاطىء البحر عرضة للأمواج، ولم تبق في مكانها.

(٢) يرى منلاوس أن الخوف من العقاب هو الأساس الذي يقوم عليه النظام في المدينة. وما ورد هنا عن ضرورة الطاعة في الدولة نجده أيضاً على لسان كريون في مسرحية «أنتيجونا» (البيت رقم ٦٦٦ وما يليه).

(٣) من الصور المألوفة كثيراً عند سوفقليس صورة السفينة السيئة الرُبّان - والمقصود بها الدولة - والتي لا بد أن تغوص في أعماق البحر. فهو يقول مثلاً في مسرحية «أنتيجونا» (البيت رقم ٧١٧): «إن الملاح يرى سفينته وهي تنقلب وتبحر وقاعها في الهواء».

يسود دائماً خوف من الأحداث؛ ولا تتصوّرنّ أنه فيما يلذّ لنا لن يكون عصياً أن نحتمل أمراً يسخطنا. إن لكل شيءٍ دورَه. كان هذا الرجل بالأمس شرساً متعجرفاً؛ واليوم أستطيع أنا أن آخذ بخطامه. أنا أنذرك إذن ألاّ تدفن هذا الميت ـ اللهم إلاّ إذا كنت تريد، وأن تهيّىء قبره، أن تلقى قبرك أنت.

رئيس الكورس: يا منلاوس، حينما يتصف الإنسان بالحكمة، فإنه لا يمضي بعد ذلك لشتم الموتى.

طويكروس: يا سادة، لن يُذهِشني بعدُ أن إنساناً وضيع المنزلة يخطىء، حينما يسمح من يُعَدُّون نبلاء لأنفسهم بمثل هذا الشطط في القول. ولنفحص عن حقيقة كلامك. أنت تزعم أنك عَمِلْتَ على أن يجيء آياس إلى هنا بوصف أنه حليفٌ للأخاويين: أفلم يكنْ حرّاً في اتخاذ قراره حينما أبحر؟ بأية صفةٍ تكون أنت رئيساً عليه؟ من أين جاءك الحق في قيادة الجنود التي أتى بها معه من بلاده؟ أنت قد جئت إلى هنا بوصفك ملكاً على اسبرطة، فسلطتك لا تمتد إلينا نحن. فليست هناك إذن قاعدة للقيادة تخوّل لك أن تتولى القيادة على آياس أو أن يتولى هو القيادة عليك. أنت خرجت تحت قيادة شخص آخر، لا كرئيس على الجميع له الحق في تولي القيادة على آياس أبداً. فتأمر على من هم تحت إمرتك، ووجّه إليهم هم أوامرك المشدّدة؛ أما هذا، مهما استطعت أن تقول، أنت أو أي رئيس آخر، فإني أنا عازم على أن أقبره في قبر هو القبر الذي يستحقه، وكلامك لا يخيفني. إذا كان قد ذهب للحرب فلم يكن ذلك من أجل زوجتك كإنسان اشتد عليه بؤس كبير، وإنما فعل ذلك وفاءً منه للأيمان التي أُقْسِم عليها؛ ومن المؤكد أن ذلك لم يكن من أجلك أنت، إنه لم يكن يقيم وزناً للناس التافهين. فإن رجعتَ، فائتِ معك بعدد من المنادين، بل وأيضاً بالرئيس[1] ذاته. أما أنا، فلن أحفل بالضجة التي أنت تحدثها طالما أنت هو الشخص الماثل أمامي.

رئيس الكورس: هذه أقوال لا أحبّها، حينما نكون في وسط الشقاء. إن الكلمات القاسية تجرح، مهما كانت عادلة.

منلاوس: يلوح أن هذا القوّاس[2] يبالغ في الكبرياء.

---

(١) أي: أجاممنون.

(٢) كان طويكروس أمهر قوّاس في جيش الأخاويين.

طويكروس: لأنه لا يعتقد أن مهنته خسيسة.

منلاوس: وكم ستكون كبرياؤك، لو أنك تحمل تُرْساً.

طويكروس: وحتى لو كان صدري عارياً، فإني سأتغلب على سلاحك.

منلاوس: إن شجاعتك إنما تتغذى بالكلمات.

طويكروس: إذا كان الحق في جانب الإنسان، فإن في وسعه أن يكون فخوراً.

منلاوس: وهل يقضي الحق بأن ينتصر آياس، بينما هو قتلني؟

طويكروس: قَتَلك؟ هذا قول غريب حقاً؛ هل أنت لا تزال حيّاً بينما أنت ميّت؟

منلاوس: إن إلاهاً قد حفظني؛ أما بالنسبة إلى آياس، فأنا ميّت.

طويكروس: لا تُهيننّ الآلهة، ما داموا قد حفظوك.

منلاوس: ماذا؟ أتظن أنني هنا أجادل في قوانين الآلهة؟

طويكروس: نعم! إذا كنت تمنعني من دفن الموتى.

منلاوس: إذا كان هؤلاء الموتى أعداءنا، فإن دفنهم عار.

طويكروس: هل أنت شاهدت آياس أمامك وهو في صف أعدائنا؟

منلاوس: إني كنت أكرهه، وهو كان يكرهني، وأنت تعلم ذلك.

طويكروس: إنك قد تكشّفت أنّك سارق أصوات.

منلاوس: إن إخفاقه كان من فعل القضاة، لا من فعلي أنا.

طويكروس: ألم تتلاعب أنت في عملية الانتخاب؟

منلاوس: هذه الكلمة ستكلّف غالياً شخصاً أنا أعرفه.

طويكروس: أقلّ ثمناً مما سيضطر إلى دفعه لي فيما بعد.

منلاوس: ليس عندي غير كلمة واحدة أقولها: «لا قبر لهذا الرجل».

طويكروس: وأنا أجيب عليك فأقول: «سيكون لهذا الرجل قبره».

منلاوس: شاهدت فيما مضى، إنساناً متهوراً في الكلام، وكان يلح على البحارة بالإبحار بينما كان الجوّ مكفهّراً، ولم تستطع أنت بعد ذلك أن تستخلص

منه كلمة واحدة، لما أصبح في قلب العاصفة لقد تغطى بردائه، وترك لأي ملاّح أن يدوسه بقدميه. ومن الممكن أنه قد حدث لك ذلك، لك ولفمك المتعجرف. ويكفي أن تهب من سحابة صغيرة ريح عاصفة كبيرة، من أجل أن تخنق صيحاتك على الفور.

طويكروس: وأنا أيضاً شاهدت إنساناً مليئاً بالحماقة تباهى بالوقاحة، بينما كان جاره في محنة. وهنالك رآه شخص يشابهني كثيراً ومزاجه مثل مزاجي، فقال له: «أوه يا صديقي، لا تُسيء معاملة الموتى؛ وإلاّ فسيكلفك هذا غالياً، تأكد من هذا». هذا هو الدرس الذي ألقاه على أحمق في مقابل وجهه. وهذا الأحمق يقع الآن تحت نظري. وأعتقد أنه ليس أحداً آخر غيرك أنت. هل أنا أتكلم بألغاز؟

منلاوس: أنا منصرف لأنني سأشعر بخجل كبير لو جاء أحد وعلم أنني أستخدم ألفاظاً للعقاب، بينما عندي القوة في يدي.

طويكروس: اذهب إذن؛ سأشعر أنا بخجل أكبر إذا استمررت في الاستماع إلى حماقات معتوه.

(منلاوس يخرج).

رئيس الكورس: هذه هي اللحظة الحاسمة في نزاع رهيب؛ اذهب وأسرع يا طويكروس، بقدر ما تستطيع؛ واعمل بأسرع ما يمكن على حفر قبر سيجد فيه صاحبنا آياس المثوى الطيب الذي سيحفظ ذكراه بين الناس إلى الأبد.

(تدخل تكمسّا وابنها).

طويكروس: لكن ها هو ابنه وزوجته يقتربان في الوقت المناسب إنهما يقصدان إلى العناية بقبر الميت المسكين. تعال بالقرب مني أيها الصغير؛ إلمس، وأنت تتضرّع، أباك الذي تدين له بالوجود. أركع هناك، وانشُدْ معونته، ممسكاً بيديك شَعْري وشَعْر أمك وشَعْرك أنت. ليس للمتوسّلين كنزٌ آخر. وإذا تجاسر أحد من الجيش أن ينتزعك بالقوة من هذا الميّت، فليذهب هذا الوفد بائساً وبشكل مهين مطروداً من هذا البلد حيث لن يجد فيه قبراً له، وليشهد سلالة كلها وقد اجتثت حتى الجذور، مثلما أقطع أنا هنا هذه الخصلة مِنْ على جبيني. خذها وحافظ عليها جيداً. ولا يزحزحنك أحدٌ من ههنا: ابقَ وتشبّث بالأرض التي تستند عليها ركبتاك. (مخاطباً الكورس:) وأنتم أيضاً، بيّنوا أنكم رجال، لانساء، ودافعوا

عنهما حتى الساعة التي أعود فيها، واحموا هذا القبر وهذا الميت ضد الجميع.

(يخرج).

الكورس: متى تنتهي هذه السلسلة الطويلة من السنوات (الشاردة التي تأتين في كل يوم ببلاء المتاعب تحت السلاح، خلال بلاد طروادة، هذا العار الحزين على اليونانيين. آه! ألا ليته كان من الأفضل أن يغوص في الأثير الفسيح أو في العالم السفلى المفتوح للجميع؟

هذا الرجل الذي كشف لليونانيين عن الغضبة الجماعية للأسلحة البغيضة!

آه! أيتها الآلام، ويا أمهات الآلام! إنه هو الذي أضاع الناس. إنه هو الذي حرمني من الملمس الجميل للتيجان، ومن الكؤوس العميقة، ومن النغمات العذبة للنايات - يا له من شقيّ! - ومن لذّات الليل والفراش.

وبالنسبة إليّ، هو قد وضع حداً للغراميات - الغراميات، واأسفاه - وها أنذا أنام على الأرض الصلبة، وشعري يبلّه الندى المتواصل. آه! لن أنسى أرض طروادة الجافية.

حتى الآن على الأقل، ضد المخاوف الليلية وضد سهام العدوّ، كان عندي حِضنٌ هو آياس الباسل.

أما اليوم فإن آياس هذا قد صار فريسةً لمصير رهيب. فأية لذة إذن سأنعم بها من الآن فصاعداً؟

آه! لو كنت أستطيع أن أكون أمام الرأس المزروع بالغابات والذي يطل على البحر، عند قدم السفح العالي لسونيون[1]، كيما أُحَيّي من هناك مدينة أثينة المقدسة!

(طويكروس يعود).

طويكروس: لقد أسرعتُ الخُطىٰ حين شاهدت الرئيس، أجاممنون، قادماً إلينا. ومن الواضح أنه سيصبّ عليَّ كلماته المتوحشة.

(يدخل أجاممنون).

(١) رأس سونيون يقع عند نهاية إقليم أتيكا، وهو أول أرض تظهر للبحّار القادم من الشرق.

أجاممنون: إنه أنت إذن الذي تجاسرت أن تتفوه بالكلمات الغريبة ضدّي أنا والتي أبلغوني بها، دون أن تلقى عقاباً؟ نعم أنت، فأنت ابن الأسيرة. فماذا كنت ستفعل إذن لو أنك كنت ابن امرأة حُرّة؟ إنك تتكلم من علياء كبريائك، وتتعالى واقفاً على قدميك لأنك اليوم، بينما أنت لست بشيء، تجعل من نفسك حامياً لمن لم يكن شيئاً مذكوراً. وما دمت تستشهد الآلهة على أننا لسنا رؤساء الجيش والأسطول اليونانيين، ولا رؤساء عليك أنت، وأن آياس قد خرج لحرب - فيما تزعم - ولا رئيس عليه غير نفسه - أليس من المخيف أن تُسْمَع هذه العبارات صادرة من فم عَبْد؟ ومَنْ هو الرجل الذي من أجله أنت تصيح بهذه الصيحات المستكبرة؟ أين كان هو إذن، وأين شوهد في موضع لم أكن أنا فيه أيضاً؟ أليس بين الأخاويين محاربون آخرون غيره؟ حقاً إنها لمنافسة جدّ مزعجة تلك التي انسقنا فيها ضد الأرجوسيين من أجل أسلحة أخيلوس، إن كنا الآن - بفضل طويكروس - قد اعتُبِرنا جبناء وإن كنا لم نقتصر على أن نرفض لكم الإقرار، لما أن هُزِمتم بالحُكْم الذي نطقت به أغلبية القضاة، قد مضيتم في إطلاق الشتائم علينا في وجوهنا، أو اتهامنا بالغدر وأنتم المهزومون. بمثل هذه التصرفات لا يمكن أن يرسخ أيّ قانون. أكان علينا إذن أن ننبذ أولئك الذين قررت العدالة أنهم هم المنتصرون وأن نعطي المرتبة الأولى لأولئك الذين جاءوا في المرتبة الأخيرة؟ كلا، ينبغي وضع حدّ لهذا. ليس الضخام الأجسام، العِراض الأكتاف هم الأشد ثباتاً ورسوخاً: بل الناس العقلاء هم المنتصرون دائماً وفي كل مكان. إن للثيران أكتافاً عريضة: ومع ذلك تكفي سِنٌّ مدببة رفيقة لإرغامها على السير المستقيم. وفيما يتعلق بك أنت، سأشاهد عما قريب شيئاً سيهدّئك إذا لم تكتسب بعض التعقل، أنت يا من لا تخاف من أن تأتي ههنا وتظهر الغطرسة وتقول ما يحلو لك، وكل هذا من أجل ميّت، من أجل من صار شبحاً من الأشباح. ألا تريد إذن أن تكون عاقلاً؟ ألا تريد أن تعرف مَنْ أنت، وأن تأتينا - بدلاً منك - برجل حرّ، قادرٍ على الدفاع عن قضيتك أمامنا؟ أما حين تتكلم أنت، فأنا لا أفهم شيئاً: إنني لا أفهم لغة البرابرة[1].

رئيس الكورس: آه! ألا يمكنكما كليكما أن يكون لديه من العقل ما يجعله

(١) لما كان طويكروس هو ابن هسيونة، وهي أسيرة أجنبية، فإنه كان متبربراً. واليونانيون يطلقون الصفة: «متبربرون» على كل الأجانب من أية جنسية كانوا.

رجلاً معقولاً؟ وليس عندي من ناحيتي نصيحةٌ لكما خيراً من هذه.

طويكروس: واأسفاه! ما بال عرفان الجميل - وهو مع ذلك واجبٌ لهذا الميّت - قد هرب بسرعة من قلوب الناس، وارتكب أبشع خيانة؛ ما دام آياس، هذا الرجل لا يجد عندك أية كلمة ذكرىٰ، بينما أنت طالما عَرَّضْتَ حياتك لمتاعب القتال من أجله. وها هو ذا كل هذا الماضي قد ضاع وذهب أدراج الرياح - لكن قُلْ لي، أنت يا من جئت لتلقي علينا خُطَباً طويلة وحمقاء، ألم تحتفظ بذكرى اليوم الذي حوصرت فيه وبلغ بك اليأس أقصاه، فقام هذا البطل وخلّصك من الهزيمة، بينما كانت النار مشتعلة في مؤخرة السفينة وفي مقاعد البحّارة المجدفين بالمجاديف وكان هكتور قد قفز فوق الخنادق وصار على بُعْد قفزات قليلة من السُّفن. مَنْ الذي أبعد هذا الخطر؟ أليس هو ذلك الذي، بحسب زعمك، لم يشاهده أحدٌ يقاتل بثبات؟ ألم تقدّر أنت حُسْنَ بلائه في ذلك اليوم! وفي مرة أخرى حينما كان متطوعاً اختارته القُرْعة ذهب ليتحدى هكتور للمبارزَة، فإنه لم يضع حين سحب على القرعة كرة من الطين المبلول، بل وضعَ كُرَيّة خفيفة الوزن جداً من شأنها أن تقفز في الحال خارج الخوذةَ المزينة بالريش(١). أجل، هذا هو ما فعله، وكنت أنا شاهداً عليه، أنا العبد ابن البربرية. يا لك من شقيّ! أين عقلك إذن حين تعاملني بهذه الطريقة؟ هل نسيت أن جَدَّك، پلوبس العجوز، كان بربرياً أصله من إقليم أفروجيا(٢)؟ وأن أتريوس الفاسق الذي تدين أنت له بالوجود، قتل أبناء أخيه وقدمهم إليه طعاماً في مأدبة؟ ثم أُمّك أنت! إنها كريتية، وقد فأجأها

---

(١) راجع «الإلياذة» (النشيد السابع، البيت رقم ١٦١ وما يليه) حيث نجد آياس تقع عليه القرعة لمنازلة هكتور في مبارزة فردية. وكان قد تقدم تسعة من المتطوعين - من بينهم أجاممنون - تلبية لدعوة نستور. ومن المعتقد أن سوفقليس قد مزج بين رواية هوميروس وبين حكاية محلية تخص كرسفونت الهرقلي. ف بعد غزو الدوريين للبلوبونيز كان من المفروض تقسيم الأرض بين ثلاثة مطالبين بها يضع كل واحد منهم في إناء مملوء بالماء حصوة معلمة بعلامة مميزة. وبحسب ترتيب الحصى الخارج بالقُرعة يأتي أولاً إقليم أرجوس، يليه لاقونيا، وتليها مسينيا. لكن كرسفونت، وكان يطمع في مسينيا، وضع كرة من الطين بدلاً من أن يضع حصوة، وما لبثت كرة الطين إن ذابت، وبهذه الوسيلة جاء هو الأخير.

(٢) پلوسي هو ابن طنطالس، وقد جاء من أفروجيا إلى إقليم إليس. ويقال إنه طرد من البلوبونيز (ومنذ ذلك الوقت صار هذا الإقليم يحمل اسمه) الهرقليين أو ذرية هرقل القادمين من تساليا. وقد أنجب ولدين هما: أتريوس، وتوتسته. وأتريوس أنجب أجاممنون ومنلاوس. وتوتسته أنجبت أجيست.

أبوها وهي بين أحضان أحد المغامرين، فأمر بإلقائها في البحر للأسماك[1]، هؤلاء المنتقمين الصامتين! أأنت يا من انحدرت من أمثال هؤلاء الآباء، تعيّرني بأجدادي؟ إني ابن طلامون الذي كوفىء على أعماله الفائقة بأن زوّج من أُمّي، وهي أميرة من دم ملكيّ بواسطة أبيها لا ومدون، وابن الكمين[2] هو الذي أهدى إليه بنفسه هذه الهديةُ الفاخرة. فهل أترك ـ أنا المنحدر من بيتين ملكيين ـ أبناء دمي الذين أصابتهم المِحَن يهانون، حين تبلغ بك الوقاحة حدّاً يجعلك تمنع من دفنهم؟! ألا فلتعلم أني إن ألقيت بهذا الجسم إلى الهواء والإهمال، فإن عليك أن تلقى بثلاث جثث إلى جواره[3]. الأجمل عندي أن أموت وأنا أناضل من أجل آياس لا من أجل زوجتك أو زوجة أخيك. فاعتبرها مصلحتك أنت لا مصلحتي أنا. لو أخشى أقل إهانة فسيأتي يوم ستتمنى فيه أن تكون جباناً معي بدلاً من أن تكون شجاعاً.

(يدخل أودسيوس).

رئيس الكورس: اعلم أيها الملك أودسيوس، أنك جئت في الوقت المناسب إن كان حضورك ههنا يحمل هذين الرجلين على الاسترخاء، لا على التصلُّب.

أودسيوس: ماذا حدث يا أصدقائي؟ من بعيد سمعت آل أتريوس يصيحون على جثة هذا الشجاع.

أجاممنون: أفلم تسمع من هذا الرجل، يا أودسيوس، أقوالاً في غاية الإساءة؟

أودسيوس: أية أقوال؟ إني أعذر حقاً من يسمع كلمات نابية فيرد عليها بإهانات.

أجاممنون: إذا كان قد سمع كلاماً مهينا، فذلك لأنه عاملني بالمثل.

---

(١) إيروبا، وقد فاجأها أبوه بين ذراعي خادم، لم يُلق بها في البحر، لأن ملك يوبيا الذي كلّف بتنفيذ هذا الأمر، أشفق عليها. وقد تزوجت پليسشين، ثم تزوجت بعد ذلك أتريوس. وهذه الحكاية هي موضوع مسرحية يوريفيدس. «الكرتييات».

(٢) أي: هرقل.

(٣) «تقول إحدى الحواشي على هذا الموضع إن هؤلاء الثلاثة هم: طويكروس، وأجاممنون ومنلاوس. لكني أعتقد أن المقصودين هم: طويكرس، ويوروساس، وتكمسا، (حاشية كتبها الشاعر راسين على مخطوطة سوفقليس الموجودة في المكتبة الوطنية بباريس).

أودسيوس: ماذا فعل حتى يسيء إليك؟

أجاممنون: إنه يعلن أنه لا يوافق على حرمان هذا الميت من دفنه في قبر، ويهددني أنه سيدفنه على الرغم مني.

أودسيوس: هل تسمَح لي أن أكلمك بصراحة وأن أسدي إليك بهذا خدمة صديق، اليوم كما فعلت بالأمس؟

أجاممنون: تكلم، أرجوك. وإلاّ لما كان عندي كبير عقل: فإنك في نظري أكبر أصدقائي بين كل اليونانيين.

أودسيوس: إذن أَصْغِ إليَّ. تفضل، باسم الآلهة، فلا تُلْق بهذا الرجل هكذا وبدون رحمة في عرض الطَريق. ولا تجعل العنف يسيطر عليك اليوم، ولا تذهبن الكراهية إلى حد الوطء على القانون تحت الأقدام.

إنه كان بالنسبة إليَّ أيضاً أعدى عدوٍّ لي في الجيش، منذ اليوم الذي صرت فيه المالك لأسلحة أخيلوس. لكن، على الرغم من كل شيء، فإني لا أستطيع أن أرد على كراهيته بالإهانة، ولا أستطيع أن أنكر أني شاهدتُ فيه أشجع إنسان بيننا، بل بين كل اليونانيين الذين جاءوا إلى إقليم طروادة ـ باستثناء أخيلوس. ولهذا سيكون من الظلم أن نُهينه. إن ذلك سيكون انتهاكا للقوانين الإلهية أكثر من أن يكون إهانة له هو. وليس من حقّ أحد أن يسيء معاملة رجل شجاع متى ما مات، حتى لو كان أعدى أعدائك.

أجاممنون: كيف؟ أنت يا أودسيوس تعلن أنك تدافع عنه ضدي أنا؟

أودسيوس: نعم، أنا كنت أكرهه، لكن ذلك كان حين كان من واجبي أن أكرهه.

أجاممنون: إنه ميّت؛ فهذه هي إذن اللحظة كي تدوس بقدمك على جسمه.

أودسيوس: يا ابن أتريوس، لا تفرحن بنجاح لا مجد فيه.

أجاممنون: ليس من السهل دائماً على الملك أن يكون تقيّاً.

أودسيوس: لكن من السهل عليه أن يراعي النصائح السديدة التي يسديها إليه أصحابه.

أجاممنون: يجب على الشجاع إطاعة من يملكون السلطة.

أودسيوس: أنا أوقفك عند هذا: إنك تبقى السيّد، حينما تُسَلّم لأصحابك.

أجاممنون: تذكر ماذا كان هذا الرجل الذي تريد له هذا الإنعام.

أودسيوس: لا شك أنه كان عدوّي، لكنه كان أيضاً بطلاً.

أجاممنون: ماذا تريد إذن أن تفعل؟ أعندك كل هذا الاحترام لعدوٍ مبّت؟

أودسيوس: إن فضله يتفوق كثيراً على كراهيتي له.

أجاممنون: هذا تناقض نعثر عليه عند الناس الفانين.

أودسيوس: نعم! كثيرون هم أصدقاؤنا الذين سيصبحون بعد ذلك أعداءنا.

أجاممنون: ومثل هؤلاء الأصدقاء هم الذين جئت الآن للتوصية لهم؟

أودسيوس: إنني لم أحبّذ أبداً القلوب الصلبة.

أجاممنون: أنت تريد إذن أن تظهرنا اليوم بمظهر الجبناء؟

أودسيوس: بل قل خيراً من هذا: بمظهر العادلين في أعين جميع اليونانيين.

أجاممنون: الخلاصة إذن أنك تدعوني إلى ترك هذا الميت يُدْفن؟

أودسيوس: أليست هذه هي النهاية التي سأنتهي أنا أيضاً إليها ذات يوم؟

أجاممنون: الأمر إذن هو دائماً هو نفسه في كل مكان: كل واحد يعمل لنفسه.

أودسيوس: ولمن أعمل إذن، إن لم يكن لنفسي أولاً؟

أجاممنون: سيكون القرار إذن قرارك أنت في هذه الحالة، وليس قراري أنا.

أودسيوس: رتّب الأمر كما تشاء: فالشرف سيكون لك أنت.

أجاممنون: إعلم إذن أنني سأكون مستعداً أن أمنحك أكثر مما تطلب. لكن بالنسبة إلى هذا الرجل، فسواء أكان ههنا أو هناك فإنه بالنسبة إليّ سيكون أكبر أعدائي دائماً. وأنت حرٌّ دائماً في أن تقيم الشعائر المطلوبة.

(يخرج).

رئيس الكورس: يا أودسيوس! إن من لا يقرّ أنك بفعلك هذا تملك نفساً حكيمة - هو لا شك أحمق.

أودسيوس: بل سأفعل أكثر من هذا: سأعلن لطويكروس الآن أنه منذ اليوم

سيكون عزيزاً عندي بقدر ما كان من قبل مكروهاً. وأريد أن أشترك معه في دفن هذا الميّت، وأن أجتهد ولا أدخر وسعاً في بذل كل مشقة من أجل تشريف الشجعان.

طويكروس: يا أودسيوس النبيل! لا أملك إلاّ أن أوافقك على كلامك. إنك قد كَذَّبت مخاوفي تكذيباً قويّاً. لقد كنت أنت أعدى أعداء هذا البطل بين اليونانيين، وكنت الوحيد الذي سيعمل على الدفاع عنه بساعدك. لقد رفضتَ أن توجه إهانة بالغة، وأنت حي، إلى هذا الميّت، وأن تتبع رأي ذلك الرئيس الذي أصيب بالجنون فجأة، وقد جاء إلى هنا بصحبة أخيه وهما يقصدان إهانته والإلقاء به على قارعة الطريق. ألا ليت الأب الذي يحكم من فوق جبل الأولمپ، والارنية التي لا تنسى أبداً، والعدالة التي هي الحَكَم الأخير - ألا ليت هؤلاء الثلاثة تهلك هذين الشقيين[1] مثلما قصدا أن يلعبا على نحوٍ مهين ببطلٍ يستحق التكريم. ومع ذلك، فبحق من يسري في عروقه دم لائرتس القديم، أنا أتردد في السماح لك بأن تشترك في مراسم الجنازة، لأني أخشى أن أصنع بهذا شيئاً لا يرضى عنه الميّت. وفيما عدا هذا، فأنا مستعد لقبول معونتك، وإذا رأيت أن تأتي هنا بهذا القدر أو ذاك من أفراد الجيش فإننا لن نتضايق من هذا. وأنا سأتولى القيام بما يخصُّني. واعلم فقط أنك في نظرنا رجل باسل من الآن فصاعداً.

أودسيوس: كان هذا[2] هو ما كنت أريده، لكن إذا كان هذا يضايقك، فإني أتخلّى عن ذلك وأمتثل لرغبتك.

(أودسيوس يذهب).

طويكروس: كفانا الكلام! لقد أضعنا وقتاً طويلاً جداً. هيّا! احفروا بأيديكم حفرة عميقة. وأنتم، ضعوا في وسط النار كرسياً مثلث الأرجل من أجل الرشات المقدمة. وليذهب فريق ثالث إلى خيمته ليُحضر السلاح اللامع الذي كان يغطيه درعه. وأنت، أيها الصغير، امسح بيديك جانبيه؛ وساعدني بما تملك من قوةٍ على رفعه. إن الشرايين وهي لا تزال مشتعلة تقذف في الهواء بدخان مُسودّ. هيا! وعلى كل من هم هنا ويدّعون أنهم أصحابه أن يتحركوا، وليأتوا لخدمة هذا الشجاع الذي

(١) أجاممنون ومنلاوس.

(٢) أي الاشتراك في تشييع الجنازة.

لا غبار عليه. إنهم لن يستطيعوا أن يخدموا رجلاً أشد منه بسالة. أقول هذا عن آياس، فيما كان لا يزال حيّاً.

(الكورس ينضم إلى موكب الجنازة).

رئيس الكورس: في مقدور الناس أن يعرفوا الكثير من الأشياء بأن يشاهدوها؛ أما المستقبل فلا يستطيع أي عَرّاف أن يعلم ماذا سيكون قبل أن يراه.

ختام

مسرحية «آياس»

مَسْرحيَّة «أُوديبُ ملكاً»

مقدّمة «أُوديبُ مَلكًا»

بقلم الدكتور عبد الرحمن بدوي

(١)

أوديب

من لم يسمع باسم «أوديب» في عصرنا الحاضر، منذ أن جعل منه سيجموند فرويد علماً على واحدة من ترهاته، في التحليل النفسي، والتي تعرف باسم «عقدة أوديب»؟!

وأوديب، كما عرفته الأساطير اليونانية، أبرز الأشخاص الذين صاروا أبطالاً للمآسي اليونانية العظيمة التي ألّفت في القرن الخامس قبل الميلاد. والتي استلهمها أصحابها: اسخولوس، وسوفقليس، ويوريفيدس ـ من ملحمتي هوميروس: «الإلياذة» و«الأودسّا»:

ـ فقد تناول شخصية أوديب الشاعر المسرحي سوفقليس في ثلاث مآسي هي:

١ ـ «أوديب ملكاً».
٢ ـ «أوديب في كولونا».
٣ ـ «أنتيجونا».

ـ وتناولها أسخولوس في مسرحية: «السبعة ضد ثيبا».

- وتناولها يوريفيدس في مسرحية: «الفينيقيات».

وكل هذه المسرحيات قد وصلت إلينا في نصها اليوناني. وهناك العديد من المسرحيات التي تناولت شخصية: «أوديب» أو أبناءه وبناته، لكنها لم تصل إلينا، وإنما ذكرت عنواناتها المصادر اليونانية الكثيرة.

ونبدأ بالتعريف بمن هو أوديب كما عرضه هوميروس:

أوديب - والمعنى اللغوي لهذا الاسم هو: «ذو» «القدم المنتفخة». وأبوه هو لايوس Laios، وأمّه هي يوكاسته (وهوميروس ينطق اسمها هكذا: (أپيكاسته Epicaste).

أما لايوس فهو ابن لبداكوس. وتوفي عنه أبوه وهو في السنة الأولى من عمره؛ فتولى العناية به لوكوس Lyces، والد خال لايوس. وحدث بعد ذلك أن استولى أمفيون Amphion وزيثوس Zathos على عرش مدينة ثيبا، وكان لايوس قد تولى هذا العرش منذ زمن قليل، فاضطر إزاء ذلك إلى الفرار إلى بلاط الملك فيلونس Pelons في فيسا Pisa (بإقليم إليس Elis) فأحسن فيلونس ضيافته. ولما توفي أمفيون وزيثوس بعد فترة قصيرة من الحكم على ثيبا، عاد لايوس إلى ثيبا مطالباً بالمُلْك، آخذاً معه خروسفوس Chrysippos ابن فيلونس، وكان قد اتخذه خليلاً له لما أن قام بتعليمه قيادة العربات. وبسبب هذا العمل الذي عمله لايوس باختياره معه ابن فيلونس، فإن لايوس قد أصابته لعنة فيلونس وغضب الإلاهة هيرا.

وتولى لايوس الملك على ثيبا، وتزوج يوكاسته، بنت منوقيا. لكنهما لم ينجبا أبناء. ولهذا ذهب لايوس لاستشارة وحي دِلْف. فأوحى إليه هذا الوحي بأن يمتنع من إنجاب ولد، لأن هذا الولد سيقتله.

فامتنع لايوس من مباشرة زوجته يوكاسته. لكن حدث ذات يوم وهو سكران أن جامعها وأنجب منها ولداً هو أوديب. وخوفاً من أن تتحقق نبوءة الوحي، قرر الأبوان أن يتخلصا من المولود، فألقيا به على جبل قيثرون وثقبا كعب قدميه. بمسلّة من الحديد للتعجيل بموته. وراح الوليد يصرخ، فسمع صراخه رعاة، فأنقذوه. وفي رواية أخرى أن الراعي الثيباوي الذي كلفه لايوس بحمل الطفل وعرضه - أو قتله - على جبل قيثرون لم يطع أمر لايوس بل سلّم الطفل إلى راع

كورنثي. وهذا الأخير قدّم الطفل إلى ملك كورنثوس، واسمه فولوبوس Polybos الذي لم يكن له ولد، فقرر أن يتبنى هذا الطفل، وسماه: «أوديب» لانتفاخ قدميه.

وأثناء إحدى المآدب، سخر أحد الحاضرين من أوديب قائلاً عنه إنه ولد طبيعي، أي مُتَبَنّى، وليس ابن الملك فولوبوس. فقرر أوديب ـ وكان في سن ناضجة آنذاك، أن يذهب إلى دلف لاستشارة الوحي كي يكشف له عن حقيقة أمره. فأنبأه الوحي في دلف أنه مقدَّر عليه أن يقتل أباه وأن يتزوج أُمّه. وصدم الكهنة من هذا المصير، فطردوا أوديب من مدينة دلف.

وإزاء هذا الوضع قرر أوديب ألا يعود أبداً إلى كورنثوس عند فولوبوس وزوجته ميروفا، وأن يتوجه بدلاً من ذلك إلى إقليم بؤتيا. وفي أثناء سيره التقى، عند تقاطع طريقين، بأجنبي وموكبه. فأمر سائق العربة أوديب بإفساح الطريق لمرور الموكب. لكن أوديب رفض هذا الأمر؛ لكن الموكب شق طريقه، ومرتِ إحدى عجلات العربة على قدم أوديب. ثم إن الراكب في العربة أهوى عليه بعصاه. فثارت ثائرة أوديب، وقتل السائق وسائر أفراد الموكب، باستثناء شخص واحد استطاع الفرار. ثم واصل أوديب سيره، حتى وصل إلى مدينة ثيبا فوجد الأهالي في حالة هياج واضطراب. ذلك أن الملك لايوس قد قُتِل منذ قليل وهو في طريقه إلى مدينة دلف بينما كان متوجهاً إليها لاستشارة الوحي فيما يتعلق بالاسفنكس(١) وكان هذا الوحش قد أهلك عدداً كبيراً من الشباب الذين لم يستطيعوا حل اللغز الذي كان يلقيه عليهم؛ ومنهم هايمون Haemun، ابن كريون الوصي على عرش ثيبا.

فلما قُتِل لايوس (بيد أوديب الذي لم يكن يعرفه)، عَرض كريون عرش مدينة ثيبا، وكذلك أرملةَ لايوس، على من يستطيع تخليص مدينة ثيبا من هذا الوحش (الاسفنكس). وهذا هو ما فعله أوديب إذ استطاع أن يحلّ اللغز هكذا:

---

(١) Sphinx أو Phix (وهو مؤنث باليونانية): وحش مجنح رأسه رأس امرأة، وجسمه جسم أسد. وهي بنت آخرتا وطيفون. (أو الكلب أورثروس). وقد أرسلته إلى ثيبا الإلهة هيرا للانتقام من اختطاف لايوس لخروسبوس بن فيلوفيس، إذ كان هذا الفعل إهانة لهيرا، إلاهة الزواج. فكان يجلس على صخرة خارج مدينة ثيبا ويتربص بالمارين من شباب هذه المدينة ويلقي عليهم هذا اللغز: «ما هو الكائن الذي يمشي أحياناً على قدمين، وأحياناً أخرى على أربع، وأحياناً ثالثة على ثلاث، ويكون سيره أسرع حينما يستخدم أقل عدد من الأقدام؟» ومن لا يستطع حل هذا اللغز فإنه ينقض عليه ويحمله ثم يلتهمه.

هذا الكائن هو الإنسان: فهو حين يكون طفلاً فإنه يمشي على أربع (يديه ورجليه)، ولما يشتد عوده يمشي على قدمين، وحين يصبح شيخاً فإنه يمشي على ثلاث (قدميه وعصاه).

وهكذا فاز أوديب باقتراح كريون: فتولى عرش مدينة ثيبا، وتزوج بأرملة لايوس، وهي يوكاسته، أخت كريون. ويوكاسته هذه هي في الوقت نفسه أمّ أوديب، من زوجها لايوس الذي قتله أوديب عند تقاطع الطريقين دون أن يعرف من هو.

وهكذا تحقق بندان من وحي دلف: فإن أوديب قتل أباه وتزوج أمه، دون أن يعلم مَنْ هما بالنسبة إليه.

وبحسب رواية هوميروس، فإن يوكاسته سرعان ما أدركت أنها تزوجت ابنها أوديب، ولهذا شنقت نفسها؛ أما أوديب فقد استمر يحكم مدينة ثيبا. ولهذا فإن الجغرافي اليوناني الشهير باوسنياس يستنتج من كلام هوميروس أن أبناء أوديب هم من امرأة أخرى غير يوكاسته، هي يوريجانيا Eurygania بنت هوپرفاس Hyperphas. ومن ناحية أخرى فإن هوميروس لا يذكر بنات أوديب، كما أنه لا يذكر نفيه، ويقول إنه مات في الحرب.

(٢)

أوديب في مسرحية سوفقليس

أما الرواية التي اعتمدها سوفقليس في مسرحيته: «أوديب ملكاً» فإنها تختلف اختلافاً بيّناً عن رواية هوميروس. وهذه الرواية التي اعتمدها سوفقليس تقول إن أوديب ويوكاسته توليا الملك في مدينة ثيبا ـ يعاونهما أخوها كريون ـ طوال عدة سنوات. وأنجبا ولدين ذكرين هما: پولونيقوس، واتيوكل، وبنتين هما: أنتيجونا واسمينا. ثم أهوت على ثيبا مصيبة أخرى، فصار الإقليم كله عقيماً لا ينبت زرعاً. فذهب كريون إلى دلف، حيث أمره الوحي بأن يطارد قتلة لايوس. وقد قرر العرّاف تيرسياس Tiresias أن قاتل لايوس هو أوديب.

وتفصيل ذلك أن وحي أپولون في مدينة دلف قد أعلن أن هذا البلاء الذي

حلّ بثيبا لن يزول إلاّ بشرط الانتقام لقتل الملك لايوس. فسرَّ أوديب بما قاله الوحي، وجمع الشعب، وأخبره بما قاله الوحي ودعاه إلى البحث عن الجاني، وشدّد التنديد عليهم قائلاً:

«لا يجوز لأحد من هذا البلد أن يستقبله أو يؤويه،
واطردوه من بيوتكم طردكم لإنسان مصاب بالطاعون،
إنسانٍ نجس. وإني أطالب من قَتَل أن يقضي
بقية عمره في الشقاء، لأنه هو الذي جلب علينا البلاء»

وللتحري عن القاتل بدأ أوديب بأن بعث في طلب تيرسياس، العرّاف الأعمى الذي يبجله أهل ثيبا. فلما جاء هذا العرّاف، وسأله أوديب عمن عسى أن يكون قاتل لايوس؛ فرفض العرّاف أولاً أن يجيب على سؤال أوديب. فاستحلفه أوديب باسم الآلهة بأن يدلي بما لديه مِنْ عِلْم في هذا الشأن. لكن تيرسياس أصرّ على الصمت وقال إنه لن يجيب عن هذا السؤال. هنالك هدّده أوديب قائلاً بأن صمته يدل على أن له ضلعاً في هذه الجريمة. فاستشاط تيرسياس غضباً من هذا الاتهام وردّ على أوديب قائلاً: «بل أنت نفسك هو القاتل الذي تبحث عنه». فاعتقد أوديب أن تيرسياس يهذي، وأنه أصيب بنوبة جنون. فطرد تيرسياس ونهاه عن الظهور أمامه مرةً أخرى.

ويوكاسته هي الأخرى هزئت من أقوال هذا العرّاف، وقالت: «إن العرّافين يخطئون، مثلما يخطىء الوحي». وذكرت أن الكاهنة في معبد مدينة دلف سبق لها أن تنبأت بأن لايوس سيُقتل بيد ابنه، ولهذا قررت هي وزوجها لايوس أن يتخلصا ممن ينجبان من أبناء حتى لا تتحقق هذه النبوءة، فلما أنجب لهما ولد ـ وهو أوديب ـ أسلماه، إلى راع يتولى عرضه للهلاك على جبل، على النحو الذي أوردناه من قبل.

وواصلت يوكاسته كلامها قائلة: «إن لايوس قد قتله لصوص على الطريق المؤدي إلى مدينة دلف، هناك حيث تتقاطع ثلاثة طُرَق».

فألقى هذا الكلام الروعَ والقلق في نفس أوديب، وسألها: «متى حدث هذا؟» فأجابت: «قبل مجيئك إلى ثيبا بوقت قصير».

فعاودها السؤال قائلاً: «وكم كان من الرجال بصحبة لايوس؟» فأجابت يوكاسته: «خمسة. وقد قُتِلوا جميعاً باستثناء شخص واحد».

فقال أوديب: «لا بد لي أن أرى هذا الشخص. فأرسلي في استدعائه». فقالت: «سأفعل هذا دون إبطاء. لكن من حقي أن أعرف ماذا يجول بخاطرك». فأجابها: «ستعلمين بمقدار ما أعلم». وواصل قائلاً: «لقد ذهبت إلى دلف قبل مجيئي إلى ههنا بوقت قصير، لأن أحد الناس عيّرني بأنني لست ابن پولوبوس. لهذا أردت أن أسأل الإله عن هذا الموضوع. لكنه لم يجبني، وبدلاً من ذلك أخبرني بأمور مروّعة وهي: أنني سأقتل أبي، وسأتزوج أمّي، وأنه سيكون لي أبناء لا يراهم الناس إلا ارتعدوا منهم. ولم أعد بعد ذلك أبداً إلى مدينة كورنثوس. وأثناء عودتي من دلف، وفي مكان تتقاطع عنده ثلاثة طُرق، لاقيت رجلاً يتبعه أربعة من الخَدَم. وأراد تنحيتي عن الطريق، فضربني بعصاه.. فثار غضبي وانقضضتُ عليهم وقتلتهم. فهل يمكن أن يكون لايوس هو سيّدهم؟»».

فقالت يوكاسته: «إن الشخص الذي نجا من بينهم إنما ذكر لصوصاً؛ وأن لايوس قد قتله قُطّاع طرق، وليس ابنه. إن ابنه المسكين قد مات على الجبل».

وبينما هما يتحادثان هكذا، جاء رسول قادماً من مدينة كورنثوس وأخبر أن پولوبوس، ملك كورنثوس، قد مات ميتة طبيعية. فصاحت يوكاسته قائلة: «يا وحي الإله! أين أنت الآن؟ إن الرجل (پولوبوس) قد مات ميتة طبيعية، ولم يقتله ابنه». والمقصود بابنه هنا: أوديب، الذي كان الناس يعدونه هو الابن الشرعي لبولوبوس ملك كورنثوس، وساقت يوكاسته هذا الأمر حجة تدل على كذب الوحي والتنبؤ أحياناً.

فتبسّم الرسول وخاطب أوديب قائلاً: «هل الخوف من أن تقتل أباك هو الذي حملك على ترك كورنثوس؟ أيها الملك، أنت على خطأ.. لم يكن عندك أيّ سبب لهذا الخوف ـ لأنك لم تكن ابن پولوبوس، إنه ربّاك كما لو كنت ابنه؛ والحقيقة هي أنه تلقاك من يديَّ أنا».

فسأله أوديب: «وممّن تلقيتني أنت؟ ومَنْ كان أبي ومَنْ كانت أمّي؟». فأجاب الرسول: «أنا لا أعلم عنهما شيئاً. بل إن راعياً جوّالاً هو الذي سَلّمك إليَّ ـ وهذا الراعي هو خادم عند لايوس».

فأمتقع وجه يوكاسته لهذه الأخبار، وقالت لزوجها أوديب: «ما الفائدة في إضاعة الوقت في سماع هذا الشخص؟ ما يقوله لا يمكن أن تكون له أية أهمية».

فقال أوديب: «هل مسألة ميلادي مسألة لا أهمية لها؟

فقالت له: «بحق الآلهة، لا تستمرنّ في البحث أكثر من هذا حسبي ما أنا فيه من شقاء». ثم هرعت إلى القصر.

وفي هذه اللحظة ظهر شخص عجوز. وتطلع هذا العجوز في وجه الرسول، وبادله الرسول نفس التطلّع. وصاح الرسول: «إنه هو، أيها الملك!». لكن العجوز لم يجب. وألحّ الرسول في دعواه، وقال: «لا بد أنك تتذكر. إنك أحضرت إليّ في ذات يوم طفلاً صغيراً كنت قد عثرت عليه، والملك، الموجود أمامنا هنا، هو هذا الطفل».

فقال العجوز: «ملعونٌ أنت! أَمْسِك عليك لسانك!» فتضايق أوديب وقال: «ماذا! أنت تآمرت مع هذا كيما تخفيا عليّ ما أريد أن أعرفه؟ تأكدّ أن هناك وسائل لحملك على الكلام».

فتنهد العجوز قائلاً: «أوه، لا توقع بي أذى. صحيح أنني أعطيته الطفل؛ لكن لا تسألني أكثر من هذا، يا مولاي، بحق الإله».

فقال أوديب إن حملتني مرّة أخرى على أن آمرك بأن تذكر لي أين عثرت عليه، فسيكون في ذلك هلاكك». فصاح العجوز: «وَجِّه هذا السؤال إلى زوجتك. فستخبرك بجليّة الأمر خيراً منّي أنا».

فقال أوديب: «أهي التي أعطتني إليك؟. فقال العجوز متنهداً: «نعم، نعم! وأوجبت عليّ أن أقتل الطفل. ذلك لأنه كانت هناك نبوءة...» فقال أوديب: «نبوءة! تقول إنه سيقتل أباه؟». فتمتم العجوز قائلاً: «نعم!».

فتنهد الملك أوديب، وقد أفصح عن الأمر، وقال: «كان كل شيء صحيحاً إذن! وبالنسبة إليّ سيتحول النهار منذ الآن فصاعداً إلى ليل. أنا إنسان ملعون». ذلك أنه تحقق أنه قتل أباه، وأنه تزوج أُمّه التي هي زوجة أبيه. إن اللعنة قد حَلّت بالجميع: به هو، وبأمه ـ وهي زوجته في وقت معاً ـ، وبأبنائهما. ولا أمل في الخلاص منها: إنهم جميعاً ملعونون.

وراح أوديب يذرع القصر ذهوباً وجيئة، بحثاً عن زوجته التي هي في الوقت نفسه أُمُّه. فوجدها في مخدعها. وكانت حين عرفت الحقيقة قد انتحرت. هنالك

أخذ دبوسي المشبك اللذين يشبكان ثوبها ورداءها، وغرزهما في عينيه هو، فأفقدهما الإبصار، وصار أعمى. لقد فضل عالم العمى على دنيا الإبصار حتى لا يشاهد أبناءه، في الدنيا وفي العالم الآخر حينما يرحل إليه.

(٣)

العناصر الأولى لأسطورة أوديب

تلك هي أسطورة أوديب كما تصورها سوفقليس في مسرحيته: «أوديب ملكاً»: فكيف تكونت، ومن أية عناصر سابقة في الأدب الشعبي، والأدب الكلاسيكي اليونانيين؟

العنصر الأقدم نجده في «الإلياذة» المنسوبة إلى هوميروس. فهو في النشيد الثالث والعشرين (الأبيات ٦٧٥ وما يليه، يذكر أوديب، ويقول إنه كان ملكاً وأنه قُتِل في حومة الحرب؛ ولكنه لا يذكر أنه قتل أباه ولا أنه تزوج أمه. بيد أنه في ملحمته الثانية: «الأوديسا» (النشيد الحادي عشر، الأبيات ٢٧١ وما يليه) ينسب إلى أوديب، ارتكابه لجرائم. لكن بعض الباحثين يزعمون أن هذا الموضع منحول وليس لهوميروس، وإنما هو لهزيود شاعر آخر ينتسب إلى مدرسة بيئوتيا Beotia. وفي هذا الموضع من «الأوديسا» يذكر الشاعر ـ أيّاً كان هو ـ أن أوديب قتل أباه دون أن يعرفه؛ وتزوّج أمّه؛ وأن الآلهة قد كشفت له عن جريمتيه هاتين؛ لكنه استمر مع ذلك، في الحكم على مدينة ثيبا، «تعذّبه الشرور التي صبتها عليه الآلهة الأعداء». كما يرى أن إپيكاسته (= يوكاسته) قد شنقت نفسها. «ثم ورث ابنها أوديب كل الشرور التي يمكن أن تصبّها آلهات الانتقام الموكّلة بالأمّ». لكن لا يوضح النص ما هي هذه الشرور: فهو لا يذكر أنه فقأ عينيه، ولا يتكلم عن أبنائه الذين زنوا بالمحارم.

لكن في النصف الثاني من القرن الثامن قبل الميلاد أُلِّفت ملاحم توسعت في أخبار أوديب ونسله:

١ ـ منها «ملحمة ثيبا» Thebaisa، التي اشتهرت كثيراً في تلك الفترة، ونسبها البعض إلى هوميروس. وموضوعها الرئيس هو النزاع القاتل بين إخوة أعداء

بعضهم لبعض. وقد فقد نصها الأصلي، ولم يبق لنا عنها إلا ملخص موجز وضعه رحالة؛ شهير هو باوسانياس Pausanias. وفيها تناول النص شخصية أوديب، لكننا لا نعلم بالتفصيل ماذا قال عنه.

٢ ـ ملحمة أوديب Oedifadie، وقد ضاعت هي الأخرى. وكل ما لدينا منها هو حاشية كتبها كاتبها على البيت رقم ١٧٦٠ في مسرحية «الفينيقيات» تأليف يوريفيدس.

وتختلف كلتا الملحمتين الواحدة عن الأخرى فيما يلي:

أ ـ في «ملحمة ثيبا» نشاهد أن لايوس يجلب على نفسه غضب الإلاهة هيرا، الإلاهة الساهرة على شؤون الزواج، لأن لايوس قد اختطف ابن فيلوفس: الفتى الجميل خروسفوس. وقد أوحى إليه الوحي ـ عقاباً على فعلته هذه ـ بأنه لن ينجب أولاداً. وقد فعلت هيرا هذا استجابة لشكوى فيلوفس، التي استجاب لها زيوس. وقد قُتِل لايوس في فوتنيس Potnies، الواقعة بين مدينة ثيبا وجبل قيثرون. وكان في هذا الإقليم معبد على اسم الإلاهة هيرا. واسخولوس ـ في مسرحية «أوديب» (الشذرة رقم ١٨٧) يقول إن الموضع الذي قُتِل فيه لايوس هو هناك، كما يذكر أنه حين حدث الطاعون ذهب أوديب وزوجته يوكاسته إلى هذا المعبد مستغيثين بالإلاهة هيرا. وهو يعزو إلى لايوس جريمتين هما: الخيانة الزوجية، وعدم إطاعة ما نهاه عنه أپولون. أما «ملحمة أوديب» فيلوح أنها لم تتحدث عن اختطاف خروسيفوس؛ وقصرت جناية لايوس على شيء واحد هو عصيانه لأوامر أپولون. وسوفقليس لا يتحدث عن خطيئة لايوس (الأبيات ٧١١ وما يليه). وبينما أسخولوس يذكر السبب في اللعنة الإلهية على أوديب، نجد أن سوفقليس يجعل من أوديب ألعوبة في يد القدر.

أما فيما يتعلق بأبناء أوديب، فإن فرقيدس Pherecyds يورد رواية تقول إن أوديب ولد له من زوجته أپيكاسته (= يوكاسته) ولدان، قُتِلا بواسطة ميناويين من بلدة أورخومينا. ثم تزوج مرة ثانية من امرأة تدعى يوروجانيه Euryganea فأنجب منها أربعة أولاد: ولدين هما أتيوكل وفولونيقس، وبنتين هما: أنتيجونا وإسمينا.

وقد عالج أسطورة أوديب عشرة على الأقل من مؤلفي المآسي اليونانية. وكلهم يتفقون في العناصر الأساسية التي نجدها عند سوفقليس وهي: إلقاء لايوس وزوجته يوكاسته بالطفل الوليد أوديب على جبل ليموت تخلصاً مما أنبأت به نبوءة

وحي دلف؛ أوديب قضى سني تنشئته وشبابه في كورنثوس في رعاية ملكها فيلوفس؛ الظروف التي فيها قتل أوديب أباه لايوس وهو لا يعرفه؛ المواجهة بين أوديب والأسفنكس وحلّه للغز الذي ألقاه عليه الأسفنكس؛ مما أدى إلى تخليص مدينة ثيبا من هذا الوحش؛ فكافأه أهل ثيبا على ذلك باختياره ملكاً عليهم؛ حدوث الجرب والطاعون في ثيبا؛ التحقيق في مقتل لايوس بناء على أمر الوحي للتخلص من الطاعون؛ اكتشاف الحقيقة الرهيبة وهي أن أوديب هو الذي قتل لايوس أباه دون أن يعرفه، الخ، الخ.

ولما كانت هذه المآسي العشر، والتي سبقت في تأليفها تأليف مسرحية سوفقليس قد فقدت نصوصها الكاملة، ولم يبق لدينا عنها إلاّ تلميحات وشذرات ـ فإن من الصعب أن نحرز بالدقة مقدار ما أخذه سوفقليس من أسلافه هؤلاء.

وقد ألّف يوريفيدس مأساة بعنوان: «أوديب»، ضاعت هي الأخرى. ولكننا نعلم من بعض المصادر التي ذكرتها أن خَدَم لايوس هم الذين اقتلعوا عيني القاتل وهو أوديب، بينما في مسرحية سوفقليس يرد أن أوديب هو نفسه الذي خرق عينيه بدبوسين أخذهما من رداء وثوب زوجته المنتحرة يوكاسته. ونقطة اختلاف أخرى بين سوفقليس ويوريفيدس هي أن كريون ـ بدافع الحسد والحقد، هو الذي أتهم أوديب بالإهمال في التحقيق، وتولى هو التحقيق، وسرعان ما أتهم أوديب بأنه هو القاتل، ثم حرّض الخَدَم ضد أوديب. والرأي الغالب هو أن مسرحية سوفقليس قد أُلّفت قبل مسرحية يوريفيدس. وأرجح الآراء هو أن سوفقليس ألّف مسرحية «أوديب ملكاً» حوالي سنة ٤٢٠ق.م. ويوريفيدس أصغر سِنّاً من سوفقليس الذي ولد قبل يوريفيدس بخمس عشرة سنة؛ وابتداءً من سنة ٤٤٠ق.م. وحتى نهاية عمرهما (وقد توفيا في عام ٤٠٦ق.م) بقيا في تنافس للحصول على الجوائز في المباريات التي كانت تقام آنذاك، والتي كان الفوز فيها غالباً لسوفقليس.

ومن عجب أن مسرحية «أوديب ملكاً» لسوفقليس لم تفز بالجائزة حينما مثلت في تلك المباريات، مع أنها تعدّ أعظم مسرحياته، وفضّل المشاهدون عليها مسرحية من تأليف ابن أخي إسخولوس! وقد حار النقاد في تفسير عدم فوز سوفقليس هذا. والبعض عزا ذلك إلى أحد أمرين: إمّا مجاملة منافسه ابن أخي إسخولوس ـ لكن هذه حجة داحضة، خصوصاً وأن إسخولوس كان قد توفي سنة ٤٥٦ق.م.، أي قبل تاريخ هذه المباريات بحوالي ٣٦ سنة؛ ـ وإما للحالة النفسية

لجمهور المشاهدين في أثينا آنذاك. وقال أصحاب هذا الرأي إن الجدّة في الآراء التي بثها سوفقليس في مسرحيته ربما أزعج الجمهور، وخصوصاً ما فيها من آراء متشائمة عن مصير الإنسان، وعن عبث الآلهة، وعن كذب التنبؤ والوحي.

(٤)

شخصيات مسرحية «أوديب ملكاً»

أوديب هو الشخصية السائدة في هذه المأساة؛ وهو حاضر فيها بنسبة ٩٠٪ وسائر الشخصيات عارضة وثانوية، باستثناء الكورس، الذي كان دوره مع ذلك غير مرتبط بالمجرى الدرامي للمسرحية. وقد حدد بعض[1] الباحثين النسب التي اختص بها كل واحد من أشخاص المسرحية على النحو التالي:

أوديب	٥١٪	رسول القصر	٥,٥٪
كريون	١٠٪	الرسول الكورنثي	٤,٥٪
يوكاسته	٩٪	كاهن زيوس	٤٪
تيرسياس	٦٪	خادم لايوس	٢٪

الكورس، وقائد الكورس ٨٪

فلنتناول بالتفصيل أدوار كل واحد منهم.

(أ)

أوديب

أوديب بطل مأساوي بائس بأوسع معاني هذا الوصف ـ لقد ظهر لنا في البداية «الأول بين كل بني الإنسان الفانين» (البيت رقم ٣٣، وأشبه الناس بالآلهة (البيت رقم ٣١). لكنه انتهى في الخاتمة فريسة مروّعة للعنة الآلهة: «مصائبي

(١) Georges Hoffmann: Sophocle, Oedipe Roi, p. 91. Paris, Puf, 1990.

تخصّني أنا وحدي، ولا يوجد إنسان واحد فانٍ قد قيض له أن يحتملها» (البيت رقم ١٤١٤ ـ ١٤١٥).

في أيام شبابه كان «قوياً... محبوباً من الجميع ههنا، وإنّا لنتوسّل إليك ساجدين عند قدميك» (البيت ٤٠ ـ ٤١). وفي أيام محنته الأخيرة بقي بالنسبة إلى أهالي ثيبا «هو أوديب النبيل العزيز» (البيت رقم ١٢٠٨).

وهو لم يكن «طاغية» tyran: كما يوحي بذلك العنوان في الأصل اليوناني، لأن شعب ثيبا هو الذي اختاره طوعاً لأنه خلّص هذا الشعب من فظائع الوحش المدعو باسم: «اسفنكس» وكان ذلك بعد وفاة الملك الشرعي لايوس، وكريون، الذي كان يحق له أن يتطلع إلى العرش بعد مصرع الملك الشرعي لايوس، رفض تولي العرش، لأن منصب الملك هدف للمؤامرات فيظل صاحبه في قلق مستمر، ولهذا قال: «فيما يتعلق بي أنا فإنني لم أولد وعندي الرغبة في أن أكون طاغية، بل ولدت وعندي الرغبة في أن أعيش مثل طاغية» (البيت رقم ٥٨٧ ـ ٥٨٨). إن كريون يعيش عيشة هادئة مطمئنة، متمتعاً مع ذلك بسلطة لا خوف معها ولا قلق، بينما كان أوديب وهو ملك يعيش في خوف وقشعريرة، إنه يخشى المؤامرات؛ وقد صار عليه أن ينتقم من قاتل أو قتلة لايوس، كما أمر الوحي بذلك كشرط لتخليص ثيبا من الطاعون والعُقْم. وصار يخشى أيضاً أن يضربه قاتل لايوس «نفس الضربة التي ضرب بها» لايوس (البيت ١٣٩ ـ ١٤٠). ولهذا فإنه ـ بعد أن كشف له العرّاف الأعمى تيرسياس أنه هو، أي أوديب، هو الذي قتل لايوس ـ قال مخاطباً كريون: «أنت القاتل الذي يريد القضاء على حياتي، وأنت الوحي الذي يطمع في مُلْكي» (البيت رقم ٥٣٤ ـ ٥٣٥). وقال صراحة ليوكاسته ـ وهي أخت كريون ـ: «إنه كريون، وهذه هي المؤامرة التي دبّرها ضدي» (البيت رقم ٧٠١).

ويستشيط أوديب غضباً أمام ما زعمه العرّاف تيرسياس بأن أوديب هو قاتل لايوس، ويقول له: «وجودك يثير الاضطراب في أفكاري. اغرب عني، ولا تعذّبني» فيرد عليه تيرسياس فيقول: «أنت الملك (أو حرفياً: الطاغية)، لكن يجب عليك أن ترخّص لي في الرد عليك ردّ الندّ للند. فهذا حقي. أنا لست في خدمتك بل أنا كاهن لوكسياس؛ ولهذا فأنا لست في حاجة إلى رعاية من كريون» (الأبيات ٤٠٦ ـ ٤١٠).

وأوديب في غضبه يخرج تماماً عن طوره، ويكاد يصاب بمسّ من الجنون.

ويعترف هو بذلك حين تحاول زوجته يوكاسته تهدئة ثائرته فيقول: «إن قلقي أكبر مما ينبغي» (البيت ٧٧١ ـ ٧٧٢).

وتتوسل يوكاسته عند أپولون وتقول معتذرة عن تطرف زوجها أوديب في الغضب: «أوديب يدع همومه تزعزع قلبه إلى حد كبير. إنه لا يستطيع الحكم على الأمور الحاضرة بروية وهدوء استناداً إلى الماضي. إنه يستسلم لمحدّثه إن حدّثه عن الشقاء. ونحن جزعون من رؤية أوديب في اضطراب وبلبلة» (الأبيات ٩١٤ ـ ٩٢٣).

ذلك أن أوديب منذ أن عرف ما أنبأ به الوحي، ورواه العرّاف تيرسياس قد صار نهب القلق والمخاوف والبلابل.

وكم وقع الخبر عليه وقع الصاعقة: أن يكون قد قتل أباه (البيت ٩٤٧ ـ ٩٤٨)، وقال بصراحة: «إن الخوف أضلّني» (البيت ٩٧٤).

ويتزايد هذا الجزع لما أن اكتشف أنه قد تزوج أمّه أيضاً. فانتهى به الأمر إلى أن يقول علناً: «أنا في الواقع: مجرم، ومنحدر من مجرمين». (البيت رقم ١٣٩٧).

ولما جاء الرسول الكورنثي بنبأ موت فولوبوس ميتة طبيعية، ورأت يوكاسته في ذلك ما يُسَرّي عن أوديب، الذي كان يُعدّ حتى ذلك الوقت هو ابن فولوبوس، وفي هذه الميتة الطبيعية ما يكذّب أن أوديب سيقتل أباه، فسرعان ما تبدد هذا العزاء لما أن قال خادم لايوس، الشيخ العجوز، إن أوديب: «قد ولد في بيت لايوس... وأنه يقال إنه ابن لايوس»، وإن زوجة لايوس ـ يوكستا ـ هي التي سلمته إلى هذا الراعي وهو طفل ليموت في الخلاء (الأبيات ١١٧٠ وما يليها).

فراح أوديب يندب حظّه ويقول: «أواه! يا مصيري، إلى أية هاوية سقطت؟» (البيت رقم ١٣١١)، ويقول عن نفسه إنه أصبح كارثة بغيضة، ملعوناً بين الملعونين» (البيت ١٣٤٣ ـ ١٣٤٤). وتأكّد له أن من المستحيل عليه أن «تعيش نفسه خارج مصائبها». (البيت ١٣٨٠).

لكنه لم يقتل نفسه للتخلص من هذه المصائب، وكأنما أراد أن يكفّر عن خطاياه حيّاً وأن يتحمل مصيره بصبر وثبات. ذلك أنه أدرك أن مصيره ليس هو الموت، بل الخلود في العذاب. وها هو ذا يقول: «ليس المرض ولا أيّ شيء

آخر في العالم بمستطيع أن يهلكني. لماذا أنقذت في الساعة التي كان عليَّ فيها أن أموت، إذا لم يكن ذلك من أجل أن أعاني الشقاء الرهيب؟ لا يهمّ إذن: فليأخذ مصيري إذن طريقه المقدّر له!» (الأبيات ١٤٥٥ ـ ١٤٥٨).

(ب)

يوكاسته

أما يوكاسته فهي رمز «المرأة البائسة التي أنجبت من زوجها زوجاً لها، ومن أولادها أولاداً لها» (البيت ١٢٤٩ ـ ١٢٥٠): فمن زوجها لايوس أنجبت أوديب، ومن ابنها أوديب أنجبت ولدين وبنتين.

وتبلغ سخرية الأقدار أوجها حين يقول لها هذا الابن الزوج: «أيْ زوجتي العزيزة جداً، يوكاسته، التي أحبّها» (البيت ١٩٥٠).

وكانت يوكاسته متحررة من العقائد الدينية وما يصاحبها من طقوس ووحي ومعنويات. ولهذا كانت لا تؤمن بوحي الآلهة في معابدهم، ولا بنبؤات العرّافين والكهنة العاملين في المعابد، ومن هنا قالت لأوديب: «ستشاهد أنه ليس هناك مخلوق إنساني يملك فن التنبؤ» (الأبيات ٧٠٨ ـ ٧٠٩). وأعلنت لأوديب عن «إخفاق أصوات النبوءات» (البيت ٧٢٣). ولما شاهد أوديب، بناء على ما أخبر به الرسول الكورنثي، أن النبوءة الخاصة بأنه سيقتل أباه قد كذبت لأن أباه، المزعوم آنذاك، وهو فولوبوس قد مات ميتة طبيعية ـ فإن يوكاسته قالت له: «أليس هذا هو ما قلتُه لك منذ زمان طويل؟» (البيت ٩٧٣).

وحاولت عبثاً أن تحمل أوديب على نسيان النبوءة المشئومة، خصوصاً وقد بقي النصف الثاني منها ـ وهو أن أوديب سيتزوج أُمّه ـ ماثلاً بعد يهدد بالتحقق. لكن إصرار أوديب على التحقيق في أمر النبوءة، أدى بعد ذلك إلى اكتشاف صحّة النصف الثاني من النبوءة، وذلك حين شهد خادم لايوس أن زوجة سيّده هي التي سلّمته الطفل الوليد من أجل إهلاكه. فأدركت حينئذ أنها أم زوجها أوديب. فلم يكن أمامها إلا أن تنتحر، فانتحرت بأن شنقت نفسها.

(جـ)

كريون وتيرسياس

أما أخوها كريون فيمثل النفاق، والتملق، والحرص على الحياة الناعمة بمعزل عن كل قلق وإزعاج. ولهذا خلا من كل عنصر مأساوي.

لقد أرسله أوديب لاستشارة الوحي الإلهي في معبد دلف. فلما عاد نصح أوديب باستشارة العرّاف تيرسياس. وجاء تيرسياس، وكان مجيؤه مفاجأة مسرحية من الطراز الأول. لقد اعتصم بالصمت أولاً، فهدده أوديب وأنذره بالويل والثبور إن لم يفصح عن الحقيقة التي وصل إليها بعلمه التنبؤي. فلما أصر تيرسياس على صمته، اتهمه أوديب بأنه متورط في مؤامرة ضده، مؤامرة قد دبّرها كريون للإطاحة به وتولي الملك مكانه.

قال أوديب محتدّاً: «كريون، كريون المُخْلِص، الصديق الدائم، يسعى اليوم بخبث ونذالة إلى الإطاحة بي، إلى طردي من هنا» (الأبيات ٣٨٥ ـ ٣٨٦). فينبري كريون لدفع هذه التهمة عن نفسه؛ محتفظاً في الوقت نفسه بهدوء أعصابه ورباطة جأشه. فقال برزانة وحكمة إنه يتمتع بكل ما يتمتع به الملك من مزايا، دون أن يعاني شيئاً من متاعب المُلْك، فلماذا إذن يفكر في تولي الملك مكانه؟ لكن أوديب لا يصدّق دفاعه قائلاً إن كريون بارع في الثرثرة.

ذلك أن شك أوديب في نزاهة وإخلاص كريون شك قديم. فمنذ المنظر الأول وأوديب يشكو من بطء كريون. وهو بعد ذلك يفترض أن اللصوص الذين قتلوا لايوس عند تقاطع طريقين أحدهما يؤدي إلى دلف إنما هم عصابة كلفها كريون باغتيال لايوس ليستولي هو على المُلْك بعده ـ كما تقول حاشية الشارح اليوناني على هذا الموضع. ثالثاً: حينما راح أوديب يصب اللعنات والتهديدات على قتلة (أو قاتل) لايوس، فإنه لمّح إلى أن منهم من يقيم في القصر ـ وهو يعني كريون. ويقوى اتهام كريون بتدبير هذه العملية أنه كان بحكم مولده مرشحاً لتولي المُلْك بعده. وهذا مبرر آخر كي يفكر في التخلص من أوديب الذي اختاره الشعب للمُلْك، وبهذا فوّت على كريون الفرصة لتولي الملك بعد مصرع لايوس. ولهذا ـ هكذا أفكر ـ فإن مصرع أوديب أو نفيه سيهيئان الفرصة مرة أخرى له كي يتولى الملك.

لهذه الأسباب كلها كان أوديب على حق في اتهام كريون بأنه تواطأ مع العرّاف تيرسياس للإطاحة به.

وقد أبدع سوفقليس كثيراً بإدخاله لتيرسياس في هذا الموضع. فكما قال پاتان في كتابه عن سوفقليس: «كم كان بارعاً إيلاج تيرسياس في هذا الموضوع، تيرسياس الذي كان معاصراً لكل أجيال الجرائم التي توالت في بيت لابراكوس، والذي كان على علم بقرارات القَدَر! إن ظهوره قد زاد في الترويع والاستسرار. وأيّ تقابل بين هذا الأعمى الذي يبصر الأحداث الخفية، وبين هذا الأمير الذي وإن كان ناصع النفس فإنه لم يكن يعرف ذات نفسه! وما هي العلاقة الفريدة التي بها صار العمى الذي انتهره أوديب إرهاصاً وما يشبه السبب في العمى الإرادي الذي جلبه (أوديب) البائس على نفسه؟ إن في هذا علامة على القدر، لم تورد نظيره أية تراجيديا قديمة بنفس الدرجة»[1].

(١) M. Patin: Etudes sur les tragiques grecs: Sophocle, P.170. Paris, Hachette, 1881.

الخلاصة

وخلاصة هذه المسرحية هي أن الطاعون يقصف أعمار أهل مدينة ثيبا التي كان يحكمها آنذاك أوديب. وقد أرسل كريون، أخا زوجته يوكاسته، إلى معبد أپولون في دلف ليستجير الإله في كشف هذه الغُمّة؛ فأوحى الإله بأنه لا وسيلة تكشف هذه الكارثة إلاّ بالكشف عن قاتل الملك السابق: لايوس. وفي هذا السبيل أشار كريون على أوديب باستشارة العرّاف الشهير: «تيرسياس». لكن هذا العرّاف رفض الإخبار بالحقيقة التي اهتدى إليها: فغضب أوديب وتولى هو بنفسه البحث عن القاتل. وبذل في سبيل ذلك كل اهتمام. لكن واأسفاه ويا ويلتاه عليه من هذا البحث: فقد أدى إلى الإمساك به هو وتبيّن الحقيقة الفاجعة وهي أنه هو - أي أوديب - قاتل لايوس، وأن لايوس هو أبوه، وأنه تزوج أمّه التي كانت زوجة أبيه لايوس!

وهكذا دفع القدر المحتوم أوديب إلى اكتشاف ما ارتكبه من جرائم رهيبة لم يرتكبها عن علم ولا بإرادته وهو لهذا بريء منها؛ فأدى به هذا الاكتشاف إلى أن ينتقم بنفسه من نفسه، وأن يعاقب ذاته أبشع عقاب.

عبد الرحمن بدوي

باريس في ٢٢ أكتوبر ١٩٩٤

«أوديبُ ملكاً»

شخصياتُ المسرحيَّة

كاهن يقدّم الأضاحي والقرابين إلى الآلهة	
كريون	
كورس من شيوخ مدينة ثيبا	
تَيرسياس	Τεcρεσiας
يوكاسته	'Ιοκασυτη
رسول	'Αγγελος
خادم لايوس	θεραπων Λαiον
مُخبِر	'Εξαγγελος

[أمام قصر أوديب: جماعة من الأطفال راكعين على درجات العتبة. وفي يد كل واحد منهم غصن زيتون. وكاهن زيوس واقف في وسطهم].

أوديب: يا أطفال، يا ذُرّية قادموس القديم، ماذا تفعلون ههنا راكعين، ومزّينين - في تقوى - بغصون التوسُّل؟ إن المدينة ملأى كلها بأبخرة البخور وأناشيد أپولون الممزوجة بالنواح. ولهذا اعتقدتُ أنه ليس في وسعي أن أترك لغيري مهمة الاستماع إلى ندائكم، فجئت بنفسي إليكم، يا أولادي، أنا أوديب - أوديب الذي لا يجهل اسمه أحد. هيّا، أيها الشيخ اشرح لي: فأنت مؤهّل حقاً للكلام باسمهم. ماذا تقصدون بهذه الهيئة؟ أهي تعبّر عن خوف، أو عن رغبة معينة؟ هيّا! واعلموا أنني مستعد - إن كان ذلك ممكناً - أن أقدّم إليكم معونة كاملة. لا بد أن أكون عديم الإحساس إذا أنا لم أشعر بالشفقة وأنا أراكم هكذا راكعين.

الكاهن: حسن! سأتكلم. يا سلطان بلادي، يا أوديب، أنت تشاهد أعمار هؤلاء المتوسّلين الراكعين أمام هذه المذابح. بعضهم ليست لديه القوة بعد على الطيران بعيداً، والبعض الآخر قد أخنت عليهم الشيخوخة. أما أنا فإني كاهن زيوس. وهم يشكّلون نخبة من الشباب. وكل الباقين من الشعب، وقد تزينوا بزينة التقوى، إنهم راكعون، أو موجودون في الميادين، أو أمام المعبدين المكرسين إلى بلاّس Pallas، أو بالقرب من رماد التنبؤ الخاص باسمينوس[1] Ismenos. إنك تدرك كما تدرك نحن أن ثيبا، وقد أخذتها الأمواج، لم تَعُد قادرة على الاحتفاظ برأسها فوق الموجة القاتلة. إن الموت يصيبها في البذور التي تتكون بها الثمار في

(١) هو ابن أپولون؛ وكان له في ثيبا مذبح عنده كان الرماد يستخدم للتنبؤ بالمستقبل.

تربتها؛ والموت يصيبها في قطعان الثيران، وفي النساء، اللواتي لم يَعُدْن ينجبن[1] حياة. إن إلاهة حاملة مشعل، إلاهة مروّعة كل الترويع، ألا وهي «الطاعون»، قد انقضت علينا، وتغلغلت في مدينتنا، فأفرغت من أهله بيت قادموس، بينما الجحيم الأسود يثري من نواحنا وزفراتنا. صحيح أن: هؤلاء الأولاد وأنا، الراكعين أمام بيتك، لسنا نعدّك مساوياً للآلهة؛ كلا، لكننا نعدّك الأوّل على جميع الفانين في شؤون وجودنا والظروف التي أوجدتها الآلهة. وكان يكفي أن تدخل قديماً في هذه المدينة، مدينة قادموس، من أجل إعفائها من الجزية التي كانت تدفعها آنذاك إلى المطربة[2] المروّعة. ومع ذلك فأنت لم تتعلم شيئاً من فم أيّ واحد منّا، ولم تتلقَّ أي درس. وإنما بمعونة أحد الآلهة ـ الكل يقولون هذا ويعتقدونه ـ استطعت أن تنهض بنا. وها نحن هذه المرة أيضاً، أي أوديب العزيز، المحبوب من الجميع ههنا، نحن نتوسل إليك راكعين عند قدميك. اكتشف لنا معونة. ولا يهم هل يعلمك في هذا صوت إله، أو واحد من الناس الفانين. إن الناس المحنّكين هم أيضاً أولئك الذين تتوج بالنجاح غالباً نصائحهم. أجَلْ، انهض بمدينتنا، فأنت أفضل بني الإنسان، نعم، وحذار لنفسك! إن هذا البلد يسمّيك اليوم باسم: المنقذ له، بسبب حميّتك في الماضي لخدمته، فلا تَدَعْه اليوم يعلق به ذكرى حزينة عن حكمك وأنك بعد أن أنهضته قد تركته ينهار. انهض بمدينتنا نهضة تستمر أبداً. لقد أتيتنا بالنجاة في الماضي تحت طالع سعيد: فما كُنته، استمر في أن تكونه. أمّا إذا كان مقدراً عليك أن تحكم هذه البلاد كما تحكمها اليوم، أو ليس الأفضل أن تكون مأهولة أولى من أن تكون خاوية؟ إن المتراس أو السفينة ليسا بشيء، إذا لم يكن هناك رجال لشغلهما.

---

(١) يعني أنه حين تحل اللعنة الإلهية ببلد، فإن الأرض لا تنبت، والمواشي تنفق، والنساء يصرن عقيمات.

(٢) أي: الأسفنكس، وهي وحش مجنّح له رأس امرأة وجسم أسد. وهي بنت آخرنا وتيفون. وقد أرسلتها هيرا إلى ثيبا للانتقام من اختطاف لايوس لخروسيبوس وكان ذلك بمثابة إهانة لإلاهة الزواج. . وكانت تترصد لشباب مدينة ثيبا وهم وحدهم وتلقي عليهم اللغز التالي: ما هو الكائن الذي يمشي أحياناً على قدمين، وأحياناً على أربع، وأحياناً على ثلاث ويتقدم أسرع ما يتقدم إذا مشى على أقل عدد من الأقدام؟ ومن لا يستطيع الإجابة على هذا السؤال كانت تنقضّ عليه وتلتهمه.

أوديب: يا أولادي المساكين! لقد جئتم إليَّ محمّلين بأمانيّ لستُ أجهلها، بل أنا أعرفها كل المعرفة. أنا أعلم أنكم جميعاً تعانون المتاعب؛ لكن أيّاً ما كانت متاعبكم، فليس من بينكم من يعاني من المتاعب أكثر مني أنا. إن متاعبكم أنتم ليس لها غير موضوع واحد: فلكل واحد منكم متاعبه هو الخاصة، هو وحده. أما أنا فإن قلبي يتبين من أجلنا ثيبا كلها، من أجلكم ومن أجلي أنا، من أجلنا نحن جميعاً. أنتم لا توقظون إنساناً غلب عليه النوم. بل على العكس عليكم أن تعلموا أنني ذرفت الكثير من الدموع، وأطلت الحبل مديداً لتفكيري المهموم. والعلاج الوحيد الذي استطعت أن أكتشفه بعد طول التأمل، قد استعملته دون إبطاء. لقد أرسلت ابن منكيا[١]: كريون، عديلي إلى فونو Pyllo عند فوبوس[٢] Phoebos لأسأله ماذا ينبغي عليَّ أن أقول أو أفعل من أجل إنقاذ مدينتنا. بل إن هذا اليوم الذي نحن فيه، حينما أقارنه بالزمان الماضي، يقلقني: ماذا حدث لكريون؟ إن مدة غيابه تجاوزت المدة المعتادة تجاوزاً أكثر مما هو طبيعي. لكن حين يصل، فإنني سأكون مجرماً إذا أنا رفضت العمل بما أعلنه الإله.

الكاهن: لا يُحسن بك أن تستمر في الكلام: فإن هؤلاء الأولاد يشيرون إليَّ بأن كريون قادم هناك.

أوديب: آه، لو استطاع، يا أبولون العزيز، أن يأتينا بما يمكّن من إنقاذ ثيبا، كما يلوح من سيماء وجهه المشرق!

الكاهن: يمكن على الأقل أن نعتقد أنه راضٍ، وإلاّ لما كان يسير هكذا وجبينه مزيّن بتاج عريض من الغار المُزيّف:

أوديب: سنعلم كل شيء. ها هو ذا الآن، على مدى أصواتنا، أيها الأمير، يا صهري العزيز، يا ابن منكيا، بأي جواب من الإله أحضرت إلينا إذن؟

(كريون يدخل من الناحية اليسرى).

كريون: بجوابٍ سعيد. صدّقني، إن أسوأ الأمور، حين تتخذ طريقاً حسناً،

---

(١) كريون Creon هو حفيد بنثيا Pentheé، وينحدر مباشرة من قادموس، مؤسس مدينة ثيبا؛ - وهو أخو يوكاسته.

(٢) أي «الساطع» وهي صفة من صفات أبولون.

فإن من الممكن أن تنقلب إلى سعادة.

أوديب: لكن ما هو بالدقة هذا الجواب؟ إن ما تقوله لا يبعث الطمأنينة في نفسي، وإن كان لا يزعجني.

كريون: أتريد أن تسمع مني أمامهم؟ أنا مستعد للكلام. أو تفضل أن ندخل؟

أوديب: هيّا، تكلم أمامهم. إن مصابهم يُثْقِل عليَّ أكثر من الهمّ الذي يصيبني أنا شخصياً.

كريون: إذن، ها هو ذا الجواب الذي أُعْطِي لي باسم الإله. إن المولى فوبوس يأمرنا أمراً صريحاً بأن نطهر النجاسة التي في هذا البلد، وألا ندعها تنمو حتى تصير غير قابلة للعلاج.

أوديب: نعم. لكن كيف نطهّر أنفسنا منها؟ وما طبيعة هذا الداء؟

كريون: بطرد الجناة، أو بإرغامهم على أن يدفعوا القتل بالقتل لأن الدم الذي يتكلم عنه هو الذي يحدث الاضطراب في مدينتنا.

أوديب: لكن من هو إذن الإنسان الذي يعلن الوحي عن موته؟

كريون: هذا البلد، أيها الأمير، كان يتولى الحكم فيه لايوس فيما مضى، قبل الوقت الذي توليت أنت الحكم فيه.

كريون: إنه مات، والإله يأمرنا اليوم صراحةً بأن ننتقم له وأن نعاقب من قتلوه.

أوديب: لكن، أين هم؟ أنّى لنا أن نعثر اليوم على أثر مشكوك فيه لهذه الجريمة العتيقة؟

كريون: إن الإله يقول أنهم في مدينتنا هذه. وما يبحث عنه المرء، يَجِدْه؛ وما يُهمله، يُفْلِت.

أوديب: هل قُتِل لايوس في قصره، أو في الريف، أو خارج البلاد؟

كريون: لقد غادرنا من أجل استشارة الوحي، هكذا قال. لكنه لم يَعد إلى قصره منذ أن غادره.

أوديب: ألم يمكن الحصول على معلومات من رسول أو رفيق طريق شاهد المأساة؟

كريون: كلهم ماتوا، باستثناء شخص واحد، وقد هرب وهو مذعور ولم يستطع أن يروي عما شاهد غير شيء واحد فقط.

أوديب: وما هو هذا الشيء؟ إن جزئية واحدة يمكن أن توضح جزئيات أخرى كثيرة، لو أنها تقدم لنا أدنى سبب للأمل.

كريون: لقد زعم أن لايوس التقى بقطّاع طرق وسقط صريع هجوم عصابة، وليس صريع ذراع شخص واحد.

أوديب: وهل كان في وسع قُطّاع طرق أن يتجاسروا على مثل هذا الفعل، لو لم تكن المؤامرة قد دبّرت ههنا ودُفِع عنها ذهباً؟

كريون: هذا هو فعلاً ما ظنه كل إنسان؛ لكن وقد مات لايوس فإنه لم يتقدم من يدافع عنه ونحن في محنتنا.

أوديب: وأية محنة يمكنها إذن أن تمنعكم، وقد انهار عَرْشٌ، من الكشف عن أسرار هذا الحادث؟

كريون: إنه الاسفنكس ذو الأغاني الغدّارة، الاسفنكس الذي أرغمنا على أن نترك ما أفلت منّا، من أجل أن نواجه الخطر الماثل تحت أنظارنا.

أوديب: إنني؛ سأتولى أنا هذا الأمر مبتدئاً من بدايته وسأعمل على توضيحه إن فوبوس قد أحسن صنعاً، وأنت أحسنت صنعاً - بأن أبديتما هذا الاهتمام بالميّت. ومن العدل أن تجدا العون عندي. سأتولى أنا قضية ثيبا وقضية الإله معاً. وليس من أجل أصدقاء بعيدين، بل من أجلي أنا سأعمل على أن أطرد هذه النجاسة من ههنا. وأيّاً مَنْ كان القاتل، فمن الممكن أن يريد أن يصيبني بضربة مماثلة لهذه. إنني حين أدافع عن لايوس، فإنني إنما أخدم نفسي. فانهضوا إذن دون إبطاءٍ أيها الأولاد من هذه الدرجات واحملوا هذه الأغصان المتوسلة. وليجمع إنسانٌ آخر ههنا شعب مدينة قادموس. وبالنسبة إليّ أنا مستعد لعمل كل شيء، وإذا أعانني الإله، فلا شك أنني إما أن أنتصر وإما أن أهلك.

(يدخل في القصر مع كريون).

الكاهن: لننهض أيها الأولاد، ما دام ما جئنا لطلبه ههنا قد وعدنا به الملك. وليأت فوبوس (= أپولون) الذي أرسل إلينا هذا الوحي لينقذنا الآن ويضع حداً لهذا البلاء.

(الأولاد يخرجون بصحبة الكاهن. الكورس المؤلف من الشيوخ يدخل).

الكورس: يا كلمة زيوس الحلوة، بماذا جئت من فوثو الثرية إلى مدينتنا العظيمة ثيبا؟ ها هي ذي نفسي التي يشدّها القلق، ترتعد من الخوف. أيها الإله الذي يُذعن بنبرات حادّة، إلىٰ إله ديلوس Delos، الإله الشافي، حينما أفكر فيك فإني أرتعد: ماذا ستطلب منّا؟ التزامٌ جديد؟ أو التزامٌ منسيٌّ ينبغي تجديده على مرّ السنين؟

بهذا خبريني، أيتها الكلمة الأزلية الأبدية، يا ابنة الأمَل الساطع. أنت التي أدعوها أولاً، أنت يا ابنة زيوس، أي أثينا الخالدة؛ وكذلك أختك أرتميس، ملكة هذه الأرض، يا من يكوّن ميدان ثيبا المستدير[1] عرشه المجيد، ومعك فوبوس القوّاس، هيّا! أنتم الثلاث معاً؛ أيتها الآلهات الحافظات، ابرُزْن لندائي! في الماضي حين كانت أية كارثة تهدد مدينتنا، فإنكن استطعتن أن تبعدن عنها شعلة البلاء، فاهرعن اليوم أيضاً لإنقاذها!

آه! إنني أعاني آلاماً لا حصر لها. إن كل شعبي فريسة للبلاء، وفِكْري لا يملك سلاحاً يمكننا من الدفاع. ثمار هذه الأرض النبيلة لم تَعُدْ تنضج على الضوء، ولم تعد المواليد السعيدة تتوج العمل الذي ينتزع الصراخ من النساء. ومن الممكن رؤية أهالي ثيبا، الواحد تلو الآخر، مثلهم مثل الطيور ذوات الأجنحة، وهم أسرع من الشعلة المنطلقة ـ يتدافعون نحو الشاطىء حيث إله «المغرب»[2].

والمدينة تموت مع هؤلاء الموتى الذين لا حصر لهم. ولا رحمة لأبنائها الراقدين على الأرض: إنهم بدورهم يحملون الموت، ولا أحد ينوح عليهم. والزوجات والأمهات ذوات الشعر الأبيض، كلهن يتدافعن من كل مكان أمام المذابح، متوسلات، باكيات مِن آلامهن الرهيبة. ونشيد أبولون ينطلق، مصحوباً بجوقة من الزفرات.

نَجّينا، يا ابنة زيوس الساطعة، عجلي بنجدتك الشعشعانية؛ إن «آرس» Ares

---

(١) في ميدان ثيبا كانت تعبد أرتميس ذات المجد.

(٢) أي: هادس Hades، الجحيم، العالم السفلي.

المتوحش يتخلى هذه المرّة عن الترس البرونزي[١]، وجاء مشمولاً بضجة هائلة ليهاجمنا ويهلكنا.

آه! ليته يدير وجهه ويعود أدراجه بأقصى سرعة، أو حتى في المقام الفسيح لامفتريت[٢] Amphitrite، أو حتى أمواج تراقيا التي لا يظهر فيها أي شاطىء مضياف!

إذا كان الليل قد ترك شيئاً يُغمَل، فإن النهار سيأتي ليتمّ مهمته. يا زيوس الأب، يا سيد البرق المشتعل ـ أَطْلِق صواعقك على هذا القاسي، واسحقه!

وأنت أيضاً، يا إله[٣] لوقيا Lycia، أود أن أشاهد السهام تنطلق من قوسك الذهبية وتنتشر، لا يقهرها شيء، من أجل نجدتي، وحمايتي، في نفس الوقت مثل هذه المشاكل التي ضوؤها يضيء أرتميس حينما تعدو واثبةً خلال جبال لوقيا.

وأهيب أخيراً بالإله ذي التاج الذهبي، هذا الذي أعطى اسمه[٤]، لبلادي إنه، باخوس ذو الوجه الفرقيري، رفيق الميناداات الشاردات! آه! فليأتِ، مستضيئاً بشعلة ملتهبة، كي يهاجم الإله المسلوب الشرف بين الآلهة!

(أوديب يخرج من القصر ويخاطب الكورس من أعلى العتبة).

أوديب: إني أسمع دعواتك، وهأنذا أجيبك على هذه الدعوات. تعلّم الإصغاء، والتقط نصائحي، ووطن نفسك على الامتثال لأوامر البلاء ـ تَنَلْ الراحة وما تنتظره من تخفيف لآلامك. إني أتكلم هنا بوصفي إنساناً لا شأن له بالتقرير[٥] الذي سمعه، ولا علاقة له بالجريمة نفسها، التي لن يتقدم التحقيق فيها شوطاً بعيداً، إن ادعى القيام به وحده، دون أن يملك أقل دليل. وحيث أنني في الواقع واحد من بين آخر المواطنين المسجلين في هذه المدينة، فإنني أتوجه إليكم أنتم، وإلى كل أهالي قادموس بهذا النداء، الجادّ:

---

(١) آرس، إله الحرب قد استعمل الآن الطاعون بدلاً من أسلحة الحرب.

(٢) من المحتمل أن يكون المقصود «بالمقام الفسيح لامفتريت» هو المحيط الأطلسي.

(٣) مقاطعة في الجنوب الغربي لأسيا الصغرى.

(٤) ولد الإله ديونسيوس (باخوس) في ثيبا، ولهذا سميت أرضها: «أرض ديونسيوس».

(٥) أي ما قاله كريون عن استشارة أبولون في فوثو.

«مَنْ منكم يعلم بأيّ ذراع قُتِل لايوس، ابن لابداكوس، أنا آمره بأن يكشف عن كل شيء. فإن كان يخشى على نفسه، فليحرر نفسه دون ضجيج[1] من التهمة التي تثقل كاهله: إنه لن يلقى أية متاعب وسيرحل من ههنا في أمان تام. وإن كان يعلم أن القاتل شخص غيره ـ أو شخصاً مولوداً في بلد آخر ـ فلا يعتصمن بالصمت، وسأدفع له ثمن ما يكشف عنه، وأضيف إلى ذلك عرفاني جميله هذا. أما إذا أردتم البقاء صامتين وإذا تهرّب واحد منكم، خوفاً منه على آخر من أهله أو على نفسه، فاعلموا ماذا سأفعل في هذه الحالة. أيّاً من كان الجاني، فإني أمنع الجميع، في هذا البلد الذي لي فيه العرش والسلطان، من أن يستقبلوه، أو يتكلموا معه، أو أن يعطوه أية نقطة من ماء الشعائر الدينية. وأريد من الجميع أن ينبذوه خارج بيوتهم بوصفه نجاسة في بلدنا: إن الوحي الجليل في فوثو قد أفصح لي عن هذا منذ قليل. هكذا أنوي أن أخدم الإله وهذا القتيل. وسأجعل الجاني سواء أكان قد ارتكب جريمته وحده دون أن يكشف عن نفسه، أو بالاشتراك مع غيره ـ سأجعل الجاني يحيا حياة بائسة لاسرور فيها. وإذا تصادف أنني استقبلته في بيتي وأنا عالم بذلك، فإني أُسْلِم نفسي بنفسي إلى كل العقوبات التي أتيت على ذكرها في أوامري بالنسبة إلى الآخرين. كل هذا أدعوكم إلى فعله معي، من أجل أپولون، ومن أجل هذه الأرض التي تموت، وقد حُرِمت من المحاصيل، ونسيتها آلهتها».

(ينزل أوديب متجهاً نحو الكورس وبلهجة أكثر تلطفاً، لكن بحرارة وامتاع شيئاً فشيئاً يقول:)

أجل، وحتى لو لم تبلّغوا برأي الآلهة هذا، فإنه لم يكن من اللائق بكم أن تتحملوا مثل هذه الوصمة. إن أفضل الملوك قد هلك: ولا بد من التحرّي العميق. إنما في هذه الساعة أَجِد نفسي أنني أملك السلطة التي كانت عنده قبلي أنا، وأملك سريره، وأملك المرأة التي جعل منها أُمّاً؛ واليوم كنا سنكون شركاء في الأولاد لو لم يُطِح الشقاء بسلالته؛ لكن كان محتوماً أن ينقض المصير على رأسه. وسأناضل أنا من أجله، كما لو كان هو أبي. وسأستخدم في هذا كل الوسائل، وأنا أتحرّق إلى القبض على مرتكب هذا القتل، قاتل ابن لبداكوس

(١) أوديب يقترح على الجاني أن يختفي وأن يحرر بهذا أرض ثيبا من النجاسة التي تسببت في حدوث وباء الطاعون.

Labdacos، الأمير المنحدر من پوليدور Polydore، من قادموس القديم، من أجينور[1] العتيق وفيما يتعلق بكل أولئك الذين سيمتنعون من تنفيذ أوامري، فإني سأطلب من الآلهة ألا يسمحوا بخروج محاصيل من أراضيهم، وبإنجاب أبناء من زوجاتهم، وسأطلب من الآلهة أن يهلكوهم جميعاً بالداء الذي نموت منه، إن لم يكن بداءٍ شرّ منه. أما أنتم أيها القادموسيون جميعاً يا من ستطيعون أوامري، فإني أتمنى لكم أن تكون العدالة معونة وصاحبة لكم، وكذلك الآلهة، إلى أبد الآبدين!

قائد الكورس: لقد أختلبتني في قيود لعناتك، أيها الملك: لهذاسأخاطبك بحسب ما تقضي هي به. إنني لم أرتكب هذا القتل؛ ولا أستطيع أيضاً أن أرشد إلى القاتل. لكن كان على فوبوس (= أپولون) حين أجابنا أن يخبرنا بما تبحث عنه، أي: اسم القاتل.

أوديب: أنت تقول الحق؛ لكن هل يوجد أحد يستطيع أن يرغم الآلهة على أن تفعل ما لا تريد أن تفعله؟

قائد الكورس: أود حينئذ أن أقترح عليك رأياً آخر.

أوديب: بل ورأياً ثالثاً، إن شئت؛ ولا تتردد في الكلام.

قائد الكورس: مثل المولى أپولون، فإن السيّد تيرسياس يملك مذهبه التنبؤ بالغيب. فإن لجأنا إليه للقيام بهذا البحث عن الجاني، فسنعرف حقيقة الأمر بكل دقة.

أوديب: لكني لم أهمل هذه الوسيلة هي الأخرى. إن كريون كلمني عنه. فبعثت على الفور برسولين إلى هذا العرّاف. ويدهشني أنه لم يأتِ بعدُ إلينا ههنا.

قائد الكورس: لنقل خيراً في الأمر، فكل الباقي لا قيمة له: كلام في الهواء وأباطيل.

أوديب: أيّ كلام؟ لا شيء مما يقال لن أعمل على مراقبته وضبطه.

قائد الكورس: قالوا إن مسافرين آخرين قتلوه.

---

(١) Agenor: لما اختطف زيوس ـ كبير الآلهة ـ أوروبا، ابنة أجنور الفينيقي، فإنه بعث أولاده للبحث عنها، ومنهم قادموس، الذي قام بتأسيس مدينة ثيبا في بلاد اليونان؛ وأنجب ولداً هو پوليدور، وهذا أنجب لبداكوس، جد لايوس.

أوديب: سمعت أيضاً هذا الكلام. لكن الشاهد الذي ربما شاهد الواقعة لا يراه أحدٌ بعدُ ههنا.

قائد الكورس: لكن الجاني، مهما يكن بمعزل عن الخوف فإنه أمام تهديداتك لن يستطيع الصمود.

أوديب: من لا يخشى من فعل، فبالأحرى لا يخشى من كلمة.

قائد الكورس: لكن ثم شخص يستطيع أن يفضحه: فها هوذا العرّاف الجليل قادماً، وهو الوحيد بين الناس الذي يحمل في صدره الحقيقة!

(يدخل تيرسياس، يقوده طفل ويصحبه عبدان من عبيد أوديب).

أوديب: أنت يا من تفحص كل شيء، أي تيرسياس، سواء ما يُعَلَّم وما يبقى ممنوعاً على الشفاه الإنسانية، وما هو في السماء وما يمشي على الأرض، ومهما تكن أعمى فإنك مع ذلك تعلم أيّ بلاء أصاب ثيبا. ونحن لا نعرف أحداً غيرك، يا سيدي، يستطيع أن يحمينا من هذا البلاء وأن ينقذنا منه. حين استشير فوبوس - إن كنت لم تعرف ذلك من رُسُلنا - أشار علينا هكذا. ليس لدينا غير وسيلة واحدة لتخليص أنفسنا من هذا البلاء هي: أن نعثر على قتلة لايوس، وأن نهلكهم بعد ذلك أو ننفيهم عن البلاد. فلا ترفض ما توحي به الطيور من آراء، ولا أيّ مسلك يدعو إليه علم التنبؤ، وانقِذ نفسك، ووطنك وانقذني أنا أيضاً، وانقذنا نحن من كل نجاسة يمكن أن يَصُبّها علينا الميّت. إن حياتنا بين يديك. بالنسبة إلى الإنسان لا توجد مهمّة أنبل من مساعدة الآخرين بقدر طاقته ووسائله.

تيرسياس: واأسفاه! واأسفاه! إنه لأمر فظيع أن يعلم الإنسان أنه لا يفيد العلم شيئاً لمن يملكه! إني لم أجهله؛ لكني نسيته. ولولا هذا لما جئتُ[1].

أوديب: ما هذا؟ ولماذا كل هذا الاضطراب بسبب فكرة المجيء؟

تيرسياس: هيّا، دعني أَعُد إلى بيتي؛ لو أصغيت إليّ فستكون متاعبنا أقل: أنا في حمل مصيري، وأنت في حمل مصيرك.

---

(١) لما كان تيرسياس يعرف الخطر الذي يهدد أوديب، فإنه يودّ أن يكون قد أطاع دعوة الملك أوديب حين دعاه.

أوديب: ماذا تقول؟ ليس من الطبيعي ولا مما يقتضيه الحب الذي يجب عليك أنِ تُكِنه لثيبا، أُمّك أن تحرمها من الوحي.

تيرسياس: آه! ذلك لأنني أراك أنت لا تقول ما ينبغي أن يقال؛ ولما كنتُ أنا أخشى أن ارتكب، بدوري، نفس الخطأ.

أوديب: لا، بحق الآلهة! إن كنت تعلم، فلا تنصرف عنّا. نحن جميعاً ههنا نتوسل إليك ساجدين.

تيرسياس: ذلك لأنكم جميعاً، جميعاً، تجهلون. لا، لا تنتظر منّي أن أكشف عن شقائي - إن لم أقل: عن شقائك أنت.

أوديب: كيف أنت تَعْلم، ولا تريد أن تقول شيئاً؟! أو لا تدرك أنك بهذا تخوننا وتضيّع وطنك؟

تيرسياس: لا أريد أن أسبّب لك الغمّ، ولي أنا. لماذا تطاردني عبثاً هكذا؟ لن تَعْلم مني شيئاً.

أوديب: وهكذا - يا شرّ الأشرار، لأنك تثير ثائرة الصخر - وهكذا أنت لا تريد أن تقول شيئاً، وتدّعي أنك لا تتأثر، وعنيد إلى هذه الدرجة؟

تيرسياس: أنت تلومني على عنادي الشديد، بينما أنت لا تستطيع أن تشاهد العناد الشديد الذي يرقد في نفسك، وبعد ذلك أنت تلومني!

أوديب: ومَنْ لا يستشيط غضباً لدى سماعه من فمك كلماتٍ هي إهانات بالغة لهذه المدينة؟

تيرسياس: ستأتي المصائب وحدها من تلقاء نفسها: ولا يهمّ أن أصمت وأسعى لإخفائها!

أوديب: لكن إذا كانت لا بد أن تحدث، فهل ينبغي عليك ألا تخبرني بها؟

تيرسياس: لن أقول أكثر من هذا، وافعل بعد هذا ما يحلو لك! وأطلق لغضبك العنان إلى أبعد مدى!

أوديب: ليكن! في حالة الغضب التي أنا فيها لن أخفي شيئاً مما يخيّل إليّ. اعلم إذن أنه في نظري أنت الذي دبّرت الجريمة وأنت الذي ارتكبتها، فيما عدا أن

ذراعك ليس هو الذي ضَرَب. لكن لو كانت لك عِينان، لقلتُ إنك أنت أيضاً، أنت وحدك، الذي قمت بهذه الجريمة.

تيرسياس: صحيح؟ إذن أنا آمرك أن تلتزم بالأمر الذي أصدرته أنت بنفسك، وألا تتكلم بعد عن هذا اليوم مع أيّ إنسان كائناً مَنْ كان، ولا معي أنا، ولا مع هؤلاء الناس. واعلم إذن أنك أنت هو المجرم الذي نجّس هذا البلد!

أوديب: ماذا؟ هل بلغت بك الوقاحة إلى حد أن تنطق بهذه الكلمة! لكن كيف تظن أنك ستفلت بعد هذا؟

تيرسياس: أنا سأبقى خارج نطاق اعتداآتك، إذ في داخل نفسي تحيا قوة الحق.

أوديب: ومن الذي عَلّمك الحق؟ قطعاً ليست هي صناعتك.

تيرسياس: إنه أنت، لأنك دفعتني إلى الكلام رغماً عنّي.

أوديب: لتقول ماذا؟ كَرّر ما قلت، حتى أعرفه على نحوٍ أفضل.

تيرسياس: ألم تفهم إذن؟ أو أنت تختبرني كيما تجعلني أتكلم؟

أوديب: ليس بدرجة كافية كي تجعلني أقول إنني فهمت جيداً. هيّا. كَرّر مرة أخرى.

تيرسياس: أقول إنك أنت القاتل المطلوب العثور عليه.

أوديب: آه! لن تكرر هذه الشناعات دون أن تنال العقاب!

تيرسياس: وهل ينبغي عليّ أيضاً كي أزيد في غضبك؟

أوديب: قُلْ ما تشاء؛ فكلامك سيذهب هباءً.

تيرسياس: إذن أقول: بأنك ـ دون أن تدري ـ تعيش في تعامل شائن مع أقرب أهلك إليك، دون أن تعلم إلى أية درجة من الشقاء وصلت.

أوديب: أتظن أنك تستطيع أن تقول أكثر من هذا دون أن يكلّفك هذا شيئاً؟

تيرسياس: نعم، إذا كانت الحقيقة تملك بعض القوة.

أوديب: عند غيرك، لا عندك أنت. كلا، ليس عند أعمى: روحه وأذنان مغلقة مثل عينيه.

تيرسياس: لكنك أنت أيضاً، لست إلاّ شقياً، حينما توجّه إليَّ إهانات سيوجّه إليك مثلها عما قريبٍ هؤلاء الناس.

أوديب: إنك أنت لا تعيش إلاّ من الظُّلمات. فكيف تستطيع إذن أن تؤذيني أنا أو أيّ إنسان مثلي يبصر ضوء النهار؟

تيرسياس: لا، ليس مقدراً عليَّ أن أنهار تحت ضرباتك: إن أپولون لن يصعب عليه أن يجعلك تدفع ثمنها.

أوديب: هل هو كريون أو أنت هو الذي اخترع هذه الكارثة؟

تيرسياس: ليس كريون هو الذي يُضَيّعك، بل أنت نفسك.

أوديب: آه! أيتها الثروة، وأيها التاج، وأيها العلم الذي يفوق كل علم آخر - إنك لا شك تجعلين الحياة جديرة بأن تُحسَد. لكن كم من صنوف الحَسَد تحتفظين بها عندك! إذا صحّ أنه من أجل هذا السلطان، الذي وضعته ثيبا في يدي، دون أن أكون أنا قد طلبته - فإن كريون، كريون المُخلص، صديقي الدائم - يسعى اليوم بخبثٍ إلى التآمر عليَّ وطردي من ههنا، وكان من أجل هذا قد رشا هذا المتنبىء الكاذب، هذا المدبّر الخطير للمؤامرات، هذا النصّاب الخبيث، الذي عيناه مفتوحتان على المكاسب، لكنهما مغلقتان تماماً عن صناعته. وإلاّ فقُلْ لي متى كنت عرّافاً صادقاً؟ لماذا حينما كانت المطربة المروّعة[1] بين أسوارنا - لم تَقُل لهؤلاء المواطنين الكلمة التي كانت ستنجّيهم؟ ولم يكن في وسع أيّ إنسان أن يحلّ اللغز: لقد كان لا بد لذلك من عرّاف. هذا الفن أنت لم تُظْهِر أنك تعلمته لا من الطيور ولا من أحد الآلهة! ومع ذلك فهو أنا أوديب، الجاهل بكل شيء، أنا وحدي الذي أغلقت فَمَه ببديهتي وحدها، دون أن أعرف شيئاً عن التنبؤ بالغيب. هذا هو الرجل الذي تسعى اليوم إلى طرده من ثيبا! ويخيّل إليك الآن أنك ماثل بالقرب من عرش كريون؟ إن هذا المسعى يمكن أن يكلّفك غالياً أنت ومن حَاك المؤامرة. لو ظهرتَ لي بمظهر الرجل العجوز لتلقيت درساً مكافئاً لمُكْرك.

قائد الكورس: يلوح لنا نحن أنه لو كانت كلماته إنما أملاها الغضبُ، فالأمر كذلك أيضاً بالنسبة إلى كلماتك أنت، ونحن لسنا في حاجة ههنا إلى مثل هذه

(١) الاسفنكس.

الكلمات كيف نحلُّ إذن وَحْي أپولون على أحسن وجه؟ هذا فقط هو ما علينا أن نفحص عنه.

تيرسياس: أنت تحكم؛ لكنّ لي أنا أيضاً حقي الذي يجب عليك أن تعرف به، حقي في أن أجيب بدوري على كلامك نقطة نقطة، وهو حقي الذي لا مُشاقّة فيه، أنا لست تحت إمرتك، وإنما تحت إمرة لوكياس[1]؛ ولهذا فليس لي أن أهيب إن برعاية كريون. وهاك ما أريد أن أقوله لك: أنت تأخذ عليّ أنني أعمى؛ ولكنك أنت، يا من ترى، كيف لا ترى في أية درجة من الشقاء أنت الآن وتحت أيّ سقف تعيش، ومَنْ تعاشر؟ هل تعلم فقط مَنْ أنجبك؟ أنت لا تدرك أنك بلاء على أهلك، وأنك في الجحيم وأنت على الأرض وعمّا قليل ستطردك من هنا ـ كأنها سَوْطٌ مزدوج ـ لعنةُ أبٍ وأمّ لعنة تقترب منك مروِّعة. أنت ترى النور: لكنك عما قليل لن ترى إلاّ الظلام. أية شواطىء لن تملأها حينئذ بصرخاتك؟ ـ أيّ قيثرون[2] لن يردد إذن صداها؟ ـ حينما تدرك أي شاطىء موحش كان بالنسبة إليك الزواج الذي أنزلتك فيه رحلة سعيدة جداً! وأنت لا تتبصّر سيل الكوارث الجديدة التي ستهبط بك إلى مرتبة أولادك! وبعد هذا، اذهب، وسُبَّ كريون، وسُبَّ تنبؤاتي: لم يطحن القَدَر أحداً بقسوة أشد مما سيفعله القدر معك.

أوديب: آه هل يمكن أن احتمل سماع كلام من هذا النوع؟ اذهب إلى الشقاء، وبسرعة! أدر ظهرك لهذا القصر، وبسرعة! ابعُدْ عن هنا! اذهب!

تيرسياس: ما كنت سآتي إليك من تلقاء نفسي؛ بل أنت وحدك الذي دعوتني.

أوديب: وهل كان في استطاعتي أن أعلم أنك لن تقول إلاّ تُرّهات؟ إذن لما كنت استدعيتك إلى هنا.

تيرسياس: إذن أنا أبدو لك على شكل أحمق؟ وعلى ذلك فإنني كنت حكيماً عاقلاً في نظر أقربائك.

---

(١) Lokias: معناه اللغوي باليونانية: المائل، الملتوي، وهو من ألقاب أپولون ربما لأن وحيه غامض مشكك.

(٢) قيثرون: جبل في شعابه قيد أوديب وهو طفل لتلتهمه الوحوش وكواسر الطيور.

أوديب: أي أقرباء؟ توقف عند هذا. ابنُ مَنْ أنا؟

تيرسياس: هذا اليوم سيجعلك تولد وتموت في آنٍ معاً.

أوديب: ألا تستطيع إذن أن تستخدم إلاّ الكلمات الغامضة والألغاز؟

تيرسياس: ماذا! أو لست بارعاً في حل الألغاز؟

أوديب: اذهب! لمني إذن على سرّ عظمتي.

تيرسياس: لكن نجاحك هو نفسه الذي سيُضَيِّعك.

أوديب: ما دمت قد وجدتّ المدينة، فماذا يهمني من الباقي؟

تيرسياس: إذن، أنا ذاهب. يا أيها الولد، خُذْ بيدي..

أوديب: نعم، ليأخذنّ بيدك! إن حضورك يضايقني ويُثْقِل عليَّ. في وسعك أن ترحل، ولن آسف على ذلك.

تيرسياس: أنا ذاهب، لكنني سأقول أولاً ما من أجله جئتُ[1] هنا. إن وجهك لا يخيفني؛ ولست أنت الشخص الذي تستطيع أن تهلكني. سأقول الحقيقة في وجهك: إن الشخص الذي تبحث عنه منذ بعض الوقت بكل هذه التهديدات وهذه الإعلانات الخاصة بقتل لايوس.. هذا الشخص موجود ههنا. هم يعتقدون أنه أجنبي استقر في هذه البلاد: ولكن سينكشف أنه ثيباوي حقيقي. وليست هذه المغامرة هي التي ستجلب إليه فرحة كبيرة. لقد كان يبصر ولكنه منذ هذا اليوم سيكون أعمى وقد كان ثريّاً، لكنه سيكون شحّاذاً، وسيتحسّس الطريق أمامه بعصاه، وسيسلك الطريق إلى أرض أجنبية. وفي نفس الوقت سينكشف أنه أبٌ وأخٌ في نفس الوقت للأبناء المحيطين به، وأنه زوج وابن معاً للمرأة التي أنجبته، وأنه منافس مرتكب لخطيئة الزنا بالمحارم تجاه أبيه وقاتل لأبيه في نفس الوقت! ادخل قصرك الآن، وتأمّل في نبؤاتي هذه؛ وإذا وثقت أنني كذبتُ، فبودي حينئذ أن تقول إنني أجهل فن العرّافين.

(يخرج، بينما أوديب يدخل قصره).

---

(١) في هذا المنظر ما يذكّر بالجدال بين تيرسياس وكريون في مسرحية «أنتيجونا» (١٠٤٨ ـ ١٠٩٠).

الكورس[1]: من ذا الذي قال في دلف إن صخرة التنبؤات قد ارتكبت بيدها الدامية جرائم تجاوزت كل الجرائم؟

هذه هي الساعة التي عليه فيها أن يحرّك ـ وهو هارب ـ رُكَباً أقوى من ركَب هذه الأفراس التي تسابق وفد الريح.

لقد انطلق عليه ابن زيوس، متسلحاً بالشعلات والبروق وفي آثاره تجري آلهات[2] الموت، هذه الآلهات الرهيبة التي لم تفلت منها فرائسها أبداً.

لقد بزغت ساطعةً الكلمة المنبثقة من جبل البرناس[3] المكلل بالثلوج. وهي تريد أن يعقب كل إنسانٍ أثَرَ الجاني المشكوك فيه.

ها هو ذا مارداً في الغابة البريّة، بين الكهوف والصخور، مثل ثور[4].

هو وحيد بائس في هربه الرهيب، يسعى إلى الإفلات من النبوآت الصادرة من مركز الأرض. لكنها ماثلة دائماً هناك، تحوّم طائرة حواليه.

لا شك في أن العرّاف الحكيم يثير في نفسي الاضطراب بشكل مُذهل. إني لا أستطيع أن أصدّقه ولا أن أكذّبه. ماذا أقول؟ لست أدري إني أتطير مع رياح مخاوفي، ولا أرى شيئاً أمامي ولا خلفي.

أية شكوى يمكن أن توجد، سواء في نفس اللبداكين وفي نفس ابن پوليبوس[5]؟ لا في الماضي، ولا في الحاضر.

إني لا أجد أيّ دليل يرغمني على إعلان الحرب ضد السمعة الوطيدة لأوديب وعلى أن أنصّب نفسي ـ باسم اللبداكين، آخذاً بالثأر عن جريمة قتل مشكوك فيها.

لكن، إذا كان زيوس وأپولون متبصّرَيْن وعالمين بمصائر الفانين فهل

---

(١) مختصر ما يقوله الكورس هو: أنا أشك في تنبؤات الوحي ولا أستطيع تصديقها.

(٢) المقصود بها «الأرنيات» Erinyes: آلهات الانتقام.

(٣) معبد دلف، المشهور بوحيه، موجود على جبل البرناس.

(٤) إن الجاني يهرب، تطارده النبوءات، كأنه ثور هائج يلسعه البعوض.

(٥) إن أوديب، المزعوم أنه ابن پولوبوس لا يملك الشكوى ضد اللبداكين، وهؤلاء لا يملكون الشكوى منه.

العرّاف، من بين الناس، يملك مواهب أسمى من مواهبي؟ لا شاهد على هذا. أجل، إن المعرفة البشرية تتفاوت في المقدار ويمكن أن يتفرق بعضها مع البعض الآخر. لكن طالما لم أر أقوال من يتهمونه تتحقق، فإنني أرفض الإقرار بها.

والأمر الجليُّ هو أن العذراء[1] المجنّحة اشتبكت معه، وأنه برهن آنذاك على رجاحة عقله وعن حبّه لمدينة ثيبا ولهذا السبب فإن قلبي لن يتهمه أبداً بأية جريمة.

(كريون يدخل من عن يمين).

كريون: أيها المواطنون! لقد أخبروني أن ملكنا أوديب يقول عنّي أقوالاً غريبة. وهذا أمر لا أحتمله، ولهذا جئت إليكم. لو كان يظنّ حقاً أنني - في هذا الوقت الذي نحن فيه - أسبب له أي أذى: سواء بالقول أو بالفعل، فإني لا أتمنى أبداً أن أعيش: إن هذه التهمة تزعجني أشدّ الإزعاج.. إن أقوالاً من هذا النوع تسيء إليّ إساءة بالغة. أيكون في نظري أسوأ من غدّار في مدينتي، غدار في نظركم وفي نظر كل أصحابي؟

قائد الكورس: ربما كانت الإهانة قد صدرت عنه وهو في حالة الغضب، لا في حالة الإتزان والرويّة.

كريون: وقيل صراحةً إن العرّاف قد تفوّه بهذه الأكاذيب من أجل خدمة مقاصدي؟

قائد الكورس: نعم، هذا هو ما قاله لكن بأيّ قصد؟ لست أدري.

كريون: وحين ألقى بهذه التهمة ضدّي، فهل كان محتفظاً بنظرة وحُكْم إنسان مالك لعقله؟

قائد الكورس: لست أدري. ليست لي عيون تبصر ما يفعل سادتي. لكن ها هو ذا يخرج الآن من القصر.

(أوديب يظهر على عتبة قصره).

أوديب: يا هذا! ماذا تفعل هنا؟ ماذا! أتتجاسر، أيها الوقح، على المجيء

---

(١) أي: الاسفنكس. وينبغي أن يلاحظ أن «الاسفنكس» مؤنث في اللغة اليونانية لأن راسها رأس امرأة.

إلى قصري؟ أنت سفاح تريد الاعتداء على حياتي، أنت قاطع طريق تطمع في عرشي! تكلم، بحق الآلهة! ماذا تصوّرت فيَّ: الجُبْن أو الحماقة؟ - حتى تقررّ أن تعاملني بهذه الطريقة! أم قد حسبت أنني لن أستطيع اكتشاف مؤامرتك ولا أن أسدّ عليها الطريق إذا ما اكتشفتُها؟ الأحرى هو أن الحماقة هي في خُطّتك أنت، أنت يا من تريد - بغير مساعدة الشعب ولا الأصدقاء - أن تستولي على عرش لم يحصل عليه أحدٌ من قبل إلا بواسطة الشعب وبواسطة الأموال.

كريون: أتعرف ماذا عليك أن تفعل؟ أنت تكلمت، فدعني أنا الآخر بدوري أتكلم، ثم احكم بنفسك بعد أن تسمع كلامي.

أوديب: أنت تُحْسِن الكلام؛ لكني أنا لا أفهمك. إني أراك عدوّاً ومُزْعجاً.

كريون: أبدأ بالإصغاء إليَّ في هذه النقطة بالذات.

أوديب: في هذه النقطة بالذات لا تبدأ بالقول بأنك لست خائناً.

كريون: إذا كنت تتصور فعلاً أن الغطرسة بدون سبب تعتبر مزيّة، فإنك تكون فاقداً للعقل السليم.

أوديب: إذا كنت تتصور أن القريب الذي يخون أهله يجب ألا يُعاقَب على ذلك، فإنك أيضاً تكون فاقداً للعقل.

كريون: أنا موافق على هذا. هذا أمرٌ سليم جداً. لكن ما هو الضرر الذي أصابك من جانبي أنا - خبّرني!

أوديب: هل ترى، أو لا ترى، أنه كان يجب عليَّ أن أُرْسِل في طلب العرّاف الجليل؟

كريون: وحتى الآن أنا أرى هذا الرأي.

أوديب: خبّرني إذن منذ متى ملكك لايوس...

كريون: فعل ماذا؟ إني لا أفهم ما يجول بفكرك.

أوديب: .. اختفى، صريعاً لاعتداءقاتل.

كريون: منذ عدة سنين طويلة ماضية.

أوديب: هل كان عرّافنا هذا يمارس آنذاك فنّه؟

كريون: نعم، كان آنذاك حكيماً معتبراً كما هو الآن.

أوديب: وهل تكلّم عني بهذه المناسبة؟

كريون: كلا أبداً، على الأقل أمامي أنا.

أوديب: لكن هل لم تقم ببحث فيما يتعلق بالميّت؟

كريون: بلى! هذا أمر كان لا بد منه، لكننا لم نصل إلى نتيجة.

أوديب: ولماذا لم يتكلم هذا العرّاف الحكيم آنذاك؟

كريون: لا أدري. إن القاعدة التي أسير عليها هي أن أسكت عندما لا يكون لديّ فكرة.

أوديب: ما تعرفه وما ستقوله ـ إذا لم تكن قد فقدت صوابك...

كريون: ماذا؟ إن كنت أعرف شيئاً، فإني لن أخفيه.

أوديب: أنه لم ينسب إليَّ أبداً، دون اتفاق معك، قتل لايوس.

كريون: إذا كان هذا هو ما قال، فأنت تعلم ذلك بنفسك. وأنا أطلب منك فقط أن تجيب أنت بدورك، كما أجبتُ أنا على سؤالك.

أوديب: ليكن! اسألني: لن يعثروا فيَّ أنا على القاتل!

كريون: لنَرَ: أنت تزوجت فعلاً بأختي.

أوديب: سيكون من الصعب عليَّ جداً أن ادّعي عكس ذلك.

كريون: أنت تحكم هذه البلاد بموجب حقوق مساوية لحقوقه هو؟

أوديب: وكل ما ترومه فإنها تحصل عليه مني بدون تعب.

كريون: وأنا، أليس لي نصيب مساوٍ في السلطة لنصيبكما؟

أوديب: في هذا بالذات أنت تدلّ على أنك خائن!

كريون: كلا! اشرح لي فقط ما هو وضعي أنا. فَكِّر أولاً في هذا: هل تعتقد أنه يوجد إنسان يفضّل أن يحكم حيث يسود الاضطراب المستمر ـ على أن ينام هادئاً وهو يتمتع في الوقت ذاته بنفس السلطة؟ بالنسبة إليَّ أنا، أنا لم أولد وعندي الرغبة في أن أكون ملكاً، بل ولدت وعندي الرغبة في أن أعيش كملك. وهذا أيضاً رأي كل من عنده عقل. واليوم أنا أحصل منك على كل شيء، دون أن أدفع ثمناً لذلك أيَّ خوف. لو توليت أنا الحُكْم، فكم من أمور يجب عليَّ القيام بها على الرغم مني! فأنّى لي أن أعتبر الحكم أفضل من سلطة لا تجلب عليَّ أيّ هَمّ؟

إني لا أخدع نفسي إلى درجة أن أعني بأكثر من الشرف المقترن بالربح. إني اليوم أجد نفسي مستريحاً مع الجميع، واليوم كل إنسان يحتفي بي، واليوم كلُّ من يحتاج إليك يأتي ساعياً إليّ في عقر داري: فعندهم أن الفوز كله إنما هو ههنا. فهل أتخلى عن هذا كله من أجل ذلك الشيء؟ كلا، إن العقل لا يمكن أن يتحول إلى حماقة. أبداً لم أَشْتَهِ مثل هذه الفكرة. وما كان لي أن أنضم إلى من سيسلك هذا المسلك. أتريد البرهان على هذا؟ إذهب إذن إلى پوثو أولاً واسأل هل أنا رويت لك ما قاله الوحي بالدقة تماماً. وبعد ذلك، إذا استطعت أن تبرهن على أنني تآمرت مع العراف، فأمر بقتلي: وليس صوتك وحده هو الذي سيحكم عليّ. بل صوتي أنا وصوتك معاً. لكن لا تتهمني بمجرد الظن، ولا تحكم عليَّ قبل أن تسمع كلامي. ليس من الأنصاف أن تعتبر الأشرار أخياراً، والأخيار أشراراً. أن يحرم الإنسان نفسه من صديق مخلص معناه أن يحرم نفسه من مقدار من حياته، أي من أعزّ ما يملك. وهذا أمر لا بد من زمان طويل لتعلّمه على نحوٍ أكيد. فالزمان هو القادر وحده على الكشف عن الرجل الشريف الأمين، بينما يكفي يوم واحد للكشف عن الخائن.

قائد الكورس: من يزعم أنه يصون نفسه عن الخطأ سيجد أنه تكلم كلاماً جيداً. واتخاذ قرار بتسرّع كبير هو أمرٌ لا يخلو من المخاطرة، أيها الملك.

أوديب: إذا اسرع خائن نحوي في الظلام، فيجب عليَّ أنا أيضاً أن أسرع في اتخاذ قرار. أما أن أقف هناك بغير أن أفعل شيئاً، فإن الضربة تصيب الهدف، بينما ضربتي أنا تطيش.

كريون: ماذا تريد إذن؟ نفيي من البلاد؟

أوديب: كلا، بل أريد موتك، وليس نفيك.

كريون: لكن بيّن لي أولاً السبب في كراهيتك لي.

أوديب: أتزعم إذن أنك متمرّد؟ أترفض الطاعة؟

كريون: نعم، حين أراك قد فقدت صوابك.

أوديب: أنا أدرك ما هي مصلحتي.

كريون: هل تدرك مصلحتي أنا أيضاً؟

أوديب: ما أنت إلا خائن.

كريون: وإذا كنت أنت لا تَفهم شيئاً؟

أوديب: هذا لا يهم! عليك فقط أن تطيع مَلِكَك.

كريون: لا، حين يكون ملكاً رديئاً.

أوديب: ثيبا! ثيبا؟

كريون: ثيبا هي لي بقدر ما هي لك.

قائد الكورس: أيها الأمراء! توقّفوا!... لكن ها هي ذي يوكاسته تخرج من القصر، فينبغي عليها أن تفصل في النزاع الذي نشب بينكما.

(تظهر يوكاسته عند عتبة القصر وتعترض بين أوديب وكريون).

يوكاسته: أيها الشقيّان! لماذا تثيران حرباً كلامية لا معنى لها؟ ألا تخجلان، بينما بلادكما تعاني ما تعاني، من إثارة أحقادكما الشخصية! (تخاطب أوديب:) هيه ادخُلْ القصر. وأنت يا كريون، اذهب إلى بيتك. ولا تصنعا من أمرٍ تافه مصيبة أليمة جداً.

كريون: إنه زوجك، يا أختاه، إنه أوديب الذي يدعى معاملتي على نحوٍ غريب، ويقرر من تلقاء نفسه إما أن يطردني من ثيبا، وإما أن يقبض عليَّ لإعدامي.

أوديب: بالضبط! ألم أفاجئه وهو بسبيلِ تدبير مؤامرة إعدامية ضد شخصي أنا؟

كريون: لينحلَّ عني كل حظ ولأَمُتْ في الحال وأنا أتفوه بهذا الكلام، إذا كنت قد دبرتَ ضدّك شيئاً مما تتهمني به!

يوكاسته: باسم الآلهة، يا أوديب، في هذه النقطة بالذات يجب عليك أن تصدّقه. احترم كلمته ـ والآلهة ضامنون لذلك ـ واحترمني أنا، وكلَّ أولئك الموجودين هناك.

الكورس: استجب لدعائها، وأظهر حُسْنَ نيتك، واستعد برود أعصابك ـ أتوسّل إليك يا مولاي.

أوديب: إذن على ماذا تريد مني أن أوافق عليه؟

الكورس: احترم رجلاً لم يكن أبداً مجنوناً، وقسمه اليوم يجعله مقدّساً.

أوديب: لكن هل تعرف جيداً ماذا ترجو؟

قائد الكورس: نعم أنا أعرفه جيداً.

أوديب: إذن قُلّ ماذا تعني.

الكورس: إنه قريبك، والقَسَم بحميه: فلا تُهِنْه باتهامه استناداً إلى مجرد ظن.

أوديب: هذا إذن ما تطلب! في هذه الحالة أعلم إذن جيداً أنك تريد إما موتي، أو نَفْيي.

الكورس: كلا، إني أستشهد الإله الذي يعلو على كل الآلهة، أستشهد «الشمس»، أن أَهْلِك ههنا في أشد أنواع العذاب، متروكاً من الآلهة، ومتروكاً من أهلي، إذا كانت عندي مثل هذه الفكرة لكن هذا البلد الذي يموت يُحْزِن نفسي، إذا كان عليّ أن أشاهد الآن شروراً صادرة عن كليكما تنضاف إلى شرور الأمس.

أوديب: ليكن! فليذهب إذن، حتى لو أدى ذلك إلى أن أهلك قطعاً، أو أن أرى نفسي مطروداً بالقوة من ثيبا ومُسَرْبلاً بالعار. إن كلامكم هو الذي يؤثر في نفسي؛ إنه هو الذي يستدعي شفقتي، وليس كلامه هو. لكن أينما حلّ فسيكون دائماً موضوع كراهيتي.

كريون: أنت تُسْلم الغضب إلى القلب، كما هو شاهد، ابتغاء أن تكون بعد ذلك في غاية الخجل، حينما تزول غَضْبتك. إن طباعاً من نوع طبعك مؤلمة لأصحابها، وهذا عين العدل.

أوديب: ألا تتركني إذن في هدوء وتذهب عني!

كريون: إني ذاهب، إنك أخطأت في فهمي؛ أما بالنسبة إليهم هم فسأبقى نفس الرجل الذي كُنْتُه دائماً.

(يذهب من ناحية اليسار).

الكورس: لماذا تتأخرين، أيتها المرأة، في اقتياده إلى قصره؟

يوكاسته: أريد أن أعرف أوّلاً ماذا حدث.

الكورس: فكرة تكوّنت استناداً إلى كلمات أسيء فهمها. لكن المرء يغضب من لوم ظالم.

يوكاسته: إذن كلاهما مسؤول؟

قائد الكورس: نعم.

يوكاسته: لكن ماذا كانت الحكاية؟

الكورس: هذا كافٍ، كافٍ جداً - حينما تتألم ثيبا كل هذه الآلام - للتوقف عن الحدّ الذي انتهت إليه هذه المسألة.

أوديب: أنت ترى إلى ماذا تنتهي، على الرغم من طيب النيّة، بتهدئتك لغضبتي[1] هكذا.

الكورس: أيها الملك، لقد قلت لك ذلك أكثر من مرة، إنني سأكون مجنوناً محروماً من العقل لو أنني انفصلتُ عنك.

حينما كانت مدينتي فريسة للأهوال، فإنك أنت الذي استطعت أن تضعها في اتجاه الربح: واليوم أيضاً كن لها الرُّبّان الصالح إن استطعت.

يوكاسته: باسم الآلهة إلا خبّرني، يا مولاي، ماذا عسى أن يكون قد أثار فيك مثل هذه الغضبة.

أوديب: أجل، سأخبرك. إني احترمك أكثر من كل هؤلاء. إنه كريون والمؤامرة التي دبّرها ضدّي.

يوكاسته: تكلّم، حتى أرى هل تستطيع أن تحدّد بدقةٍ موضوع هذا النزاع.

أوديب: إنه يُدّعي أنني أنا الذي قتلتُ لايوس.

يوكاسته: هل هو يعرف ذلك من تلقاء نفسه؟ أو هو علم بذلك من شخص آخر؟

أوديب: لقد أرسل إلينا عرّافاً، هو وغد سافل. ومن أجله يطلق لسانه دائماً بالأباطيل.

---

(١) إن من شأن غضبة أوديب، لو انتهت بضرب كريون، كان من شأنها على الأقل أن تمنع من تعرضه للموت.

يوكاسته: بَرِّئ نفسك بنفسك من الجريمة التي تتحدث عنها، وأَصْغِ إليّ. وسترى أنه لا يوجد إنسان يعلم فن التنبؤ بالغيب. وسأسوق إليك الدليل على هذا في كلمات قليلة. في الماضي جاءت نبوءة إلى لايوس، لا من عند أپولون هو نفسه، وإنما من عند من يخدمونه. وكانت تقول إن المصير الذي ينتظره هو الهلاك بذراع ابنه الذي سينجب منه ومني أنا. لكن الشائعات العامة تقول إن الذين قتلوا لايوس هم قطاع طرق أجانب، عند تقاطع طريقين[1]؛ ومن ناحية أخرى فإن الولد متى ما وُلِد، فإن لايوس يربط قدميه بعد ثلاثة أيام ويلقي به على جبل قفر. ولم يقل أپولون أن الابن سيقتل أباه، ولا أن لايوس ـ كما خاف ـ سيهلك بيد ابنه، وعلى ذلك كان هذا هو المصير الذي تنبأت به الأصوات المتنبئة؛ فلا تحفل مطلقاً بذلك الصوت. إن الأمور التي يقوم إلٰه بإنجازها لا بد أنه يعرف جيداً كيف يكشف عنها.

أوديب: آه! من سماعي لما تقولين أشعر فجأة، أيتها المرأة، بأن روحي تنوه، وعقلي يترنح!

يوكاسته: أيّ قلق يجعلك تنظر إلى الوراء فجأة؟

أوديب: أنتِ قلتِ أن لايوس قد قُتِل عند تقاطع طريقين؟

يوكاسته: هذا ما قيل حينذاك، وما يقولونه باستمرار حتى اليوم.

أوديب: وفي أي بلد يوجد المكان الذي عانى فيه لايوس هذا المصير؟

يوكاسته: البلد هو فوكيدا. والتقاطع هو الذي عنده يتلاقى طريقان يأتيان من دلف وداوليا[2] Daulia.

أوديب: ومنذ متى وقع هذا الحادث؟

يوكاسته: في وقت قليل قبل اليوم الذي فيه اعترف بسلطانك على ثيبا وصل النبأ إلى هنا.

---

(١) في النص اليوناني الحرفي (البيت رقم ٧٣٠): «عند نقطة تلاقي ثلاثة طرق». وعند اليونان كان الطريقان المتقاطعان يكونان أربعة طرق؛ بينما الطريقان اللذان يتلاقيان يكونان ثلاثة طرق.

(٢) لم يذكر اسم طريق داوليا إلاّ لتحديد النقطة التي حدث فيها اللقاء؛ لكن اللقاء قد وقع على طريق دلف هو نفسه، وكان أوديب قادماً من مذبح دلف، بينما كان لايوس ذاهباً إلى هذا المذبح. ولم يأت أحد منهما من داوليا، وإن كانا قد اصطدما عند تقاطع الطريقين.

أوديب: آه! ماذا تريد، يا زيوس، أن تفعل بي؟

يوكاسته: ما هو الهمّ الذي يشغل بالك، يا أوديب؟

أوديب: انتظري قليلاً لتسأليني. وكيف كانت قامة لايوس؟ وماذا كانت سِنّه آنذاك؟

يوكاسته: كان طويل القامة.. والشعر الذي على جبهته بدأ في البياض. ولم يكن منظره بعيداً جداً عن منظرك أنت.

أوديب: يا للشقاء! أخشى تماماً أن أكون ـ دون أن أدري ـ قد أطلقتُ ضد نفسي منذ قليلٍ لعناتٍ غريبة.

يوكاسته: ماذا تقول، يا مولاي؟ إني ارتعد من النظر إليك.

أوديب: إن شجاعتي تخونني بشكل رهيب حينما أتصور أن هذا العرّاف قد صدق في التنبؤ تماماً. وكلمة واحدة أخرى منك ستكفي لإثبات ذلك عندي.

يوكاسته: وأنا أيضاً خائفة؛ لكن قل لي ماذا تريد أن تعرف، أُجِبْك عنه.

أوديب: هل كان لايوس مسافراً مصحوباً بصحبة متواضعة؛ أو كان محاطاً بحراس عديدين، كما يليق بسلطان؟

يوكاسته: كان مجموعهم خمسة، ومنهم منادٍ. وكانت العربة يركبها لايوس.

أوديب: آه! الآن صار كل شيء واضحاً. لكن، من الذي روى لك هذه الرواية، أيتها المرأة؟

يوكاسته: خادم، هو الوحيد الذي نجا.

أوديب: هل هو في القصر الآن في هذه الساعة؟

يوكاسته: لا؛ فإنه لما عاد، ووجدك على العرش، وقد شاهد لايوس ميّتاً ـ فإنه أمسك بيدي، وتوسّل إليّ أن أبعث به إلى الحقول لحراسة مواشيه. لقد أراد أن يكون في أبعد مكان ممكن من ثيبا. فتركته يرحل. لقد كان مجرد عبدٍ، لكنه استحق هذا وخيراً من هذا.

أوديب: هل يمكن استدعاءه إلى هنا بأسرع ما يمكن؟

يوكاسته: هذا ممكن لكن لماذا تريد حضوره باهتمام شديد هكذا؟

أوديب: إني أخشى على نفسي، أيتها المرأة، وأخشى أن أكون قد أفرطت في الكلام. ولهذا أريد أن أراه.

يوكاسته: سيأتي. لكن ألا استحق أنا أيضاً أن أعرف ما الذي يعذّب نفسك، يا مولاي؟

أوديب: لا أمْلِك أن أقول لك: لا. إن قلقي كبير جداً. وأي صاحب سرّ يمكن أن يكون عندي أثمن منك، في وسط مثل هذه المحنة؟ إن أبي هو پولوب ـ پولوب الكورنثي[1] ـ وميروفا، أمّي، دورية. وكانت لي المرتبة الأولى هناك بين المواطنين، وحدثت حادثة استجقت دهشتي من غير شك، لكنها لم تكن تستحق أي اهتمام بها كما اهتممت أنا بها. فأثناء مأدبة، في وقت تناول الخمر، وفي حال السكر وصفني رجل بأنني «ابن مظنون». فأثرت هذه الكلمة في نفسي تأثيراً سيئاً؛ وكان من العسير عليّ في ذلك اليوم أن أضبط نفسي، وفي الغداة مضيت لأسأل أبي وأمّي. فأبديا حنقاً على مَن قال ذلك القول؛ لكن إذا كان موقفهما في هذه المسألة قد أرضاني، فإن هذا القول أغاظني واتخذ سبيله شيئاً فشيئاً إلى قلبي. هنالك رحلت إلى فوثو دون إخبار أبي وأمي، وهناك ردّني فوبوس (= أپولو) دون أن يتنازل ويجيب عليّ فيما من أجله ذهبت إليه، بيد أنه تنبأ للبائس الذي هو أنا بمصير مروّع أليم جداً؛ وهو أنني سأشارك أمّي الفراشَ، وسأقدم للعالم سلالة فظيعة، وسأقتل والدي الذي أنجبني. فلما سمعت كلامه هذا قررت أن أترك كورنثوس إلى الأبد وأرضها، وهربت إلى أماكن لا يمكن أن تتحقق فيها هذه الوقائع التي تنبأ لي بها هذا الوحي المروّع. وبينما كنت سائراً وصلت إلى الموضع الذي تزعمين أن هذا الأمير هلك فيه. وإني أقول لك، أيتها المرأة، الحقيقة كلها. ففي اللحظة التي اقتربت فيها، وأنا أتابع طريقي ـ من تقاطع الطريقين ـ جاء منادٍ وتلاه، على عربة تجرها خيول، إنسان يشبه تماماً ذلك الذي وَصَفْتِه لي. وحاول الدليل[2] وكذلك الرجل العجوز، أن يدفعاني بالقوة. فغضبت غضبة حملتني على أن أضرب من أراد تنحيتي عن الطريق، وهو السائق: لكن العجوز شاهدني،

---

(١) پولوب (أو: پولوبوس) الكورنثي هو ملك كورنثوس الذي تبنى أوديب حين عثر عليه وهو طفل وليد قد جاء به راعٍ لما عثر عليه، وزوجته اسمها: ميروفا Meropa.

(٢) الدليل هو المنادي الذي يتقدم العربة.

واهتبل اللحظة التي فيها مررت بالقرب منه ومن عربته وضربني علي أمّ رأسي بسوطه المزدوج لكنه دفع عن هذه الضربة ثمناً غالياً. فقد بادرت في الحال وسحبته من داخل العربة بنفس العصا التي ضربني بها، فسقط على الأرض وتدحرج - ثم قتلتهم جميعاً. فإن كانت هناك رابطة بين لايوس وهذا الشخص المجهول - فهل يوجد الآن إنسان أشدّ شقاء من هذا الماثل أمامك! وهل يوجد إنسان تبغضه الآلهة بغضاً أكثر من بغضها لي؟ لا أجنبي، ولا مواطن، ولا أحد يقبل بعدُ أن يستقبلني في بيته، ولا أن يوجّه إليّ كلاماً؛ وكل واحد يرى من الواجب عليه أن ينحّيني عن باب داره. وأكثر من هذا فإني أجد أنني أطلقت ضد نفسي اللعنات والتهديدات التي تفوّهت بها وأنت تعلمينها. إنني أصب النجاسة على زوجة الميّت حين أضمّها بين هذين الذراعين اللذين قتلا لايوس! ألستُ إذن مجرماً؟ ألستُ نجاسة، أنا بكل كياني؟ وما دام من الواجب عليّ إذن أن أنفي نفسي، وفي منفاي أتخلى عن رؤية أهلي، وعن أن أطأ بقدميّ أرضَ وطني؛ وإلاّ لكان عليَّ أن أشارك أمّي الفراش وأن أصير قاتلاً لأبي پوليب الذي أنجبني وغذاني. أليس إلاهاً قاسياً ذلك الذي قدّر لي هذا المصير؟ يمكن أن يقال هذا، دون خطأ. كلا، يا أيتها الجلالة المقدسة التي للآلهة، ليتني لا أرى أبداً ذلك اليوم. آه! الأَوْلَى بي أن أرحل وأن أختفي من عالم الناس قبل أن تأتي وصمة مثل هذا الشقاء لتنجّس جبيني!

قائد الكورس: أعترف بأن هذا كله يزعجني، يا مولاي! لكن عليك أن تحتفظ بالأمل، طالما لم تسمع بعد شهادة الشاهد.

أوديب: نعم، آمالي معلّقة بهذا: وعليّ أن أنتظر ههنا مجيء هذا الراعي؛ ولا شيء غير هذا.

يوكاسته: ولماذا هذه الرغبة في رؤيته؟

أوديب: لماذا؟ هاك السبب: وهو أن نجده يقول ما قلتِه أنتِ، وحينئذ أصبح بريئاً.

يوكاسته: وماذا قلتُ أنا من كلمات بهذه الأهمية؟

أوديب: أنت قلتِ أنهم كانوا قطاع طرق هم الذين - بحسب كلامه - قد قتلوا لايوس. فليكرر إذن اللفظ في صيغة الجمع، وحينئذ لا أكون أنا القاتل: فإن

رجلاً واحداً لا يكوّن جمعاً. أما إذا تكلم عن شخص واحد، عن مسافر مفرد، فهناك تسقط الجريمة بوضوح على عاتقي.

يوكاسته: كلا، هذا هو ما قاله؛ ولا يمكنه تكذيبه؛ إن المدينة كلها، وليس أنا وحدي، هي التي سمعت منه ذلك. وعلى كل حالٍ، فإنه إذا انحرف عن كلامه الماضي، فإنه بهذا لا يثبت، يا مولاي، أن رواية القتل هي الصحيحة هذه المرة، لأن لايوس، بحسب وحي أپولون، لا بد أن يهلك بذراع ابنه، وإذن فليس هذا الابن البائس هو الذي قتله، لأنه هو نفسه الذي مات أولاً. ولهذا فإنني فيما يتعلق بالتنبؤات فإنني لا أقيم لها أي وزن.

أوديب: أنت على حق. لكن على الرغم من هذا كله، ابعثي بمن يأتينا بهذا الراعي. ولا تتخلّي عن هذا.

يوكاسته: سأبعث لاستدعائه فوراً. لكن لندخلن القصر. كل ما يرضيك أنا مستعدة لعمله.

(يدخلان القصر معاً).

الكورس: آه! ألا ليت «المصير» يجعلني أحتفظ دائماً بالطهارة المقدسة في كل كلماتي، وفي كل أفعالي. إن القوانين التي تأمر بها تقيم في علّيين: لقد وُلِدَتْ في الأثير السماوي، والأولمب هو أبوها الوحيد؛ لم يصنعها أيُّ كائن فانٍ ولن يجعلها النسيان تغطُّ في النوم: ذلك أن إلاهاً قديراً موجود فيها، إلاهاً لا يشيخ أبداً.

الإفراط يلد الطاغية. حينما يبالغ الإفراط بجنون، دون أن يهتم بالساعة ولا بالمصلحة، وحينما يصّاعد إلى أعلى درجة، ويستقر في القمة، فإنه ما يلبث أن يسقط فجأةً في هاوية حتميّة مهلكة، فيها أقدامه المحطمة تأبى أن تُعِينه. وإني أسأل الإله ألا يشهد انقطاع النضال المجيد من أجل إنقاذ المدينة: الإله هو الذي يحفظني وسيكون كذلك أبداً.

أما من يسلك سبيله، متباهياً بكبريائه في بوادره وكلماته، دون خوف من العدالة ودون احترام للمعابد الإلاهية ـ هذا الشخص أنا أتوقع له مصيراً أليماً يعاقب كبرياءه الشريرة، منذ اليوم الذي يتجلى فيه أنه إنما يسعى إلى المكاسب الإجرامية، دون أن يتراجع عن ارتكاب الفواحش، وعن انتهاك ما لا يجوز انتهاكه.

فهل يوجد على هذه الحالة، شخص يستطيع أن يفتخر بالقدرة على أن يُبْعِد عن نفسه سهام الغضب؟ فإن كانت مثل هذه الأخلاق هي التي تُمَجَّد من الآن فصاعداً، فأية حاجة إذن إلى تشكيل كورسات؟

كلا! لن أذهب بعد لتوقير المركز الجليل للأرض، ولن أذهب بعدٌ إلى معابد أباي[1] Abae، ولا إلى معابد أولمبيا، إذا لم يتفق كل الناس على استهجان مثل هذه الأعمال.

آه! أي زيوس العظيم! ما دُمْتَ، إن صدق اسمك حقاً، سيد الكون، فلا تسمح بأن تُفْلت من نظراتك، ومن قدرتك الأبدية.

وهكذا يحسبون إذن أن وَحيك فيما يتعلق بلايوس باطل ويزعمون إلغاءه! وأبولون قد جُرِّد صراحةً من كل شرف. إن توقير الآلهة قد ولّى.

(يوكاسته تخرج من القصر بصحبة خادمات يحملن أزهاراً وقوارير عطور).

يوكاسته: يا زعماء هذه البلاد؟ خطر ببالي أن أغدو إلى معابد الآلهة لأحمل إليها بيديّ هذه التيجان، وهذه العطور. إن أوديب يطلق العنان لغمومه كي تزعزع قلبه. إنه لا يستطيع أن يحكم - بروية وهدوء - على الحاضر استناداً إلى الماضي. إنه يستسلم لمن يحدثه إن حدّثه عن الشقاء. فما دامت نصائحي لا تَحْصُل منه على شيء، فإني أتوجّه إليك أنت، أيها الإله اللوقياوي، أي أپولون، يا مَنْ أنت جارٌ لنا، لقد أتيت إليك متوسلة، حاملةً لأمانينا. زوّدنا بدواءٍ يشفي من كل نجاسة. إننا قلقون حين نرى أوديب في حيرة واضطراب، بينما هو يمسك بيديه سُكّان سفينتنا.

(رجل عجوز يدخل من ناحية اليسار).

الكورنثي: أيها الأجانب هل لي أن أعرف أين قصر أوديب، ملككم؟ إو إن كنتم تعلمون أين هو موجود، فخبروني.

قائد الكورس: هذا مسكنه، وستجده فيه هو بشخصه، أيها الغريب. والمرأة التي تراها هناك هي أمّ أولاده.

---

(١) أباي: بلد في إقليم فوكيدا، بين الاوتيا وبحيرة كاپائيس Capaïs. وكان فيه معبد لأپولون أحرقه الجيش الفارسي في سنة ٤٨٠ق.م.

الكورنثي: ليتها تكون سعيدة أبداً في وسط أبناء سعداء، لأنها الزوجة الكاملة بالنسبة إلى أوديب.

يوكاسته: ولتكن حالك أنت أيضاً كذلك، أيها الغريب: إن أَدَبك يستحق هذا. لكن اشرح لي ماذا أتى بك ها هنا، وبماذا تريد أن تخبرنا؟

الكورنثي: إنه أمرٌ سعيد بالنسبة إلى بيتك، أيتها المرأة، وبالنسبة إلى زوجك.

يوكاسته: ماذا تقول؟ لكن قل لنا أولاً من عند مَنْ أتيت؟

الكورنثي: أنا قادم من كورنث. إن الخبر الذي جئت به لا شك أنه سيسّرك جداً ـ وعكس هذا سيكون مستحيلاً ـ لكنه ربما يُحْزِنك أيضاً.

يوكاسته: كيف هذا؟ وأنى له أن يكون له هذا التأثير المزدوج؟

الكورنثي: يقال هناك إن أهالي البلاد سينصبّون أوديب ملكاً على الخليج.

يوكاسته: ماذا! وپوليب العجوز؟ أليس متربعاً على العرش؟

الكورنثي: كلا، فإن الموت أرسله إلى القبر.

يوكاسته: ماذا تقول؟ پوليب مات؟

الكورنثي: ليأخذني الموت، إذا كنت لا أقول الحقيقة!

يوكاسته: أيها العبد، اذهب فوراً واحمل هذا النبأ إلى مولاك. آه! أيها الوحي الإلٰهي، أين أنت إذن في هذه الساعة؟! هكذا ها هو إنسان كان أوديب يتجنبه منذ سنوات، خوفاً من أن يقتله، وها هو ذا اليوم ميّتٌ بضربة من القَدَر، وليس بضربة من أوديب.

(أوديب يخرج من القصر).

أوديب: أيتها المرأة العزيزة، يوكاسته التي أحبّها، لماذا أرسلت في طلبي من القصر؟

يوكاسته: استمع إلى هذا الرجل الواقف هناك، وشاهد وأنت تستمع إليه إلى ماذا صارت أنباء وحي إلٰه جليلة.

أوديب: هذا الرجل، مَنْ هو؟ وماذا لديه ليقوله لي؟

يوكاسته: إنه قادم من كورنثوس، وهو يخبرك أن بولوبوس قد توفي: إن الموت قد صرع أباك.

أوديب: ماذا تقول أيها الغريب؟ وَضّح ما تقوله.

الكورنثي: إن كان عليّ أولاً أن أقدم تقريراً دقيقاً، فأعلم أن پولوبوس قد توفي.

أوديب: فريسة لمؤامرة، أوبسبب مَرَض؟

الكورنثي: أقل صدمة تكفي لتجندل عجوزاً.

أوديب: إذا كان عليّ أن أصدّقك، فإن هذا المسكين مات بسبب المرض.

الكورنثي: وأيضاً من جرّاء السنوات الطويلة التي عاشها.

أوديب: آه! أيتها المرأة، من يستطيع من الآن فصاعداً أن يلجأ إلى فوثو، إلى مركز التنبؤ؟ أو إلى هذه الطيور التي تصيح فوق رؤوسنا؟ بِحَسْبها كان عليّ أن أقتل أبي: وها هو ذا أبي قد مات، ودفن في أعماق قبر، قبل أن تمسّ يدي أي حديد! اللهم إلاّ أن يكون قد مات من الأسف على عدم رؤيتي بعدُ؟ بهذا المعنى وحده يمكن أن يكون قد مات بواسطتي أنا. الأمر الأكيد هو أنه في هذه الساعة پولوبوس موجود في العالم السفلي هو وكل هذا المتاع من أنباء الوحي التي لا قيمة لها.

يوكاسته: أليس هذا هو ما كنت أقوله لك منذ زمان طويل؟

أوديب: صحيح، لكن الخوف ضَلّلني.

يوكاسته: إذن لا تحفل بها بعدُ.

أوديب: وكيف لا أخشى فراش أمّي؟

يوكاسته: وماذا عسى أن يخاف الإنسان الفاني، وهو ألعوبة في يد القَدَر، ولا يستطيع أن ينبأ بشيء يقيني؟ أن يعيش المرء وفقاً للصّدفة، بقدر ما يستطيع، هذا هو الأفضل جداً. لا تخف من الزواج بأمّ: فكثير من بني الإنسان الفانين قد شاركوا في فراش الأم إبان أحلامهم[1]. ومن لا يولى مثل هذه الأمور إلاّ أقل

(١) يقول هيرودوت إن هبياس، قبل معركة ماراثون، قد رأى في النوم رؤيا من هذا النوع، وعدّ ذلك فالاً حسناً.

أهمية هو أيضاً الأقدر على تحمّل الحياة.

أوديب: هذا سيكون مقبولاً، لو كانت أمي قد ماتت. لكن طالما حيّة، فإن من واجبي أن أخاف، مهما قلتِ وتوسعّت في القول.

يوكاسته: إنها لسلوى كبيرة أن تعلم أن أباك في القبر.

أوديب: نعم، أنا أشعر بأنها سلوى كبيرة. ومع ذلك فإن مَنْ لا تزال حيّة تثير في نفسي الخوف.

الكورنثي: لكن قُلْ لي: مَنْ هي المرأة التي تسبّب لك كل هذا الفزع؟

أوديب: أيها العجوز! إنها ميروفا زوجة پولوبوس.

الكورنثي: وما الباعث على إثارة الخوف في نفسك؟

أوديب: وحي مخيف أوحت به الآلهة، أيها الغريب.

الكورنثي: هل تستطيع أن تُفصِح عنه؟ أو يجب أن يبقى سرّاً؟

أوديب: أبداً. إن لوكسياس قد أنبأني في الماضي أنه لا بد لي أن أشارك في فراش أمّي[1]، وأن أسفك دم أبي بيدي. وهذا هو السبب في أنني استقررت منذ زمان طويل بعيداً عن كورنثوس ـ من أجل سعادتي، لا شك في ذلك، وإن كان يطيب لي أن أرى عيون أهلي.

الكورنثي: وهذا الخوف هو وحده الذي يحملك على الإقامة بعيداً عن مدينتك؟

أوديب: لم أشأ أن أكون قاتل أبي، أيها العجوز.

الكورنثي: لماذا تأخرتُ أنا في أن أخلصّك من هذا الخوف منذ زمان أيها الملك، خصوصاً وقد جئت إلى هنا وأنا على استعداد تام لمساعدتك؟

أوديب: ستنال الجزاء الحسن الذي تستحقه على ذلك.

الكورنثي: هذا تماماً هو السبب في مجيئي إلى هنا، وهو أن تكون عودتك إلى البلاد أمراً يجلب لي بعض المنفعة.

---

(١) اي: أن اتزوج امي واجامعها.

أوديب: لا، لا تحسبنّ أبداً أنني سأعود للحاق بأهلي.

الكورنثي: آه! أنا أدرك، يا بُنَيّ، أنك لا تعرف ما هو خطؤك!

أوديب: ماذا تقول، يا عجوز؟ باسم الآلهة، وَضِّحْ لي.

الكورنثي: لو كانت هذه هي أسبابك للتخلي عن العودة...

أوديب: إني أخشى تماماً أن يتبين أن فوبوس (= أبولون) صادقٌ في وحيه.

الكورنثي: أنت تخشى من نجاسة بالقرب من أهلك؟

أوديب: هذا - أيها العجوز - هو ما يتسلّط عليَّ.

الكورنثي: إذن أنت لا تعرف أنك تخاف دونما سبب للخوف.

أوديب: كيف يكون هذا ممكناً، إذا كنت أنا ابنهم؟

الكورنثي: ألا فلتعلم إذن أن پولوبوس لا يمتُّ إليك بنسب.

أوديب: ماذا؟ پولوبوس ليس هو الذي أنجبني؟

الكورنثي: إن پولوبوس لم ينجبك أنت، تماماً مثلما أنه لم ينجبني أنا.

أوديب: وأية علاقة بين أبي وبينك أنت يا من لا تنتسب إليَّ بأيّ نسب؟

الكورنثي: إنه لم يكن أباك أبداً مثلما أنه لم يكن أبي.

أوديب: ولماذا إذن كان يدعوني ابنه؟

الكورنثي: لأنه تلقاك من يديّ أنا هدية له.

أوديب: وهل كان يشعر بكل هذا الحنان نحو طفل ليس هو أبوه؟

الكورنثي: لأنه بقي وقتاً طويلاً بدون إنجاب أولاد.

أوديب: وأنت هل اشتريتني، أو عثرت عليَّ بالصدفة؟

الكورنثي: نعم، لقد عثرت عليك في وادٍ في قيثرون فيه أشجار.

أوديب: ولماذا كنت تتجول في تلك المنطقة؟

الكورنثي: كنتُ أرعى قطعاناً متنقلة المرعى.

أوديب: آه! كنتَ راعياً متنقلاً، أجيراً...

الكورنثي: لكنه أنقذ حياتك، يا ولدي، في ذلك الوقت!

أوديب: بأيّ داء كنت آنذاك مصاباً، حينما التقطني في هذه المحنة؟

الكورنثي: ربما تستطيع قدماك أن تشهد عليه بعدُ.

أوديب: آه! لماذا تذكّرني ببؤسي الماضي؟

الكورنثي: إني أنا الذي خلصت قدميك اللتين نفذ فيهما القيد.

أوديب: يا أيتها الآلهة! يا له من عار شنيع أحاط بي وأنا في المهد!

الكورنثي: أنت تدين له بالاسم المأخوذ من هذه الحادثة.

أوديب: لكن مَنْ الذي أراد هذا؟ أهو أبي؟ أو أمّي؟ بحق الآلهة إلا أخبرتني.

الكورنثي: لا أدري. لكن من وضعك في يديّ يعرف هذا خيراً مِنّي.

أوديب: لست أنت إذن الذي عثرت عليَّ؟ أنت تلقيتني من يد شخص آخر؟

الكورنثي: نعم؛ من يد راعٍ آخر أسلمك إليَّ.

أوديب: ومَنْ هو؟ هل تستطيع أن تحدّده بدقة؟

الكورنثي: لا شك أنه كان من رجال لايوس.

أوديب: الأمير الذي كان يحكم هذه البلاد فيما مضى؟

الكورنثي: تماماً، لقد كان راعياً عند هذا المَلِك.

أوديب: هل لايزال حيّاً، حتى أستطيع أن أراه؟

الكورنثي: أنتم، يا أهالي هذا البلد، أنتم أَعْلَمُ بهذا.

أوديب: (مخاطباً الكورس)، يا مَنْ أنتم هناك، هل بينكم أحدٌ يعرف من هو الراعي الذي يتكلم عنه هذا الرجل، وهل يقيم في الحقول، وهل شوهد ههنا؟ تكلّموا إذن بصراحة؛ لقد جاءت اللحظة التي فيها يُكْشف عن السرّ في هذه المسألة.

قائد الكورس: أعتقد أنه ليس شخصاً آخر غير الراعي المقيم في الريف والذي أردتَ أن تراه. لكن يوكاسته موجودة هنا: لا أحد يستطيع أن يخبرنا خيراً منها.

أوديب: أنت تعلمين، يا امرأة: الشخص الذي رغبنا منذ قليل أن نراه وهو الذي يتحدث عنه...

يوكاسته: أيّاً كان مَنْ يتحدث عنه! لا تهتم به أبداً. ومِنْ كل ما قالوه لك لا تحتفظ بأية ذكرى: إذ ما فائدة هذا!

أوديب: مستحيل! لقد جمعتُ من الأدلّة مقداراً كبيراً يدعوني إلى مزيد من البحث عن أهلي.

يوكاسته: كلا، بحق الآلهة! إن كنت حريصاً على الحياة، فلا تفكرّ في هذا بعد. وحَسْبي ما أعانيه أنا.

أوديب: لا تَخْشَي شيئاً. فحتى لو بَين أنني عبد وحفيد عبيد، فإن هذا لن يشينك أنتِ.

يوكاسته: صَدّقني، أرجوك أن تكفّ عن هذا.

أوديب: لن أصدّقك؛ أنا أريد أن أعرف الحقيقة.

يوكاسته: أنا أعلم ما أقول. إن نصيحتي حسنة.

أوديب: إن نصائحك الحسنة صارت تضايقني.

يوكاسته: آه! ليتك لا تعلم أبداً مَنْ أنت!

أوديب: ألا يذهب أحدٌ لاستدعاء هذا الراعي؟ دعوها تتفاخر بسلالتها الثريّة.

يوكاسته: مسكين! مسكين! نعم، هذا هو الاسم الوحيد الذي يمكن أن أدعوك به. لن تتلقى من فمي أيَّ اسم آخر.

(تدخل القصر وهي في غاية الحيرة).

قائد الكورس: لماذا تخرج هي هكذا، يا أوديب؛ تلوح كما لو كانت قد قفزت تحت تأثير ألَمٍ فظيع. أخشى أن تنفجر - بعد مثل هذا الصمت - مصيبةٌ هائلة.

أوديب: آه! فلتنفجر إذن كل المصائب كما تشاء! لكن أصلي، مهما يكن متواضعاً، فإني عازم على معرفته. إنها بكبرياء المرأة، تخجل من كون أصلي مغموراً: أما أنا فأعتبر نفسي إبناً للبخت، البخت السخيّ، ولا أشعر بأي خجل من هذا، إن «البخت» هو أبي، والسنوات التي صاحبت حياتي جعلتني مرة صغيراً،

ومرّة كبيراً. ذلك هو أصلي، وليس في استطاعة شيء أن يغيّره، فلماذا أتخلى إذن عن معرفة مَنْ هو الذي أنجبني؟

(الكورس تحيط بأوديب وتحاول أن تسّري عنه همومه).

الكورس: لو كنت منبئاً صادقاً، ولو كانت معلوماتي تكشف لي عن الحقيقة، أجل، بحق الأولمب أُقسِم أنه ابتداءً من غد، عندما يكون القمر بدراً، ستسمع يا قيثرون، تمجيداً لك بوصفك مواطناً لأوديب، ومربياً له ووالداً، وجوقاتنا ستحمدك للمواهب التي منحتها إلى ملوكنا. وأنت أيضاً يا فوبوس! يا من تُستدعى بنبرات حادة، ليتك تطرب لهذه الأناشيد!

مَنْ إذن، أيها الطفل، أتى بك إلى هذا العالم؟ ومَنْ إذن، مِنْ بين الحوريات الطويلات العُمْر، من هي إذن تلك التي أحبّت پان Pan وجعلته والداً، پان الإله الذي يتجول بين الجبال؟ أو لعلها أن تكون واحدة عاشقةً للوكسياس؟ إنه يحلو له أن يغشى المرتفعات الموحشة.

أو ربما كان هو سيّد كولينا[١]؟ أو لعله هو باخوس الإلهي، الساكن في القمم العالية، هو الذي نقبّله، كابن من بين يدي إحدى الحوريات اللواتي كان كثيراً ما يغازلهن على الهليكون[٢]؟

(عن يسارٍ يدخل عبدان وهما يقتادان راعياً عجوزاً).

أوديب: حسبما أستطيع أن أفترض، دون أن أكون قد قابلته بعد، فإن هذا الراعي، يا أيها الشيوخ، يلوح لي أنه هو الذي أنتظره منذ بعض الوقت. إن علوّ سِنّه يتفق مع سنّ هذا الرجل. ومن ناحية أخرى، إني أتعرّف فيمن يقتادانه، بعض رجالي. لكن عِلْمك لا شك أفضل من علمي أنا، لعلك رأيته في الماضي.

قائد الكورس: نعم، اعْلَم أني أتعرّفه. لقد كان يعمل عند لايوس وكان يعدّ أخلص الرعاة عنده.

أوديب: إني أخاطبك أنت أولاً، أيها الكورنثي. أهذا هو الرجل الذي تتحدث عنه؟

(١) هرمس؛ وكانت أمه حورية في كولينا، بإقليم أركاديا.
(٢) Helicon: جبل عال في وسط بلاد اليونان.

الكورنثي: نعم، إنه هو بعينه؛ إنه ماثل أمامك الآن.

أوديب: تعالَ أيها الشيخ. اقترب منّي، وأَجِبْ عن اسئلتي، وعيناك في عينيّ. هل كنت تشتغل عند لايوس؟

الخادم: نعم كنت عبداً غير مُشْتَرى، بل ولدتُ في قصر الملك.

أوديب: بأيّ عمل كُنْتَ مكلّفاً؟ وكيف كنت تعيش؟

الخادم: كنت أرعى القطعان الماشية في معظم الأوقات.

أوديب: وفي أي المناطق كنت تفضل أن تقيم؟

الخادم: في منطقة قيثرون، أو في النواحي المجاورة لها.

أوديب: وهل تتذكر أنك عرفت هذا الرجل؟

الخادم: لكن ماذا كان يعمل هناك؟ وعَمّن تتكلم؟

أوديب: عن هذا الرجل الواقف هناك. ألم تقابله؟

الخادم: ليس بدرجة كافية تسمح لذاكرتي بالإجابة بسرعة.

الكورنثي: لا عجب في هذا، يا مولاي، لكن ما دام لم يتعرَّفني، فإني أنا سآخذ في إيقاظ ذكرياته. أنا متأكد أنه يتذكر الزمان الذي فيه، على القيثرون، هو ومعه قطيعان، وأنا ومعي قطيع واحد، عشنا جنباً إلى جنب، ثلاث مرات، طوال ستة أشهر، من بداية الربيع حتى إشراق الدبّ الأكبر. ولما جاء الشتاء عُدْنا بمواشينا: أنا إلى زريبتي، وهو إلى زرائب سيّده. فهل ما أقوله صحيح، أو غير صحيح؟

الخادم: صحيح. لكن هذه أمور قديمة جداً.

الكورنثي: والآن، خبّرني. في ذلك الزمان، هل تتذكر إنك سلّمت إليّ طفلاً، لأتولى تربيته كما لو كان ابني أنا؟

الخادم: ماذا تقول؟ ماذا تقصد بهذا؟

الكورنثي: ها هو ذا، يا صاحبي، هذا الذي كان آنذاك طفلاً.

الخادم (رافعاً عصاه): ويل لك! أما تخرس!

أوديب: قف، أيها العجوز، لا تضربه بعصاك! بل أقوالك أنت هي التي تستحق الضرب بالعصا أكثر من أقواله هو.

الخادم: لكن ما هي غلطتي، يا أحسن السادة؟

أوديب: إنك لم تَقُل لنا شيئاً عن الطفل الذي يتكلم هو عنه.

الخادم: إنه يتكلم وهو لا يعلم، ويتحرك سُدًى.

أوديب: إذا كنت لا تريد أن تتكلم طوعاً وبمشيئتك، فستتكلم رغماً عنك وسيكلفك هذا غالياً.

الخادم: آه! أتوسل إليك، بحق الآلهة، لا تُسيىء معاملة شيخ عجوز.

أوديب: هيا بسرعة، أوثقوا يديه في ظهره!

الخادم: يا ويلتاه! لماذا إذن؟ ماذا تريد أن تعرف؟

أوديب: هل أنت الذي سلّمت إليه الطفل الذي يتكلم هو عنه؟

الخادم: نعم، أنا. لقد كان عليَّ أن أموت في نفس اليوم.

أوديب: إن رفضت الكلام، فهذا هو ما ينتظرك.

الخادم: إذا أنا تكلمتُ، فإن موتي سيكون مؤكداً أكثر.

أوديب: يلوح لي أن هذا الرجل يبحث عن وسيلة للتخلّص.

الخادم: كلا، فأنا قد قُلْتُ إنني أنا الذي سلّمته إليه.

أوديب: ومِمّن استلمته أنت؟ مِنْ نفسك، أو من شخص آخر؟

الخادم: إنه ليس ابني. بل استلمته من شخص آخر.

أوديب: مِمّن؟ ومن أيّ بيت في ثيبا خرج؟

الخادم: لا، يا مولاي، بحق الآلهة، لا تتطلب أكثر من هذا.

أوديب: أنت ميّت، إذا كان عليَّ أن أكرّر طلبي.

الخادم: إنه وُلِد عند لايوس.

أوديب: عبداً؟ أو قريباً للملك؟

الخادم: واحسرتاه لقد وصلت إلى أقسى شيء عليَّ أن أقوله..

أوديب: وعليَّ أنا أنْ أسمعه. ومع ذلك سأسمعه.

الخادم: إنه كان يعتبر ابنه. لكن زوجته، في القصر، تستطيع خيراً من أي إنسان آخر، أن تخبرك بحقيقة الأمر.

أوديب: أهي التي سلّمته إليك؟

الخادم: نعم هي، يا مولاي.

أوديب: بأيّة نيّة؟

الخادم: من أجل أن أقتله.

أوديب: أمّ! يا لها من امرأة شقيّة!

الخادم: كانت تخاف من وحي أوحت به الآلهة.

أوديب: وماذا أعلن هذا الوحي؟

الخادم: أنه في ذات يوم - حسبما زعم - سيقتل هذا الطفل أبويه.

أوديب: لكن لماذا سلّمته أنت إلى هذا العجوز؟

الخادم: لأني أشفقت عليه، يا مولاي. لقد اعتقدتُ أنه سيحمله إلى البلد الذي جاء منه. لقد أنقذ حياتك، لكن من أجل حدوث أفظع الشرور! إن كنت أنت حقاً من يتكلم هو عنه، فأعلم أنك وُلِدْتَ وقد قُدِّر عليك الشقاء.

أوديب: واأسفاه! واأسفاه! هكذا إذن قد صدق كل شيء! آه! يا نور النهار، الذي أراه لآخر مرة، لأنه في هذا اليوم تكشَّف أنني ابنٌ لذلك الذي كان من الواجب أن أكون ابنه، وزوّج لتلك التي يجب ألا أكون لها زوجاً، وقاتلٌ لمن كان يجب ألا أقتله!

(يمشي متخبطاً في القصر).

الكورس: يا أيتها الأجيال البشرية، إني لا أرى فيك إلاّ العَدَم! من هو إذن الإنسان الذي يحصل من السعادة على أكثر مما ينبغي كي يبدو سعيداً، حتى إذا ما بَدَا ذلك فإنه يختفي من الأفق؟

إذا أنا ضربت بمصيرك المَثَل، مصيرك أنت أي أوديب البائس، فإني لا أستطيع أن أحكم على أحد من الناس بأنه سعيد.

لقد طمح إلى أعلى العُلا. واستولى على ثراء وسعادة كاملين.

إنه قضى على العرّافة[1] ذات المخالب الحادة، يا زيوس. وقد وقف أمام مدينتنا كمتراس ضد الموت.

وهكذا، أي أوديب، أعلنوك ملكاً علينا، وتلقيت أسمى آيات الشرف، وتوليت المُلْك على ثيبا القوية.

والآن؛ مَنْ عسى أن يكون أكثر شقاء منك أنت؟ من ذا الذي عانى الكوارث، والبلايا البالغة الفظاعة، في مثل هذا الانقلاب للحظ؟

آه! أيْ أوديب العزيز النبيل! أهكذا مخدع الزوجية شاهد الابنَ بعد الأب يدخلان في نفس المرفأ الرهيب!

والحقلُ الذي حرثه[2] أبوك، كيف احتملك أنت ولمدّة طويلة، ودون تمرّد، يا أيها الشقيّ؟

إن الزمان، الذي يرى كل شيء قد كشف عنه على الرغم منك. إنه يدين هذا الزواج، الذي ليس من الزواج في شيء، والذي منه وُلِد منذ أيام طويلة ـ والدٌ وأبناء معاً.

آه! يا ابن لايوس! كم وددت أن أكون قد عرفتك أبداً، أبداً! إنني في غاية التألُّم، والصرخات الحائرة تنطلق من فمي. لا بد من قول الحقيقة: بك في الماضي استرددت الحياة، وبك اليوم أغلق عيوني إلى الأبد.

(عبدٌ يخرج من القصر).

الرسول: أنتم يا من شرفهم هذا البلد في كل زمان بين سائر الناس، ماذا ستسمعون وماذا سترون؟ أيّ نشيد رثاء لا بد لكم أن تنشدوه إن كنتم لا تزالون تهتّمون ببيت اللبداكيين، مخلصين لدمكم؟ أعتقد أن نهري الاستر Ister والفاس[3] Phase لن يكون في مقدورهما أن يغسلا النجاسات التي يحتوي عليها هذا القصر، والتي سيكشف عن بعضها بعد قليل ـ نجاسات إرادية وليست لا إرادية؛ لكن، بين

---

(١) أي: الاسفنكس.

(٢) هذا التعبير القوي نجده أيضاً في «القرآن» في الآية: ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ (سورة البقرة آية رقم ٢٢٣).

(٣) هما الآن نهرا الدانوب والريون Rion.

المصائب، أليس أفظعها هي تلك التي تولدت عن اختيار حرّ؟

قائد الكورس: ما لمحناه زودنا بمادة للنواح: فماذا تريد أن تضيف إليها؟

الرسول: كلمة واحدة تكفي، كلمة موجزة في التفوه بها كما هي موجزة في سماعها، وهي: إن يوكاستهَ قد ماتت.

قائد الكورس: مسكينة! وما السبب في موتها؟

الرسول: هي نفسها. بيد أن ما هو أشدّ إيلاماً في كل هذا ندّ عنك: إنك على الأقل لم تشهد المنظر. وعلى الرغم من كل شيء، فإنك ستعلم ما عانت من آلام هذه المرأة البائسة، بالقدر الذي تسمح به ذاكرتي. لم تكد تجتاز البهو، وإذا بها تُهْرَع إلى فراش الزوجية وهي تنتزع شعرها من رأسها. ثم دخلت وأغلقت الباب بعنفٍ وراءها. ثم هتفت باسم لايوس، الذي مات منذ عدة سنوات، وذكرت «الأبناء الذين أنجبتهم منه، والذين بواسطتهم هلك هو، تاركاً الأم هي الأخرى تنجب لأولادها ذرية منحوسة». وراحت تنوح على الفِراش «الذي عليه أنجبت هذه البائسة زوجاً من زوجها وأبناءً من أبنائها!» كيف هلكت بعد ذلك ـ هذا أمرٌ أنا أجهله لأنه في هذه اللحظة وقع أوديب وهو يصرخ بيننا، ومنعنا من مشاهدة نهايتها: فلم نستطع أن نشاهد إلاّ إياه. استدار حول جماعتنا؛ وغدا، وراح، متوسلاً إلينا أن نزوّده بسلاح، وطالباً منا أن ندلّه على المكان الذي توجد فيه «الزوجة التي لم تعُد بعدُ زوجته، لكنها كانت الحقل الأمومي له ولأبنائه». ولا شك أن إلاهاً كان يقود غضبه، ولم يكن واحداً من أولئك الذين أحاطوا به وأنا معهم. وفجأة، أطلق صرخة مروّعة؛ وكما لو كان مقوداً بدليل، انقضّ على عضادتي الباب، ودفع المغلاق من العضادة، ثم اندفع إلى وسط الغرفة. إن المرأة مشنوقة! إنها هناك أمامنا، مخنوقة بالعقد التي تتأرجح من السقف. فلما رأى المسكينُ هذا المنظر أطلق زفرة مروّعة. فكّ الحبل الذي عُلّقت فيه، فسقط جسمها البائس على الأرض. لقد كان ذلك منظراً ترتعد منه الفرائص. ثم انتزع الدبوسين[1] الذهبيين اللذين كانا يربطان ملابسها بجسمها ورفع الدبوسين في الهواء، وأخذ يغرز بهما عينيه في محجريهما. وقال: «وهكذا لن تبصرا الشرّ الذي

(١) أحدهما يمسك تنّورة يوكاسته، والآخر يمسك معطفها.

عانيته، ولا الشرّ الذي تسببت أنا فيه؛ وستمنعهما الظلمات من أن تبصرا، من الآن فصاعداً، أولئك الذين كان من الواجب عليّ أن أراهم[1]، وأن أعرف أولئك الذين كنت ـ على الرغم من كل شيء ـ أريد أن أعرفهم[2] بي». وكان يردد هذه الكلمات باستمرار، وذراعاه مرفوعان، وهو يصفع عينيه، والدم يسيل من حدقيتهما على لحيته. ولم يكن ذلك تقطراً لقطرات حمراء، بل مطراً أسود يجمع بين الدمع والدم، ويفيض على وجهه. وهذه الكارثة قد حدثت لا بسببه هو وحده، بل بسبب من كليهما معاً. إنها الكارثة المشتركة بين المرأة والرجل. إن سعادتهما فيما مضى كانت بالأمس سعادة بالمعنى الحقيقي للكلمة: أما اليوم فإن الأمر بالعكس: ليس هناك إلاّ الزفرات والكارثة، والموت، والعار؛ وكل حزن له اسمٌ قد صار موجوداً ههنا من الآن فصاعداً؛ لم يتغيب أي نوع منه.

قائد الكورس: والآن، هل ينعم هذا الشقيّ بأيّ فترة استراحة من الألم؟

الرسول: إنه يصرخ صرخات عالية مطالباً «بفتح الأبواب»، وأن يشاهد كل القدموسيين ذلك الإنسان الذي قتل أباه، وجعل من أمّه. . .» كلماته هنا هي من الفحش بحيث لا أستطيع أن أكرّرها. إنه يتكلم «كإنسان يستعد لنفي نفسه بنفسه من هذه البلاد، ولا يستطيع الإقامة بعدُ فيها، لأنه يقع الآن تحت طائلة اللعنة التي أطلقها». ومع ذلك فإنه في حاجة إلى سند أجنبي، إنه في حاجة إلى من يقوده. إن الضربة التي أصابته شديدة جداً لا تحتمل. وستحكم أنت على هذا بنفسك. إن مزلاج بابه يرفع الآن. ستشاهد منظراً يرثي له حتى أعدى أعدائه.

(أوديب يظهر، ووجهه يتقطر دماً، وهو يتحسس طريقة بصعوبة).

قائد الكورس: يا لها من بليّة يروِّع مشهدها الناظرين! ـ إنها أفظع ما صادفته في طريقي. أيّ خَبَل، أيها البائس، قد انهار عليك! مَنْ مِن «الخالدين» (الآلهة) قد وثب على حظك البائس وثبة ليس هناك ما هو أفظع منها؟

آه، أيها البائس! كلا إني لا أستطيع أن أتطلع في وجهك. ومع ذلك فكم كان بودّي أن أسألك، وأن أفحص عن أمرك. لكن أنت تثير في نفسي أشد الخوف.

---

(١) أي الأولاد الذين أنجبهم من يوكاسته.

(٢) أي أبويه الحقيقيين اللذين كُشِف له الآن عن هويتهما، وكانا يريدان موته: أي لايوس ويركاسته.

أوديب: واحسرتاه! واحسرتاه! ما أشقاني! إلى أين تحملني خطواتي، أنا الشقيّ؟ إلى أين يطير صوتي، وهو يضل في الهواء؟ آه! يا مصيري، في أية هاوية سقطت؟

قائد الكورس: في كارثة، ويا ويلتاه! يُرَوِّع مرآها كما يروّع سماعها.

أوديب: آه! سحابة من الظلمات! سحابة فظيعةٌ، تمتد فوقي، هائلة لا تُقَاوم، مدمِّرة!

آه! كم أشعر أنه ينفذ في داخل كياني نَصْل جراحي وذكرى مصائبي في وقت معاً!

قائد الكورس: لن يندهش أحدٌ من أنه في وسط هذه المِحَن أنك تعاني بلاءً مزّرعاً وألماً مزدوجاً.

أوديب: آه، يا صاحبي أنت وحدك لا تزال إلى جانبي؟ أتوافق إذن على العناية بأعمى؟

آه! ليس هذا خداعاً: فمن أعماق هذه الظلمات أنا أتعرف صوتك بوضوح جداً.

قائد الكورس: ماذا فعلتَ؟ كيف خرّبتَ إذن حَدَقتيك؟ أيّ إله دفع ذراعك ففعلت هذا؟

أوديب: أپولون، يا أصحابي! إنه أپولون هو الذي صَبَّ عليّ في هذه الساعة هذه الفظائع، هذه البلايا التي هي نصيبي، نصيبي من الآن فصاعداً. لكن لم تضربني أية يدٍ أخرى غير يدي أنا، يدي أنا، أنا الشقيّ! ماذا أستطيع أن أُبْصِر بعدُ مما عساه أن يكون عذباً في نفسي؟

الكورس: هذا صحيح ويا أسفاه!

أوديب: ماذا يمكن أن أُبصِر مما يرضيني؟ هل ثم بعدُ نداء أستطيع أن أسمعه بسرور؟

آه! اقتادوني بعيداً عن هذه الأماكن بسرعة! يا أصحابي، اقتادوا الكارثة الرهيبة الملعونة بين الملعونات، الرجلَ المكروه من الآلهة أشد ما تكون الكراهية!

قائد الكورس: إن نفسك تعذّبك بقدر ما تعذبك بليّتك. كم كنت أود ألا تكون قد عَلِمْتَ بشيء!

أوديب: آه! أياً مَنْ كان، فاللعنة على الرجل الذي أمسك بي من قيدي القاسي وأنا على عشب المرعى، وأنقذني من الموت، وردّني إلى الحياة! إنه بهذا لم يفعل شيئاً مفيداً لي.

لو كنت قد مُت في تلك الساعة، لما كنت قد صِرْتُ كارثة على نفسي ولا على أهلي مثلما أنا اليوم.

الكورس: وأنا أيضاً كانت هذه أُمْنِيَتي.

أوديب: إذن لما كنتُ قاتلاً لأبي، ولما كنتُ في نظر كل الناس قد صرتُ زوجاً لتلك التي أدين لها بالحياة.

أما اليوم فقد صرت عاراً، وابناً لوالدَيْن فاسقين، وأنجب هو نفسُه أبناءً من أمه التي ولدته؛ إن كانت هناك مصيبة وراء كل مصيبة فها هي ذي، إنها نصيب أوديب.

قائد الكورس: إني لا أعلم حقاً كيف يمكن تبرير القرار الذي أتخذتّه. كان الأفضل لك ألا تعيش بعدُ من أن تعيش أعمى إلى الأبد.

أوديب: آه! لا تَقُلْ لي إن ما فعلته أنا لم يكن أفضل ما يمكن فعله. وأَعْفِني من دروسك ونصائحك! حينما أنزل إلى العالم السفلي، بأيّ عينين، إذا كنت مبصراً، أستطيع أن أنظر إلى والدي وإلى أمّي المسكينة، بينما أنا قد ارتكبت في حقهما جرائم أفظع من تلك التي من أجلها يشنق الإنسان نفسه؟ وهل رؤية أولادي يمكن أن تسرُّني؟ أولادٍ وُلِدُوا مثلما وُلِد هؤلاء! إن عيوني - على الأقل - لن تراهم، ولن ترى هذه المدينة، وهذه الأسوار، والصور المقدسة لآلهتنا الذين أنفصلتُ أنا عنهم، أنا الشقيّ، أنا أمجد أبناء ثيبا، في اليوم الذي أمرتُ فيه الجميع بأن ينبذوا هذا الكفر وأعلن الآلهة أنه نجس أنا ابن لايوس! وبعد أن أسلمتُه أنا بنفسي على هذا النحو نجاستي أنا، أسيكون في وسعي أن أراهم[1] دون أن أغض الطرف؟ لا، لا وحتى لو أمكنني أن أصدّ سيد الأصوات عن الوصول إلى أُذُنَيّ،

(١) الضمير يعود إما إلى أفراد الكورس أو إلى أهل ثيبا.

فلا شيء حينئذ سيمنعني من إغلاق جسمي المسكين، بجعله أعمى وأصمَّ معاً. كم يطيب للنفس أن تحيا خارج بلاياها! آه! يا قيثرون، لماذا التقطتني؟ لقد كان الأحرى بك أن تمسك بي وتقتلني في الحال! إذن لما كنتُ قد كشفت للناس هكذا عن أصلي الذي جئت منه! إيه يا بولوبوس، إيه يا كورنثوس، وأنت أيها القصر العتيق، يا من قيل عنه إنه قصر أبي، تحت كل هذه المظاهر الجميلة - أيُّ دُمَّل خبيث أنت ولّدته في نفسي! إني أظهر اليوم كما أنا عليه في حقيقة الأمر: مجرم، وسليل مجرمين! أيها الطريق المزدوج، أيها الوادي المختفي! ويا أيكة أشجار السنديان! ويا تقاطع الطريق الضيق الذي تلاقى فيه طريقان. أنت يا مَنْ شربت دم أبي المسفوح بيديّ أنا - هل نسيت الجرائم التي ارتكبتها تحت نظر عينيك، وتلك التي اقترفتها فيما ههنا أيضاً؟ وأنت أيها الزواج الذي أدين له بالوجود، وبعد ميلادي عالجت نفس البذور وأتيت إلى الدنيا بآباء، وإخوة، وأولاد، وكلهم من نفس الدم! زوجات هي في وقت واحد حلائل[1] وأمهات - وهم أكبر المسربلين بالعار بين بني الإنسان - لا، لا! هناك أمور ذكرها لا يقل عاراً عن السكوت عنها. هيا أسرعوا - باسم الآلهة - هيا اسرعوا فخبئوني في مكانٍ ما بعيد عن هنا! اقتلوني، ارموني في البحر، أو في أماكن لا يراني فيها أحد. تعالوا، تنازلوا وامسسوا رجلاً بائساً. آه! صدّقوني، لا تخافوا مصائبي هي لي أنا، ولم يخلق إنسان آخر لحملها.

قائد الكورس: لكن للإجابة على طلباتك، ها هو ذا كريون قد جاء في الوقت المناسب. إنه كفء للعمل بقدر ما هو كفء لإسداء النصح إليك، لأنه هو الوحيد الذي بقي للسهر على مصالح بلدنا بعدك.

(كريون يدخل).

أوديب: أواه! ماذا عليَّ أن أقول له؟ أية ثقةً يمكن أن أدعى بها إليه؟ ألم أكن قاسياً معه؟

كريون: أنا لم آت ههنا للاستهزاء بك يا أوديب، ولا للومك على الشتائم التي صببتها عليَّ فيما مضى. أما أنتم، فإن لم يكن عندكم احترام لجنس بني

---

(١) صيغة الجمع قد يراد بها المفرد - وهذا أمر شائع عند شعراء المآسي اليونانية.

الإنسان، فاحترموا على الأقل النار[1] التي تغذّي هذا العالم؛ اخجلوا من أن تعرضوا لأشعتها عارياً شخصاً نجساً هكذا، لا تستطيع تقبّله الأرض ولا الماء المقدس، ولا ضوء النهار. اذهبوا، عودوا به بسرعة إلى بيته. إن الرحمة تدع للأقارب وحدهم الاهتمام والاصغاء إلى الأقارب الذين يقعون في محنة.

أوديب: باسم الآلهة، ما دمتَ قد خلصتني من الخوف بمجيئك ـ أنت يا أفضل الناس ـ إلى شر الأشرار ـ أصْغِ إليّ. أريد أن أكلمك من أجل مصلحتك أنت، لا مصلحتي أنا.

كريون: وما هو طلبك الذي تحثّني عليه هكذا؟

أوديب: ألْقِ بي خارج هذه البلاد، وبأسرع ما يمكن، في مكانٍ لا يكلّمني فيه أحد.

كريون: كن واثقا أنني كنت سأفعل هذا، لولا أنني أردت أوّلاً أن أعرف من الآن ما هو واجبي.

أوديب: لكن الإله قد أعلن حكمه وهو: للقاتل وللكافر الذي هو أنا العقاب هو الموت.

كريون: هذه فعلاً كلماته، لكن في المحنة التي نحن فيها الأفضل هو أن نتأكد مما هو واجبنا.

أوديب: ماذا! من أجل بائسٍ تريد أن تستشير أيضاً؟

كريون: هذا من أجل أن تصدّق أنت الإله في هذه المرّة.

أوديب: أنا أصدّقه في هذا. وأوجّه إليك آخر تمنياتي وأقول: أما بالنسبة إلى تلك الموجودة هناك، في أعماق القصر، فاذهب وأعدّ مراسم الجنازة على النحو الذي تريدها أنت: إنه من اختصاصك أن تعني بأهلك. أما فيما يتعلق بي أنا، فطالما كنتُ حيّاً، فإني لا أريد الإقامة في هذه المدينة، مدينة آبائي! بل دعني أسكُنْ في الجبال، فوق جبل قيثرون هذا الذي يقال إنه نصيبي المقدّر عليّ. إن أبي وأمي، وهما حيّان، قد قررا أن يكون لي قبراً. وهكذا سأموت إذن بواسطة

(١) أي: الشمس.

أولئك الذين أرادوا موتي. ومع ذلك فأنا أعلم أنه لا المرض ولا أي شيء آخر في العالم لا يمكن أن يقضي عليّ: فإني لم أُنقَذ في الساعة التي كنت أموت فيها إلا من أجل أن أصاب بمصائب فظيعة. لا يهم! ليأخذ مصيري مجراه المقدر له. لكنّ لي أبناءً. لكن، يا كريون، لا تهتم بأبنائي. إنهم رجال: وأينما كانوا، فلن يعوزهم الخُبْز. أما بناتي المسكينات الجديرات بالرحمة، اللواتي بدونهن لم تكن تمدُّ لي مائدة الطعام، وشاركن دائماً في كل الأطعمة التي ذُقتها ـ فإني أتوسل إليك أن تهتم بهنّ. وخصوصاً، دعني أربّت عليهن بيديّ، وأنا أبكي على مصائبنا. آه! أيها الأمير النبيل الكريم! إذا مسّتهن يداي فقط، فإني سأتصور أنهن لا زلن لي، تماماً مثلما كانت الحال حينما كنت أراهن بعيني المبصرتين! لكن ماذا أقول؟ يا أيتها الآلهة! أو لست أسمع ابنتي ههنا وهما تبكيان؟ ألم يرسلهما إليّ هنا كريون وقد أخذته الشفقة عليهما فأرسل أعزّ ما عندي، أعني ابنتي؟أصحيح ما أقول؟

(أنتيجونا واسمينا تخرجان من الجناح المخصص للسيدات، تقتادهما إحدى الإماء).

كريون: هذا صحيح. وأنا الذي رتبت لك هذه الفرحة، لعلمي بأنك كانت تراودك هذه الفكرة.

أوديب: لنهنأنّ إذن بالسعادة! ومكافأة لك على مجيئهما فليحفظك الإله خيراً مما فعل معي.

أنتما يا ابنتاي! أين أنتما؟ تعاليا، تعاليا نحو هاتين اليدين الشقيقتين اللتين فعلتا ما تشاهدان مِمّا حدث لهاتين العينين اللتين كانتا مليئتين بنور الأب الذي أنجبكما. هذا الأب، يا ابنتاي، دون أن يكون قد رأى شيئاً أو عَلِم شيئاً قد تكشّف فجأةً أنه أنجبكما في نفس الرَّحم الذي تكوّن هو فيه! إني أبكي عليكما أنتما أيضاً ـ لأنني لم أعُدْ أستطيع أن أراكما ـ نعم، أبكي حينما أتصور كم ستكون مرةً حياتكما في المستقبل، وأي مصير سيهيئوه لكما الناس. ما هي الاجتماعات في مدينتكما، وما هي الاحتفالات التي يمكن أن تحضراها، دون أن تعودا منها والدموع تنهمر من عيونكما، والضيق قد حلّ بكما من المنظر الذي شاهدتما. وحينما تبلغان سن الزواج، مَنْ ذا الذي سيريد، وسيجرؤ على تحمّل كل هذه المعرّات التي من شأنها أن تدمّر وجودكما، كما فعلت مع والديّ أنا؟ هل من جريمة أعوزتها؟ إن أباكم قتل أباه، وأخصب الرَّحِم الذي منه خرج؛ لقد أنجبكما

من تلك التي أنجبته هو: تلك هي المخازي التي ستعيّران بها. فمن بعد هذا يقبل الزواج منكما! لا أحد، يا ابنتاي؛ ولا شك في أنه مقضيٌّ عليكما باستهلاك عمركما في العقم وفي الوُحْدة. وأنت يا ابن منكيا، ما دمت ستبقى وحدك بمثابة الوالد لهما ـ فنحن الأب والأم لهما قد أصابنا الموت ـ لا تترك ابنتين من دمك تتشرّدان دون زوج، ويتسوّلان الخبز ليقتاتا به. ولا تجعل شقاءهما مماثلاً لشقائي. وارحمهما، وأنت تراهما في ميعة الصبا، مهجورتين من سائر الناس إن لم تأخذ بأيديهما. أعطني كلمة شرف بهذا، أيها الأمير الكريم، بأن تلمس يدي. (كريون يمدّ إليه يده). آه! كم من نصائح، يا ابنتاه، كنت أودّ أن أسديها إليكما لو أنكما كنتما في سن تسمح لكما بفهم ما كنت أود أن أقوله لكما. أما الآن، فصدّقاني، واسألا الآلهة، حيثما سمح لكم المصير بالعيش، أن تجدا هناك حياة أفضل من تلك التي عاشها الأب الذي أنجبكما.

كريون: أنت ذرفت من الدموع ما فيه الكفاية، فادخل إلى بيتك.

أوديب: لا أملك إلاّ الطاعة، حتى لو كلفني ذلك الكثير.

كريون: ما يفعله المرء حين يكون ذلك لابد منه هو دائماً فعلٌ حَسَن.

أوديب: هل تعرف ما هي شروطي للابتعاد عن هنا؟

كريون: خبّرني ما هي، وسأعلمها حينئذ.

أوديب: اعمَلْ على اقتيادي إلى خارج هذه البلاد.

كريون: الجواب موكول إلى الإله.

أوديب: لكني بغيض إلى الآلهة من الآن فصاعداً.

كريون: إذن ستحصل على هذا من غير شك.

أوديب: إذن أنت موافق؟

كريون: ليس من عادتي أن أتكلم بعكس ما أفكر فيه.

أوديب: إذن اقتدني على الفور.

كريون: تعالَ إذن، واترك بنتيك.

أوديب: كلاّ، ليس بدونهما؛ كلا، لا تسلبهما مِنّي!

كريون: لا تزعم أنك ستنتصر دائماً: إن انتصاراتك لم تصحب حياتك.

(تقتاد البنتان إلى الجناح الخاص بالنساء بينما يُدْخَل أوديب من الباب الكبير للقصر).

قائد الكورس: انظروا، يا أهالي مدينة ثيبا، وطني. ها هو ذا أوديب، الحاذق في حل الألغاز الشهيرة، والذي صار أول بني الإنسان. لم يكن أحدٌ في المدينة يتأمل مصيره إلا ويحسده عليه. أمّا اليوم، فها هو قد وقع في هاوية من الشقاء الرهيب. فلا بد إذن من اعتبار هذا اليوم الأخير بالنسبة إلى الإنسان. حذارِ إذن من أن نصف إنساناً بأنه سعيد، قبل أن يكون قد اجتاز نهاية عمره دون أن يكون قد عانى مصيبة[1].

ختام

مسرحية «أوديب ملكاً»

(١) هذه الفكرة كثيراً ما يرددها سوفقليس في مسرحياته.

مَسْرحيَّة «أنتيجُونا»

مقدّمة «أنتيجونا»

بقلم د. عبد الرحمن بدوي

حظيت مسرحية «أنتيجونا» لسوفقليس عند أهل أثينا بالحظ الأوفر من الإعجاب، حتى إنهم كافأوه عليها بتعيينه قائداً حربياً.

أما أنه كان قائداً حربياً فقد أجمعت على ذلك المصادر التاريخية التي بين أيدينا[١] فقد قاد أساطيل وجيوش أثينا في حرب ساموس سنة ٤٤٠ق.م. فأحد هذه المصادر قد نصّ على أن نجاح مسرحية «أنتيجونا» كان هو السبب الذي حمل أهل أثينا على تعيينه قائداً حربياً. وهنا قد يتساءل المرء: وما العلاقة بين التفوق في الانتاج المسرحي، وبين البراعة في قيادة الجيوش؟ والجواب هو أنه ليس ثم علاقة، ولكن أهل أثينا رأوا أن يكافئوه على مسرحية «أنتيجونا» فلم يجدوا خيراً من أن يسندوا إليه أرفع منصب في المدينة آنذاك، وهو قيادة الجيش والأسطول.

فما هي المزايا التي انفردت بها مسرحية «أنتيجونا» دون سائر المآسي اليونانية المعاصرة؟ يقول پاتان Patin: «لا يوجد في أية مسرحية يونانية أخرى مثل هذا السمو في الأفكار، ومثل هذه العظمة في العواطف، ومثل هذا التصوير النبيل للإنسانية؛ وبهذا كله فإن هذه المأساة تقترب أكثر من غيرها ـ من الهدف الذي سعى إلى بلوغه فن المأساة، والذي نحوه توخّت انفعالات الرحمة والخوف

---

(١) راجع:

Vita Sophocli; Plutareh, Vita Percl; VIII; Cicero de Off; I, 40; Val. Maxim; IV, 5, Punims: est nat. XXXVII, 2

بوصفها معابر ودرجات، أعني الوصف المثالي لطبيعتنا»[1].

والحق أننا نجد في مسرحية «أنتيجونا» ـ وإلى أعلى درجة ـ النموذج الأعلى للتعريف الذي وضعه أرسطو للمأساة. قال أرسطو: المأساة هي محاكاة فعلٍ ذي طابع سامٍ وكامل، وذي اتساع معين، بلغة مزوّدة بتشويقات من نوع خاص وفقاً لمختلفَ الأجزاء ـ وهذه المحاكاة تتم بواسطة شخصيات تؤدي أفعالاً، وليس بواسطة حكاية مسرودة، وتثير الرحمة والخوف، وتؤدّي إلى التطهير الخاص بمثل هذه الانفعالات»[2].

فإذا أردنا تطبيق هذا التعريف على مسرحيتنا هذه، لوجدنا أن الفعل ذا الطابع السامي والكامل هو: قيام أنتيجونا بدفن أخيها فولونيقوس على الرغم من إصدار الملك كريون أمراً بعدم دفنه بدعوى أنه خان وطنه وهو مدينة ثيبا بأن جرّد حملة مؤلفة من سبعة جيوش حاصرت المدينة للاستيلاء عليها ـ وفِعْل أنتيجونا هذا يتسم بالسموّ والكمال، لأنه يعبّر عن وفاء المرء لأهله، والبرّ والإحسان إلى العشيرة، كما تمليه التقوى نحو بني الإنسان مهما أخطأوا، خصوصاً وأن الجانيَ ليس هو الإنسان الفرد بقدر ما هو «المصير» القاسي الذي لا يرحم.

وفعل أنتيجونا هذا فعل أخلاقيٌّ محض لا يرتقي إلى أيّ مجد أو منفعة أو عمل بطولي برّاق ومن هنا كانت العظمة في سلوك هذه الفتاة التي لا حول لها ولا قوة، في مواجهة بطش الطاغية: كريون. ولهذا يستشعر المشاهد أنبل مشاعر الرحمة والتعاطف مع أنتيجونا، كما يستشعر أشد الغضب والاستهجان لسلوك كريون.

وقد كان التمثيل بجثث الموتى من الأعداء أمراً مألوفاً على مدى تاريخ بني الإنسان، من بداية الحياة الإنسانية على الأرض حتى يوم الناس هذا. ولم يقتصر هذا التمثيل بجثث الموتى على تعريضها للسباع والطيور الجارحة بل امتد إلى قبورهم: وذلك بنبشها وتدمير ما بقي فيها من رفات وعظام. ولدينا شواهد على هذا حتى في النصف الثاني من هذا القرن العشرين!

---

(١) «دراسات عن المآسي اليونانية» جـ٢: «سوفقليس»، ص٢٥٣، باريس ١٨٨٦.

(٢) أرسطو: «فن الشعر» م٦ بند ٢١ وما يليه.

وهيجل يرى أننا في مأساة «أنتيجونا» بإزاء ليس فقط ضحيتين، بل وأيضاً مذنبين: أحدهما أنكر حقوق الدولة، والآخر حقوق الدم. والأول هو أنتيجونا، والثاني هو كريون.

وفي هذا الاتجاه يقول بك Beckh: «في مواجهة قوّتين مبجّلتين: هما دين الأسرة، وقانون الدولة - يوجد مذنبان عوقبا عقاباً عادلاً، وهما: كريون الذي جرّ عناده القاسي إلى هلاك ابنة هايمون وزوجته يوروديس، ثم أنتيجونا التي وإن كانت أقل ذنباً من خصمها كريون فإنها مع ذلك تستحق اللوم لأنها نسيت التحوّط الذي يمليه عليها جنسها (بوصفها امرأة)، ولأنها انتهكت بجسارةٍ قوانين المدينة؛ إنها - كما يقول الكورس، الابنة الحقّة لأوديب الجبّار: لقد أضلها الوجدان ضلالاً مهلكاً فاصطدمت بالعرش المنصوب للعدالة...».

لكن لماذا هذا التقويم السامي لفعل أنتيجونا؟ وماذا يضير القتيل إن لم يوار جثمانه الثرى، ووسط احتفالات جنائزية معينة؟

لقد صدقت أم عبد الله بن الزبير حين قالت له وهي تحثه على خوض القتال، فاحتج بأنه يخشى التمثيل به بعد قتله فقالت له هذه العبارة الرائعة: «وهل يضير الشاةَ سلخها بعد ذبحها؟!».

ولهذا فإن التمثيل بجثث القتلى من الأعداء كثيراً ما كان موضوع استهجان شديد، لأنه أولاً عمل مجاني لا يفيد، ولأنه عمل جبان لا يدل على أية شجاعة، وهو أجدر بالنسوة منه بالرجال. ومَنْ منّا لم يتقزز تقززاً لا مزيد عليه من مضغ هند - زوجة أبي سفيان - لكبد حمزة بن عبد المطلب، سيد الشهداء غداة قتله في موقعة جبل أُحُد؟!

لكن لفهم موقف أنتيجونا ينبغي أن نرجع إلى موقف اليونانيين القدماء من أمر دفن الموتى:

لقد كان اليونانيون القدماء يعتقدون أن حرمان الميّت من الدفن معناه الحكم عليه بأن تظل روحه شاردة أبداً، لن تعرف الراحة يوماً، طوال مائة عام على شواطىء نهر الـ«ستوكس Styx»، النهر الموجود في عالم الموتى، العالم السفلي. وكان حرمان الميت من الدفن يعني في الوقت نفسه انتهاك حقوق آلهة العالم السفلي، إذ عدم دفنه معناه انتزاعه منهم - إذن كان الحرمان من دفن الميت خطيئة

في حق الميت، وفي حق الآلهة على السواء. ولهذا اقتضت التقوى الدينية عند اليونانيين العناية بجثث الموتى. من غَسْل وتطييب بالعطور وإنشاد ترانيم معينة الخ.

وفي الشعر اليوناني شواهد قوية على هذه العقيدة:

أ ـ ففي «إلياذة» هوميروس نشاهد صراعات كثيرة ومعارك دائرة حول جثث المحاربين، خوفاً من أن ينتزعها الخصوم من أجل أن يقدموها طعاماً للسباع والطيور الجارحة: النسور والرخم. وبعد توفير الحماية لهذه الجثث تقام مراسم وطقوس تقوم فيها الأمهات، والزوجات والأخوات بغسل الجثث وإعدادها لتحرق.

وفي ختام «الإلياذة» نجد والداً قد أتى لفداء جثة ابنه، ويضطر إلى تقبيل يد من قتله حتى يسمح بإسلامه إليه مقابل فدية معلومة.

ب ـ وفي مسرحية «آياس» لسوفقليس نجد أن قِسْمها الثاني مكرّس لجثة آياس وما ينبغي أن يتمّ لها من طقوس.

جـ ـ والنشيدان الأخيران من «الإلياذة» هما وصف تفصيلي لجنازة كل من پاترוكل وهكتور. وهذا يدل على الاهتمام البالغ بمراسم الجنازة عند اليونان القدماء.



وقد عالج موضوع «أنتيجونا» القطبان الآخران للمأساة اليونانية، ونعني بهما: اسخولوس، ويوريفيدس. أما أن الأول عالجه فهذا من قبيل الظنّ فقط، إذ لم يبق لنا في المصادر إشارة إلى ذلك. أما أن يوريفيدس عالجه فأمر ثابت بحسب المصادر، كما أنه بقيت لنا شذرات[1] من مسرحيته عن «أنتيجونا» والاحتمال الوحيد الذي يستند إليه في الظن بأن أسخولوس قد كتب مسرحية عن أنتيجونا هو أنه يلوح من المنظر الأخير لمسرحية: «السبعة ضد ثيبا» لأسخولوس أن فيه ما يؤذن أو يعلن عن هذه المسرحية. ففي آخر مسرحية «السبعة ضد ثيبا» لأسخولوس نشاهد أن ابني أوديب: فولونيقوس واتيوكل قد قتل كلاهما الآخر. فأخذت

(١) نشرها M. J. A. Hartung في كتاب بعنوان: Euripides restitutions، سنة ١٨٤٣.

جثتيهما أختاهما أنتيجونا واسمينا إلى القبر. وكادت المسرحية تنتهي عند هذا الحد. لكن منادياً يجيء ويأمر باسم مجلس شيوخ المدينة أن فولونيقوس قد تقرر حرمانه من المراسم الجنائزية لأنه حمل السلاح ضد وطنه ثيبا. وهنا صمتت اسمينا أما أنتيجونا فإنها صاحت محتجةً على هذا القرار الظالم وأعلنت أنها لن تطيعه. وبهذه النهاية المبتورة تنتهي مسرحية «السبعة ضد ثيبا». وهذا البتر هو نفسه الذي حدا ببعض المؤرخين للأدب أن يفترض أن أسخولوس لا بد أنه قد تناول موقف أنتيجونا هذا في مسرحية قائمة بذاتها، ضاعت كما ضاعت الغالبية العظمى من مسرحياته.

ويبدو مما بقي لنا من شذرات من مسرحية يوريفيدس بعنوان «أنتيجونا» أن ثم فوارق بارزة في معالجته للموضوع. ففي أهم هذه الشذرات نجد أن أنتيجونا تقول مخاطبة كريون:

«إن الموت يُنهِي كل جدالٍ بيننا. وهل عند الفانين أمرٌ أقوى من الموت؟ لو أنك ضربت بالسيف مرمر المقابر، فهل يحسُّ هذا المرمر بما تصيبه به من جِراح؟ وكيف لا يكون الموتى في مأمن من إهاناتك، وهم لا يحسُّون؟» (الشذرة رقم ١٦).

فهذا الاعتبار الذي ساقته أنتيجونا لا نجد نظيراً له عند سوفقليس، الذي اقتصر على الإهابة بالطبيعة وبالدين. بيد أنه اعتبار قد سبق لأسخولوس أن لحظه حين قال: «إن الزعم بأن من الممكن إصابة الموتى بالخير أو بالشر ـ وهمٌ كبير، لأنهم لا يشعرون بالسرور ولا بالألم».

وثم فارق آخر يميز بين سوفقليس ويوريفيدس في معالجتهما للموضوع وهو أن يوريفيدس يعزو إلى الحب دوراً بارزاً في تصرفات هايمون. ذلك أن هايمون ـ في مسرحية يوريفيدس ـ يقول مخاطباً أباه كريون:

«إنني أحببتُ، والحبُّ يشوّش عقل الإنسان» (الشذرة رقم ٧).

أنتيجونا بعد العصر

اليوناني الكلاسيكي

ولا تخبرنا المصادر التاريخية أن أحداً من مؤلفي المآسي اليونانية، قد تناول موضوع أنتيجونا بعد يوريفيدس.

ولا بد من الانتقال إلى الأدب اللاتيني لنعثر على مؤلفين قد تناولوا هذا الموضوع. وأول من نلقاهم ههنا هو أتيكوس Atticus، الذي كتب مسرحية عن «أنتيجونا» بقيت لدينا منها شذرات نشرها ـ Oribbeck ضمن كتاب بعنوان: «بقايا شذرات لاتينية، Frag. Latin. reliq (ليپتسك، سنة ١٨٥٢)، نورد منها هذه الشذرة:

«كلا، إن الآلهة لا ينظمون شؤون العالم، وملكهم لا يهتم بما يحدث فيه».

وثاني مؤلف مسرحي لاتيني تناول موضوع أنتيجونا هو سنكا، الفيلسوف والمؤلف المسرحي (٤ق.م. ـ ٦٥م) في مسرحية بعنوان: «أهل ثيبا» Thebaid. وقد وصلتنا كاملة باستثناء الفصل الخامس فإنه مفقود.

كذلك تناول هذا الموضوع الشاعر اللاتيني استاتيوس Statios (٤٥ ـ ٩٦م) في ملحمة شعرية عنوانها: «أهل ثيبا».

وفي العصر الحديث، ابتداء من القرن السادس عشر، توالت ترجمات مسرحية سوفقليس «أنتيجونا» إلى اللغات الأوروبية. ونذكر منها على التوالي:

١ ـ ترجمة الشاعر الإيطالي المتي L. Alamanni قد ظهرت ضمن مجموعة مؤلفاته باللغة التوسكانية Opere tosca التي طبعت في مدينة ليون (فرنسا) سنة ١٥٣٢.

٢ ـ ترجمة T. de Baïf إلى الفرنسية في سنة ١٥٧٣.

٣ ـ ترجمة جارنيه Garnier في سنة ١٥٨٠ إلى اللغة الفرنسية.

٤ ـ ترجمة روترو Rotrou إلى اللغة الفرنسية في سنة ١١٣٨. وهذه الترجمات الفرنسية كلها بالشعر، وفيها تصرّف كبير من جانب المترجمين إلى درجة

أن من الممكن أن تعدّ هذه الترجمات هي في الوقت عينه مؤلفات مستلهمة من مسرحية سوفقليس أكثر منها ترجمات بالمعنى الدقيق.

٥ ـ وفي سنة ١٧١٣ نشر الشاعر الإيطالي الشهير: ألفييري Alfieri (١٧٤٩ ـ ١٨٠٣) مأساة بعنوان: «أنتيجونا».

وبمقارنة مسرحية ألفييري مع مسرحية سوفقليس يتبين لنا الاختلاف الواضح بين روح كلا المؤلفين: فإن سوفقليس لم يهتم بالأحداث، وإنما برسم طبائع الشخصيات والتوسع في المعاني الأخلاقية المستمدة من المواقف؛ أما ألفييري فقد اهتم بالأحداث ولم يتوقف عند تصور الأحوال النفسية للشخصيات. ثم إننا لا نجد عند ألفييري مكانة خاصة منسوبة إلى الأشخاص الثانويين: شيوخ مدينة ثيبا، والعرّاف تيرسياس، والحَرَس، الخ. حتى إن خشبة المسرح تكاد تكون خالية من الرجال في مسرحية ألفييري، بينما هي دائماً عامرة عند سوفقليس. ويقتصر المسرح عند ألفييري على الشخصيات الرئيسية: أنتيجونا، وكريون، وهايمون. بل إنه استبعد اسمينا تماماً من مسرحيته. بيد أنه استبدل بها فتاة أخرى. تدعى أرجيا، هي ابنة أدراست Adraste، وهي أرملة فولونيقوس. ويبدو أن مسرحية استاتيوس: «أهل ثيبا» هي التي ألهمته شخصية هذه الفتاة الأرجوسية. ونشاهد أن أرجيا قد قَدِمت من أرجوس لاختطاف رماد جثة زوجها فولونيقوس. إنها تحنّ إلى زوجها القتيل، وتشعر بالكراهية الشديدة نحو كريون ومن هنا تشابه دورها تماماً مع دور أنتيجونا.

ثم إن العقدة في مسرحية ألفييري تقوم في حب هايمون لأنتيجونا، وهو حب لا يلعب دوراً كبيراً في مسرحية سوفقليس. وفي مسرحية ألفييري نجد أن كريون يوافق على العفو عن أنتيجونا، بشرط أن تتزوج ابنه هايمون. لكن أنتيجونا تفضل الموت على هذا الزواج، لا لأنها لا تشعر بالمودة نحو هايمون، وإنما لأنها تبغض كريون أشدّ البغضاء، إنها لا تريد هذا الزواج نكايةً في الطاغية كريون، لا نفوراً من هايمون ابنه.



وهنا نتوقف عن سرد الترجمات والمحاكيات لمسرحية «أنتيجونا» لسوفقليس لأنه منذ بداية القرن التاسع عشر حتى اليوم توالت النشرات المحققة للنص اليوناني

وترجماته إلى مختلف اللغات الأوروبية بحيث يشغل سردها مجلداً كاملاً.

وحسبنا هنا أن نشير إلى تناول موضوع أنتيجونا في فن الموسيقى. فإن مندلسزون - بارثولدي Mendelssohn- Bartholdy قد جعله موضوع أوبرا، وذلك في سنة ١٨٨٤؛ وتلاه سان صانص Saint- Saens في سنة ١٨٩٣ فألّف أوبرا بعنوان «أنتيجونا».

ووضع أرثور هونجر Arthur Honnegger موسيقى لتمثيل مسرحية قائمة على مسرحية «أنتيجونا» تأليف الشاعر والمسرحي جان كوكتو؛ وحولها إلى دراما غنائية في سنة ١٩٢٧.

وفي سنة ١٩٤٥ صاغ المؤلف المسرحي الشهير، برتولت برشت Brecht مسرحية سوفقليس صياغة جديدة، اعتماداً على ترجمة هيلدرلن إلى الألمانية لمسرحية سوفقليس.

«أنتيجونا»

شخصيّاتُ المسْرحيّة

أنتيجونا

إسمينا

كورس من شيوخ ثيبا

كريون

حارس

هايمون

تيرسياس

رسول

أويرودايكه

رسول، مُخبِر

مُثلت لأول مرة في سنة ٤٤١ق.م.

المَطْلَع

[أمام القصر الملكي في ثيبا. الفجر على وشك البزوغ. أنتيجونا تخرج من جناح النساء، مقتادة أختها إسمينا بيدها. ويلوح عليها أنها في حالة انفعال شديد].

أنتيجونا: أنت دَمِي، وأختي، يا إسمينا، يا عزيزتي. وأنت تعرفين كل المصائب التي خَلّفها أوديب لأهله. لكن هل تعرفين واحدة منها لم يحرص زيوس على أن يبلغ بها أوج الشدّة إبّان حياتنا نحن ههنا؟. فلا غَمّ، ولا كارثة، ولا عار، ولا إهانة لم تُصِبنا نحن كلينا أنت وأنا. وفي يومنا هذا، ما قرار الحظر هذا الذي أصدره الرئيس[1]، إلى الشعب كله؟ هل تعلمين عنه شيئاً؟ هل أبصرت صداه؟ أو أنت تجهلين حقاً أن الشقاء يسير في طريقه، وأن أولئك الذين يكرهوننا[2] إنما يقصدون أولئك الذين نحبهم؟.

إسمينا: كلا! أنا لم أسمع شيئاً يتعلق بأولئك الذين نحبّهم يا أنتيجونا؛ شيئاً يهدّىء الآلام أو يزيد منها، منذ الساعة التي فقدنا فيها، أنا وأنت، أخوينا، وقد ماتا في يوم واحد بضربة مزدوجة، إن جيش[3] أرجوس قد ارتحل في هذه الليلة؛ ولست أعلم أكثر من هذا، ولم يأتِ شيء يضيف - بالنسبة إليّ - إلى هذا النجاح ولا إلى هذه الكارثة.

أنتيجونا: كنت متأكّدة من هذا؛ وهذا هو السبب في أنني أقتادك بعيداً عن أبواب هذا المنزل. فيجب ألا يسمع كلامي أحدٌ سواك.

---

(١) وهو كريون.

(٢) كريون.

(٣) جيش السبعة.

إسمينا: ماذا هناك إذن؟ إن أمراً يعذّبك، هذا واضح.

أنتيجونا: حقاً. تصوّري أن كريون يميز بين كلا أخوينا فيما يتعلق بمراسم الدفن: فهو يسمح لأحدهما بشرف الدفن في قبر، بينما يرفض ذلك للأخ الآخر ويصب عليه هذه الإهانة. قالوا لي إنه - فيما يتعلق باتيوكل - هو يرى حسناً، أنه يقاتل وفقاً للإنصاف وما تقضي به الطقوس، وقد أمر بدفنه ليتيح له احترام الأشباح تحت الأرض. أما بالنسبة إلى الآخر، وهو فولونيقوس، هذا الميت المسكين، فإنه يبدو أنه أصدر أمراً إلى المواطنين يحرّم به عليهم أن يدفنوا جثته في قبر أو أن يقيموا مناحة عليه - بل يجب ترك جثته حيث هي، دون دموع ولا قبر، فريسة فخمة مقدمة إلى الطيور الجائعة الباحثة عن فريسة. لقد أكّدوا لي أن هذا هو ما حظره علينا، أنت وأنا، كريون النبيل! وسيأتي هو بنفسه ليعلن قراره هذا بالحظر، حتى يعلمه من لا يزالون يجهلونه. آه! إنه لا يأخذ الأمر باستخفاف: إذ هو يتوعد المخالفين لهذا الحظر بالموت رجماً[1] بالحجارة على رابيتنا. أنت الآن على علم بالوقائع: وأحسب أنك ستبرهنين دون إبطاء على أنك جديرة بدمه، أو على أنك - وأنت ابنة الشجعان - لا تملكين إلاّ قلب الجبناء.

إسمينا: لكن يا ويلتاه! إذا كانت المسألة قد وصلت إلى هذا الحدّ، فماذا أستطيع أنا أن أفعل؟ مهما فعلتُ فلن أصل إلى شيء.

أنتيجونا: أنظري هل تريدين أن تناضلي وتعملي معي.

إسمينا: يا حسرتاه! يا لها من مغامرة! فيم تفكرين؟

أنتيجونا: هل تساعدينني في حمل الميّت؟

إسمينا: ماذا؟ أتفكّرين في قبره، على الرغم من قرار الحظر المفروض على كل أهالي المدينة؟

أنتيجونا: إنه أخي - وهو أخوك أنت أيضاً، شئت أو أبيتِ - أنا لا أقبل أن يقول أحدٌ إنني خُنتُه.

إسمينا: ولكن يا مسكينة! ماذا لو اعترض كريون على هذا المسلك؟

---

(١) كان الرجم يتم عادة خارج أسوار المدينة بسبب نجاسة المحكوم عليهم بالرجم. وإجراء الرجم على رابية (اكروبول) يعني المزيد من الترهيب والتخويف في نفوس الأهالي.

أنتيجونا: ليس لكريون أن يبعدني عن أهلي.

إسمينا: آه! فكّري، يا أختاه، وتذكّري أبانا. لقد انتهى نهاية كريهة، مجلّلة بالعار. لقد كان هو أول من أدان جرائمه، وهو الذي اقتلع بيده كلتا عينيه. وتذكّري تلك التي كانت في وقت واحد معاً أُمّه وزوجته، واستحقت هذا الوصف المزدوج، وقضت على حياتها في عُقْدة مشنقة. وتذكّري أخيراً أخويك، هذين البائسين اللذين قتل كلاهما الآخر في يوم واحد وجلبا على نفسيهما معرّة قتل الأخ لأخيه. واليوم أيضاً، وقد بقينا نحن كلْتانا وحدنا، تخيّلي الموت البائس الذي سنلقاه، لو أننا عصينا القانون، وتخطينا قرار الحظر وصرنا تحت السلطان المطلق لمَلِكٍ. واعلمي أوّلاً أننا لسنا إلاّ امرأتين: والطبيعة لم تجبلنا على النضال ضد الرجال. إنا خاضعتان لسادة، وبالتالي نحن مرغمتان على الامتثال لأوامرهم هذه وما هو أقسى منها. وفيما يتصل بي أنا، على كل حال، فإني أتوسل إلى الموتى المقيمين تحت التراب أن يكونوا رحماء بي، لأنني إنما أُذْعن للقوة القاهرة، ومستعدة لإطاعة السلطة القائمة: إن الأفعال التي لا جدوى منها هي حماقات.

أنتيجونا: اطمئني ـ لن أطلب منك شيئاً بعد الآن ـ وحتى لو أردتِ بعد ذلك أن تفعلي شيئاً، فلن يسرّني أبداً أن أشعر بأنك إلى جانبي. فكوني إذن مَنْ تشائين أن تكونيه. أما أنا فإني سأدفن فولونيقس، وسأكون فخورةً بأن أموت وأنا أفعل ذلك. فعلى هذا النحو سأرقد إلى جواره، حبيبةً إلى مَنْ هو حبيب لي، مجرمةً بجرم مقدّس. أو ليس من الواجب عليَّ أن أُرضيَ مَنْ هم في العالم السفلي أولى من أن أرضي من هم في عالمنا هذا هنا، ما دمت سأرقد هناك في أسفل إلى الأبد؟ افعلي أنت ما يحلو لك، واستمرّي في ازدراء كل ما هو مرضيٌّ عند الآلهة.

إسمينا: أنا لا أزدري شيئاً؛ أنا فقط عاجزة عن العمل ضد مدينتي.

أنتيجونا: تذرّعي بهذا العذر. أما أنا فذاهبة توّاً لمواراة أخي الذي أحبّه بتراب قبر.

إسمينا: آه يا مسكينة! إني خائفة عليك.

أنتيجونا: لا ترتعدي من أجلي أنا، وأمِّني أنت حياتك.

إسمينا: لكن، على الأقل أرجوك ألا تفضي بمشروعك هذا لأحد من الناس. بل أخفيه جيداً في الظلام؛ وسأساعدك على هذا.

أنتيجونا: آه! بل أعلني ذلك على رؤوس الأَشْهَاد. وسأكرهك أكثر، إذا أنت صَمَتِّ ولم تعلني هذا في كل مكان.

إسمينا: إن قلبك يتقد من أجل خُطّة من شأنها أن تجعله يتحول إلى جليد!

أنتيجونا: ذلك أنني واثقة بهذا أنني أُرْضِي أولئك الذين ينبغي عليَّ أن أرضيهم قبل كل شيء.

إسمينا: إذا كان الأمر ممكناً، فنعم؛ لكنك تقصدين ما هو مستحيل.

أنتيجونا: إذن! لو أعوزتني القدرة، فسيكون كل شيء قد تقرر.

إسمينا: لكن يجب منذ البداية التخلّي عن السعي إلى ما هو مستحيل.

أنتيجونا: اذهبي، استمري في هذا اللون من التفكير، وستنالين كراهيتي، وكراهية الميّت، إلى الأبد ـ كراهية تستحقينها عن جدارة. اذهبي إذن، ودعيني، أنا وحماقتي، أَخُض مخاطرتي. أنا على الأقل لن أفعل ما يمكن أن يؤدي بي إلى موت شائن.

إسمينا: اذهبي، إن شئت؛ لكن اعلمي، وأنت ذاهبة، أنك ستبقين ـ على الرغم من جنونك ـ عزيزة في قلوب من هم أعزّاء لديك.

[تخرج. أنتيجونا تبتعد. يبزغ النهار. الكورس يدخل. وهو مؤلف من اثني عشر شيخاً عجوزاً لكنهم لا زالوا أشدّاء]

المقطوعة الأولى

الكورس: يا شعاع أجمل شمس أشرقت على مدينة ثيبا ذات الأبواب السبعة! ها أنتِ قد أشرقت، يا عين النهار الذهبي، ولم تكادي تظهرين فوق مياه دركيه[1] حتى عَجّل فجأة في سير عرباته ذلك البلوبونيزي ذو الدرع البيضاء[2] الذي كان ـ بسلاحه ومتاعه ـ سائراً على طريق الهَرَب المندفع.

---

(١) Dirce: ينبوع دركيه (ويسمى اليوم باسم Paraporti) يقع في مغارة عند سفح كوميا. وكان التمثيل عند اليونانيين يبدأ عند طلوع الشمس.

(٢) كان أهل أرجوس يتخذون دروعاً بيضاء. والاسم «أرجوس» يدل على الفضة.

ميلودراما

قائد الكورس: إنه هو الذي أتى به فولونيقوس للهجوم الصريح على بلدنا، من أجل مساندة دعاواه المشكوك فيها. وقد حَلّق فوق ثيبا، مُطْلقاً صرخات حادة، مثل نَسْر ينقض على الأرض، ناشراً أجنحته البيضاء بياض الثلج، مصحوباً بموكب من الأسلحة التي لا حصر لها والخوزات المزينة بعرق الفَرَس.

الكورس: لقد كان هناك، فوق سقوف بيوتنا، فاغراً على أسوارنا وأبوابنا السبعة منقاره المصنوع من رماح متعطّشة للقتل.

لكنه اضطر للرحيل، قبل أن يروي دَمُنا عطشه، وقبل أن يصير المتراس الذي يتوّج مدينتنا فريسةً للنيران الصمغية. وعجيج آرس قد تصاعد فجأة من حوله ومن فوقه. وليس من السهل التغلب على خصم من نوع الأفعى(١).

ميلودراما

قائد الكورس: زيوس يكره الثرثرة المنبثقة من أفواه وقحة. إنه لما شاهدهم قادمين كالسيل، في غطرسة تصيح بالذهب، فإنه لوّح بشعلته وعند قمة المتاريس أصاب من ادعى إنشاد نشيد النصر.

الكورس: وها هو ذا قد تأرجح في الهواء ثم هوى على الأرض التي ضجت تحت هذه الصدمة. وكان هذا المحارب(٢) قد أمسك في يده مشعلاً، وفي هذيانه المحموم نفخ على ثيبا هَبّات من ريح الكراهية. فانقلبت الحال به على عكس ما قدر. وآخرون قد لقوا بدورهم مصائرهم مُحَطَّمين على صخرة آرس(٣)، هذا الحصن الحصين لمدينتنا.

---

(١) النسّر يمثل أهل أرجوس، والأفعى تمثل أهل ثيبا. والأسطورة تقول إن أهل ثيبا قد ولدوا من أسنان التنين الذي صرعه كارموس فنثر أسنانه.

(٢) هذا المحارب هو كابانيه الزعيم الثاني للأرجوسيين. وكان قد سخر من بروق وصواعق زيوس حينما جاء مهاجماً لمدينة ثيبا. وادعى أنه ستحرق هذه المدينة. وقد أصابه زيوس بصاعقة في اللحظة التي فيها هاجم باب الكترا.

(٣) Ares هو إله الحرب عند اليونان، ويناظره مارس عند الرومان.

ميلودراما

قائد الكورس: الزعماء السبعة المكلفون بالهجوم على الأبواب السبعة ـ سبعة ضد سبعة ـ قد تركوا في أيدي «زيوس الانتصارات» جزيتهم التي من البرونز المتكتل. ولم يُغْفَ منها إلاّ الاثنين[1] البائسين المولودين من أب واحد وأمّ واحدة، ورفع كلاهما ضد الآخر رمحا ظافراً فلم يلقيا إلا نصيباً متساوياً من الموت الذي أودى بهما معاً.

الكورس: أَجَل! وفي مقابل ذلك فإن «النصر» ذا الاسم الكبير جاء مسروراً عندما دعته ثيبا، إلاهة العربات.

إن معارك الأمس قد انتهت؛ ويجب نسيانها.

فلنتوجه إذن إلى كل معابد آلهتنا، مشكّلين كورسات طوال الليل، وليقدم في مقدمتنا باخوس[2]، وهو يهزّ ثيبا تحت أقدامه.

ميلودراما

قائد الكورس: لكن ها هو ذا ملك هذه البلاد ـ كريون، ابن منقيا، قادماً، إنه الرئيس الجديد الذي تطالب به في هذه الساعة الدولةُ الجديدة التي أقامتها الآلهة: أية خُطّة يجيلها في رأسه قد دعته إلى أن يُجْري هذه المحادثة المفاجئة، بإرساله إلينا نحن الشيوخ نفس الأمر بالحضور ههنا؟

(من عتبة القصر يخاطب كريونُ الكورسَ بلهجة متعاظمة).

الحَدَث الأول

كريون: يا أهل ثيبا! مدينتنا خرجت منتصبة القامة، بفضل الآلهة، من بين الأمواج العاتية التي أثارتها هذه الآلهة. وقد جمعتكم أنتم من بين سائر الناس، في هذا المكان، حيث دعاكم رُسُلي. وذلك لأنني أعلم أنكم وقّرتم دائماً العرش

(١) المقصود بهما: اتيوكل وفولونيقوس، ابنا أوديب ويوكاسته.

(٢) الإله ديونسيوس (باخوس) ولد في ثيبا فبحسب أشهر الروايات فإن زيوس قد اتخذ مظهر كائن بشري فان، وأغرى سيميله بنت كادموس مؤسس مدينة ثيبا فانجبت ديونوسيوس.

السلطاني لزيوس، ثم لأوديب حينما كان ملكاً، فلما اختفى وجد خلفاؤهم[1] مشاعر الإخلاص لديكم دائماً. اليوم وقد مضوا جميعاً هم بدورهم وأوفوا بمصيرهم في يوم واحد، فاعلين وضحايا في وقت معاً لجناية قتل الأخ لأخيه وهي جناية فظيعة، فإني قد صرت من الآن فصاعداً المالك لعرشهم ولكل سلطانهم، لأن رابطة الدم تجعل مِنّي أقرب قريب خَلّفه هؤلاء الموتى. لكن هل يمكن حقاً معرفة روح، ومشاعر، ومبادىء إنسان ما، إن لم يتجلَّ بعدُ في ممارسة السلطة بوصفه حاكماً ومَصْدراً لقوانين؟ وها أنا ذا أخبركم بما يتعلق بي أنا ـ إن من دُعِي لحكم دولة، ولا يتمسك دائماً بما هو الصالح، ويبقى دائماً مغلق الهم خوفاً من أي أمر كان ـ هذا الشخص هو اليوم ودائماً في نظري أحط بني الإنسان. كذلك من يتصور أن من الممكن أنْ يحب المرء شيئاً أكثر من وطنه، فإنه في رأيي لا يساوي شيئاً. وأنا، على العكس من هذا، وليكن زيوس شاهداً عليّ، زيوس الذي يرى كل شيء وفي كل وقت ـ أقول: وأنا لا أستطيع أن أسكت حين أرى البلاء يسري نحو مدينتي، بدلاً من النجاة. ألست أعلم أن هذا البلد هو الذي يؤمّن حياتي، وأن ضمان مسيرة سعيدة له يكوّن في نظري الوسيلة الحقيقية الوحيدة للظفر بأصدقاء؟ تلك هي المبادىء التي أزعم أنني سآخذ بها ابتغاء تأسيس عظمة مدينة ثيبا. وإخلاصاً لهذه المبادىء فإنني قد قررت ما يلي، فيما يتعلق بابنَيْ أوديب: إن اتيوكل سقط قتيلاً وهو يدافع عن مدينته، بعد أن أبلى بلاء عظيماً في المعركة: ولهذا فإنه سيدفن في قبر، وستقام له كل الطقوس الواجبة عند تشييع بطل تحت الثرى. أما أخوه، فعلى العكس من ذلك، فولونيقوس الذي لم يَعُدْ من المنفى إلا من أجل تدمير وإحراق بلد آبائه وآلهة سلالته، ومن أجل شرب دماء أهله وبني جلدته، ومن أجل سوق أهل ثيبا بعيداً ـ فإنني حظرت حظراً تامّاً أن يهيىء أحدٌ له قبراً أو مناحة. وآمر بأن يُتْرَك حيث هو: جثةً بلا دفن، طعاماً وألعوبة للطيور أو الكلاب. وقراري واضح لا لُبْس فيه: إن المجرمين لن ينالوا من احترامي أكبر مما يناله المواطنون الطيّبون. ومن يُخْلِص لهذا البلد، حيّاً أو ميتاً، فإنه سيلقى منّي نفس التكريم.

---

(١) أي ذرية هذه السلالة وهذه العبارة معناها أنه بعد موت أوديب فإن أبناءه خلفوه على العرش في ثيبا. لكن في مسرحية «أوديب ملكاً» نجد أن كريون هو الذي خلف أوديب على العرش، لأن اتيوكل وفولونيقوس كانا قاصرين.

قائد الكورس: يا ابن منقيا! نحن قد أخذنا علماً هنا بما قدرته من مصير لمن هو صديق لثيبا، وأيضاً لمن هو عدوٌ لها. ولا مانع يمنعك من اتخاذ كل الإجراءات التي تروق لك، سواء بالنسبة إلى الموتى وبالنسبة إلى الأحياء بيننا.

كريون: والآن، للسهر على تنفيذ أوامري[1]...

قائد الكورس: كِلْ هذه المهمة إلى من هم أكثر شباباً.

كريون: لا تَخْش شيئاً: لقد عيّنت حُرّاساً بالقرب من الميّت.

قائد الكورس: بماذا إذن توصينا بأن نفعله؟

كريون: بألاّ تنضم إلى العُصَاة.

قائد الكورس: هل يوجد إنسان بلغ به الجنون حدَّ الرغبة في الموت؟

كريون: سيكون جزاءه الموتُ فعلاً. لكن الأمل في المكسب كثيراً ما أضاع الناس!

(يدخل حارس).

الحارس: أيها الملك! أنا لا أستطيع أن أقول إنني وصلت مقطوع الأنفاس، لشدة سرعتي، ولا أني أتيت بوثبة واحدة. بل على العكس من هذا! فأنا قد توقفت مراراً، من أجل التفكير وطوال الطريق حاولت دائماً أن أعود أدراجي. ذلك أن قلبي كانت تجول به مئات الخواطر: «آه! يا مسكين! لماذا تعدو إلى حيث سيكلفك الوصول غالياً؟» - «ماذا! يا مسكين، أتتوقف الآن؟ ولو علم كريون بالأمر من شخص آخر؛ فهل تتصور أن هذا لن يضيرك في شيء؟» وبسبب ترديدي لهذه الخواطر، فإنني لم أتقدم كثيراً مثلما يتقدم شخص مستعجل. إن الطريق الأقصر يصبح لهذا طويلاً جداً. وأخيراً قررت قراري: نعم، سأذهب للقائك، وسأكلمك حتى لو عجزت عن أن أقول شيئاً ذا قيمة. وها أنا ذا هو. إني أتمسك بأَمَل وهو أنه لن يحدث لي إلاّ ما كُتِب عليّ.

كريون: ماذا يدعوك إلى كل هذا الخوف؟

---

(١) مبدأ كريون في الحكم هو: الوطن قبل كل شيء. فلما كان فولونيقوس قد شنّ حرباً ضد وطنه، فإنه ارتكب خيانة عظمى ولا يستحق أيّ رحمة.

الحارس: أود أولاً أن أبرّىء نفسي. إنني لم أفعل هذا الفعل كما أنني لم أشاهد مَنْ فعله. وسيكون إذن من الظلم الفادح أن ينالني بسببه أيّ بلاء.

كريون: مرحىٰ أنت تحزر ما يجول بخاطري، وتقيم حاجزاً بحذرٍ حول الوقائع. من الواضح أنك تريد أن تروي لي حادثاً أليماً.

الحارس: هذا هو. إن الميّت الذي تعرفه، هم يترددون في شأنه.

كريون: تكلّم إذن، ثم أغربُ عن وجهي.

الحارس: إذن أقول إن الميّت الذي هو لقد قاموا بدفنه. ثم رحلوا بعد أن غطّوه بتراب رقيق وأدوا له كل الطقوس المقرّرة.

كريون: ماذا تقول؟ ومن ذا الذي تجاسر على فعل هذا؟

الحارس: لا أعرف[1]. إن الأرض لم يُهْلِها رفش، ولم يخلعها فأس؛ كانت الأرض صُلْبة وجافّة، ليس فيها قَطْع، ولا أثر لعجلة عربة؛ ولا شيء هناك يدلّ على من عسىٰ أن يكون قد استطاع أن يعمل هذا. لقد بَيّن لنا أول من عليه الدور في الحراسة في ذلك اليوم ما حدث. فاستولت الدهشة والاضطراب على الجميع في الحال. إن الجثة لم تَعُد مرئية؛ ليس لأنها دفنت، كلا؛ وإنما ذُرّ عليها تراب رقيق: ويبدو أنه حُرِص على تجنب النجاسة. كذلك لا أثر لحيوان مفترس أو لكلب قد مرَّ قط ولم يسحب الفريسة. وعلت بيننا الكلمات: فكل حارس اتهم حارساً آخر، حتى أوشكوا على التشابك بالأيدي، ولم يكن هناك مَنْ يحاجز بيننا. وكل واحد منا صار هو وحده المذنب في نظر الآخرين. لكن لا أحد مذنب بيقين؛ ولا أحد إلا ويؤكد عالياً أنه لا يعلم شيئاً.

والواقع هو أننا جميعاً كنا مستعدين للإمساك بالحديد المحمّى، وللسير خلال النيران، وللقسم بالآلهة على أننا لسنا مذنبين ولا متورطين، وأن لا أحد منا قد حرّض أو شارك في هذه الجريمة. وأخيراً، لمّا لم تكن هناك فائدة في وضع أسئلة، فإن واحداً من بيننا، واحداً فقط وبكلمة واحدة جعلنا نخفض رؤوسنا

(١) يتضح من هذا النص أن عصيان أمر كريون قد حدث في نهاية الليل. لكن أنتيجونا لم تترك إسمينا إلاّ عند طلوع النهار. ولهذا يفترض أن الحارس الذي كان عليه الدور في الحراسة قد تأخر في أخذ نوبته، ولهذا بقيت الجثة فترة من الوقت بدون حراسته.

فزعين: وإلاّ فماذا يفيدنا أن نترك أو أن نفعل ما هو أحسن؟ هذه الكلمة هي أن نخبرك بما حدث وألا تخفي عليك شيئاً. وانتصر هذا الاقتراح، ووقعت القرعة عليَّ، أنا المسكين، لأداء هذه المهمّة العسيرة. وها أنا ذا قد جئت إلى ههنا، بغير رضاي، وبغير رضاءٍ لك فيما أعلم: فلا أحد يشعر بالمودة نحو مَنْ يحمل أنباءً سيئة.

قائد الكورس: أيها الأمير! ألا يكون هذا الحادث قد أرادته الآلهة؟ إني أتساءل عن هذا منذ لحظة.

كريون: اسكُت، إذا كنت لا تريد، بمثل هذه الكلمات، أن تجعل غضبي يفيض. وحذار أن تتبدّى مجنوناً بقدر ما أنت عجوز. إن كلامك لا يحتمل. أتزعم أن الآلهة يحفلون بهذا الميّت؟ إذن هم سيشرّفونه التشريف اللائق برجل مُحْسِنٍ! ويدفنونه، هذا الذي جاء إلى هنا لإحراق معابدهم بما فيها من أعمدة وقرابين ـ وهذا البلد الذي هو لهم، وبالجملة تدمير كل القوانين. هل رأيت أن الآلهة في أيّ مكان يكرمون الأشرار؛ كلا، والحقيقة هي أنه منذ برهة يوجد في هذه المدينة أناس يضيقون بي ذرعاً ويتضجرون منّي. وهم يمضون وهم يهزّون رؤوسهم؛ ولا يعرفون كيف ينحنون تحت النير، كما هو واجب، وأن يذعنوا للطاعة. إنهم هم ـ وأنا أعلم هذا حق العلم ـ الذين حرّضوا هؤلاء الحرّاس أن يفعلوا ما فعلوا، بعد أن رشوهم بالمال. لم يزدهر بين الناس نظام أسوأ من نظام المال. إن المال هو الذي يدمّر الدول؛ وهو الذي يطرد المواطنين من بيوتهم؛ وهو الذي تغري دروسه القلوب الشريفة، ويحملها على ارتكاب الأوزار. إنه يعلّمهم كل الجرائم؛ ويعلّمهم الفِسْق الذي يتجاسر على كل شيء. لكن من يبيع نفسه ويبلغ هذه الدرجة، سينتهي ذات يوم إلى أن ينال العقاب. أعلم أنني أنا، أنا الذي في نظره يظل زيوس موضوعاً لأعمقَ احترام، أقول لك مقسماً بأغلظ الأيمان إذا لم يُكْتَشف بواسطتكم مَنْ هو الذي دفن بيديه هذا الميّت، وإذا لم يؤت به ههنا تحت نظري، فإن موت شخص واحد لا يكفي لعقابكم. بل ستعلقون(١) وأنتم أحياء، وعليكم أن تعترفوا أولاً بوقاحتكم. ولهذا تعلمون الآن أين يجدر بكم أن تبحثوا عن مصلحتكم؛ وستفهمون أنه لا ينبغي للمرء أن يريد أن يكسب من كل

---

(١) أي أنه يهددهم بتعليقهم من أيديهم، قبل أن يجلدوا ويُقتلوا.

شيء؛ وسترون أن الكسب الحرام يُهْلِك من الناس أكثر مما يُنْقِذ منهم.

الحارس: هل تسمح لي بكلمة؟ أو تفضّل أن أذهب وأختفي دون أن أقول شيئاً!

كريون: ألا تعلم أنك تستمر في مضايقتي إن تكلمت؟

الحارس: لكن هل تشعر أنك جُرِحْت في أذنك، أو في قلبك؟

كريون: ما فائدة الجدال حول الموضع الذي فيه أشعر بالألم؟

الحارس: إن الجاني يجرح النفس؛ أما أنا فلا أجرح إلاّ الأذن.

كريون: آه! صحيح! أنت ثرثار مهذار!

الحارس: لكني لم أرتكب ما أُتَّهم به.

كريون: بلى! وقد أضاعك المال.

الحارس: آه! يا ويلتاه! إنه لأمرٌ فظيع ألا يكوّن المرء إلاّ أفكاراً زائفة حين يفكر.

كريون: أنت وشأنك! إذهب وأظهر براعتك بأفكارك! لكن إذا لم تكشفوا لي عن الجناة، فستستطيعون إذن أن تقولوا حينئذ أن المكاسب الحقيرة تُسَبّب أحياناً مصائب فظيعة.

(يدخل في القصر).

الحارس: أن يُعْثَر على الجناه، هذا هو الأفضل قطعاً. لكن سواء أُخِذُوا أو لم يؤخذوا ـ والصدفة وحدها هي التي ستقرر هذا ـ ففي وسعك أن تكون واثقاً أنّك لن تراني ههنا. إنني لا أزال في قيد الحياة، رغم كل أمل، ورغم ما أتوقعه: وهذا أمرٌ يستحق مني أن أحمد الآلهة لأجله.

(يخرج).

المحطة الغنائية الأولى

الكورس: كم في هذا العالم من عجائب! لكن الإنسان هو أكبر هذه العجائب. إنه الكائن الذي يستطيع أن يجتاز البحر الكابي اللون، في الوقت الذي

فيه تهب رياح الجنوب بعواصفها، ويشق طريقه وسط المهاوي التي تنشق عنها الأمواج الهائجة.

وهو الكائن الذي يعذب الإلاهة ذات الجلال بين الجميع، وأعني بها «الأرض»[1]، الأرض الخالدة التي لا تكلّ ولا تتعب، بمحاريثها التي تشقّها في كل سنة دون توقف. وهو الذي يحركها بواسطة نتاج أفراسه[2].

والطيور المترنّحة - هو يحبسها ويصطادها، تماماً مثلما يفعل بقنيص الحقول وبالأسماك التي تعمر البحار: إنه يأخذها في شباكه؛ إن الإنسان لذكي بارع. وهو بآلاته يتغلب على الحيوان المفترس الذي يعدو في الجبال[3]، وعند الحاجة يضع تحت اليد، الفرس ذا العُرْف الكثيف وثور الجبال الذي لا يتعب.

الكلمة، والفكرة السريعة كالريح، والأماني التي منها تتولد المدن - كل هذا قد علّمه الإنسان لنفسه، كما أنه عَرَف - من أجل أن يضع لنفسه مأوى - كيف يحتمي من البرد أو المطر، وهما قاسيان على مَنْ لا سقف لهم سوى السماء.

لقد تسلّح جيداً ضد كل شيء، ولم يَعُد أعزل أمام أي شيء يمكن أن يأتي به المستقبل. وفقط ضد الموت وحده لن يملك أبداً سحراً يمكنه من الإفلات منه، رغم أنه استطاع أن يتصور أكثر من دواء لعلاج أشد الأمراض عناداً.

وهكذا، بعد أن صار مالكاً لعلم تتجاوز وسائله كل الأمال، فإنه يستطيع بعد ذلك، أن يسلك إما طريق الشرّ وإما طريق الخير.

فليجعل إذن من هذه المعركة نصيباً لقوانين المدينة ولعدالة الآلهة التي آمن بها.

هناك سيعلو قدره في مدينته؛ لكنه سيطرد نفسه منها إن ترك الجريمة تصيبه عَدْوَاها من جرّاء إشباع شهوته في الجرأة[4].

---

(١) الإيمان بالأرض عقيدة قديمة سابقة على الديانات اليونانية، وبقيت دائماً عقيدة شعبية.

(٢) يقول هوميروس في الإلياذة (نشيد ١٠، البيت ٣٥١ - ٣٥٣) إن «البغال أفضل بمائة مرة من الثيران في جرّ المحراث الخشبي». نتاج أفراسه: يقصد بها البغال.

(٣) من المحتمل أن يكون المقصود بهذا الحيوان الوحشي هو الماعز.

(٤) أي: ينبغي على الحاكم ألا يسرف في عقاب مرتكبي الجرائم لمجرد إظهار قدرته على البطش. ويفترض البعض أن من الممكن أن يكون في هذا الكلام إشارات إلى برو تاجوراس السوفسطائي - وكان آنذاك في أوج الشهرة - وقوله: «الإنسان معيار كل شيء: الموجود بما هو موجود، المعدوم بما هو معدوم» (راجع كتابنا: «ربيع الفكر اليوناني»).

آه! لا يَكُنْ له حينئذ نصيب في بيتي ولا بين أصحابي، إذا تصرّف على هذا النحو!

(يدخل الحارس وهو يسوق أمامه أنتيجونا).

الحدث الثاني

قائد الكورس: لكن أية عجيبة مروّعة هذه؟ إني أتردد في تصديق هذا. لكن هل أستطيع أن أنكر ـ وأنا أعلم هذا جيداً ـ أن هذه هي أنتيجونا الشابة؟ آه! الابنة البائسة لأوديب البائس! كلا! لستِ أنت التي يسوقونك إلى هنا بوصفك عاصية لأوامر الملك؟ لستِ أنت التي فاجأوك في نوبة من الجنون؟

الحارس: هذه هي الجانية! لقد أمسكنا بها وهي تقوم بدفن الميّت. لكن أين كريون؟

قائد الكورس: ها هو ذا يخرج من قصره في الوقت المناسب.

كريون: ماذا هناك؟ وما هذا الذي بالنسبة إليه كان وصولي في الوقت المناسب؟

الحارس: أيها الملك! لا يوجد شيء يمكن القَسَم عليه، فالتفكير كثيراً ما يُكَذِّب الشعور. لقد اعتقدت أنني سأقضي زماناً طويلاً قبل أن أعود إليك: إن تهديداتك منذ قليل قد هَزّتني كثيراً. لكن السرور المفاجىء، غير المأمول هو لذة لا مثيل لها؛ ولهذا تراني من جديد، غير مُخْلص لقَسَمي، بيد أني أتيت إليك بهذه الفتاة. لقد فاجأتها وهي تؤدي الشعائر الجنائزية. في هذه المرة، لا محل للاقتراع والاستخارة! هذه النعمة هي من نصيبي، وليست من نصيب أحدٍ غيري. ولك الآن أن تفعل ما يحلو لك، أيها الملك. خُذْ هذه الفتاة، وحاكمها، واحكم عليها. أما أنا فها أنا ذا حرّ، بريء، لا شأن لي بالقضية.

كريون: أنتِ أتيت بها؛ لكن أين قبضت عليها، وكيف؟

الحارس: كانت تقوم بدفن الميّت. وأنت تعرف كل شيء.

كريون: هل أنت تعي ما تقول؟ وهل أنت تقول الحقيقة؟

الحارس: أَجَل! إنها هي التي شاهدتها تدفن الميّت: الميّت الممنوع دفنه: أهذا واضح بيّن؟

كريون: وكيف رأيتها وقبضت عليها وهي متلبّسة بهذا الفعل؟

الحارس: ها أنا ذا أشرح لك. لما رجعتُ، وتحت طائلة تهديداتك المروّعة، كنسنا تماماً التراب الذي يُغطي الميّت، ومسحنا قدر المستطاع الجثة التي تتحلل؛ ثم جلسنا على قمة الصخور، في مهب الريح، حتى لا تصل إلينا الرائحة الخبيثة التي تنبعث منها؛ وكل واحد منّا حَرَص على أن يكون جاره مستيقظاً، وانطلقت كلمات عالية ضد أولئك الذين يتأففون من هذه المهمّة، وذلك حتى الساعة التي فيها يبلغ قرصُ الشمس كبد السماء ويشعل الجو. وفي هذه اللحظة هبت ريح عاتية فجأةً فأثارت من الأرض خرطوماً من التراب، بليّة سماوية حقيقية غزت السهل وتخللت طُرُق الغابة، وملأت السماء الشاسعة ببقاياها. وعانينا ـ وعيوننا مغلقة ـ المحنة التي أرسلتها الآلهة. وكان لا بد من مرور بعض الوقت كي تبتعد، وحينئذ شاهدنا الفتاة. كانت واقفة هناك، تُطْلِق صرخات مثل صرخات الطائر عند رؤيته العُشّ وقد خلا من صغاره. إنها لما رأت الجثة عارية انطلقت في النواح وصَبّت لعناتها المتوحشة ضد من قاموا بهذا العمل الخسيس. ثم إنها بعد ذلك مباشرة حملت في يديها تراباً جافاً، وإناء من البرونز رفعته إلى أعلى وراحت ترش على الجثة سائلاً ثلاث مرات.

ورأينا نحن كلّ شيء فاندفعنا، وقبضنا عليها لكنها لم تهتم. وسألناها عما فعلته بالأمس واليوم. فلم تنكر شيئاً. وقد أحدث هذا في نفسي لذة وألماً معاً: إن التخلص من المشكلة أمرٌ يسرّ طبعاً؛ لكن الإلقاء بالأهل في الشقاء، هذا أمرٌ قاس أيضاً. لكنني امرؤٌ جُبِلتُ على أن أجعل الاهتمام بحياتي يفوق كل شيء آخر.

(كريون يلتفت نحو أنتيجونا).

كريون: وأنت، الماثلة هناك برأس خفيض، أتعترفين بهذه الواقعة، أم تنكرينها؟

أنتيجونا: أعترف بها ولا أحرص أبداً على إنكارها.

كريون (مخاطباً الحارس): إذهب أنت أيان شئت، وقد تحررت من مهمة ثقيلة. (الحارس يخرج. يخاطب أنتيجونا): أما أنت، فأجيبي الآن بكلمة واحدة دون تطويل في الكلام. هل تعرفين قرار الحظر الذي أعلنته أنا؟

أنتيجونا: نعم، عرفته؛ وهل كان في استطاعتي أن أجهله؟ لقد كان واضحاً كل الوضوح.

كريون: إذن أنت تجرأت على تجاوز القانون الذي أنا أصدرته.

أنتيجونا: نعم، فليس زيوس هو الذي أصدره! إنه ليس العدالة الجالسة إلى جانب آلهة العالم السفلي. كلا، ليست هذه هي القوانين التي سَنّتها الآلهة للناس، ولم أعتقد أن أوامر الحظر التي تصدرها أنت هي من القوّة بحيث تسمح لكائن فانٍ بأن يتخطى قوانين أخرى، قوانين غير مكتوبة، لا تتزعزع، قوانين سنّتها الآلهة. إن هذه القوانين ليست بنت اليوم ولا بنت الأمس، ولا أحد يعلم متى ظهرت. فهل أستطيع أن أعرّض نفسي لانتقامها عند الآلهة خوفاً من أيّ كائن كان؟! حتى لو أدّى ذلك إلى موتي؟ وهذا، حتى لو لم تكن أنت قد أصدرت أيّ قرار بالحظر. أن أموت قبل الأوان ـ هذا بالنسبة إليّ مكسب كبير، وأنا أعلن هذا بأعلى صوتي؛ فحين أعيش مثلما أعيش، وسط بلايا لا حصر لها، فكيف لا أجد مكسباً في أن أموت؟ إن الموت ليس مُؤلِماً في نظري. كان الأمر سيكون كذلك لو أنني احتملت أن جسم ابن أمّي لم يحصل على قبر بعد موته؛ أجل كان هذا سيكون داعياً لتألّمي؛ ولا شك في أنني أظهر لك وكأنني أفعل فعلاً جنونياً. لكن ربما كان المجنون هو من يعدّني مجنونة.

قائد الكورس: يا لها من ابنةٍ لأبيها! ابنة صعبة المراس مثلما كان أبوها صعب المراس. إنها لم تتعلم أبداً الإذعان لضربات القَدَر.

كريون: أجل! لكن عليك أن تَعْلمي أن هذه الإرادات الصُّلْبة هي الأسرع في التحطُّم. فالأمر فيها كالأمر في الحديد الذي يوضع طويلاً في النار، فينضج ويزداد نضوجاً، فينشقّ ويتطاير بشكل أسهل. ألسنا نرى قطعة صغيرة من اللجام تتغلب على فَرَس جموح؟ كلا، لا يحق لإنسان أن يتكبّر حينما يكون في قبضة أيدي الآخرين. هذه الفتاة قد أظهرت وقاحة حينما تجاوزت القوانين المقررة؛ وبعد أن ارتكبت الجريمة، فإنها وقاحة أخرى أن تتباهى بها وتعتدّ. من الآن فصاعداً، فلست أنا الرجل، بل هي الرجل إذا هي أمّنت لنفسها هذا الانتصار دون عقاب. لا! أما أن تكون بنت أختي، وأقرب إليّ في النسب من كل أولئك الذين هم في بيتنا ينتسبون إلى زيوس[١] ـ فهذا أمرٌ لا أهمية له. ولا هي ولا أختها ستفلت من

(١) المقصود هنا هو زيوس الخاص بالبيت والذي ينتصب مذبحه في داخل البيت.

موتٍ مجلّل بالعار. أجل، هذه هي الأخرى[1] أنا أتهما بأنها شريكة لها في دفن الميّت. (مخاطباً عبيده): استدعوها إليّ. لقد شاهدتها في المنزل منذ قليل، وهي مشغولة البال غير رابطة الجأش. تلك هي القاعدة: أولئك الذين يناورون بخبث في الظلام هم دائماً أول من يفضحون عن مكرهم. (ملتفتاً نحو أنتيجونا): لكن ليس معنى هذا أنني أقل بغضاً للمجرمة التي قبض عليها متلبسة بالجريمة، وفوق ذلك تتباهى بإرتكابها.

أنتيجونا: أنت تمسك بي بين يديك: فهل تريد أكثر من موتي؟

كريون: كلا، فبموتك أنا أملك كل شيء أريده.

أنتيجونا: إذن لماذا تتأخر؟ لا كلمة منك تسرُّني، وآمل ألاّ تسرّني أية كلمة منك أبداً. وفضلاً عن ذلك، فهل كلماتي من شأنها أن تسوءك؟ وهل في وسعي أن أنال مجداً نبيلاً أكبر من أن أواري أخي في قبر؟ وهذا أيضاً هو ما كان سيصفّق له كل هؤلاء الذين تراهم، لولا أن الخوف أغلق أفواههم: لكنّ هذه هي إحدى مزايا الطغيان - إلى جانب مزايا عديدة أخرى - وهي أن مِنْ حقه أن يقول وأن يفعل ما يريد على وجه الإطلاق.

كريون: أنت وحدك من بين الكادموسيين تعتقدين هذا.

أنتيجونا: إنهم يعتقدون ما أنا أعتقده، لكن ألسنتهم خرساء.

كريون: وأنت، ألا تخجلين من كونك تختلفين عنهم؟

أنتيجونا: أنا لا أخجل من أن أكرّم أخاً لي.

كريون: ومَنْ قاومه وعارضه كان أيضاً أخاك.

أنتيجونا: هذا صحيح، أخ شقيق من نفس الأب ونفس الأم.

كريون: لماذا إذن هذه التشريفات في حقه، وهي تشريفات آثمة في حق الآخر[2].

---

(١) أي أختها إسمينا.

(٢) اتيوكل.

أنتيجونا: لكن، لنحتكمن إلى الميت[1]: إنه سيقول غير هذا.

كريون: لكن هذا معناه وضعه في مرتبة الفاسق[1].

أنتيجونا: لكن الآخر كان أخاه، وليس عَبْداً له.

كريون: إنه[1] عاث فساداً في أرضه: أما هو[1] فقد قاتل في سبيل هذه الأرض.

أنتيجونا: ولكن هادس[2] يريد مع ذلك أداء هذه الشعائر.

كريون: إن الخيِّر لا يوضع في مرتبة الشرير.

أنتيجونا: مَنْ ذا الذي يعلم هل تحت الأرض التقوى الحقيقية هي في هذا؟

كريون: إن العدوّ، حتى لو كان ميّتاً، ليس صديقاً.

أنتيجونا: أنا مِنْ أولئك الذين يحبُّون، لا من أولئك الذين يكرهون.

كريون: إذن ما دام لا بد لك أن تُحبّي، فاذهبي تحت التراب لتحبي الموتى؛ أما أنا، فطالما كنت حيّاً، فلن أجعل امرأة هي التي تَسُنّ لي القوانين.

(إسمينا تخرج بين عَبْدين).

ميلودراما

قائد الكورس: لكن ها هي ذي إسمينا تخرج. إن الدموع التي تنحدر من عينيها تشهد على حبّها لأختها. وعلى جبينها سحابة، تغيّر في لون مُحْيَاها المحمار بالدم، وتُغْرِق ملامحها الجميلة في سيل من الدموع.

كريون (مخاطباً إسمينا): والآن جاء دورك. لقد تسلَّلت إلى بيتي مثل الحَيّة، من أجل أن تشربي دمي؟ وأنا لم ألحظ شيئاً! كلا! لم أدرك أنني فيكما كلتيكما أنا أُطْعم جُرْحين، ودمارين لعرشي! أتعترفين بهذا؟ خبّريني: هل فَكّرتِ في دفن الميّت؟ أو هل ستقسمين على أنك تجهلين كل شيء؟

---

(١) فولونيقوس.

(٢) الإله الحاكم في العالم السفلي.

إسمينا: لا، لا، أنا مُذْنبة، لأنها هي اعترفت. نعم، أنا شريكة لها، وأتحمل نصيبي من كل التُّهَمِ التي تُتَّهم هي بها.

أنتيجونا: آه! هذا لا، لا! العدالة لا تسمح بهذا. أنت لم تريدي أن تشتركي معي، وأنا من جانبي لم أُشْرِكك في فِعْلي هذا.

إسمينا: هذا صحيح، لكني حين أراك ههنا في هذه البلوى، فإني لا أتردد في أن أقول: إنني أريد أن أكون إلى جانبك في اجتياز هذه المحنة.

أنتيجونا: الجُناة، هادس يعرفهم، هادس وكل مَنْ هم في العالم السفلي. إني لا أحبّ الناس الذين يقولون إنهم «أقارب» بالكلمات فقط.

إسمينا: لا تحسديني إذن يا أختاه، على شرف أن أموت معك، وأن أؤدّي إلى الميّت التكريم الذي يَسرُّه.

أنتيجونا: كلا، كلا، لا أريد أن تموتي معي. لا تنسبي إلى نفسك فعلاً لم تشتركي فيه. أن أموت أنا: هذا يكفي.

إسمينا: وأية حياة يمكن أن ترضيني، إذا حُرِّمْت منك؟

أنتيجونا: اسألي عن هذا كريون: فإنه هو موضوع اهتمامك.

إسمينا: لماذا تسعين إلى جرح كرامتي؟ هل في هذا ما يشعرك ببعض الراحة؟

أنتيجونا: صدقيني أنني أتألم إن أنا سَخرتُ منك.

إسمينا: لماذا لا تريدين أن أساعدك، على الأقل الآن؟

أنتيجونا: اذهبي، اذهبي، أنقذي حياتك؛ إني لا أنكر عليك الحق في إنقاذ نفسك.

إسمينا: أما من بُدّ أن يرفضوا لي الموت الذي يهيئونه لك أنتِ.

أنتيجونا: أنت اخترتِ الحياة، أما أنا فقد اخترتْ الموت.

إسمينا: إن رأيي لم أبخل به عليك.

أنتيجونا: أنت تبدين عاقلة في نظر البعض، أما أنا فأبدو كذلك في نظر البعض الآخر.

إسمينا: لكن خطأ كلينا متكافىء.

أنتيجونا: لا تقلقي إذن: أنت تحيين؛ أما أنا فقد تخليت عن حياتي منذ وقت طويل، ابتغاء مساعدة الموتى.

كريون: هاتان الفتاتان مجنونتان، هذا رأي أقوله بصوت عالٍ. إحداهما تكشفت عن الجنون منذ قليل؛ أما الأخرى فمجنونة منذ ميلادها.

إسمينا: ذلك لأن ما لدى المرء من عقل قد طار، أيها الملك، أمام البلاء وتخلى عن مكانه للجنون.

كريون: هذه حالتك منذ أن قررت أن تتحالفي مع مجرمين لارتكاب جريمة.

إسمينا: أية حياة يمكن أن أحياها وحدي، بدون أختي؟

كريون: لا تقولي: «أختي»: فهذه الأخت لم تَعُدْ كذلك.

إسمينا: ماذا! هل ستقتل[1] زوجة ابنك؟

كريون: توجد حقول أخرى في أماكن أخرى للحرث.

إسمينا: نعم، لكن يوجد اتفاق بين هذين.

كريون: المرأة الشريرة تجعلني أخاف على أبنائي.

إسمينا: أَيْ هايمون العزيز، إن أباك لا يقيم لك[2] وزناً.

كريون: كفى! أنت تتعبينني بالحديث عن هذا الزواج.

قائد الكورس: هل ستحرم ابنك من زوجته؟

كريون: في نظري أن هادس قد قضى على هذا الزواج.

قائد الكورس: أعتقد أن الموت قد تقرر عليها!

كريون: وأنا أعتقد ذلك مثلك. فلا تتأخّرن بعد. اقتادوهما إلى داخل القصر، أيها العبيد ينبغي اعتقال هاتين المرأتين بدلاً من تركهما طليقتين. فمن

(١) كانت أنتيجونا مخطوبة إلى هايمون، ابن كريون.

(٢) بسبب هذه الخطوبة صار هايمون هو المولى على أنتيجونا.

يدري؟! إن أجرأ الجريئين ليفكرون في الهرب متى شاهدوا الموت قريباً من حياتهم.

(الجميع يدخلون في القصر).

المحطة الغنائية الثانية

الكورس: طوبى لمن لم يعانوا البؤس في حياتهم! إذا زعزع الآلهة بيتاً مرة واحدة، فما من كارثة إلاّ وتقع على الأجيال الواحد بعد الآخر.

يخيّل إلى المرء أنه يشاهد الأمواج العاتية التي في وسط البحر، متى ما حبست فوق الهاوية البحرية، مدفوعة برياح تراقيا وزوابعها الوحشية، فتسوق الرمل الأسود الذي تنتزعه من أعماقها، بينما تحت الأعاصير تئن السواحل بعنفٍ وضجيج.

المصائب التي أراها، تتصاعد بعيداً، تحت سقف اللبداكيين وبعد الأموات تنقضّ على الأحياء دون أن يتسنّى لجيلٍ أن ينقذ الجيل التالي: فثم إله ماثل هناك لا يترك لهم أيّ وقت من أجل أن يصرعهم. إن الأمل الذي تعلّق بالفرع الذي بقي حيّاً قد أضاء قصر أوديب؛ لكن ها هو هذا الأمل وقد تبدّد بدوره! وقد كفى لفعل ذلك حفنة من التراب قدمت إلى آلهة العالم السفلي، فأثارت كلمات حمقاء وهذياناً محموماً[1].

لكن، أية كبرياء إنسانية يمكن أن تنال من قدرتك، يا زيوس؟ لا النوم الذي يسحر كل الكائنات، ولا الشهور الإلهية بقادرة على التغلب عليها أبداً. أنت لا تحسّ بالعُمْر ولا بالزمان، بل تبقى السيّد المطلق على الأولمب وعلى النور الباهر.

والمستقبل القريب والبعيد، وكذلك الماضي، سيؤيد هذا القانون، وهو: ما من وجود إنساني ينفذ فيه أقل إفراط إلاّ ويعاني كارثة.

إن الأمل الشارد يمكن أن يكون مكسباً لكثيرين. لكنه بالنسبة إلى آخرين هو أحبولة متكونة من شهوات غافلة. والإنسان الذي ينفذ فيه هذا الأمل لا يفهم شيئاً

---

(١) «الكلمات الحمقاء» هي الكلمات التي تفوهت بها أنتيجونا؛ و«الهذيان المحموم» هو موقف كريون.

قبل اللحظة التي يشعر فيها فجأةً تحت قدميه بحريق النار[1] الملتهبة. هذه هي الحكمة التي تنطق في هذه العبارة التي قالها مَنْ لا أدري مَنْ هو.

حينما يخلط الإنسان بين الشر والخير فذلك لأن الآلهة تسوق نفسه إلى الخطأ الفاجع، وعليه حينئذ أن يعاني الكارثة بعد وقت قليل.

(كريون يخرج من القصر).

الحدث الثالث

قائد الكورس: لكن ها هو ذا ابنك هايمون قادماً، وهو آخر أبنائك، هل يكون الحُزّن هو الذي جاء به إلى ههنا؛ إن الموت ينتظر أنتيجونا ـ أنتيجونا خطيبته ـ والألم يعتصره وهو يرى نفسه قد حُرِم من زوجة.

(هايمون، قادم من المدينة، ومتوجه نحو القصر).

كريون: سنعلم كل شيء، خيراً من العرّافين (مخاطباً هايمون:) أعتقد أنك لم تأت، يا بُنَيّ، ههنا من أجل أن تطلق غضبك ضد أبيك، بسبب القرار النهائي الذي أصاب خطيبتك؟ أو أنا عليّ بالأحرى أن أتصور أنك ـ على الأقل ـ مهما أنا فعلتُ، فإنك ستحافظ على مودتك لي؟

هايمون: يا أبي، أنا مِلْك يديك. إن آراءك دائماً سديدة؛ وما عليها إلا أن ترسم لي الطريق لأسلكه. وليس ثمّ زواج يساوي في نظري المكسب الذي أكسبه من أتخاذك دليلاً لي.

كريون: نعم، يا بُنَيّ، هذه هي القاعدة التي ينبغي عليك مراعاتها في أعماق قلبك ـ وهي أن تتمسّك دائماً بإرادة أبيك. وهذا تماماً هو السبب في كون الناس يأملون دائماً في أن يكون في بيوتهم أبناء مطيعون: ينتقمون لهم من أعدائهم، ويُكرمون الصديق بقدر ما يفعلون هم. أما أن تنجب أبناء لا ينفعونك في شيء ـ فليس لهذا من معنى إلاّ أن تخلق لنفسك متاعب، ولأعدائك موضوعات للاستهزاء

---

(١) الإنسان في ذهوله لا يشعر بأنه يمشي على جمر مشتعل، لهذا تحترق قدماه. والمعنى العام لهذه الفقرة كلها هو أنه ينبغي على الإنسان، ألا يغتر بما عسى أن يكون فيه من نعيم، فإنه لا بد أن ينقلب يوماً إلى جحيم.

والسخرية. كلا، يا بُنَيّ، لا تفقد عقلك أبداً، ابتغاء لذة قد توفرها لك امرأة، واعلم جيداً بأنه عناق بارد كالثلج ذلك الذي توفره لك في البيت زوجة شريرة. وهل هناك مصيبة أفدح من أن يكون بين أهلك شريرٌ؟! اذهب، وارفض هذه البنت متقززاً منها، واتركها تتخذ لها زوجاً في العالم السفلي. لقد قبضتُ عليها متلبسة بجريمة العصيان الصريح، هي وحدها في المدينة، ولن أسمح لنفسي بمخالفة القرار الذي أصدرته إلى أهل المدينة: كلا، كلا، إنها ستموت. ولتتوسل ما شاءت إلى زيوس[1] حامي حقوق الدم! لو كان عليَّ أن أتسامح في وجود اضطراب في بيتي، وبين أولئك الذين أُغَذّيهم، فبأيّ حالٍ سيكون الأمر في خارج البيت؟ إن الإنسان الذي يتصرف كما ينبغي مع أهله سيتجلى أنه هو الإنسان الصالح لحكم المدينة. لو أن مجرماً انتهك القوانين أو خطر بباله أن يصدر أوامر إلى رؤوسائه، فإنني لن أتساهل معه أبداً. إنْ من وضعته المدينة على رأسها يجب أن تكون له الطاعة، سواء في الأمور الصغيرة، وفيما هو عَدْل، وأيضاً فيما ليس كذلك. وهذا المواطن المطيع هو الذي سأثق به كي يتولى السلطة ذات يوم، وستكون له الطاعة مثلما هو يدين للحاكم بالطاعة اليوم، كما أنه في معمعان الحرب يبقى ثابتاً في موقعه جندياً شجاعاً ومُخْلصاً. وليس هناك بلاء، أشدّ من الفوضى إنها هي التي تدمّر الدُّوَل، وتهدم البيوت، وفي يوم القتال تكسر جبهة الحلفاء وتؤدي إلى الهزائم. أمّا عند المنتصرين ـ فما الذي ينقذ جماهير الأرواح؟ إنه النظام والانضباط. وهذا هو السبب في وجوب تأييد الإجراءات التي تتخذ لحفظ النظام وعدم الانسياق وراء امرأة، بأيّ حالٍ من الأحوال. الأفضل ـ إن كان ذلك ضرورياً ـ السقوط تحت ذراع رجل، من أن يقال إننا تحت أوامر النساء.

قائد الكورس: إن كانت السنّ لا تخدعنا، فإنك تبدو لي، وأنت تتكلم هكذا، أنك تتكلم وفقاً لما يقضي به العقل.

هايمون: يا أبي! إن العقل هبة وهبها الآلهة لبني الإنسان؛ وهو أعظم الخيرات جميعاً. وأنت حين تتكلم كما تتكلم الآن، فإنك لا تتكلم وَفْق ما هو الحق، وأنا من ناحيتي لا أستطيع أن أقول ما تقول وأرجو ألا أكون قادراً على ذلك أبداً... إن من الممكن مع ذلك أن يرى غيرك رأياً سديداً أحياناً. ولما كنت

(١) زيوس الخاص بالبيت، والذي ينتصب مذبحه في داخل البيت.

أنت الذي أنجبتني، فقد تُقيّض لي أن أدرك كل ما يُكْمل لمصلحتك، وكل ما ينبغي أن يقال، وألوان النقد التي توجّه إليك. إن وجهك يثير الرهبة في نفس المواطن البسيط بينما الأمر يتعلق بأقاويل لن تجد أبداً لذة في سماعها: أما أنا فإني أقوى على سماعها على استحقاق، وإني لأسمع ثيبا وهي تنوح على مصير هذه الفتاة: «إنها لا شك أقل النساء استحقاقاً للهلاك محوطة بالإهانات، وبسبب أفعالٍ تكللها بالمجد! إنها لم تشأ أن يموت أخوها دون أن يُدْفَن، وأن يترك فريسة للطيور والكلاب النّهمة: أليست ـ على عكس ذلك ـ جديرة بأنصع الشرف؟» ـ تلك هي الشائعات الخفية التي تنطلق ضدك. لكن سعادتك هي عندي، يا أبي، أثمن الكنوز. وهل عند الأبناء مصدر فخر أكبر من نجاح آبائهم ـ وكذلك بالنسبة إلى الآباء نجاح أبنائهم؟ هيّا! لا تدع هذه الفكرة تسيطر وحدها على روحك، ألا وهي أن الحق هو ما تقوله أنت. إن الناس الذين يتصورون أنهم هم وحدهم العقلاء وأنهم وحدهم يملكون الأفكار أو الكلمات التي يجهلها الآخرون ـ هذا الصنف من الناس لو أنك كشفت عن سرائرهم فإنك لن تجد فيها إلاّ الخواء. وليس من العار أبداً على الإنسان، ولا على الحكيم، أن يتعلم باستمرار. وليس من العار عليه أيضاً أن تَكفَّ عن العِناد. ألم تر شواطىء السيول وكيف أن الشجرة التي تستطيع أن تنحني تحافظ جيداً على أغصانها، بينما التي تصرُّ على المقاومة تهلك وتنقلع بجذورها؟ وكذلك البحار وكذلك الحال في الملاح الذي يشدّ جهاز الحبال بقوة شديدة ولا يريد أن يرخي بها فإنه سيشاهد سفينته وقد انقلبت وصارت تسبح وقعرها في الهواء. هيّا، تسامح، وهَدِّىء من غضبك. لو كان عندي، رغم فَتَاء سِنّي، شيء من القدرة على الحكم الصائب، فإني أعلن أنه ـ في نظري ـ لا أحد فوق من يملك العلم الفطري؛ لكن لما كان الواقع لا يتفق مع هذا، فإنه من الخير أيضاً أن يتعلم المرء شيئاً ممن يسوق حججاً حسنة.

قائد الكورس: أيها الملك! خليق بك، إن كان ابنك يتكلم كلاماً حسناً، أن تتعلم من ابنك، كما أنه خليق بك أنت أيضاً أن تتعلم من أبيك ـ لقد قيل كلام جيّد في كلتا الناحيتين.

كريون: سيكون علينا إذن، ونحن في سننا هذه أن نتلقى الحكمة من فتى صغير في سنه هو!

هايمون: نعم، إن كان الأمر لا يتعلق إلا بما هو صحيح. ممكنٌ أن أكون

شاباً: لكن ليس السنّ هو الذي ينبغي أن يعتبر، بل السلوك.

كريون: وهل من السلوك أن تنحني أمام العُصاة؟

هايمون: إني لا أطالب أبداً بتوقير الخَوَنة.

كريون: أو ليس هذا هو الشر الذي يسيطر عليها؟

هايمون: ليس هذا هو ما يقوله كل الشعب في مدينة ثيبا.

كريون: وهل ثيبا هي التي يحق لها أن تُمْلِي عليّ أوامري؟

هايمون: ها أنت ذا ترى أن جوابك جوابٌ لا يصدر إلاّ عن طفل.

كريون: هل عليّ إذن أن أحكم هذا البلد من أجل إنسان آخر؟

هايمون: لا توجد مدينة هي مِلْكٌ لشخص واحد.

كريون: ليست المدينة إذن متاعاً للحاكم عليها؟

هايمون: أنت لا تصلح إذن إلاّ لأن تحكم وحدك في مدينة خاوية!

كريون: يبدو لي أن هذا الفتى هو المدافع عن المرأة.

هايمون: نعم، إذا كنت أنت امرأة، لأنك أنت وحدك هنا هو الشخص الذي يهمّني.

كريون: يا لك من شقيّ! أأنت الذي تحاكم أباك!

هايمون: لأنني أراك تهين العدالة.

كريون: إذن أنا أهين العدالة حينما أمارس وظيفتي بوصفي ملكاً.

هايمون: أمن ممارسة وظيفة الملك أن تطأ بقدميك الشعائر الواجب أداؤها تجاه الآلهة؟

كريون: آه! يا لها من خِسّة! أن تضع نفسك تحت إمرة امرأة!

هايمون: لستُ أنا الذي سيُقْنَع بأنه استسلم لعواطف خسيسة.

كريون: ومع ذلك فإن جميع الحجج التي تسوقها ما هي إلاّ من أجل الدفاع عنها.

هايمون: وعنك، وعن نفسي، وعن آلهة العالم السفلي.

كريون: لقد قلتُ كل شيء، وحَسْبي هذا: إنك لن تتزوج هذه المرأة وهي حية.

هايمون: إذن هي ستموت؛ لكنها بموتها ستقتل إنساناً آخر[١].

كريون: ماذا! أتجسرن على تهديدي وتهاجمني أنا دون أن ترتعد!

هايمون: ليس تهديداً الردّ على حجج واهية.

كريون: سيكلفك ثمناً غالياً أن تجرؤ على محاجّتي بالعقل، بينما أنت خالٍ من كل عقل.

هايمون: لو لم تكن أبي، لقلتُ لك إنك أنت الذي قد فقدت عقلك.

كريون: أنت عَبْدٌ لامرأة؛ فاسكت، واكفُفْ عن مضايقتي.

هايمون: أتريد! إذن أن تتكلم أنت وحدك، دون أن يُرَدّ عليك؟

كريون: صحيح؛ اعلم إذن، بحق الأولمب، أنك ستندم على إهانتي بمثل هذه التهديدات! (مخاطباً أحد العبيد:) أَحْضِر ههنا تلك الفتاة البغيضة، كيما تَهْلِك على الفور وفي حضوره وتحت نظر عينيه ههنا أمام خطيبها!

هايمون: آه! هذا، لا! لا تعتقد هذا. كلا إنها لن تموت أبداً ههنا، أمامي. وأنت أيضاً لن ترى بعينيك وَجْهي وليعش من شاء مع جنونك!

(يهرب إلى الريف).

قائد الكورس: أيها الملك، ها هو ذا قد رحل فجأة. وهو في سَوْرة الغضب. إن القلب الشابّ الذي يتألم يعاني لوعات ثقيلة.

كريون: كما يشاء، فليرحل، وليذهب للتباهي بكبريائه في مكان آخر! وليظنّن في نفسه أنه أعظم من إنسان! أما الشيء الذي لن يفعله فهو أن ينتزع هاتين الفتاتين من الموت.

قائد الكورس: ماذا! أنت تفكرّ في قتلهما كلتيهما؟

كريون: أنت على حق. سأستثني تلك التي لم تلمس الجثة.

قائد الكورس: والأخرى أيّ موت تريده لها؟

(١) هايمون يقصد أن موت أنتيجونا سيجرّ إلى موته هو. لكن كريون فهم أن هايمون يهدده بالقتل.

كريون: سأقتادها إلى مكان هجرته خُطى الناس، وأحبسها في أعماق سرداب محفور في الصخر، ولن أترك في متناول يدها من الطعام إلاّ ما يكفي كيلا نُلام عند الآلهة، ونتجنب نجاسة في ثيبا. وسيكون في وسعها حينئذ أن تتوسل ـ كما يحلو لها ـ إلى هادس، وهو الإله الوحيد الذي تعبده هي، ولا شك أنه سيهبها نعمة عدم الموت. وإلا فلا بد لها أن تعرف أنه من العبث أن تحافظ على توقيرها للعالم السفلي.

(يدخل في القصر).

المحطة الغنائية الثالثة

الكورس: أيها الحب، الحبّ الذي لا يُقْهر، أنت في وقت معاً تنقضُّ على البهائم وتسهر ـ خفيةً دائماً ـ على الوجه النضير لفتياتنا[1].

أنت تسبح فوق الأمواج، كما تتجول في الأرياف حيث الحيوان الوحشي.

وبين الآلهة أنفسهم وبين الناس الفانين لا يوجد إنسان قادر على الإفلات منك. ومن يَمْسَسْكَ يصَبْ في الحال بالهذيان.

أنت تجرّ الأخيار على طُرق الشر ابتغاء إهلاكهم. وأنت الذي أوقعت في هذا النزاع الابن ضد أبيه.

من ذا الذي ينتصر ههنا؟ من الواضح أنها الشهوة، الشهوة المتولدة من نظرات العذراء الموعودة لفراش الزوج؛ الشهوة التي تتخذ مكانها إلى جانب القوانين الكبيرة، بين سادة هذا العالم. إن أفروديت الإلهية تعبث بالجميع ولا يستطيع أحدٌ أن يتغلب عليها.

(أنتيجونا تخرج من القصر محاطة بالحرّاس).

---

(١) تحت تأثير نظرة الحب عند پرمنيدس وأنباذقليس (راجع كتابنا: ربيع الفكر اليوناني) يميّز سوفقليس بين الحب البهيمي الغليظ، وبين الحب الناشيء عن تأمل الجمال في وجوه الفتيات الناضرات.

الحدث الرابع

قائد الكورس: لكن، ها أنا ذا بدوري منساقاً إلى نسيان القوانين بسبب المنظر الذي يتراءى أمام عينيّ؛ ولم تَعُد لديّ قدرة على وقف تدفق دموعي، حينما أشاهد أنتيجونا تتوجه نحو المقام الذي سيرقد فيه كل بني الإنسان.

أنتيجونا: انظروا إليّ. الآن، يا مواطني بلد آبائي، وأنا أسلك طريقي الأخير.

شاهدوني وأنا ألقي نظرة أخيرة إلى الشمس الساطعة وبعدها سينتهي كل شيء. وهادس الذي عنده سيرقد كل بني الإنسان، يقتادني حيّةً إلى شواطىء الأخيرون[1]، دون أن يكون لي نصيبي من أناشيد الزمان، ودون أن يُحَيّيني أيّ نشيد أمام مخدع الزوجية: لقد وُعِدْتُ فقط بأشيرون كزوجٍ لي.

قائد الكورس: أجل! أنت تتوجهين، وسط المدائح، نحو المأوى المفتوح للموتى، دون أن تعاني محنة الأمراض المُضْنية، ودون أن تشاهدي شجاعتك وقد كوفئت بطعنة سيف في أثناء القتال.

بل وحدك بين الفانين، ومن تلقاء نفسك، وأنت حيّة، تنزلين إلى أعماق العالم السفلي.

أنتيجونا: لقد رووا لي في الماضي النهاية الأليمة للإفروجية الأجنبية، ابنة طنطالس[2] التي على جبل سيفوله شعرت فجأة وقد التصقت بها صخرة تشبثت بها مثل العُلّيق وأخضعتها، حتى إنها الآن، وهي تذوب تحت ماء السماء - حسبما تروي الحكاية - قد تغطت بثلج أبدي، وصارت دموع عينيها هي التي تفيض على الصخور والقَدر الذي انقضّ عليَّ قد جعلني أشبه الناس بها.

قائد الكورس: لكنها هي كانت إلاهة وابنة آلهة. أما نحن فإننا فانون، وأبناء فانين. وليس هذا بالأمر الهيّن بالنسبة إلى كائنة فانية أن يحتفل بها بوصفها ذات مصير كمصير نصف إله في الحياة وفي الموت معاً.

---

(١) Acheron أخيرون: نهر في العالم السفلي؛ وفي هذا النهر يحمل أخيرون الموتى في زورق.

(٢) هي نيوبه Niobe، ابنة طنطالس، وحفيدة زيوس وأهلها من إقليم أفروجيا في آسيا الصغرى، وقد تزوجت أمفيون، ملك ثيبا. ولما مات أولادها الاثنا عشر تحولت إلى كتلة من الصخر، في أعلى جبل سيبوله Sipyle في إقليم لوريا.

أنتيجونا: آه! إنهم يسخرون منّي! لماذا، بحق آلهة آبائي، لا تنتظر حتى أموت، ولماذا تهينني بينما النهار لا يزال يشرق عليَّ بعدُ؟ آه يا بلدي! وأنتم أيضاً يا أبناء هذا البلد الأثرياء!

وأنتِ، يا أمواج دركية[1]! وأنت أيتها الأرض المقدسة المكرّسة لثيبا، إلاهة العربات، إنني استشهد بك أنت هنا، رغم كل شيء: انظروا إلى حالتي، وشاهدوا أية قوانين تُفرض عليَّ، حينما اذهب إلى السجن - غير مصحوبة بدموع أهلي حيث تحت التراب المستور، ينفتح قبرَ من نوعٍ جديد!

أواه! يا لي من بائسة، لا ينبغي عليها أن تُحسَب في عداد بني الإنسان، ولا في عداد الموتى، قد فرض عليَّ ألا أسكن عند الأموات ولا عند الأحياء!

الكورس: لقد أردتِ أن تذهبي إلى آخر مدى في الجُرأة، ولكنك رددْتِ بنفسك لتصطدمي بالقاعدة العالية للعدالة. إن محنتك ندفع ثمن خطايا الأب.

أنتيجونا: أنت بهذا تمسّ أقسى همومي، والمصير البائس لأبي، المصير الذي تأكد مئات المرات لكل مصائرنا نحن النبلاء اللبداكيين.

آه! يا ويله من زواج قتّال عقدته أم! ومجامعات محرمة وضعت أُمّي البائسة بين ذراعي أبي!

مِنْ أيّ خاطئين ولدتُ أنا البائسة! وها أنا ذي بدوري ذاهبة اليوم للحاق بهم أنا الملعونة، وبدون زواج!

آه! أي زواج بائس لاقيت اليوم، يا أخي، لأنك حتى وأنت ميّت، فقدتَ الأخت التي عاشت بعدك!.

الكورس: لا شك أن توقير الآلهة هو من التقوى. لكن من يتولى السلطة لا يستطيع أن يرى هذه السلطة وقد انتهكت. إن وجدانك لم يتلق النصيحة إلاّ من نفسه، ولهذا فإنه أضاعك.

أنتيجونا: محرومةً من دموع الحِداد، وبدون أصدقاء، وبدون زوج ها أنا ذي، أنا البائسة، مجرورةً على الطريق المفتوح أمامي!

---

(١) يسمى اليوم Paraperti: وهو نبع موجود في مغارة في أسفل جبل كارميا.

أنا بائسة، ولن يكون من حقي أن أتأمل لمعان هذه الشعلة المقدسة. وليس هناك من يندب حظي، ولا فم صديق لينوح عليَّ!

(كريون يخرج من القصر).

كريون (مخاطباً الحرّاس): ألا تعلمون إذن أنه في مواجهة الموت، لا يعزف أحد عن النشيد أو النواح، لو تُرِك يفعل ذلك؟ هيّا بنا! هيّا! أحضروا إليَّ هذه الفتاة في أسرع وقت، واحبسوها في قبرها في الصخر، كما أمرتكم بذلك. ثم اتركوها وحدها هناك مَهجُورةً ولها حسب رغبتها أن تموت على الفور أو أن تعيش تحت الصخر عيشة القبر. نحن بدون نجاسة فيما يتعلق بها، ومهما يحدث لها، فإنها لن تعود إلى نور الشمس.

أنتيجونا: أيها القبر[١]! يا غرفة الزواج! مأوى تحت الأرض، وسجني إلى الأبد! بذهابي إليكم، فإني اذهب إلى أهلي وقد مات أنبلهم وصاروا ضيوفاً عند برسفونيه. وها أنا ذي أنزل إليهم، وأنا آخرهم وأبأسهم، قبل أن أقضي حتى الحدّ المحتوم الأخير، نصيبي من الحياة. بيد أني وأنا راحلة يراودني الأمل في أن أصل إلى هناك معزّزةً من أبي، ومعززة منك يا أمي، ومعززة منك أنت أيضاً يا أخي الحبيب، لأني بيديّ غسلتُ جسمك وزيَّنته؛ وأنا التي قدّمت إليكم الرشّات الجنائزية. وها أنا ذي، يا فولونيقوس، قد كوفئت ـ على نحو ما ترى ـ على كوني اهتممت بجثمانك! إن هذه الطقوس الجنائزية أنا كنت على حقّ في أدائها إليك، كما يُقرُّ بذلك كل العقلاء. لو كان عندي أبناء، ولو كان زوجي هو الذي تُرِك هكذا يتعفن على سطح الأرض، لما كنت قد قمت بهذه المهمة ضد رغبة مدينتي. فما هو إذن المبدأ الذي أزعم أنني حرصت على إطاعته؟ افهموا جيداً: لو مات زوجي، لاستطعت أن أجد زوجاً آخر وأن أُنجب منه أبناء؛ ولو كنت فقدت ابني الذي من زوجي الأول، لأنجبت ابناً من زوج ثانٍ. وإذا صار أبي وأمي نزيلي القبر فلن يولد لي أخٌ بعد ذلك أبداً. ذلك هو[٢] المبدأ الذي حملني على أن أفضّلك

(١) هذا القبر يمكن أن يكون ذا قبّة، كما شوهد ذلك في مناطق عديدة في يونان.

(٢) يلوح أن كل هذا الموضع (الأبيات ٩٠٤ ـ ٩١٣) قد استلهمه سوفقليس من هيروديت (١١١، ١١٩) حيث يروي أن داريوس، ملك الفرس، قد قضى بإعدام أفراد أسرة، مستثنياً فرداً واحداً تحدده زوجة الجاني، فاختارت أخاها، ولم تختر زوجها لأنها تستطيع أن تجد زوجاً آخر. ولكنها لن تستطيع أن تجد أخاً آخر.

على أي إنسان آخر وهذا هو ما يجعلني أبدو في نظر كريون أنني مجرمة، وعاصية، أي أخي الحبيب! وفي هذه الساعة أنا بين يديه: لقد قبض عليَّ، واقتادني ـ قبل أن أعرف لي فراش زوجة، ولا نشيد زفاف؛ ولن يكون لي ـ مثلما لغيري ـ زوج وأبناء يكبرون تحت نظري. ودون مراعاة لأي اعتبار، ومتروكةً من أهلي، بائسة، ها أنا ذي أنزل، وأنا حيّة إلى المقام الذي تحت التراب، مقام الموتى! فما هو القانون الإلٰهي الذي أنا خالفته؟ لكن يا أيتها البائسة، فيم ترجعين نظراتك نحو الآلهة؟! ليس لي من حليف ألجأ إليه. إن شفقتي قد جلبت عليَّ الوصف بالفاسقة: إن كان هذا هو ما هو جميلٌ عند الآلهة وما دمت قد عانيت الآلام، فإني أريد أن أقرّ بخطئي. أما إن كان الخطأ هو خطأ الآخرين فإني لا أرجو لهم إلاّ شيئاً واحداً: وهو ألا يعانوا من الآلام أكثر مما فرضوه عليَّ اليوم، عليَّ أنا، في مخالفة صريحة لكل عدالة.

قائد الكورس: أنها دائماً نفس الرياح، وبنفس العواصف، التي تسيطر على هذه النفس!.

كريون: ولهذا فإن من يأتون بها سيدفعون لي ثمناً غالياً عن بُطْئهم.

أنتيجونا: وا أسفاه! هذه كلمة تعلن عن موتٍ قريب.

كريون: أنا لا أدعوك إلى أن تستعيدي الأمان وأن تتخيلي نهاية أخرى.

أنتيجونا: إيه يا ثيبا، يا مدينة آبائي! آلهة جنسي! إنهم يقتادونني، لا مهلة بعدُ. انظروا، يا أبناء زعماء ثيبا انظروا إلى تلك التي بقيت من بنات ملك لكم، انظروا ماذا تعاني ـ وبواسطة مَنْ ـ لأنها بدافع من التقوى أدّت عملاً صالحاً إلى الرحمة.

(تذهب مع حراسها. كريون يدخل في القصر).

الكورس: دانايا[1] هي الأخرى عانت مثل هذه المحنة. لقد غادرت نور السماء وأبدلت به سجناً من البرونز. لقد دُفِنَت في سجن هوتبر، وكان عليها

(١) دانايا Danae، ابنة اترسيوس، قد حبسها أبوها في سجن له باب من البرونز، لأن الوحي تنبأ لأكرسيوس بأنه سيموت على يد حفيده. وقد ألّف سوفقليس مسرحيتين بعنوان: «أكرسيوس» و«دانايا» لكنهما مفقودتان.

الاستسلام لهذا المصير. ومع ذلك، يا فتاتي، فإنها تنحدر من سلالة محترمة. لقد كُلّفت بالسهر على ثمرة زيوس، المولود من المطر الذهبي. لكن بسلطة المصير سلطة رهيبة. فلا الثراء، ولا السلاح ولا المتاريس ولا السفن السوداء التي تضربها الأمواج بقادرة على الإفلات من المصير.

كذلك كان على ابن ديرياس[١] السريع الغضب، وملك الأدونيين أن يخضع لنير المصير. فبسبب تهكماته العنيفة حبسه ديونوسوس في أعماق سجن.

وقد شعر آنذاك بانهيار النزوة الوحشية التي كان يبديها في الماضي. لقد فهم في وقت متأخر جداً، في اللحظة التي فيها جنونه قد جرح الإله بعبارات مهينة.

وكان يقاطع النسوة اللواتي يلهمهن إله ـ ويطفىء المشاعل التي تتبعها؛ وكان يتحدى الموساوات Muses صاحبات النايات.

وبالقرب من أمواج البحر المزدوج الذي تقوم فيه الكوانيات Cyanées توجد شواطىء البوسفور وساحل تراقيا: سالمودس Salmydesse! وهناك آرس الملازم لأبواب المدينة، شاهد الجُرْح الرهيب الذي أصيب به ابنا فنيا[٢] Phinée، ذلك الجُرْح الذي حرمهما من البصر وهي جريمة ارتكبتها زوجة متوحشة! إن هذا الجُرْح قد جعل من عيونهما حدقات عمياء تصرخ مطالبة بالانتقام، منذ اليوم الذي أصيبا فيه، لا بخناجر بل بأيدٍ دموية كانت حادّة.

كانا يبكيان ويستهلكان نفسيهما، بائسين في بؤسهما الأليم. إن الزواج كان السبب في شقاء الأم التي أنجبتهما.

ومع ذلك فإنها من حيث النَّسَب تصعد إلى آل أرختيوس القدماء، وقد ربّيت في مغارة بعيدة، وسط الأعاصير الأبوية، كما يليق بابنة بوريا، وكانت مستعدة ـ كالمهرة ـ لاجتياز القمة العالية. لقد كانت ابنة للآلهة. ورغم ذلك فقد هاجمتها

---

(١) ابن درياس Dryas هو لوكورجس. وقد ذكر في «الإلياذة»، (النشيد السادس) أن زيوس قد أصابه بالعمى لأنه هاجم مربيات دونوسوس. لكن بحسب أپولودور فإن زيوس حبسه في أعماق سجن.

(٢) فنيا، ملك سالمودس على الشاطىء الغربي للبحر الأسود. وكان قد تزوج قليوبطرة بنت بوريا، إله الرياح، وأمه أورثيا بنت أرخيبا ملك أثينا. وولد له من قليوبطرا ولدان هما پلكسپوس وманديون. وبعد وفاة قليوبطرا تزوج فنيا من أيدوثيا بنت كادموس، وهي التي خرقت عيون أبي فنيا بواسطة مكوك. وقتلتهما في السجن.

الپاركات Parques الطويلة العمر، يا فتاة[١]!

(يدخل تيرسياس، يقوده طفل).

الحدث الخامس

تيرسياس: يا زعماء ثيبا، نحن سائرون معاً؛ وواحد يبصر من أجل اثنين؛ لأن الأعمى لا يسير بدون قائد.

كريون: بأيّ نبأ أتيت يا تيرسياس العجوز؟

تيرسياس: سأخبرك به؛ وأنت من ناحيتك أَطِعْ العرّاف.

كريون: حتى الآن أنا لم أنحرف عن نصيحتك.

تيرسياس: وهذا هو السبب في أنك أحسنت قيادة سفينة الدولة.

كريون: نعم، وفي وسعي أن أشهد على ذلك؛ إن مساعدتك كانت مفيدة.

تيرسياس: إذن افهم هذه المرّة أن قدمك اليوم على حدّ مصيرك.

كريون: ماذا هناك؟ إن كلماتك تُفْزِعني.

تيرسياس: ستعرف ذلك أَصْغِ إلى الأدلة التي جمعتها صناعتي.

كنت قد ذهبت للجلوس على الكرسي الذي عنده أرصد الطيور منذ زمان طويل، وتأوي إليه أسرابها العديدة. وفجأة سمعتُ نبرات غير مألوفة عند الأنام إنها صيحات مهتاجة غريبة وحشية. وأدركت في الحال أنها تنشب مخالبها بعضها في بعض ويقتل بعضها بعضاً: ورفيف أجنحتها لم يدع باباً للشك. استولى عليَّ الفزع، فلجأت إلى الأضاحي التي تفرض القاعدة تقديمها على مذابح ذات نار. لكن النار لم تنطلق من قرابيني[٢]. وأخذت الأفخاذ في الانصهار والتقطير، والبصق على الرماد، وانبعث منها الدخان؛ وجيب المرارة انفجر وقفز في الهواء؛ وأخيراً برزت العظام من الشحم الذي كان قد غطاها أولاً ثم صار يسيل عليها الآن وكل هذا -

(١) الخطاب موجّه إلى أنتيجونا، على الرغم من أنه من المفروض أن أنتيجونا قد ذهبت وتركت المسرح.

(٢) إذا لم تنطلق النار - فذلك فأل سيّئ.

وهي علامات تنبز مخفقة أصرّت على الصمت ـ أنا قد عرفته بواسطة هذا الغلام وهو دليلي أنا، بقدر ما أنا دليل للآخرين. إن هذا البلاء الذي تشكو منه ثيبا قد جاءنا من إرادتك أنت. إن مذابحنا العالية، ومساكننا الواطئة كلها قد نجّسها الطعام المقدّم إلى الطيور والكلاب. لحم ابن أوديب المسكين الذي سقط في المعركة. ولهذا فإن الآلهة لم تَعُدْ تقبل قرابيننا المتوسلّة، ولا النار تحت أفخاذ أضاحينا؛ ولم تَعُد الطيور تُسْمِع رفيف أجنحتها المواتى: لأنها قد أفرطت بالشحم الدموي الذي للبطل القتيل! فكر في هذا يا ولدي. إن الغلط شائع بين الفانين جميعاً، لكن متى ما وقع الخطأ فإنه لا يصبح أحمق وبائساً مَنْ يعرف كيفَ يبرأ من الداء الذي أصابه واقتنع؛ أما الإصرار على الخطأ فحماقة. اذهب، تنازل للميّت، ولا تحاول أن تصيب كائناً لم يَعُد موجوداً. أمن البطولة أن تقتل مَنْ هو ميّت مرةً ثانية؟ إني حريصٌ عليك، وحِرْصي وحده هو الذي يدفعني إلى الكلام وليس هناك شيء أعذب من سماع إنسانٍ يكلمّك لمصلحتك، حين يقدّم إليك الكلام ما فيه النفع لك.

كريون: آه! أيها الشيخ، ها أنتم جميعاً تطلقون السهام عليّ، كما يطلق الرماة على هدفهم، وحتى العرّافون لا يعفونني من ذلك. وبفضل تآمرهم صرتُ منذ مدةٍ الشخص الذي يبيعونه ويتجرّون[1]. ليكن! اجروا وراء المكاسب، اشتروا كل ذهب سرديس الأبيض، إن شئتم، بل وكل ذهب الهند. لكن بالنسبة إلى ذلك الرجل ـ فإني أستحلفكم ألا تدفنوه في قبر. كلا، وحتى لو أن نسور زيوس احتملته لتأكله عند عرش الإله ـ لا تحسبوا أني سأترككم تدفنونه خوفاً من النجاسة. إنني أعلم جيداً أنه ليس في قدرة من هو فانٍ أن ينجس الآلهة. يا تيرسياس العجوز! كم شوهد أمهر المهرة يسقطون سقطات شنيعة، حينما يحاولون ـ مقابل مكسب ما ـ أن يصوغوا في صياغة جميلة حججاً فاسدة.

تيرسياس: واأسفاه! واأسفاه! هل يوجد إنسان يعرف ويدرك.

كريون: ماذا؟ أي كلام مبتذل آخر تريد أن تقوله؟

تيرسياس: . . . إلى أية درجةٍ الحكمة هي أول الخيرات.

كريون: مثلما أن الهذيان هو أسوأ الشرور.

تيرسياس: وهذا هو الداء الذي أرى أنك مُصابٌ به.

---

(١) يومىء كريون بهذا إلى أن القوم قد رشوا تيرسياس كي يتنبأ في صالح فولونيقوس وأنتيجونا.

كريون: أنا أرفض أن أرد على عرّاف بالشتائم.

تيرسياس: أليس من الإهانة لي أن تقول عن أنباء وحي إنها كاذبة؟

كريون: إن عصابة العرّافين شديدة الطمع في المال.

تيرسياس: وعصابة الطُّغاة شديدة الطمع في المكاسب الخسيسة.

كريون: هل تتناسى أنك تخاطب أُناساً هم رؤساؤك؟

تيرسياس: كلا؛ إنك إنما أنقذت ثيبا بفضلي أنا.

كريون: أنت عرّاف حاذق، لكنك تفرح بالشرّ.

تيرسياس: أنت تدفعني إلى تحريك كلمات صرخت كي تبقى مدفونة، في داخل نفسي.

كريون: ليكن! بشرط ألا يكون ذلك من أجل تحقيق مكسب.

تيرسياس: إن هذا هو قصدي، وهو أن يكون في ذلك مكسب لك أنت.

كريون: كفى! ولتعلم أن إرادتي ليست للبيع.

تيرسياس: إذن لتعلم أنت أيضاً ما يلي: إنك لن ترى الشمس طويلاً تواصل مسيرتها الدائبة قبل أن تقدّم أنت ميّتاً - في مقابل ميت - ميّتاً منحدر من أحشائك أنت. ولهذا ستدفع ثمن جريمة الدفع بأحياء عند الأموات، وإعطاء حياة إنسانية إطار قبر مهين، بينما أنت في الوقت نفسه تحجز على الأرض ميّتاً ينتسب إلى آلهة العالم السفلي، ميتاً أنت تَحْرمه هنا من حقوقه، ومن القرابين والشعائر التي هو جدير بها. وعلى ذلك فهذه أمور لا تعنيك أنت، ولا تَعْني الآلهة في عِلّيين وتريد أن تفرضها عليهم فرضاً. ولهذا فإن القائمات بالتنفيذ، في الجحيم وتحت إمرة الآلهة، وإن كنّ بطيئات أحياناً فإنّهن فاعلات - قطعاً - أقول إن «الأرنيات» ماثلات هناك وهن يتربصن بك، وسيصطدنك في نفس الشّباك من المصائب. فانظر الآن هل المال هو الذي يجعلني أتكلم على هذا النحو. ولن يمضي إلاّ القليل من الوقت قبل أن ينطلق النواح في بيتك أنت على رجال، وعلى نساء وها هي ذي الكراهية تدمّر المدن[1] التي شاهدت محاربيها الذين مزّق بعضهم بعضاً لا

(١) المقصود هو المدن المتحالفة مع أرجوس؛ فإن محاربيها الذين سقطوا في الحرب أمام ثيبا لم يدفنوا.

يحصلون على قبور غير الكلاب أو الوحوش أو الطيور المجنحة التي حملت بعد ذلك هذه الرائحة النجسة إلى قلب مدينتهم. فما دمت تحاول أن تجرحني، فتلك هي الأسهم التي أُطلقها أنا بدوري ضدك، إطلاق رام خبير. ولا تؤمّلن في أنك ستستطيع تجنّب إصابتها. (يخاطب الغلام الذي يقوّده): عُذْ بي إلى البيت، يا ولدي. وفي وسعه كما يشأ أن يُشْعِل غضبه ضد من هم أكثر شبهاً به، وأن يتعلم كيف يستخدم لغة أكثر تعقُّلاً ويصدر أحكاماً أكثر سداداً مما أبداه اليوم.

(يخرج مصحوباً بالغلام الذي يقوده).

قائد الجوقة: لقد ترك لنا، أيها الملك، نبوءات تدعو إلى القلق. ونحن نعلم ذلك قبل أن تتخلل شعورنا السّود شعور رمادية. كلا! إنه لم ينطق بكلمة كاذبة عن مدينتنا.

كريون: وأنا أعلم ذلك مثلك، ونفسي يسودها الاضطراب.

أما أن أتنازل ـ فهذا أمر رهيب، لكن المقاومة والاصطدام، بعد ذلك وأنا غاضب بكارثة ـ هذا أيضاً أمرٌ رهيب.

قائد الجوقة: إن الفطنة ضرورية، يا كريون يا ابن منقيا.

كريون: ماذا يجب عليَّ أن أفعل؟ تكلم، وسأطيع.

قائد الكورس: اذهب وأخرج الفتاة من سجنها في الكهف. وبعد ذلك أَقِمْ قبراً للميّت المتروك في العراء.

كريون: أهذه هي نصيحتك، من رأيك إذن أن أتراجع؟

قائد الكورس: نعم، وبأسرع ما يمكن. إن المصائب التي تُطْلقها الآلهة لها أقدام سريعة، وغالباً ما تقطع الطريق على المجرمين.

كريون: واأسفاه! إن هذا يكلّفني من أمري رَهَقاً، لكني مع ذلك سأتخلى عن القرار الذي أصدرته. لا أمل في الكفاح ضد «المصير».

قائد الكورس: اذهب إذن، ولا تتكل على غيرك في إنجاز هذا الأمر.

كريون: أنا ذاهب مثلما أنا. وأنتم أيها الخدم، الحاضرين والغائبين، اذهبوا جميعاً، واحملوا بلطات في أيديكم؛ اهرعوا إلى المرتفع الذي ترونه هناك. لقد

اتخذت قراري: إني أنا الذي حَبَسْتُها، وأنا الذي سأخلّصها من حبسها. آه! أخشى أن يكون الأفضل للإنسان هو أن يراعي القوانين المقررة حتى آخر عمره.

(يخرج ومعه عبيده).

الكورس: أيها الإله ذو الأسماء الألف، يا فخر زوجة مبتلاة[١]، ويا ابن زيوس ذي الرعود الصمّاء، يا مَنْ تحمي إيطاليا[٢] النبيلة، وفي الوقت نفسه أودية[٣] ديو المضيافة الألوسينية.

أي باخوس، يا ساكن ثيبا، المدينة الأمّ للباخوسيات، الجالسة على شاطىء نهر اسمينس، حيث نبتت بذور التّنين[٤] الوحشي!

أنت الذي شاهدك الضوءُ الدخاني للمشاعل يجتاز الصخرة ذات الحدّين حيث الحوريات الكوروكية[٥] تأتي بوصفهن بنات باخوس الورعات؛ وأنت الذي شاهدتك ينابيع كستاليا[٦].

وأنت الذي ترسلك قمم[٧] نوسا لابساً الغار ومحملاً بالعناقيد الرطبة، حينما تأتي ـ على صوت الكلمات الإلٰهية التي توقظ الأناشيد الباخوسية ـ لتزور شوارع بلدنا ثيبا. ثيباالتي أنت توقرّها أكثر من أي بلد آخر، مثل الأم التي أصابتها الصاعقة[٨]!

في هذه الساعة التي تعاني مدينتنا من بلاء قاس ـ تعالَ إليها، وبقدمٍ ينبغي أن تحمل الشفاء إليها، اجتز أعالي البرناس أو المضيق النائح[٩].

أنت يا من تقود كورس الكواكب الملتهبة وتتولى أمر النداءات التي تُطْلق في

---

(١) سيميله، بنت كادموس، أتت بالصاعقة وهي تلد باخوس.
(٢) يصف إيطاليا بالنبالة لأنها تنبت الكثير من الكروم التي منها تصنع الخمر، وباخوس هو إله الخمر.
(٣) اسم آخر يطلق على ديمتير.
(٤) تقول الإسطورة أن أهل ثيبا ولدوا من أسنان التنين الذي صرعه كادموس وبذر أسنانه.
(٥) المقصود هو الحوريات التي يطيب لها الإقامة في كهف كوروكيا على جبل البرناس.
(٦) ينبوع في دلف.
(٧) لا يعرف الموقع الدقيق لنوسا؛ وسوفقليس يضعه في يوبيا.
(٨) سيميله ـ راجع التعليق عليها في رقم ١.
(٩) أي: يوريب Euripe.

الليل، يا ابن زيوس، اظهر أمام عيوننا سيّداً إلى جانب خادماتك، في وسط الثيادات[1] التي تمجدك طوال الليل برقصاتها المحمومة، أي[2] إياخوس الجواد!

(يدخل رسول).

الخروج

الرسول: يا جيران قصر كادموس وأمفيون! اعلموا أنه لا توجد حياة إنسانية هي من الثبات بحيث يمكن الرضا بها أو الشكوى منها. إن الحظ في كل لحظة إما أن يصرع إنساناً سعيداً أو أن يصلح حال إنسان بائس. وما يريغه الإنسان من الثبات هو أمرٌ لا يملك أيّ عَرّاف أن يَضْمنه لبني الإنسان الفانين. وعندي أن كريون كان خليقاً بأن يحسد حظّه. لقد صان بلد كادموس من عدوان أعدائها؛ وقد استولى على الحكم المطلق، وحكم هذه البلاد، وسط ازدهار أبناء نبلاء. والآن أفلت منه كل شيء! ومن رأيي أن الرجل الذي صار مُجْبراً على التخلّي عما كان مصدر سروره ـ هو رجل لم يعد حيّاً بعدُ؛ وما هو ـ في نظري ـ إلاّ جُثّة تمشي على قدمين. اذهب وازدد ثراء كما تشاء؛ اذهب، وعِشْ بين أبّهة الملوك، لكن، إذا لم يكن للرضا مكان في هذا كله، فما هذا إلاّ سراب وهم. فلا شيء يعادل السرور.

قائد الكورس: أية مصيبة جديدة تريد أن ترويها لنا أصابت ملوكنا؟

الرسول: لقد ماتوا، والفاعلون لهذا الموت هم الذين بقوا.

قائد الكورس: لكن مَنْ هو القاتل؟ ومَنْ هو المقتول؟ خبّرنا.

الرسول: هايمون مات، ودمه هو الذي يجري في شرايين قاتله.

قائد الكورس: هل قتله أبوه؟ أو قتل هو نفسه بنفسه؟

الرسول: لقد قتل نفسه بنفسه، في فورة القتل الذي ارتكبه أبوه.

قائد الكورس: آه! أيها العرّاف لقد حققت نبؤاتك تماماً.

الرسول: هذه هي الوقائع، وعليكم أن تحكموا.

---

(١) حوريات تصاحب باخوس.

(٢) اسم من أسماء باخوس.

قائد الكورس: لكن، ها هي ذي زوجة كريون البائسة قادمةً. إن يوروديس تقترب، خارجةً من القصر. هل سمعت اسم ابنها؟ أو هي مجرد الصدفة؟

(يفتح الباب. يوروديس تتوقف عند عتبة القصر).

يوروديس: خبّروني، أنتم جميعاً! لقد سمعتكم حينما خرجت من أجل أداء صلواتي للإلاهة پلاس Pallas. كنت هناك أسحب المزلاج وأجرّ الباب إليّ، حينما طرقت سمعي فجأة ضوضاء مصيبة أصابت أهلي، ففزعت وأغمي عليّ وسقطتُ بين أذرع قهرماناتي. هيّا، خبروني إذن ما الخبر، مهما يكن. سأستمع إليه برباطة جأش امرأة عرفت الشقاء.

الرسول: مولاتي العزيزة! لقد كنت أنا موجوداً هناك، وسأخبرك بالحقيقة دون أن أحذف منها شيئاً. ولماذا أسعى إلى تخفيفها، ما دمت سأظهر لك بعد ذلك أنني كذّاب؟! إن الحقيقة هي ما ينبغي على الإنسان أن يقولها دائماً. وأقول إذن إنني كنت أرافق زوجك بوصفي دليلاً إلى أعماق السهل. كانت لا تزال راقدة هناك، جثة فولونيقوس وقد مزقتها الكلاب شرّ ممزّق: فتوسلنا حينئذ إلى إلاهة[1] الطرق وإلى بلوتون Plouton أن يكونا رحيمين بنا وأن يضبطا غضبهما. وغسلنا الجثة بالماء الذي يطهّر. ثم أحرقنا بعد ذلك بقاياه بنارٍ أشعلناها في أغصان حديثة القطع؛ وأقمنا قبراً عالياً، وغطيناه بالتراب. وبعد ذلك ذهبنا إلى المغارة التي وجدت فيها العذراء[2] غرفة زواجها: غرفة الموت وفراش الصَّخْر! وسمع أحدُنا من بعيدٍ شَكَاة حادّة في نواحي هذا المخدع الغريب الذي هو قبر محروم من القرابين الجنائزية. فجاء وأخبر سيّدنا، فاقترب كريون من ناحية الصوت، وأحسّ بأنه محاط بصرخات يائسة فتنهد وأطلق هذه الكلمات الحزينة: «ويلٌ عليَّ! هل أنا عرّاف؟ هل أنا أتبع الآن أشد الطرق إيلاماً طوال حياتي؟ إنه صوت ابني هو الذي يطرق أُذُنَي. أسرعوا أيها الخدم، اقتربوا من القبر وانظروا جيداً. هيا، وادخلوا من بين الكسر الواقع بين الصخور المتباعدة، حتى تصلوا إلى مدخل المغارة، وخبروني هل هو صوت هايمون هو هذا الذي أسمعه، أو هل الآلهة تسخر بي» وبناء على أوامر سيّدنا هذه، نظرنا فشاهدنا في أعماق القبر: هي وقد شنقت من

(١) وهي: هيكاته Hecate.

(٢) = انتيجونا.

رقبتها في حبل من التيل الغليظ، وهو وقد التصق بها وعانقها بكلتا ذراعيه، وراح يبكي على فقدانه زوجةً صارت في عداد سكان العالم السفلي، وعلى جرائم أبيه، وعلى زفافه الأليم! وما كاد كريون يراه حتى أطلق صرخة مروّعة. دخل، وناح، ونادى قائلاً: «أيها الشقيّ، ماذا فعلت؟ أية فكرة سيطرت عليك؟ في أية كارثة سقط عقلك؟ اخرج، يا بُنَيّ، أتوسل إليك جاثياً!» لكن الآخر (= الابن) بعين متوحشة راح يحملق بنظرات زائغة. وكان وجهه ينمّ عن ضيقه، وبدون أن يرد على أبيه بكلمة، استلّ سيفه ذا الحدّين. لكن الأب هرب منه بوثبة فأفلت منه. هنالك وجّه هذا البائس غضبته ضد نفسه. وبسرعة مدّ جنبه وغرز فيه سيفه فغار فيه إلى نصفه. وبعد ذلك ـ وقبل أن يفقد وعيه ـ احتضن العذراء (= أنتيجونا) بذراعيه المتساقطتين، وفي سكرات الموت تدفق من صدغه الشاحب سيل من الرضاب الدامي. وهناك على الأرض كانت جُثّة تعانق جثة أخرى. لقد كان من نصيب هذا البائس أن يحتفل بزفافه في عالم الأموات، وبهذا قد بيّن لبني الإنسان أن فقدان العقل هو أكبر مصيبة يمكن أن يصاب بها الإنسان.

(يوروديس بقيت صامتةً. وفجأة أدارت ظهرها ودخلت القصر).

قائد الكورس: ما معنى هذا؟ لقد أدارت ظهرها واختفت ولم تنطق بكلمة خير أو شر.

الرسول: أنا في حيرة مثلك. لكني آمل، الآن وقد علمت بمصيبة ابنها، أن تكون قد كرهت أن تنوح خلال طرقات المدينة، وأنها في غُرَفها الخاصة، تحت ظل سقفها، ستعلن لوصيفاتها الحداد الداخلي. إنها كانت دائماً من الحكمة وسداد الرأي بحيث لا تقع فريسة للخطأ.

قائد الكورس: لستُ أدري. لكن الصمت التام ـ فيما يبدو لي ـ من شأنه أن يثير من القلق ما يثيره الصراخ العالي الذي لا جدوى منه.

الرسول: ليت شعري هل قلبها الغاضب لا يحتوي في الخفاء على شعور مستور. إني داخلٌ القصر. أنت على ألف حق: إن الصمت التام من شأنه أن يثير القلق.

(يدخل في القصر. الباب يُغْلَق من ورائه).

قائد الكورس: ها هو الملك قادماً. إنه يحمل بين ذراعيه مثالاً واضحاً كل

الوضوح، إن صحّ هذا القول، مثالاً لم يستمده من غيره، بل من ذاته هو.

(كريون يصل حاملاً جثة ابنه بين ذراعيه. ويتوجه نحو القصر).

كريون: آه! عقل يهذي! أخطاء عنيدة جلبت الموت! أنتم تعلمون هذا، أنتم يا مَنْ ترون هنا قاتلين، ومقتولين، وكلهم من نفس الدم!

آه! يا لحماقة ما ارتأيته من آراء!

آه! يا بُنَيّ، مَوْتٌ شابٌ قد أطاح بشبابك!

واحسرتاه! أنت ميّت وقد وثبت ساقطاً تحت ضربة من الجنون كنت أنا ضاربها، ولست أنت.

قائد الكورس: واحسرتاه! أعتقد أنك لم تعرف العقاب إلاّ متأخراً جداً.

كريون: واأسفاه! نعم، لقد فهمتُ أخيراً، أنا الشقيّ! إني أدرك أن إلاهاً قد هوى على رأسي بكل ثِقْلة الهائل. إنه إلٰه هو الذي هزّني، وألقى بي في طُرُق موحشة، واطئاً، ساحقاً ما كان موضوع سروري.

آه! أيتها الآلام، أنت النصيب المروّع المفروض على بني الإنسان.

(خادم يخرج من القصر).

الخادم: يا مولاي! إن لديك من الآلام أكثر مما تشعر به. أحدها هو ما تحمله بين ذراعيك. وثم آخر موجود في بيتك: فادخل ترَهُ في الحال.

كريون: هل يوجد ألم أسوأ يمكن أن ينضاف إلى آلامي؟

الخادم: زوجتك ماتت، أُمُّ هذا الميّت، إنها الأُمُّ بالمعنى الكامل لهذا اللفظ. إن هذه البائسة قد سقطت صريعة ضربة سَيْف جديدة.

كريون: آه! المرفأ السُفْلي، المرفأ النجس أبداً! . لماذا، لماذا تريد أن تقتلني؟ وأنت يا من جئت إليّ بمثل هذه الأنباء الأليمة، ماذا تقصد بكلامك هذا؟

يا ويلتاه! أهو ميّت تريد أن تجهز عليه!

ماذا تقول يا غلام؟ ما هذا الموت الجديد واحسرتاه - موت امرأة مذبوحة هو تكملة لموت آخر - من أجل القضاء عليّ؟

(من باب القصر، وقد فُتح، تُرى يوروديس ميّتة).

الخادم: تستطيع أن ترى بنفسك: إنها ليست في داخل القصر.

كريون: يا حسرتاه! هذه هي مصيبتي الجديدة. أيّ مصير ينتظرني الآن؟ لم أكد أحمل بين ذراعيّ ابني حتى أشاهد أمام ناظريَّ جثّة أخرى.

آه! أمٌّ مسكينة، وابنٌ مسكين!

الخادم: عند قاعدة المذبح، وقد نفذ فيها سلاح حادّ، راحت تسرح بنظراتها في الظلمات لكنها ناحت أوّلاً على ميّتها الأول، على ميجاريا ومصيره المجيد[1]؛ ثم ناحت بعد ذلك على هايمون. ثم راحت بعد ذلك تصب عليك اللعنات وتطلب لك الويلات، أنت أيها الأب القاتل لابنيه.

كريون: يا ويلتاه! يا ويلتاه! إن الفزع يرفعني من فوق الأرض. لماذا لا يضربني إنسانٌ بضربة من سيف قاطع؟ إني أغوص في أعماق أبأس مصير.

الخادم: إن الميّتة هي التي أعلنت بنفسها أنك أنت الفاعل لكل هذه القتّلات. هذه، وتلك الأخرى.

كريون: لكن كيف راحت هكذا غريقة في الدماء؟

الخادم: لقد ضربت نفسها بيدها في كبدها لمّا سمعت الصراخ والعويل الذي صاحب موكب جنازة ابنها.

كريون: واحسرتاه! ويلي عليّ! ليس في هذا ما يزيح عني ثقل المسؤولية الملقاة عليّ! أجل، أنا الذي قتلتك، أنا الشقيّ! وأنا أقول الحقيقة. هيّا أيها الخدم، خذوني بعيداً عن هنا. من الآن فصاعداً ما أنا إلاّ عَدَم!

قائد الكورس: هذا رأي حَسَن، إن كان هناك حَسَنٌ في وسط الشقاء. الأفضل هو اختصار المصائب الأشدّ إلحاحاً.

كريون: ليأتِ إذن، ليأتِ، ليظهر أجمل أنواع الموت، الموت الذي سينهي حياتي، إنه الخير الأسمى! ليأت، ليأتِ! الا ليتني لا أرى الغد أبداً!

---

(١) أسخولوس، في مسرحية «السبعة ضد ثيبا» يقدم ميجاريا، ابن كريون، بوصفه أحد رؤساء ثيبا السبعة. ومعنى هذا أن ميجاريا هنا قد قتل أثناء الموقعة.

قائد الكورس: هذا هو المستقبل. أما الحاضر فإنه ينتظر أفعالاً. ولنترك المستقبل لمن يخصُّهم.

كريون: إني أضع كل أمانيّ في هذه الأمنية.

قائد الكورس: اذهب، لا تتمنَّ شيئاً. حين يكون المصير هو الذي يصيب، فليس في مقدور أحد من الفانين الإفلات من البلاء.

كريون: أبعِدوا عن ههنا ذلك المجنون الذي قتلك يا بُنَيّ دون أن يقصد ذلك، كما قَتَل هذه هي الأخرى أيضاً. يا ويلتاه! لا أدري ماذا أعمل، وبأيّهما أهتم. كل شيء يترنّح بين يديّ، وعلى جبيني انقضّ مصير أثقلُ من أن يمكن حمله.

(خدم يدخلونه القصر وهو يترنح. وخدم آخرون يتكفّلون بجثمان هايمون).

قائد الكورس: الحكمة هي أول شروط السعادة. لا يجوز أبداً ارتكاب الكُفر في حق الآلهة والمستكبرون سيجدون أن كلماتهم الكبيرة سيجازيها المصير بضربات شديدة؛ وهم لا يتعلمون أن يكونوا عقلاء إلاّ مع مرور السّنين.

ختام

مسرحية «أنتيجونا»

مَسْرحيَّة «أنتيجُونا»

مقدّمة «إلكترا»

بقلم الدكتور عبد الرحمن بدوي

(١)

من هي الكترا

الكترا هي بنت أجاممنون، وأمّها قلوطمنستره.

وأجاممنون هو ابنِ أتريوس، وأمه ايروفا، وأخوه هومنلاس. وأتريوس هو ابن فالوفس، وأمه هپودميا.

وفالوفس هو ابن طنطالس.

وطنطالس هو ابن زيوس: كبير الآلهة.

وهوميروس لا يذكر الكترا. لكنها في التراجيديا اليونانية تشغل مكانة عظيمة؛ وسميت باسمها مسرحيتان كلاسيكيتان وصلتا إلينا إحداهما من تأليف سوفقليس، والثانية من تأليف يوريفيدس. كما أنها تلعب دوراً مهمّاً في مسرحية «حملة القرابين» تأليف أسخولوس، ومسرحية «أورست» تأليف يوريفيدس. وفي كل هذه المسرحيات نجدها تساعد أخاها أورست في إنقاذه من أمّهما قلوطمنستره وعشيقها إيجيست اللذين قتلا والدهما أجاممنون. والكترا هي التي انقذت أورست من القتلة الذين أرادوا قتله هو أيضاً إلى جانب والده. وأرسلته إلى بلاط الملك استروفيوس في فوقيس. ولما بلغ أورست أَشُدّه، عاد بصحبة فولاد ابن استروفيوس وأمه

أنكسبيا أخت أجاممنون، أي أن فولاد هو ابن عمة أورست. أقول إنهما سافرا إلى موقانا. وتعرّفت الكترا أخاها أورست، وذهب الثلاثة إلى قبر أجاممنون، وراحت تحث أخاها على الانتقام لأبيهما من قلوطمنستره، وعشيقها إيجيست. وتم ذلك بحسب رواية سوفقليس.

أما بحسب رواية يوريفيدس فإن الكترا كانت متزوجة من فلاّح فقير ولكنه شهم شريف، مملوء بالاحترام لدمها الملوكي، ومقدّر لظلم القدر، لهذا لم يمسسها وحافظ على بكارتها. ولما عاد أورست إلى موقانا تعرّفته بفضل بعض العلامات، وانضمت إليه في العمل على قتل من قتلا أباهما أجاممنون. لكن ما لبث تأنيب الضمير أن راح يعذّبها، بينما كانت زبانية الانتقام (الأرينيّات) تعذب نفس أورست؛ وما هذه الزبانية ـ في نظر يوريفيدس ـ إلا أشباح ضميره هو التي أوجدها شعوره بالذنب. ثم إن يوريفيدس، في مسرحيته: «أورست» يجعل الأحداث تبدأ في وقت لاحق، ويُظهر منلاس في اللحظة التي فيها كان شعب موقانا يستعد لرجم أورست والكترا بسبب قتلهما لأمّهما. لكن منلاس لم يشأ أن يقنع الشعب باتخاذ أورست ملكاً عليه. ولهذا فإن أورست والكترا استوليا على زوجته هيلانة وأرادا قتلها انتقاماً منها لما جلبته من مصائب على أسرتهما نتيجة زناها مع باريس Paris أحد زعماء طروادة. بيد أن هيلانة كانت بنت زيوس ـ ربّ الأرباب ـ ولهذا كانت خالدة، فنجت من انتقامهما. هنالك استولى أورست والكترا على ابنة هيلانة، واسمها هرميون، وطالبا بفدية عنها، إلى أن وافق أپولون ـ وهو الذي كان قد دفع أورست إلى قتل قلوطمنستره ـ على تخليصه من الجنون الذي أصابته به زبانية الانتقام، بشرط أن يطلق سراح هرميون. وبأمرٍ من أپولون تزوجت الكترا من ابن عمّها فولاد، وأنجبت منه ولدين هما: استروفيوس وميدون.

(٢)

المشابهة بين الكترا وأنتيجونا

وبين الكترا وأنتيجونا مشابهة قوية جداً، إلى درجة أن من الممكن أن تُعدّ كلتاهما صورة من الأخرى.

أ ـ فكلتاهما ذات إرادة قوية أثناء المحن والمصائب التي تحيط بهما، وتقف صامدة أمام الظالمين الذين اغتالوا أباهما.

ب ـ وكلتاهما لا تعيش إلاّ من أجل تحقيق فكرة واحدة، هي الانتقام لقتل أبيهما الذي غررت به زوجته قلوطمنستره بالتواطؤ مع مغتصب للملك طياش فحّاش.

جـ ـ وعلى الرغم من كونهما امرأتين بلا حَوْل ولا قوة، فقد ارهبتا قاتلي أبيهما، وبثتا فيه القلق الدائم على الحياة؛ وهو ما يدل على أن صاحب القضية العادلة، مهما يكن ضعيف الوسائل، فهو لا بد ظافر في النهاية ضد الظالمين.

د ـ والتناظر بينهما بارز أيضاً في الشخصية الثانية ـ الأخت ـ وهي اسمينا بالنسبة إلى أنتيجونا، وخروسوثميس بالنسبة إلى الكترا. فكلتاهما تتصف بضعف الإرادة، والجبن، وعدم الاستعداد لتحمل المسؤولية، واليأس من إمكان التغلب على الأقوياء، والاستسلام للإذعان الكظيم.

(٣)

سائر الشخصيات

والشخصية الثانية بعد الكترا في مسرحية سوفقليس هي قلوطمنستره، إنها تمثل المرأة التي لا ترعى إلاً ولا ذمة، ولا ترعوي عن ارتكاب أبشع الجرائم ضد أقرب الناس إليها، من أجل تحقيق مطمع خسيس:

أ ـ لقد قتلت زوجها أجاممنون ليخلو لها السلطان مع عشيقها **إيجيست**.

ب ـ وحينما جاءها النبأ ـ الكاذب في الواقع ـ بمصرع ابنها أورست في سباق للعربات، لم تستطع أن تخفي سرورها، لأنها كانت تخشى من انتقام أورست منها لمقتل أبيه. وحينما أراد الأجنبي الذي أتى بنبأ مصرع أورست أن ينصرف قائلاً إن سفرته كانت بغير فائدة، فإنها سارعت إلى الكشف عن حقيقة شعورها إزاء نبأ مصرع ابنها أورست، بأن دعت هذا الأجنبي الآتي بالنبأ إلى الدخول معها في القصر لتكافئه على هذا النبأ الذي ملأها بالفرحة.

جـ ـ وهي لا تستطيع الدفاع عن جريمتها الكبرى بقتل زوجها بأن تزعم أنها إنما انتقمت منه لأنه ذبح ابنته قرباناً للإله الذي طالب بذلك مقابل أن يجعل الريح المضادة لسفر الحملة ضد طروادة بزعامة أجاممنون تهدأ ولا تعترض هذا السفر.



أما شريكها في قتل أجاممنون وهو إيجيست عاشقها فإنه لا يظهر في مسرحية «الكترا» إلا متأخراً ولكي ينال العقاب الذي يستحقه. وقد أخذ ڤولتير على سوفقليس هذا الصنيع، فقال: «أليس عيباً أن إيجيست لا يظهر إلاّ في المنظر الأخير، ومن أجل أن يتلقى الموت؟ أهذه شخصية ملك ذلك الذي لا يأتي إلا من أجل أن يموت!» وقد دافع عن سوفقليس ضد هذا النقد پاتان[1] Patin قائلاً إن سوفقليس قد مهّد لمجيء إيجيست بما فيه الكفاية. وذلك أنه حين جاءه نبأ مصرع أورست، راح يتأكد من صحة هذا النبأ بحرص بالغ فسأل الكورس أولا، ثم تكلم مع الكترا بخشونة تنمّ في الوقت نفسه عن فرحه الشديد بهذا النبأ. وقد أجابت الكترا على أسئلته الوقحة بعبارات مشتبهة ومهدّدة، لم يفهمها إيجيست جيداً. بل تصوّر أنه سيجد في القصر ليس فقط الجماعة التي أتت بنبأ مصرع أورست، بل سيجد أيضاً الدليل القاطع على صِحّة هذا النبأ. وأعمته الفرحة بهذا النبأ إلى حدّ أنه أمر بفتح الأبواب لعرض جثة أورست على الملأ من أهل موقانا ليشهدوا بأعينهم مصرعه. وفتحت الأبواب، وشوهدت جثة دامية، ومغطاة بغطاء يحجبها. لكنها ـ ويا لهول الصدمة التي تلقاها ـ لم تكن جثة أورست، بل جثة زوجته قلوطمنسترة!

ويتلو هذه الشخصيات الثلاث الرئيسية شخصيات ثانوية:

أ ـ نذكر في مقدمتها خروسوثميس، أخت الكترا. وهي تتسم بالضعف المقرون بالاخلاص العاجز. فهي لا تريد أن تشارك أختها فيما توحي إليه من خطة للانتقام من قاتلي أبيهما؛ لكنها في الوقت نفسه تتمنى أن يعود أورست ليتولى هذا الانتقام. والمنظر الوحيد الذي تتجلى فيه هو حين تأتي لتوافي الكترا بنبأ عودة أورست، استنتاجاً من مشاهدة واقعة هي أنه وجدت على قبر أجاممنون خصلة

(١) پاتان: «دراسات عن مؤلفي المآسي اليونانيين» ج٢ ص٣٣٥ ـ ٣٣٦، باريس ١٨٨١.

شَعْر لا بد، أنها مِنْ شَعْر أورست. فمن عسى أن يقدّم هذه الخصلة قرباناً على قبر أجاممنون إن لم يكن أورست هو نفسه. ومن هنا تصورت أنه لا بد موجود في هذه النواحي. وراحت تحاول إقناع الكترا بذلك. لكن الكترا الواعية لا تستطيع تصديق هذا الاستنتاج، وتقف أختها على هذا الوهم قائلة: «لقد مات، أيها البائسة!... وأنا أعلم ذلك من الرجل الذي شاهده يموت... إن هذا الرسول موجود في القصر حيث تستقبله أمنا» (الأبيات رقم ٩٢٠ ـ ٩٢٥). فلم تملك خروسوثميس إلاّ البكاء على خيبة أملها هذه في عودة أورست. وهذا المنظر هو الوحيد الذي فيه تلعب خروسوثميس دوراً بارزاً ومؤثراً معاً.

ب ـ ونذكر بعد ذلك شخصية المربّي. فقد أدّى مهمته بمهارة وجدارة. إذ ادعى أنه جاء من فوقيس بنبأ لهم، وهو مصرع أورست في سباق للعربات. وكانت هذه الرسالة الكاذبة جزءاً من المؤامرة التي دبّرها أورست للمجيء إلى موقانا خفيةً ومتنكراً ليقتل قلوطمنستره وإيجيست. (الأبيات ٦٦٠ ـ ٨٠٠).

ثم يظهر هذا المربي ثانياً في تنفيذ مؤامرة الانتقام (الأبيات ١٣٢٦ ـ ٥٣٧٠) فيقوم بدور الجاسوس على قلوطمنستره، ودور المرشد لأورست، والمتستر عليه.

(٤)

مصادر سوفقليس

وفي تأليفه لهذه المأساة استند سوفقليس إلى عدة مصادر:

١ ـ وأقدمها هو «الأوديسا» لهوميروس في المواضع التالية:

ـ النشيد الأول، الأبيات ٣٥ ـ ٤٣؛ ٢٩٨ وما يليه.

ـ النشيد الثالث، الأبيات ٢٦٣ ـ ٢٧٥؛ ٣٠٦ ـ ٣١٠.

ـ النشيد الرابع، الأبيات ٥١٩ ـ ٥٣٧.

ـ النشيد الحادي عشر الأبيات ٤٠٩ ـ ٤٢٦، ٤٣٨، ٤٤٤، ٤٥٣.

٢ ـ وثانيها روايات أخاوية موقانية تتعلق بأخبار إيجيست المغتصب للحكم، وروايات دورية تتعلق بقلوطمنستره التي قتلت زوجها. لكننا لا نعثر على تبرير قتل

أورست لأمه بواسطة أمرٍ من الوحي، ولا على قتل الزوج بواسطة قلوطمنستره بحقدها على زوجها لأنه ضحّى بابنتهما قرباناً للآلهة كي تسمح بانطلاق الحملة إلى طروادة ـ نقول إننا لا نجد هذين التبريرين في «الأوديسا» لهوميروس، بل نجدهما في القصائد الدورية «المصدرات»؛ الأناشيد القوبرياتية، كما نجدهما في «الأثبات الهسيودية».

ويلوح أن عناصر رئيسية كانت قد تكوّنت في هذه الروايات والأشعار قبل أن يقوم أسخولوس وسوفقليس ويوريفيدس بكتابة مآسيهم التي تدور حول أورست والكترا. ويذكر النقاد من هذه العناصر ما يلي: حُلم فلوطمنستره، ذهاب الكترا إلى قبر أبيها أجاممنون وهي تحمل قرابين الرحمة، والتعرّف بين الأخ أورست والأخت الكترا، وذبح إيجيست وهو جالس على عرشه، وجري قلوطمنستره، وفي يدها بلطة خلف ابنها أورست لقتله.

٣ ـ وپندار Pindare، في القصيدة الفوثاوية رقم ١١، يتناول هذه الأسطورة، لكنه لا يشير إلى أمر الوحي، ولا إلى عقاب أورست لقتله لأمه.

٤ ـ وأسخولوس في «حَمَلة القرابين المقدّمة إلى الموتى» يعرض علينا أبناء أجاممنون وهم متحمسون للانتقام من قاتليه: أمهم قلوطمنستره، وعشيقها إيجيست. فالكترا دائمة العويل والبكاء، تتحرق للانتقام، وقد أحاطت بها الإلاهة توحي لها بأن تتحرق إلى الانتقام. وحين تحين ساعة الانتقام، يتركز الضوء على أورست ليتولى هذا الأمر.

أما العلاقة بين مسرحية «الكترا» لسوفقليس ومسرحية «الكترا» ليوريفيدس فتتوقف على تحديد تاريخ تأليف كلتيهما. وثمّ حجَج قويّة تقطع بأن مسرحية سوفقليس قد ألّفها مؤلفها في الفترة ما بين سنة ٤٢٥ و٤١٥ق.م. أما مسرحية يوريفيدس فتاريخ تأليفها تالٍ لسنة ٤١٣ق.م. لأن فيها إشارة إلى الحملة العسكرية التي وقعت في سنة ٤١٣. والدليل الأقوى على كون مسرحية سوفقليس أسبق في التأليف من مسرحية يوريفيدس هو ما في هذه من تهكم على مسرحية سوفقليس، إذ هي تأخذ على هذه الأخيرة إفراطها في تمجيد مقاصد الكترا ومبالغتها في إبراز مساوىء قلوطمنستره: ويبدو أن يوريفيدس أراد أن يقلل من تمجيد سلوك الكترا، لأنه يجعلها، بعد مصرع أمّها على يد أورست، تشعر بالندم على هذا الفعل؛ كما أنه يقلل من إبراز رذائل قلوطمنستره.

ويورد النقاد مشابهة في التفاصيل بين سوفقليس وهوميروس. مثال ذلك ما ورد في وصف المربّي لسباق العربات الذي فيه لقي أورست مصرعه ـ حسب زعمه (الأبيات ٦٨٠ ـ ٧٧٠). فهذا الوصف يشبه ما ورد في «الإلياذة» (النشيد رقم ٢٣، الأبيات ٢٦٢ وما يليها). وهذا الوصف قد جاء فرجيل بعد ذلك بخمسة قرون فقلّده في «الفِلاحة» Géorgica (النشيد الثالث، البيت رقم ١٠٣ وما يليه). ففي هذه المؤلفات الثلاثة لهؤلاء الشعراء الثلاثة نجد مشابهة في التعبيرات وفي الصُوَر والعبارات التي تعبّر عن الجهات التي تُصَنَّف بالترتيب، وإعطاء الإشارة للانطلاق في السباق، وكيف كان سائقو هذه العربات ينحنون على الخيول، ويحثونها على الإسراع بأصوات عالية، ويهزّون اللُّجُم؛ وبعد ضجيج هائل للعجلات ترتفع سحابة من الغبار، لا يرى فيها إلاّ أشباح السائقين وقد اختلط الحابل بالنابل، إلى أن يعود إلى الظهور المتسابقون الأوفر حظاً من الانتصار. وسوفقليس ينعت هذا الاختلاط والسقوط للعربات بأنه: «يخرق، ويصوّر كيف أن المتسابق الاثيني قد شق طريقه إلى الخروج من هذه المعمعة بأنه: انطلاق إلى عرْض البحر وخلاص من الدوّامة التي سيغوص فيها سائر المتسابقين. وبهذه البراعة في الوصف بزّ سوفقليس على هوميروس وعلى فرجيل معاً.

ثم إن شخصيتي أورست والكترا ليستا بارزتي الملامح والقسمات عند أسخولوس: إنهما مجرد متنفذين؛ وإله دلف هو الذي يأمر بالانتقام لمقتل أجاممنون، وهذا الأخير ميّتاً هو الذي يفعل على يد أقربائه. وهؤلاء ينتابهم الخوف. والكورس أكثر تبصُّراً وأقوى عزيمه منهم، وفي مرات عديدة كان هو الذي ينبههم إلى واجبهم ويحثهم على العمل ـ أما سوفقليس فقد عالج الموضوع على نحوٍ آخر مختلف تماماً. فقد أراغ إلى جعل الكترا التي بقيت في القصر هي روح الانتقام. . وأعار الكترا روحاً متحمسة، مماثلة لأنتيجونا. وأصبحت الكترا هي الحارسة لشرف البيت، فصارت تقوم بواجبها هذا بحميّة لا يتطرق إليها اليأس. وليزيد في إبراز دورها هذا وهبها أختاً هي خروسوثميس ـ ودورها يناظر دور إسمينا بالنسبة إلى أنتيجونا، وصفات خروسوثميس تتعارض مع صفات الكترا تماماً: إذ اتسمت بالجُبْن والخور والتردد، مما زاد من إبراز فضائل الكترا الشجاعة القويّة العزم المصرّة على أداء واجبها وهو الانتقام لمقتل أبيها[١].

---

(١) پول مازون في مقدمة ترجمته لمسرحية «الكترا» ضمن: «سوفقليس» ج٢ ص١٣٢. باريس ١٩٨١.

(٥)

الكترا في المسرح الحديث

وفي العصر الحديث، ابتداء من القرن السابع عشر، تناول موضوع الكترا العديد من المؤلفين المسرحيين:

١ ـ وأول من نخصهم بالذكر هو كربيون Prosper Jolyot de Crebillon (ولد في ١٣ يناير ١٦٧٤ وتوفي في ١٧ يونيو ١٧٦٢). فقد أصدر مأساة بعنوان: «الكترا» Electre في ١٣ ديسمبر ١٧٠٩. وقد استوحاها من مسرحية سوفقليس، على الرغم من أنه في المقدمة ينكر أنه استمد شيئاً من مسرحية سوفقليس! بل ويتوقح على سوفقليس ويهاجمه! . ويؤخذ على مسرحية كربيون هذه عدة عيوب: التطويل، خصوصاً في الفصول الأولى؛ التعقيدات التي لا جدوى منها؛ النزعة الخطابية المبالغ فيها. لكنه وُفّق في التغلب على الصعوبات الناجمة عن كيفية تعرّف الكترا على أخيها أورست، وهذا الأخير عليها هي. ثم إن أسلوبه يتميز بالفخامة الوحشية. وخير ما فيها الفصلان الأخيران.

وقد نقدها ڤولتير نقداً مرّاً، وذلك في عجالة بعنوان متهكم هو: «مدح السيد كربيون». ومن مآخذه عليها ما يتعلق بالحب بين الكترا واتيس Itys، والحب بين افياناس وتيديه، فهذان الموضوعان قد نقصا من جلال موضوع الكترا.

٢ ـ ثم جلروس Benito Perez Galos (١٨٤٣ ـ ١٩٢٠). فقد ألّف مسرحية بعنوان: «الكترا» Electra مثّلت لأول مرة في سنة ١٩٠١. وفيها تأثر خصوصاً بابسن Ibsen.

٣ ـ وألّف الكاتب والشاعر المسرحي هوجو فون هوفمنزتال Hugo Von Hofmansthal (١٨٧٤ ـ ١٩٢٩) مسرحية بعنوان Electre مثلت في سنة ١٩٠٥. وقد حوّلها الموسيقي العظيم رتشرد اشتراوس (١٨٦٤ ـ ١٩٤٩) إلى أوبرا، وقد مثلت لأول مرة في درسدن سنة ١٩٠٩.

٤ ـ وفي سنة ١٩٣٨ أصدر جان جيرودو (١٨٨٢ ـ ١٩٤٤) مسرحية بعنوان Electre وتبدأ بعرض الكترا وهي معزولة في ركن من أركان القصر، تفكّر في كيفية

الانتقام من أمّها وعشيق هذه بسبب قتلهما لأبيها أجاممنون: ولكي يتخلص منها إيجيست سعى لتزويجها من بستانيّ.

٥ ـ وأخيراً جاء يوجين أونيل Eugene O'Neill (١٨٨٨ ـ ١٩٥٣) فأصدر مسرحية بعنوان: «الحِداد يليق بالكترا Mourning becomes Electra. وفيها عالج الموضوع من الناحية النفسانية والبيولوجية. إذ رأى أن مصير الإنسان ليس في يد الآلهة كما كان يتصور المسرحيون اليونان، بل هو يتوقف على ما فيه من جينات genes وهورمونات Hormones. ولا وسيلة لخلاصه، بل حياة الإنسان هي دورة لا نهائية من الخطيئة والبناء. وفي نهاية المسرحية تقول لافنيا مانون: «لم يبق أحدٌ ليعاقبني... وعليّ أن أعاقب نفسي» لقد جمع أونيل في هذه المسرحية بين جَبَرية كلفان Calvin والتحليل النفسي عند فرويد لانتاج نوع من البطل المأساوي يناسب القرن العشرين. وقد قال أونيل إن «الإله القديم مات» ولن يحلّ محله إله جديد في المستقبل المنظور. ولكي يتوافق الإنسان مع عصر الآلة فإن عليه أن يكون أقل من إنسان ـ أي آلة.

«إلكترا»

شخصيّاتُ المسْرحيّة

المُرَبّي

أورست: ابن أجاممنون وقلوطمنستره

الكترا: أخت أورست

كورس من نساء موقانا

خروسوثميس: أخت الكترا

قلوطمنستره: بنت ثوتدار وأرملة أجاممنون

إيجيسنت: ابن ثوتست، وابن عم أجاممنون، وعاشق لقلوطمنستره.

[على أكروبول مدينة موقانا، ومنه يشرف المرء على كل سهل إقليم أرجوس. الفجر يشرق. أورست وفولاد والمربّي يظهرون فجأة أمام قصر أجاممنون].

المربّي: يا ابن أجاممنون، الرئيس الذي تولى قيادة جيوشنا أمام طروادة، في وسعك الآن أن تشاهد هذه الأماكن التي كنت دائماً تتمناها. ها هي ذي بلاد أرجوس التي كنت تحنّ إليها، وهي أرض مكرّسة لابنة أناخوس التي تلسعها بعوضة[1]. وهذا هو ميدان لوقيا[2]، المكرّس للإله القاتل للذئاب. وهناك عن شمالٍ يقوم مبدهيرا الشهير. وما تراه ههنا تحت ناظريك لنفسك إنها موقانا الفخمة. وهذا القصر هو القصر الدامي لآل بلوبيس. وفيه انتزعتك من قَتَلة أبيك، لقد تلقيتك من يدي واحدٍ من أهلك ـ من أختك هي نفسها ـ وحملتك وحافظت عليك، وغذّيتك إلى أن بلغت السنّ التي أنت فيها اتبعا أن تصبح ذات يوم مَنْ يأخذ بثأر هذا الوالد. والآن يا أورست وأنت أيضاً يا فولاد ـ يا أعزّ الضيوف[3] ـ ماذا ينبغي عليكما أن تفعلاه؟ لا بد من اتخاذ قرارٍ، وبسرعة إن الشمس الساطعة

(١) إيو Yo، ابنة أناخوس Inachos، كان زيوس يعشقها لهذا حوّلتها هيرا، زوجة زيوس، إلى بقرة. وكانت تلسعها ذبابة؛ وقد هربت إلى مصر.

(٢) ميدان لوقيا هو السوق العامة (أجورا) وكان مكرّساً لأبولون اللوقياني. أمّا هيرا ءون أرجوس فكان على بعد حوالي ٤ كم جنوب شرقي موقانا.

(٣) فولاد Pylade هو ابن أسطروفيوس Strophios ملك إقليم فوقيا؛ وأمه هي أناكسبيا Anaxibia أخت أجاممنون. وسيتزوج الكترا. وأبوه أسطروفيوس كان قد استقبل في قصره أورست بعد مصرع أجاممنون.

توقظ أغاني الطيور التي تُحَيي الفجر، والليل المظلم المرصَّع بالنجوم قد أخلى مكانه للنور. اتفقا فيما بينكما، قبل أن يخرج أحدٌ من القصر: إننا بسبيل اتخاذ طريق لا مجال فيه للتردد، ولا محلّ إلاّ للعمل.

أورست: يا أعزّ الخادمين! أية علائم إخلاص رائعة تبديها نحوي! مثل جَرْوٍ أصيل، حتى لو كان في سِنّ الشيخوخة، لا يفقد شيئاً من حميّته ويشهر أذنه في ساعة المعارك، ها أنت ذا تحثني على القتال وتريد أن تكون في طليعة أتباعي. وإني أريد أن تعلم ماذا قررتُ أنا. فأعِرْ خُطّتي أذناً صاغية؛ وقوِّمني، إذا أنا أخطأت الهدف. في اليوم الذي لجأتُ فيه إلى وحي فوثو Phyho ـ ابتغاء معرفة كيف أستطيع الانتقام العادل من قتلة أبي ـ فإن فوبوس أجابني بما سأقوله لك: يجب عليَّ، «أنا وحدي، وبدون درع، وبدون جيش، بواسطة الحيلة وحدها، وبالمداهنة، أن أسعى للتضحية العادلة المخصّصة لذراعي». وما دام هذا هو الوحي الذي سمعته، فاذهب واعلم ماذا يحدث في داخل هذا القصر متى ما سنحت لك الفرصة بالدخول في هذا القصر. ومتى ما علمت ذلك، فاخبرني به بكل دقة. وليس ما يدعو إلى الظن بأنهم سيعرفونك، وأنت في هذه السن العاتية، وبعد مرور هذا الزمان الطويل، ولا أن تكون موضع شك واتهام وقد علاك الشيب. استخدم عبارات كهذه: أنت رجل أجنبي، من فوثيا، وأنت قادم من طرف شخص يدعى فانوثيه[1]، وهو أفضل ضيوفهم. وبعد ذلك أقْسِم لهم بأن أورست قد مات، وقد سقط قتيلاً من عربته أثناء مباراة فوثاوية، صريعَ قَدَر قاتل. وليكن هذا الموضوع محكم الترتيب فيما بيننا: أما أنا فإني سأذهب ـ وفق ما أمر به الإله ـ إلى قبر أبي لتقديم واجبات العزاء من رش عطور وتقديم قرابين مقطوعة على جبيني. وبعد ذلك أعود، حاملاً بين ذراعي الإجّانة ذات الجوانب البرونزية التي شاهدتني أخبؤها في خميلة، من أجل إخبارهم بالخبر السارّ وهو أن جثتي نفسها لم تَعُد موجودة: لأن النار قد ألتهمتها وحوّلتها إلى رماد. وعلى كل حال فلماذا أحزن على كوني ميتاً بالألفاظ، ما دمت لا أزال حيّاً وأكتسب شهرة واسعة؟! إني أحسب أنه لا توجد كلمة قادرة على فعل الأذى، إن كانت توفّر مزيّة... ولكم شاهدت الكثير من الحكماء يموتون بالألفاظ فقط، الألفاظ الكاذبة. حتى إذا ما عادوا إلى ديارهم

(١) هو حليف إيجيست وقلوطمنستره، وكان يقيم على نوكيدا.

فإنهم ينالون من التشريف أكثر مما نالوا[١] من قبل. ويطيب لي، بعد هذه الشائعة الكاذبة، أن أظهر ذات يوم وأنا حيٌّ، كالنجم، أمام أعدائي. إيه يا أرض أجدادي ويا آلهة وطني، كَلِّلي هذه الرحلة بالنجاح الباهر وأنت أيضاً، يا قصر أجدادي، لقد أتيتُ لتطهيرك، باسم الآلهة، ووفقاً للحق لا تُصِبْني بإهانة الإبعاد عن هذه الأرض؛ بل مكّنّي من استعادة ثروتي ومِنْ رفع شأن بيتي. لقد فرغت من كلامي. وعليك أنت الآن، أيها الشيخ العجوز، أن تعمل لإنجاز مهمتك أما نحن فسنذهب بعيداً. إن الفرصة مواتية وهي أفضل مرشد في كل عمل يقوم به الإنسان.

(يُسمَع نواح الكترا في القصر).

الكترا: الويل لي، أنا البائسة!

المربّي: يخيل إليَّ، يا بُنَيّ، أني أسمع نواحاً أصمّ صادراً عن خادمة وراء هذا الباب.

أورست: آه! ألا تكون هي الكترا البائسة؟ أتريد أن نبقى ههنا لنستمع إلى نواحها؟

المربّي: حذار من ذلك. لا نجعلنّ شيئاً يحدث قبل ما أمر به لوكسياس. ولنبدأ بإطاعته، وذلك بأن نرش على قبر أبيك الماء المطهِّر. بهذا الشرط وحده ننتصر، وننجح في مهمتنا.

(يخرجون. الكترا تظهر عند عتبة القصر).

الكترا: إيه أيها النور الصافي، وأنت أيها السهل الفسيح الذي خُلِق على قياس الأرض الدقيق، كم سمعت أناشيدك الحزينة! وكم شاهدتني أضرب صدري ضربات تسيل دمي، في الوقت الذي يزول فيه الليل البهيم! أما سهراتي الليلية فيعلم سرّها مرقدي بين هذه الجدران الحزينة والزفرات التي أنوح بها على هذا الأب السيّىء الحظ، والذي لم يرد له ذلك آرِس Ares السفّاح طالما كان في بلد أجنبي، لكن أمّي وعاشقها إيجيست قد انقضّا عليه مثلما ينقضّ الحطّاب على شجرة سنديان، فشدخا جبهته ببلطة قاتلة، دون أن تقوم أية امرأة - غيري أنا - ببث الشكوى من هذه الميّتة الظالمة القاسية التي كانت نصيبك يا أبي.

---

(١) يمكن أن يكون في هذا إشارة إلى زالموكسيس التراقي الذي يذكره هيرودوت ويقول عنه إنه اختبأ طوال ثلاث سنين، واعتقد مواطنوه أنه مات، لكنه ظهر في السنة الرابعة.

أوّاه! لن أكفّ عن العويل والشكاة الحزينة، طالما أشاهد لمعان النجوم أو ضوء النهار. لا، لا، لن أكفَّ أبداً، مَثَلي مَثَلُ البُلْبُل الذي قتل صغاره، عن البكاء والاستغاثة بالجميع أمام قصر أبي.. يا مقام هادس وبرسفونيه؛ يا هرمس العالم السفلي؛ ويا أيتها اللعنة الشديدة! وأنت أيتها الأرنيات، يا بنات الآلهة القاسيات، يا من لا تفارق عيونكن الناس الذين يُقتَلون دون حق أو الذين تُسْرَق منهم نساؤهم - تعالوا، أعيروني نجدتكم، وانتقموا لمقتل أبي. وقبل كل شيء، أعيدوا إليَّ أخي، لأني لا أملك وحدي القدرة على مقاومة ثقل الألم الذي يسوقني.

(يدخل الكورس، وهو مؤلف من نساء شابات من موقانا).

الكورس: الكترا، يا ابنتي، يا ابنة أبأس الأُمّهات، لماذا تنطلقين في نواح لا يهدأ على أجاممنون الذي أوقعته أمٌّ غادرة في حبالة جِيَلها الفاسقة من أجل تسليمه إلى ذراع جبان؟ آه! ليمُت بدوره مرتكب هذه الجريمة، إذا جاز التعبير عن هذه الأمنية!

الكترا: يا بنات دمٍ كريم! لقد جِئْتُنَّ إذن لمواساة شقائي. نعم، أنا أعلم وأفهم ولا أنخدع. لكنيّ لا أريد التخلّي عن مهمّتي والكفّ عن النواح على أبي البائس.

إني أدين لَكُنَّ بنعمة صداقة تتخذ كل الأشكال؛ لكن اتركنني لجنوني، واأسفاه! أرجوكم.

الكورس: لا الزفرات ولا العبرات بقادرة على انتزاع أبيك من حَمْأة الجحيم الذي قُدّر على كل أحد أن يهبط إليه.

وأنتِ، وقد تجاوزت المقدار في الاستغراق في الحداد الهائم، وفي النواح دون انقطاع - أنت تقتلين نفسك بنفسك شيئاً فشيئاً، دون أن تفلحي في التخلص من بلاياك. لماذا لا تبحثين إلاّ عمّا يُحْزنك؟

الكترا: لا يمكن أن ينسى والداً سقط هكذا بموت قاس - إلا إنسان مجنون. إن ما يتجاوب مع مزاجي أنا هو الطائر الذي ينوح مردداً: «إتيس! إتيس!» الطائر اليائس الذي يستخدمه[1] زيوس رسولاً له. وأنت التي أُعلِن أنك

(١) هذا الطائر هو البلبل. ذلك أن فروكني، كي تنتقم من زوجها تيريا، قتلت ابنها إتيس وقدمته طعاماً لأبيه. فتحولت إلى بلبل لا يكفّ عن النواح والاستغاثة.

إلاهتي، أنتِ، أي نيوبيه[١] الحزينة، يا من تستمرين في البكاء تحت قبرك الذي من الصخر.

الكورس: ما أنت الوحيدة بين الناس التي أصابها الألم، يا ابنتي، وجهاً لوجه. أنت تبالغين لو قورنتِ بأُخريات من دمك، ومن جنسك، فهن يعشن على نحوآخر، مثل خروسوثميس[٢] وافيانسّا، ومثل ذلك الشخص الذي يقيم شبابه السعيد في مأمن من الأحزان والذي ستستقبله أرض موقانا المجيدةُ ذات يومٍ بوصفه الابن الحقيقي لآبائه حينما يدخل في هذا البلد بإرادة محسنة من زيوس ـ وأعني بهذا الشخص: أورست.

الكترا: أجل، إنه هو الذي أنتظر، في كل ساعة، أنا البائسة التي لا أبناء لها ولا زوج، وأنا غارقة في دموعي، فريسة لما تسبّبه لي مصائبي من آلام. لكنه ينسى الخدمات المؤداة والنصائح المُسّداة. هل تلقيت منه رسالة واحدة لم تكذبها الوقائع؟ إنه لا يكفّ عن الرغبة، لكنه لم يقرر الظهور.

الكورس: اطمأنّي، اطمأنّي، يا بنيّتي. إن زيوس العظيم موجود دائماً في السماء، ومن هناك يرى ويرتّب كل شيء. اتركي له الغضبة التي تعانين أنت منها فوق طاقتك، ولا تحملي لأعدائك غمّاً شديداً ولا نسياناً كاملاً.

إن الزمان هو الإلٰه الذي يسوّي كل شيء. إن ابن أجاممنون المقيم على ضفاف كريسا[٣] ذات المروج الطيّبة لا يمكن أن يكون غير مهتم بمهمته، وكذلك الإلٰه الذي يحكم في شواطىء الأشيرون.

الكترا: أجل، ولكنني مع الأسف شاهدتُ مرور زمان طويل من حياتي، وقد خُدِعْتُ في آمالي، ولم تَعُدْ لديّ قُوّةٌ. إنني ههنا أستهلك نفسي، بلا أب ولا أمّ. وليس بين من هم رجالي رجل لن يعلن أنه سيدافع عني. مثل لاجئة لا يحفل بها

(١) نيوبيه Niobé: هي بنت طنطال وحفيدة زيوس. وأصلها من فروجيا وقد تزوجت أمفيون ملك ثيبا. ولما أتى ابناؤها الاثنا عشر تحوّلت إلى كتلة من الحجر في أعلى جبل سيولة في إقليم لوديا.

(٢) هما بنتان لأجاممنون ـ راجع «الإلياذة»: النشيد التاسع. وهوميروس في هذا الموضع لا يذكر من بين بنات أجاممنون اسم: الكترا، بل لامردكيه؛ فلعل هذه أن تكون هي الكترا.

(٣) كريسا هي التي تقيم فيها استروخيوس، ويعيش فيها أورست لاجئاً، وتقع في جنوب غربي دلف، بالقرب من خليج كوزشوس.

أحد أنا خادمة في قصر أبي في الهندام الذي ترونني عليه، أتربّص[1] الموائد التي هي دائماً خالية بالنسبة إليّ.

الكورس: آه! النداء البائس الذي ينذر بساعة العودة، النداء الذي جاء من فراش أبيك حينما انهالت على جبينه بلطة ذات أسنان من البرونز!

إن الحيلة دبّرت القتل، والحب نفّذه، لما كشفا للنور عن شكل رهيب من أفظع الأشكال الرهيبة. إلٰه أو إنسان فان؟ لست أدري مَنْ فَعَل[2].

الكترا: إنه أفظع يوم في حياتي! آه! الليل! آه! أَلَمٌ يثير الجنون في مأدبة الرُّعب هذه! إن أبي قد شاهد مجيء موتٍ فظيع من طرفي هاتين الذراعين اللتين انتزعتا وجودي، وخانتاني، وأضاعتاني أنا أيضاً. آه! يا ليت إلٰه الأولمب القدير يصيبهما بالعقاب عن جرائمهما! وليخزيا من مُتّعة النصر، بعد أن ارتكبا مثل هذه الجرائم.

الكورس: كوني حَذِرةً، ولا تنطقي بأكثر من هذا. ألا تفهمين ماذا يجعلك تصطدمين الآن بمصائب هي من عملك وسيتلوها الكثير من العار؟

أنت جلبتِ على نفسك أكثر من نصيبك من الشرور، بإثارتك على الدوام منازعاتٍ يسببها مزاجك القلق. إن ثم أموراً لا تُناقش، حينما يكون الأمر متعلقاً بأقوياء.

الكترا: إن محنتي، نعم محنتي هي التي أجبرتني على هذا. إن غضبي أنا واعية به. لكن في هذه المحنة نفسها أنا أنوي ألاّ أضع حدّاً لهذه المصائب التي هي من عملي أنا، طالما كنتُ حَيّة. مَنْ إذن، يا إخواتي العزيزات، عنده الإحساس بالزمان، ويصدق أن من الممكن إسداء رأي خليق بي حقاً؟ اتركنني وشأني إذن أيتها الناصحات! إن حالتي لن تتوقف أبداً عن أن تكون من النوع الذي يوصف بأنه لا علاج لها. لن أشهد أبداً نهاية لآرس: إنّ عندي مادة للنواح لا تنفد.

---

(١) انتهى الأمر بالكترا في هذا القصر إلى أن صارت تتلمس طعامها مما يتركه الضيوف على الموائد، متنقلةً من مائدة إلى أخرى.

(٢) يقول أسخولوس في مسرحية «أجاممنون» إن قلوطمنستره هي التي ضربت أجاممنون بالبلطة.

الكورس: صدقيني أنه من باب المحبة فقط أنا أدعوك، مثل أمّ مخلصة، ألا تستثيرني المصيبة تلو المصيبة.

الكترا: وهل للبؤس مقياس؟ أمن الجميل إهمال الموتى؟ أهناك قومٌ خطرت برؤوسهم هذه الفكرة؟

لا أريد إذن احترامهم، وإذا كان في قلبي شيء من الاستقامة، فإني لا أريد أن أعيش عندهم هادئة، فارضة حينئذ على أبي إهانة احتباس طيران زفراتي ونداءاتي الحادّة.

لو كان على الميّت البائس أن يبقى راقداً، وقد آل إلى العدم والتراب، دون أن يشعر الآخرون ـ بدورهم ـ بالألم الدامي، فإن الناس سيكونون إلى الأبد محرومين من كل ضمير، ومن كل تقوى.

قائد الكورس: لقد أتيتُ، يا بُنَيّتي، لأكون في خدمة مصلحتك ومصلحتي أنا أيضاً. فإن لم يكن رأيي سديداً، فليعتبرْ رأيك أنت، وعلينا نحن أن نتّبعك.

الكترا: يا أيتها النسوة! يخجلني أن أتصوّر أن زفراتي التي لا نهاية لها من شأنها أن تظهرني بمظهر القليلة الصبر. بيد أني أخضع ههنا لقهر الوقائع: فاغفرن لي إذن. وهل تستطيع المرأة النبيلة المولد أن تفعل غير ذلك، حينما تشاهد أمام عينيها مصائب أبيها، وحينما لا تتوقف هذه المصائب عن الازدياد أمام ناظريها ليلَ نهار، بدلاً من أن تتناقص؟ فأولاً مع أمّي، أمّي التي وضعتني في هذا العالم علاقاتي هي علاقات الكراهية. ثم إنّ عليّ أن أعيش، في داخل بيتي، بصحبة قاتلَيْ أبي ومنهما أتلقى الأوامر وعليهما يتوقف أن أحصل أو أن لا أحصل على الخبز. وكيف تنقضي أيامي ـ هل تتصورون ـ حينما أرى إيجيست جالساً على عرش أبي، وحينما أراه يلبس نفس الثياب، أو يرشّ، أمام مذبحنا، رشّاته في نفس المكان الذي فيه قتله! وأخيراً حينما ـ وهذه ذروة الوقاحة ـ أرى قاتل أبي يرقد في فراش ضحيته، إلى جانب أمي الكئيبة، إن جاز أن تسمّى أمّاً تلك التي تنام إلى جانب هذا الرجل! واعجبا أن تتجرأ على العيش مع هذا الكائن النّجِس، دون خوفٍ من أية إلهة للانتقام! بل على العكس، هي تتباهى بما فعلت: إنها اختارت اليوم الذي فيه قتلت أبي غدراً، من أجل أن تنظّم في ذكراه حفلات غنائية، وأن تهرق فيه كل شهر دم ذبائح قرباناً إلى الآلهة المخلّصين! وأنا، التي

أشاهد هذا، أنا البائسة، أبكي في أعماق هذا القصر، وأستهلك نفسي، وأنوح على هذا الاحتفال الرهيب ـ المسمى «احتفال أجاممنون»[1] ـ، أنوح وحدي، ولا أملك من الدموع ما يكفي لإرضاء قلبي. وكانت هناك بالقرب منّي امرأة «نبيلة المنطق» ـ ترفع الصوت وتنهال عليّ بالشتائم قائلة: ماذا أيتها اللعينة! هل أنت وحدك التي مات أبوها؟ ألا يوجد إنسان آخر في حِداد؟ ليتك تهلكين في شقاء، وليت آلهة العالم السفلي لا يضعون حدّاً لزفراتك!» هذا نموذج من شتائمها. وكانت إذا سمعت أحداً يقول إن أورست سيرجع، فإنها تنفجر غضباً وتأتي إليَّ وتصيح: «ألست أنت السبب في كل هذا؟ أليس هذا صنيعك أنت؟ لأنك أنت التي انتزعت أورست من بين يديّ غدراً. لكنك ستدفعين لي ثمن هذا، كوني واثقة، كما تستحقين»! وبينما هي تصرخ هكذا، كان الآخر: «الزوج الشهير» يحرّضها ويزيد في هياجها، هذا الرجل الذي هو الجُبْن مجسّداً والسفالة بعينها، هذا الرجل الذي يشنّ الحرب ويبقى بالقرب من النساء[2]! أما أنا، فأنا دائماً في انتظار عودة أورست لوضع حدّ لشقائي، إني أموت أنا البائسة! إنه، بتأجيله العودة باستمرار، قد قضى على آمالي الماضية والمقبلة. أنّى لي، يا صواحبي، في مثل هذه الحالة أن أطيع العقل أو التقوى؟ إن البؤس يرغم المرء على أن يكون شريراً.

قائد الكورس: لكن، خبّريني: هل إيجيست قريب من ههنا، حين تتكلّمين بهذا الكلام؟ أو هو غير موجود في القصر؟

الكترا: مؤكّد! لا تتصور أنه لو كان قريباً من هنا، أنني سأجتاز هذا الباب. في هذه الساعة هو في الحقول.

قائد الكورس: إذا كان الأمر هكذا حقاً، فإنني أشعر بالأمان في التكلم معك.

الكترا: نعم، أكّد لنفسك أنه ليس ههنا، واسأل ما طاب لك.

قائد الكورس: أريد أن أسألك: ماذا تستطيعين أن تقولي عن أخيك؟ هل يعود؟ أو سيؤجل عودته؟ هذا هو ما أريد أن أعرفه.

---

(١) كان «احتفال أجاممنون» أو «عيد أجاممنون» احتفالاً شهرياً أقامته قلوطمنستره تذكاراً لمقتل أجاممنون.

(٢) هذا هو ما حدث فعلاً: فإن إيجيست بقي في بلده، بينما سافر سائر الرجال من أجل القتال أمام طروادة.

الكترا: إنه يَعِد، لكنه لا يفي بوعده.

قائد الكورس: الإنسان يتردد دائماً أمام الواجب العظيم.

الكترا: أما أنا فلم أتردد في إنقاذ حياته.

قائد الكورس: لا تَخْشَي شيئاً، إنه نبيل الدم بحيث لا يتأخر عن نجدة أهله.

الكترا: أنا متأكدة من هذا؛ وإلا لما كنت في قيد الحياة منذ زمان طويل.

قائد الكورس: لا تقولي أكثر من هذا: إني أشاهد خارجة من المنزل أختك خروسوثميس، ابنة أبيك وأمّك وهي تحمل بيديها القرابين الجنائزية التي اعتاد الناس أن يقدموها إلى أولئك الذين هم تحت الثرى.

(خروسوثميس تخرج من القصر).

خروسوثميس: ما هذا الكلام الذي تقولين، يا أختي، عند الخروج من دهليزنا؟ عبثاً مرّ الزمان، وأنت لا تصغين إلى دروسه وعظاته، إنك لا تمنعين غضبك العقيم من الانطلاق بغير فائدة. أما أنا فلا أعرف غير شيء واحد وهو أنني أتألم من الحالة التي أنا فيها ـ إلى درجة أنني لو وجدت القدرة ذات يوم فإنني سأري هؤلاء الناس ما عندي من مشاعر نحوهم ـ لكن في البلاء العظيم أرى من الخير أن أطوي الشراع وأن أتظاهر بأني لا أفعل شيئاً، بينما في الواقع ضرباتي لا تصيب أحداً. وأودّ أن تفعلي مثلما أفعل أنا. وهذا لا يمنع من كون العدالة هي فيما تفكرين فيه أكثر مما هي فيما أقوله أنا. لكني إذا كنت حريصة على أن أعيش حُرّة، فإن من الواجب عليّ أن أطيع سادتي في كل شيء.

الكترا: من الغريب أن ابنة أنجبها والد مثل والدك تستطيع أن تنساه من أجل ألا تفكر إلاّ في أمّها. كل هذه المواعظ التي توجّهينها إليَّ، إنها هي التي علّمتك إياها: ولا شيء من هذا كله قد صدر عنك أنت. عليك إذن أن تختاري بين الهذيان وبين نسيان أهلك إلى الأبد إن كنت تحتفظين بعدُ بعقلك. لكن هل ستفعلين ذلك وأنت تقولين منذ قليل إنك لو أوتيت القدرة فإنك ستكشفين عن الكراهية التي تحملينها لهم؛ وحينما سعيت إلى الانتقام لأبي بأيّ ثمن فإنك رفضت أن تساعديني بل وعملت على منعي من العمل؟ أليس في هذا إضافة لعار الجبن إلى مصائبنا؟ وإلاّ فخبّريني ما هي الفائدة في أن أتوقف عن النواح؟ إن لم

تخبريني فسأخبرك أنا. ألستُ بعدُ في قيد الحياة؟ صحيح أنها حياة بائسة، لكنها تكفيني أنا. ومن ناحية أخرى فأنا مصدر عذاب لهما، وهذا تكريم للميّت، إن كان ثم شيء يرضيه هناك في العالم السفلي. أما أنت، أنت التي تكرهينهما أنت تكرهينهما بالكلام، أما في الواقع فأنت تعيشين معهما، مع قَتَلة أبيك. أما أنا، فعلى العكس: فلو أنّي اكتسبت بهذا الثمن كل المزايا التي تتباهين بها، فإنني لن أرضخ لهما. لك أنت أن تظفري بمائدة فاخرة، وبحياة تفيض بالثراء. لكن دعيني أنا أتغذّ بفكرة واحدة هي ألا أتناقض مع نفسي. إنني لا أستطيب شيئاً من امتيازاتك، ولو كنتِ عاقلة لفعلتِ نفس الشيء. لكن بدلاً من أن تُسَمّي ابنة أنبل الرجال، سَمّي نفسك: ابنة أُمّك؛ وهنالك ستكونين في نظر الجميع ابنة فاسدة خانت أباها الميّت كما خانت كل أهلها.

قائد الكورس: أتوسّل إليك ألا تَدَعِي الغضب وحده يتكلم. في كلام كليكما أمور صالحة، لو وافقتما على الاستفادة: أنت من أسبابها، وهي من أسبابك.

خروسوثميس: أيتها النسوة، لقد اعتدت على سماع أقوالها، وما كان لي أن أفصح عنها، لو لم أسمع أن مصيبة عظيمة تهدّدها وستضع حداً لشكاياتها الطويلة جداً.

الكترا: هيّا إذن واكشفي عن هذا الأمر الداعي للخوف، وإذا فاق ما أعرفه، فإنني لن أردّ عليك.

خروسوثميس: سأقول لك إذن كلَّ ما أعرفه - إنهما يتهيّئان إذا لم تكفّي عن شكاياتك - لإرسالك إلى أماكن لن تري فيها نور الشمس، حيث ستعيشين في عزلة تامة، خارج حدود بلدنا، نادبةً مصائبك كما تشائين. هذا هو الموضوع. فكّري إذن، ولا تلقي اللوم عليَّ فيما بعد، حينما يحلّ بك هذا الشقاء. ينبغي عليك اليوم أن تكوني عاقلة.

الكترا: هل هذا هو حقاً ما يفكّرون في عمله؟

خروسوثميس: لا شك في هذا، متى ما عاد أجيست إلى هنا.

الكترا: إذا كان هذا هو كل ما في الأمر، فليَعُدْ بأسرع ما يمكن.

خروسوثميس: يا لك من شقية! ما هذه الأمنية التي تعبرين عنها؟

الكترا: نعم، فليَعُد بسرعة، إذا كان هذا هو ما يهدّد به!

خروسوثميس: ماذا تنتظرين من هذا؟ هل فقدتِ صوابك؟
الكترا: أنتظر فقط أن أكون بعيدةً جداً عنكم.
خروسوثميس: وليست لديك كلمة للدفاع عن الحياة التي تتركينها؟
الكترا: إن حياتي جميلة وجديرة بالمديح.
خروسوثميس: يمكن أن تصير كذلك لو أنك كنت أكثر حكمةً.
الكترا: لا تعظيني بأن أكون خائنة لأهلي.
خروسوثميس: إني لا أعظك إلا بشيء واحد هو التسليم للأقوياء.
الكترا: تملقيهما كما تشائين. أما أنا فمن نوعٍ آخر.
خروسوثميس: هل يليق بالمرء أن يهلك نفسه بسبب من الحماقة؟
الكترا: سأهلك نفسي، إن كان لا بد من ذلك، لكن بالانتقام لأبي.
خروسوثميس: لكني أعلم أن أبانا هو نفسه يغفر لنا.
الكترا: هذا كلام لا يرضى إلاّ الجبناء.
خروسوثميس: أنت لا تريدين إذن أن تسمعي كلامي وأن تقبلي آرائي؟
الكترا: كلا، لن أكون ساذجة هكذا!
خروسوثميس: لا أملك إذن إلاّ أن أذهب إلى حيث أردتُ الذهاب.
الكترا: إلى أين؟ وإلى مَنْ تحملين هذه القرابين؟
خروسوثميس: إن أُمّي تبعث بهذه القرابين إلى أبي.
الكترا: ماذا تقولين! إلى مَنْ تكرهه أشد الكراهية؟
خروسوثميس: إلى مَنْ قتلته ـ أهذا هو ما تريدين أن تقولين؟
الكترا: ومَنْ تظن أنه يصدقها؟ ومِمّن جاءت هذه الفكرة؟
خروسوثميس: أعتقد أنها تطيع خوفها من الليل.
الكترا: يا آلهة آبائي، كوني في عوني هذه المرة.
خروسوثميس: أيمكنك أن تري في هذا الخوف داعياً للأمل!
الكترا: أحكي لي ماذا كان حُلمها، أُجِبك على سؤالك.
خروسوثميس: لكني لا أستطيع أن أروي لك منه إلاّ القليل.

الكترا: اذكري لي هذا القليل. كثيراً ما يكفي القليل من الكلمات من أجل تحديد هل هو إخفاق أو نجاح.

خروسوثميس: يقال إنها رأت أبانا وقد ظهر أمامها، وأنه غرز في بيتنا الصولجان الذي كان يحمله في الماضي، قبل أن يأخذه منه إيجيست. ومن هذا الصولجان انبثق غصن غارٍ مزدهر، قادر على أن يغطي بمفرده بواسطة ظِلّه أرض موقانا. هذه هي الرواية التي تلقيتها من رجل كان موجوداً هناك حينما عرضت حُلمها على الشمس[1]! ولا أعلم أكثر من هذا، اللهم إلاّ أن مهمّتي ما يتلو هذا الخوف. أستحلفك إذن بحق آلهة آبائنا، صَدّقيني، ولا تلقي بنفسك إلى التهلكة عن حماقة. فإن رفضت رجائي، فأنت بدورك التي ستهرعين للبحث عني، حينما تنتصب الكارثة عليك.

الكترا: كلا، يا عزيزتي، صَدّقيني، لا تقدّمي إلى القبر شيئاً مما تحملينه. فليس من العدل ولا من المشروع أن تقدمي قرابين باسم ألدّ أعدائك، ولا أن تهرقي دماً مطهّراً على قبر أبينا. الأولى أن ألقى بها إلى الريح، أو اذهبي لدفنها تحت غطاء سميك من التراب، حتى لا يصل منها شيء إلى مرقد أبينا. ولتبق هذه القرابين تحت التراب من أجلها هي كاحتياطي لليوم الذي تموت هي فيه! لو لم تكن أوقح النساء، لما كان ينبغي لها أن تقدّم هذه القرابين المهينة إلى الرجل الذي قتلته. فَكّري قليلاً: هل تتصورين إذن أن الميّت يمكن أن يرضى عن مثل هذه الهدايا بروح مُحْسِنة وهو الذي مات تحت ضرباتها الخبيثة، ومَزّق إرباً إرباً كأنه عدوّ، وللتخلص منه مسحت سلاحها الدامي على رأسه؟ هل تعتقدين حقّاً أن الهدايا التي تحملينها من شأنها أن تفدي الدم الذي أهرقته؟ كلا، اتركي هذا كله. أَولى بك ثم أَولى أن نَقُصّ أطراف غدائرنا التي على رأسك، وعلى رأسي أنا البائسة. لا شك أن هذا قليل، ولكن هذا هو كل ما أملك. ثم قدّمي إليه هذا الشعر المتوسّل، وضمّي إليه هذا الحزام الذي ليس بذي قيمة؛ وبعد ذلك اركعي على الأرض، وتوسّلي إليه أن يأتي بنفسه عن طيب نيّة من أعماق الثرى كيما يمدّنا بالعون ضد أعدائه وأن يعمل على عودة أورست، ابنه، حيّاً إلينا، وبعد معركة ظافرة يضع قدمه على جثة أعدائه، ابتغاء أن نكون قادرين بعد ذلك على أن نقدم

(١) كان من عادة القدماء أن يرووا أحلامهم للشمس، ابتغاء النجاة من مصير رديء.

آيات ولائِنا بأيدٍ محمّلة أثمن الهدايا، خيراً من هذه. أما عن نفسي فأنا أعتقد أنه هو الذي عليه أن يبعث بهذه الرؤى المشؤومة إلى تلك التي قتلته. قدّمي إلينا هذه الخدمة يا أختاه، إلى ذاتك وإلى ذاتي أنا، وأيضاً إلى من هو أعزّ إلينا من جميع الناس، إلى أبينا المشترك الراقد في العالم السفلي.

قائد الكورس: هذا رأي صالح تبديه لك هذه الفتاة. لو كنت عاقلة، يا عزيزتي، فافعلي ما تقول.

خروسوثميس: سأفعل ذلك. ما هو عَدْل لا يقتضي جدالاً، بل يقتضي التنفيذ السريع. بينما سأفعل أنا في هذا الاتجاه، أتوسل إليكُنّ أن تكتُمْنَ السرّ، يا صديقاتي. لأنه لو عرفت أمّي بهذا الأمر، فإن المغامرة التي سأقوم بها أخشى أن تكلّفني غالياً ذات يوم.

(تذهب).

الكورس: لولا أن أكون عرّافاً ضالاً أو محروماً من ملكة الحكم الصائب، فإن العدالة ستأتي وقد أعلنت عنها هذه النبوءة! إنها ستظفر بانتصار عادل بعد نضال كبير. وستبدأ ملاحقتها، يا ابنتي، قبل مرور زمان طويل.

والتأكّد يزداد في نفسي، منذ أن سمعت، منذ برهةٍ، النبرات العذبة لهذه الأحلام.

كلا، ملك اليونانيين الذي أنجبك لم يُنسَ. كذلك لم تُنسَ البلطة القديمة المزدوجة ذات الحدّ البرونزي والتي تحت ضربتها سقط بعنف شائن.

وستكون ههنا عما قليل، وهي حاضرة وفعّالة في كل مكان ـ إلهٰة الانتقام ذات الأقدام البرونزية التي تختبىء في مكانٍ لتنصب كمائن قاسية.

إن الشهوة القتّالة لقران يجهل الخِطْبة وفراش الزواج قد انقضت على فانين هي حرام عليهم.

ولهذا فأنا متأكدة أنه لن يظهر أبداً، أبداً، إنذار، دون أن يكون عليهم أن يشتكوا منه، سيظهر للجُناة أو لشركائهم. أو لنَقُل أنه ليس للناس أن يستخلصوا تنبؤات من الوحي ولا من الأحلام التي تخيفهم، لو أن هذه الرؤيا الليلية لا تتم بالمعنى الذي يجب.

آه! أيّ سباق پيلوپس[1]، كم من آلام سبّبها لهذا البلد! منذ اليوم الذي فيه مورتيل ابتلعته الأمواج، وقد سقط من العربة المصنوعة من الذهب الخالص، وقد قضى عليه عنف شديد، فإن العنف لم يغادر هذا البيت منذ ذلك اليوم.

(قلوطمنستره تظهر على عتبة القصر، تتبعها إحدى الإماء التي تحمل قرابين).

قلوطمنستره: ها أنت لا تزالين تجرين، فيما أظن! هذا يدل على أن إيجيست ليس حاضراً هنا. إنه كان يمنعك دائماً من الخروج لتكوني مصدر عارٍ لأهلك؛ لكن، لما كان غائباً، فإنك لا تحفلين بي. ومع ذلك فطالما قلتِ أنت، في كل وقت وأمام الجميع، أنني أدير بيتي بطريقة وحشية ظالمة، وأنني بغطرستي أسحقك أنت وكلَّ ما له علاقة بك. أما الغطرسة فليس عندي منها شيء. وإذا كنت أقول لك كلمات قاسية، فذلك لأنني باستمرار أسمع مثيلاتها منكِ أنت. أبوك، ولا شيء غيره، هذه هي حُجّتك الدائمة، لأنه مات بسببي أنا. بسببي أنا ـ أنا أعلم هذا جيداً، وأنا لا أنكر هذا خصوصاً لأنه ليس فقط أنا، بل والعدالة هي التي أدانته، العدالة التي كان ينبغي عليك أن تحرصي عليها لو كان لديك ذرة من العقل. ذلك لأن هذا الأب الذي تنوحين عليه باستمرار هو الذي تجرّأ، وحده من بين كل اليونانيين، على ذبح أختك قرباناً للآلهة، وهو الذي لم يعانِ أيّ ألم في ولادتها[2]! خبّريني مَنْ ذا الذي أراد هو إرضاءه بهذا الذبح. أهل أرجوس؟ لكنه لم يكن له أيّ حق في قتل ابنتي. ولما جاء باسم منلاس، أخيه لقتل ابنتي، ألم يكن من واجبه أن يقنعني بصواب عمله هذا؟ ومنلاس هو نفسه، ألم يكن له والدان، وكان من الطبيعي أن يموتا هما أولى من أن تموت هي، لأن أباهما وأمّهما كانا السبب في هذه الحملة؟ أو هل هادس قد شعرت برغبة مفاجئة في تذوق لحم أولادي أنا، بدلاً من أولاد هيلانة؟ أو لعل الرحمة ـ في قلب هذا الأب الرهيب ـ قد انطفأت فيما يتعلق بالأولاد الذين أنجبهم مِنّي بينما بقيت مشبوبة دائماً

(١) كان أونوماوس، ملك فيسا في إقليم إليس، قد وعد بتزوج ابنته هيوداميا ممن ينتصر عليه في سباق للعربات. فرشا پيلوپس ـ ابن طنطاس ـ موريتل سائق عربة أو أونوماوس، وبهذا الوسيلة انتصر على هذا الأخير الذي قتل في هذا السباق. وهكذا حصل پيلوپس على الزواج من هيوراميا. لكنه شكّ في أن موريتل الذي كان بصحبته. يغازل هيوراميا، ولهذا ألقى به في الماء.

(٢) هذه الأخت هي أيفيجينا التي ذبحت قرباناً للآلهة في أوليس.

بالنسبة إلى أبناء منلاس؟ ألم يكن هذا التصرف هو فعل أب طائش قليل العقل؟ هذا هو ما أعتقده أنا، وإن كان مخالفاً لرأيك أنت. وستقول الميّتة[1] ما أقوله، لو استطاعت الكلام. وأنا لا أشعر بأيّ نوم حينما أتفكر فيما فعلتُ؛ فإن بدا لك أنني أخطىء في الحكم هكذا، إذن انتظري أن يكون لك حكم أصوب، قبل أن تنتقدي الآخرين.

الكترا: لن تقولي هذه المرّة إنني كنت أول من وجّه إليك كلمات قاسية، حينما كان عليّ أن أسمع منك مثل هذه الكلمات. فإن سمحتِ لي، فسأقول لك الحقيقة فيما يتعلق بالميّت وبأختي معاً.

قلوطمنستره: ليكن! أنا أسمح لك بهذا. لماذا لا تبدئين كل أقوالك بهذه اللهجة؟ حينئذ سيكون سماع كلامك أقل إزعاجاً.

الكترا: ها هو ذا ما أريد أن أقوله لك. أنت تُقِرين بأنك قتلتِ أبي. فهل هناك اعتراف أجلب للعار، سواء أكنت قتلتِه عن حق أو عن غير حق؟ أنا أرى أنك قتلتِه دون وجه من الحق، وفقط من أجل الجبان الذي تعيشين أنت معه الآن. اسألي إذن أرتميس الصيّادة لأية خطيئة هي وقفت فجأة كل الرياح التي تهبّ في أوليس[2]. أو هل ينبغي عليّ أن أقول ذلك، بدلاً منه، لأنه ليس من حقك أن تعلمي ذلك من فمه؟ ذات مرة، بحسب ما يروىٰ، كان أبي يستريح في الحرم المقدس للإلاهة[3]، فرفع غزالاً ذا قرون وجلد أرقط، وراح يذبحه فأفلتت منه كلمة رعناء تتعلق بالضربة الجميلة التي ضربها[4]. ومن هنا غضبت ابنة ليتو، وأوقفت رحيل اليونانيين وطالبت أبي أن ينحر ابنته في مقابل هذه الغزالة. على هذا النحو حدثت هذه التضحية. ولم يكن لجيشنا من وسيلة لبلوغ بيوته ولا لبلوغ اليون (= طروادة)؛ وهذا هو السبب في أنه على الرغم منه ـ وبعد صراع طويل مع نفسه وأسف شديد اضطر إلى نحرها. ولم يكن ذلك من أجل منلاوس. وعلى كل

(١) أيفيجينا.

(٢) قناة يوريب Euripe التي يقع على شاطئها ميناء أوليس، معرّضة لهبوب رياح معادية عنيفة.

(٣) أرتميس.

(٤) حدث أن أجاممنون، بعد أن ذبح الغزالة التي رفعها فإنه صاح قائلاً أن أرتميس لم يكن في استطاعتها أن تفعل خيراً من هذا. وابنته ليتو هي أرتميس.

حال، وحتى لو سلّمنا ـ إرضاءً لرأيك ـ بأنه تصرّف على هذا النحو لصالح منلاوس، فهل كان من الواجب ـ لهذا السبب ـ أن يهلك تحت ضرباتك؟ بحسب أيّ مبدأ يكون هذا؟ فكّري في هذا جيداً: إذا أردت أن تقرري هذا مبدءاً مفروضاً على الجميع، ألا تخاطرين عن هذا الطريق بأن تقرري البلاء على نفسك أنتِ وأن تندمي على ذلك؟! سيكون من الواجب إذن قتل إنسان في مقابل إنسان؟ لكنك ستكونين إذن أول من يجب أن يموت، لو عوقبت بما تستحقين أن تعاقبي به! اسألي نفسك خصوصاً هل أنت لا تقدمين بهذا إلاّ حجة زائفة. خبّرينا، إن شئت ـ لماذا تسلكين الآن أحطّ مسلك، بنومك مع القاتل الذي مكنتك مساعدته من قتل أبي، والذي تنجبين منه اليوم[1] أولاداً، بينما تنبذين أولادك الشرعيين الذين ولدوا من زواج شرعي؟ أنّى لي أن أقبل هذا؟ اللهم إلاّ إذا ادّعيت أن هذه هي طريقتك في الانتقام لابنتك؟ بسبب جالب للعار هو هذا الذي تجرؤين على سَوْقه: ليس من الجميل في شيء أن تختاري عاشقاً من بين أعداء للانتقام لابنة! والحق أنه ليس من الممكن إسداء نصيحة إليك، ما دمت تعلنين في كل مكان بأعلى صوتك أنني أسيء القول عن أُمّي. إنني أرى فيك خليلة أكثر جداً من أن أرى فيك أُمّاً، في كل علاقاتك معي؛ إنني أعيش هنا عيشة بائسة وسط آلام لا حصر لها أنت وعاشقك هما مصدرها. هذا إلى جانب أن أورست البائس يعيش عيشة بائسة في مكان بعيد عن إقليم أرجوس كيما يتجنب ضرباتك[2]؛ ولطالما اتهمتني بأنني ربّيت أورست من أجل الانتقام منك. ولتعلمي أنني كنت سأفعل هذا لو كانت لديّ القدرة. فاذهبي إذن وأعلني للجميع، إن كان هذا يناسبك، أنني بنت شريرة كثيرة الصراخ والعويل، وقحة. فإن كنت بالطبع خبيرة في هذا الشأن، فذلك لأنني أشرّف أهلي.

قائد الكورس: إني أراها وقد استشاط غضبها. لكن، هل الحق في جانبها؟ لا يلوح أنها تحفل بذلك.

قلوطمنستره: وماذا عليّ أنا أن أحفل بابنة تشتم أمّها إلى هذه الدرجة؟ وفي سِنّها هذه! ألا يلوح لك أنها ستذهب إلى حدّ ارتكاب اسوأ الجرائم ـ دون أن تشعر بأيّ خجل؟

(١) أنجبت قلوطمنستره من أجيست ابنةً تدعى أريجونيه. ومن بين مسرحيات سوفقليس المفقودة هناك مسرحية باسم: «أريجونيه».

(٢) لم يكن حسن ضيافة استرونوش وفولاد كافية لجعل أورست ينسى مرارة المنفى.

الكترا: أما الخجل فأنا أشعر به؛ أشعر به فيما يتعلق بما أفعله هنا. نعم، عندي خجل، وإن لم تَرَيه. وأنا أُسَلِّم بأن تصرّفاتي لا تتفق مع سِنّي ولا مع مكانتي؛ ولكن سوء نيّتك وأفعالك هي التي ترغمني على أن أفعل ما أفعل على الرغم منّي. إن رؤية الأفعال الخسيسة تعلّم المرء أن يفعل مثلها.

قلوطمنستره: آه! يا لك من مخلوق وقح! أنا، وكلماتي وأفعالي نحن نجعلك تتكلمين كثيراً!

الكترا: أنت التي تتكلمين هنا، وليس أنا. أنت التي ارتكبت الفعل، والأفعال تخلق الكلمات.

قلوطمنستره: بحق أرتميس الجليلة، إنك لن تفلتي من عواقب جرأتك متى ما عاد أجيست.

الكترا: ها أنت ذي ترين، أنت تُسْلمين نفسك للغضب، بينما أنت سمحت بأن أقول ما أريد لكنك لا تستطعين سماع شيء.

قلوطمنستره: هل تسمحين لي بأن أقدم الأضاحي في سلام، ما دمت قد سمحت لك بأن تقولي كل شيء؟

الكترا: إني أسمح لك، بل أدعوك إلى ذلك. قدّمي أضاحيك؛ ولا تحفلي الآن بلساني: فإنني لن أنبس بكلمة.

قلوطمنستره: (مخاطبة إحدى الإماء): امسكي جيداً في الهواء، أيتها الخادمة، بقرباني المؤلف من كل الفاكهة، حتى يمكنني أن أرفع إلى الإله الأماني المقصود بها تخليصي من المخاوف التي أشعر بها. أَصْغِ أي فوبوبوس (= أبولون) الحافظ، إلى لغتي السِّرّية. نحن لسنا هنا بين أصدقاء، ولا يليق بي أن أكشف عن كل شيء في وَضَح النهار، بينما توجد إلى جواري ابنة تستطيع بدافع الحقد، وبصوت عالٍ، أن تشيع في كل المدينة شائعات ضارة. فاسمع مني كلمات هامسة، لأنني سأتكلم هكذا. إذا كانت الرؤى الغامضة التي رأيتها في هذه الليلة في المنام ذات معنى مواتٍ لي، فتفضل، أيها الملك اللوقياني، واجعلها تتحقق. لكن لو كان معناها معادياً لي، فأدِرْها ضد أولئك الذين هم أعدائي؛ وإذا كانت هناك مؤامرة لطردي من الأملاك التي أملكها، فلا تَسْمَحْ بهذا بل اعمل على أن أستمر - وأنا حيّة - في امتلاكها كما أملكها اليوم، طوال عمر لا يعكرّ صفوه شيء:

القصر، وسلطان ذرية أتريوس، وفي صحبة أصدقاء يحيطون بي وكل أبنائي الذين لا يحملون ضدي كراهية ولا غيظاً. أي أپولون اللوقياني أعِرني إذناً صاغية مواتية؛ وهبنا جميعاً النجاح الذي تَنشُدُه منك. وما بقي، إذا كنت أكتمه، كذلك لأنني أفترض أنك تعلمه، لأنك إله: ولا شك في أن أبناء زيوس يرون كلَّ شيء.

(يدخل المربّي).

المربي: أيتها الأجنبيات! هل أستطيع أن أعرف بالدقة هل هذا هو قصر إيجيست، مَلِكِنا؟

قائد الكورس: نعم، هذا هو قصره؛ لقد حَزَرْت حَزْراً صائباً.

المربّي: وأحزر حزراً صائباً أيضاً حين أفترض أن هذه زوجته ذلك لأن عليها سيماء ملكةٍ حقاً.

قائد الكورس: أحسنت، إنها هي التي تراها أمامك.

المربّي: سلام عليك إذن، أيتها الملكة! لقد أتيتك بأنباء طيّبة وباسم صديق. إنها خاصة بك كما أنها خاصة بإيجيست.

قلوطمنستره: يسرّني، ما تؤكده، لكني أود أن أعرف قبل كل شيء من هو الذي أرسلك إلينا.

المربّي: فانوتيه الذي من فوقس[1] إنه يبلّغك خبراً مهمّاً.

قلوطمنستره: وما هذا الخبر، أيها الأجنبيّ؟ ما دام يأتي من صديق فإنك لن تقول لنا إلاّ كلمات صديقه.

المربّي: أورست مات: في كلمة واحدة قلتُ كل شيء.

الكترا: يا لشقائي! لقد قُضِي عليّ اليوم!

قلوطمنستره: ماذا تقول؟ ماذا تقول، أيها الأجنبي؟ لا تُصْغِ إلى هذه الفتاة.

المربّي: أورست مات: أقول لك هذا وأكرره.

---

(١) فانوتيه كان حليفاً لإيجيست وقلوطمنستره، وكان يقيم في فوقس.

الكترا: حياتي انتهت! يا لي من شقيّة! لم أعُدْ بعدُ شيئاً.

قلوطمنستره: (مخاطبة الكترا): اشغلي نفسك بما يخصُّك أنت.

(مخاطبةً المربّي): لكن قُلْ لي الحقيقة، يا أجنبي! كيف مات؟

المربّي: من أجل هذا أرسلوني. وسأقول لك كل شيء. كان أورست قد حضر إلى المسابقة الشهيرة التي هي عنوان الفخار لليونانيين، من أجل الظفر بالتيجان الدلفية[1] ولم يكد يسمع النداء الرنّان الصادر عن المنادي وهو يعلن عن الجري على الأقدام، وهو أول المسابقات، حتى دخل الحَلْبة رائعاً ومثيراً لإعجاب الجميع. وأتم الشوط بنجاح يتناسب مع براعته، وخرج من الحَلْبة وقد اكتسب شرف النصر الكامل. ولا أدري كيف أروي لك سائر ما قام به من أعمال وظفر به من انتصارات هذا البطل. وحَسْبك أن تعلمي أنه في جميع المباريات التي أعلن عنها الحُكّام، كان هو الفائز بالجائزة، وكان يُعْلَنَ أن الفائز هو من أرجوس وأن اسمه هو أورست، وأنه هو ابن أجاممنون الذي حشد في الماضي أكبر جيش يوناني. هكذا جَرَتْ الأمور. لكن حين يريد أحد الآلهة بإنسان شرّاً، فإنه مهما كان هذا الإنسان قوياً فإنه لن يفلت منه. ذلك أنه في اليوم التالي، بينما عند طلوع الشمس استهلت المباريات بالمباراة الخاصة بالعربات السريعة، فدخل أورست الحلبة، مع عدد من السوّاقين. واحد من أخايا، وآخر من أسبرطة، واثنان من لبوا، وكل واحد منهم يتولى عربة يجرها فَرَسان. أما أورست، وكان الخامس في هذه المجموعة، فكانت تجر عربته فَرَسان تساليتان. والسواق السادس جاء من اتيوليا وكان يجرّ عربته مُهْران. والسابع كان من مغنسيا. والثامن، وهو من أنيا، كان يجر عربته فَرَسان أبيضان، والتاسع جاء من أثينا، المدينة التي شيّدتها الآلهة. وأتمّهم عشرة سائق من بوئتيا.

وتوقف الجميع في المكان الذي حدّده الحُكّام المكلفون بالتحكيم وأخذ كل واحد منهم مكانه بحسب ما حددته القرعة، واصطفت العربات وفقاً لهذه القرعة. وأعطى البوق البرونزي علامة البدء: فانطلقوا، وراحوا يستحثون خيولهم باللسان، ويهزون اللُّجُم باليد. وامتلأ الميدان كله بضجيج العربات الرنّانة؛ وتصاعد الغُبَار

---

(١) الواقع هو أن الألعاب الفوثاوية لم تكن قد وجدت بعد في العصر الموقاني. بل إن سباق العربات لم يوجد فيها إلا ابتداء من سنة ٥٨٢ق.م.

صوب السماء، والمتسابقون جميعاً استعملوا الأسواط، وكل واحد منهم يريد أن يسبق الآخرين. وعلى ظهورهم، وعلى عجلاتهم السائرة انتشر نفخ الخيول والرغوة. ومضى أورست حتى بلغ الحدّ النهائي، ومسّه في كل مرة بمحور عربته مُطلقاً اللجام للفرس الذي عن يمين، وكابحاً الفرس الذي يمسّ الحد [١]. وإلى هذه الساعة كانت العربات كلها سليمة. لكن، فجأة، في لحظة إتمام الجولة السادسة وابتداء الجولة السابعة، إذا بفرسي المتسابق الذي من أنيا يمسكان اللجام بأسنانهما وينتزعان العربة ويدوران نصف دورة، ويصطدمان بعربة المتسابق القوريني (الليبي). وإذا بالعربات تتحطم وينزلق بعضها على بعض. وامتلأ سهل كريسا Crissa بحطامها. وأدرك السائق الأثيني البارع ما هنالك من خطر، فجرَّ إلى الخارج، ووقف سيره برهةً، من أجل أن يدع سيل العربات الذي يجري في الساحة ـ يمرّ. وكان أورست في المؤخرة، جاعلاً فَرَسيه في المؤخرة، محتفظاً بنفسه لنهاية السباق. وشاهد أنه لم يبق أمامه غير متسابق واحد. فأطلق ضوضاء في آذان فرسيه المتحمسين، وانطلق. وانطلق هذان المتسابقان الباقيان متواجَهَيْن. ومرةً كان أحدهما، ومرةً أخرى كان الآخر هو الذي يشاهد رأسه في مقدمة عربته. وكان هذا السيّئ [٢] الحظ قد اقتاد عربته جيداً طوال كل الأشواط، مستقيماً على عربته المستقيمة دائماً؛ وفجأة انسلّ منه اللجام الأيسر [٣] في نفس اللحظة التي فيها استدار فرسه؛ ورغماً عنه اصطدم بالحاجز، فكسر محوره بين العجلات وانزلق فوق مقدم عربته. وفي الحال اشتبك في اللُّجُم، وبينما تدحرج على الأرض انطلقت أفراسه في الحلبة. والناس الذين رأوه يسقط من عربته راحوا يصرخون ويعولون على هذا الرياضي الشابّ: يا لها من كارثة بعد هذه المغامرات الفذّة! وشوهد وهو يلقى به على الأرض حيناً، وساقاه مصوّبتان نحو السماء حيناً آخر ـ حتى اللحظة التي فيها أوقف سائر السوّاقين بصعوبة جرى أفراسه، وخلّصوه، وهو مغطى بالدم، وهو في حالة لا يستطيع حتى أقرب أقربائه أن يتعرفوا فيها جثمانه. وبسرعة أحرق جثمانه في محرقة. وفي إجّانة صغيرة جُمع (رماد) البدن القويّ لهذا البطل الذي تحوّل إلى رماد حزين. وقد انتدب قوم من أهل فوقس لإحضاره

(١) كان السباق إذن بحسب نظام «الحبل على اليسار».

(٢) أورست.

(٣) وهكذا نسي أن يمسك بالفرس الأيسر، حسبما كان يفعل في الدورات السابقة.

إليكم، حتى يحصل ـ على الأقل ـ على قبر في أرض آبائه. تلك وقائع أليمة في أذن مَنْ يسمعها؛ أما بالنسبة إلينا نحن الذين شاهدناها بأعيننا فإن هذا المنظر سيبقى أشد المناظر إيلاماً من بين كل ما شاهدته من مناظر.

قائد الكورس: واحسرتاه! واحسرتاه! ها هي السلالة العريقة لسادتنا وقدأبيدت كلها، فيما أظن.

قلوطمنستره: أيْ زيوس! ما هذا؟ هل أستطيع أن أقول إنه أمر سعيد؟ أو هو حادث مروّع ومفيد معاً؟ يحزنني مع ذلك ألا أحافظ على حياتي إلاّ في مقابل شقائي.

المربّي: لماذا أصابك الذهول هكذا بسبب رسالتي؟

قلوطمنستره: أمرٌ غريب أن يكون الإنسان أُمّاً! فمهما ارتكب الأبناء من شرور في حق الأم، فإنها لا تستطيع أن تكرههم.

المربّي: إذن أنا قمتُ عبثاً بهذه السفرة.

قلوطمنستره: عبثاً؟ كلا. كيف تقول: عبثاً؟ وأنت أتيتني بأدلة يقينية على موت ابني الذي أنجبته، ابني الذي نسي رضاعتي له، ونسي عنايتي به، وهرب مني، وعاملني كإنسان غريب عنه، ثم إنه ـ منذ أن غادر هذا البلد، لم يرني من جديد أبداً، بل على العكس من ذلك اتهمني بموت أبيه، ولم يتوقف عن تهديدي بالانتقام الرهيب، حتى إن النوم العذب لم يَعُدْ ـ لا في الليل ولا في النهار ـ يغطي جفوني، وفي كل ساعة جديدة يعذبني باستمرار بمخاوف القتل. الآن انتهى الأمر. إن هذا اليوم يخلّصني من الخوف الذي كان يسبّبه لي (مشيرةً إلى الكترا) منه ومن هذه. لأن هذه في بيتي كانت مصيبة أشدّ هولاً: إنها كانت تتجرع دم حياتي باستمرار. لقد انتهى هذا كله. وفي وسعي أخيراً أن أعيش أياماً هادئة دون خوف من تهديداته.

الكترا: يا لشقائي! الآن أستطيع أن أنوح على مصيبتك يا أورست، بينما أنت تعاني ـ حتى وأنت ميّت ـ إهانات مثل هذه الأم. أما انتهى كل شيء؟

قلوطمنستره: بالنسبة إليك، لا؛ أما بالنسبة إليه فنعم، كل شيء حَسَن هكذا.

الكترا: اسمعي يا نمسيس، أنت المنتقمة للميّت الذي قضى نحبه.

قلوطمنستره: إنها سمعت كل ما يجب سماعه، واتخذت قرارها على النحو الأفضل.

الكترا: استمري في إهاناتك: فالحظُّ حليفك اليوم.

قلوطمنستره: لست أنت إذن ولا أورست بمستطيعين أن تسويّا الأمر.

الكترا: إننا نحن الذين قُضِي علينا، وما أبعدنا عن أن نقضي عليك!

قلوطمنستره: إنك تستحق الكثير من التكريم، أيها الأجنبي، إذا كنت بمجيئك قد وضعت حدّاً لصرخاتها التي لا تنتهي.

المربّي: إذن في وسعي أن أذهب، إذا كان كل شيء على ما يرام.

قلوطمنستره: كَلاّ، وإلاّ فستكون قد عوملت معاملة غير لائقة من جانبي ومن جانب الضيف الذي أرسلك. ادخل، ودع هذه الفتاة تصرخ على مصائبها ومصائب أهلها.

(تدخل القصر وبصحبتها المربّي).

الكترا: ماذا تقولون؟ هل هي تتألم؟ هل هي حزينة؟ ما أغرب طريقتها، هذه الشقيّة، في البكاء، والعويل على ابن مات هكذا. إنها انصرفت والتهكم يلوح على فمها. يا ويلتاه لي! إيه يا أورست العزيز، إن موتك يقتلني. أنت تتركني وتنتزع من قلبي الأملَ الوحيد الذي كان قد بقي عندي: الأمل في أن تعود حياً للانتقام لأبيك ولي أنا، أنا البائسة! إلى أين إذن أستطيع أن أذهب؟ ها أنا ذي وحيدة، محرومة منك، مثلما أنني محرومة من أبي، وقد قُضِي عليَّ أن أكون عَبْدة عند أولئك الذين أبغضهم، عند قَتَلةَ أبي! ألم يتقرر إذن مصيري؟ كلا، كلا، إنني أرفض العودة للعيش معهما. عند هذا الباب، مفصولة عن أهلي، أريد أن أهلك وأن أُنهِي حياتي. وبعد ذلك إذا كان حضوري يُثْقِل على أحد في هذا القصر، فليقتلني! ستكون خدمة لي أن أُقْتل، فإن الحياة ستكون غَمّاً عليَّ. أنا لا أريد أن أحيا.

الكورس: ماذا تفعل إذن صواعق زيوس، وماذا تفعل الشمس المشتعلة، حين يرون مثل هذه الجرائم ويتركونها في الظلام، دون أن يتحركوا؟

الكترا: آه! آه! واحسرتاه!

الكورس: لماذا تبكين، يا ابنتي؟

الكترا: آه! الويل!

الكورس: لا تصرخي صرخة تمرّد.

الكترا: أتريد موتي؟

الكورس: كيف كان ذلك؟

الكترا: حينما يتعلق الأمر بأناس قد رحلوا إلى العالم السفلي، فإن التفوه بأمل معناه إهانة الميّتة التي هي أنا.

الكورس: ذلك أنني أتذكر السيّد أمفياروس[1]، الذي صِيد في الشبكة الذهبية لعِقْد امرأة، ومع ذلك فإنه اليوم، تحت التراب...

الكترا: آه! آه! واحسرتاه!

الكورس: ... يحكم هناك، وروحه سليمة.

الكترا: آه! الويل!

الكورس: نعم، الويل! لأن الملعونة...

الكترا: ... قد هلكت.

الكورس: نعم!

الكترا: إني أتذكر، إني أتذكر. ذلك لأن بطلاً مدافعاً قد ظهر للبطل الذي في محنة. أما أنا، فليس عندي أحد بعدُ. ذلك لأن مَنْ كان لي قد مضى، وأنتزع من العالم.

الكورس: أيتها البائسة، لقد قُدّر عليك البؤس.

(١) أمفياروس، ابن أويكلس، كان عرّافاً. وقد تنبأ بأنه سيموت في حملة السباق ضد ثيبا، فإنه اختبأ لكيلا يشترك فيها لكن زوجته أريفوله ـ في مقابل الحصول على عقد ـ كشفت لفولونيقوس بن أوديب وأحد الزعماء السبعة عن المكان الذي اختبأ فيه زوجها. فأرغم امفياروس على الاشتراك في الحملة، وفيها هلك. وقد انتقم له ابنه القمايون بأن قتل أريفوله.

الكترا: أنا أعلم هذا مثلما أنت تعلمه، أعلمه تماماً حينما أفكّر في السيل الذي يفيض أمواجه كل يوم على نفسي، وهو حافل بالمصائب الرهيبة، القاسية الساحقة الماحقة.

الكورس: ما تقولينه قد رأته عيوننا.

الكترا: لا تحزني إذن اليوم على طريق لن أجد فيه...

الكورس: ماذا إذن؟

الكترا: ... النجدة المأمولة من أخٍ وُلِد من نفس الدم الذي ولدتُ أنا منه، أخ هو الابن الحقيقي لآبائه.

الكورس: الموت هو نصيب كل الفانين.

الكترا: لكن هل نصيبهم حقاً هو أن يذهبوا - مثلما ذهب هذا المسكين - وسط معترك من الحوافر السريعة ويشتبكوا بين لُجُمٍ من الجلد.

الكورس: أجل، إن هذه البليّة لا تُصَدَّق.

الكترا: وهل يمكن أن يقال غير ذلك حين يرقد الآن...

الكورس: واأسفاه! واأسفاه!

الكترا: ... تحت التراب، كأنه أجنبي، محروماً من معونة يديّ، ودون أن يحصل مني على قبر ولا على دموع رثاء؟

(خروسوثميس تعود وهي تعدو، ووجها مشرق).

خروسوثميس: إيه يا عزيزتي، إن السرور يدفعني إلى الجري دون إبطاء ودون أيّ احتشام. إني أتيتك في نفس الوقت، مع الكثير من أسباب السرور، بنهايةٍ للشرور التي تحملينها في النواح والأنين.

الكترا: أين وجدتِ إذن عوناً ضد مصائبي؟ إنها لا دواء لها.

خروسوثميس: اعلمي من فمي أن أورست قريبٌ منّا. هذا صحيح مثلما أراك أمامي.

الكترا: هل أنت مجنونة، يا صاحبتي المسكينة؟ أو أنت تسخرين من مصائبك ومصائبي؟

خروسوثميس: كلا، أُقسِم على هذا ببيت آبائي؛ ليس في هذا سخرية، إذا كنت أحدثك على هذا النحو، وإنما لأنه قريب من هنا هو بشخصه.

الكترا: آه! يا لك من طفلة مسكينة! لكن من أخبرك بهذا الخبر بحيث تصدقينه بكل هذا اليقين؟

خروسوثميس: علمت ذلك بنفسي، وليس من أي إنسان آخر إن عينيّ شاهدتا أدلة صادقة على ذلك، وأنا أصدّق ما قالته لي.

الكترا: يا صغيرتي المسكينة! ماذا أكّدته لك عيناك؟ ماذا رأيت مما ألهب في نفسك هذه الحمى العنيدة؟

خروسوثميس: باسم الآلهة، أصغي إليّ. ابدأي واعلمي قبل أن تنعتيني بأني حمقاء أو مخبولة.

الكترا: طيّب! تكلمي، إن كان يلذّ لك الكلام.

خروسوثميس: سأقول لك كل ما رأيته: لقد سلكتُ طريق المقبرة الأبوية القديمة. وإذا بي أشاهد أنه من أعلى الرابية يسيل فيض من اللبن الطازج، وأن قبر أبي متوّج بمختلف الأزهار. فأدهشني هذا المنظر وألقيت نظرات من حواليّ وأنا قَلِقة: هل هناك بالقرب مني شخص؟ لكن نظرتي أكّدت لي أن كل شيء ساكن هادىء في هذا المكان. حينئذ اقتربت من القبر، وعلى قمة الرابية أبصرت ضفيرة مقصوصة من شَعْرٍ شابّ. ولم أكد أبصرها إلاّ وتجلّى لي فجأة الصورة المألوفة لقلبي المسكين، التي تشهد لعينيّ بأعزّ الناس، أورست! أخذت الضفيرة في يدي، ودون أن أقطع الصمت الورع شعرت فجأة بعيني تغرورقان بدموع الفرح. نعم - أنا أعلم هذا الآن - كما علمت منذ قليل. إن مثل هذا القربان لا يمكن أن يصدر إلاّ عنه هو. إلى من يمكن أن يُنسَب، إن لم يكن إليك أنت أو إليّ أنا؟ أما أنا فلا شأن لي بهذا، أنا متأكدة من ذلك؛ كما أنه لا يمكن أن يكون صادراً عنك، فهذا واضح لأنك لا تستطيعين أن تبتعدي عن القصر وإلاّ كلّفك هذا ثمناً باهظاً: لو أنك ابتعدت عن هذا القصر وذهبت للصلاة للآلهة. أما أُمّنا فإن مزاجها لا يهيئوها للقيام بمثل هذه البوادر؛ ولو كانت قد فعلت ذلك لشوهدت. كلا، إن هذا القربان مقدّم من أورست. هيّا يا عزيزتي وتشجّعي. إن هذا ليس النصيب الذي يصاحب نفس الناس في كل الأوقات. بالنسبة إلى كلينا، كان الحظ متأبياً علينا؛ لكن ذلك

اليوم سيفتح لنا ـ من غير شك ـ فترة حاسمة ملأى بما لا حصر له من المسرّات.

الكترا: واحسرتاه! ما هذا الجنون! إني أرثي لحالك منذ بعض الوقت.

خروسوثميس: ماذا! إني أتكلم بغاية الجِد.

الكترا: إنك لا تعرفين حقاً إلى أين تقودك خطواتك، ولا نفسك!

خروسوثميس: كيف؟ أو لا أعرف ماذا شاهدت عيناي؟

الكترا: إنه مات، يا طفلتي المسكينة. والنجاة التي انتظرتها منه قد وَلّت منك. لا تتطلّعي بعدُ إلى أورست.

خروسوثميس: واحسرتاه! الويل لي! من أين عَلِمْتِ هذا؟

الكترا: من شاهد كان حاضراً هناك في نفس اللحظة التي مات فيها.

خروسوثميس: وأين هذا الشاهد؟ الذهول يستولي عليّ.

الكترا: إنه في القصر، لسرور أمي لا لإحزانها.

خروسوثميس: الويل لي! لكن من أين جاءت كل هذه القرابين الموجودة على قبرِ أبي؟

الكترا: أغلب الظن عندي أنهاقد وضعت هناك كذكريات من أورست الذي هلك.

خروسوثميس: يا للشقاء! إنني هرعت، ملأى بالفرح، لأحمل إليك هذه الأنباء. آه! لم أكن أعلم إلى أية درجة من الشقاء وصلنا. ثم وصلت لأجد مصائب جديدة تضاف إلى السابقة!

الكترا: نعم، هذا هو نصيبك! لكن لو أصغيتِ إليّ، فإنك ستتحررين من البلايا التي تثقل كأهلك في هذه الساعة.

خروسوثميس: هل أستطيع أن آملُ في بعث الموتى؟

الكترا: ليس هذا ما أقوله؛ إني لست مجنونة إلى هذا الحد.

خروسوثميس: بماذا تنصحين مما أنا قادرة على فعله؟

الكترا: أن تفعلي بجسارةٍ ما أنا أدعوك إلى فعله.

خروسوثميس: إن كانت النصيحة مفيدة، فإني لن أرفضها.

الكترا: خذي حذرك! لا يمكن الظفر بنجاح دون تعب.

خروسوثميس: أَعْلَم هذا؛ لكنني سأفعل بقدر طاقتي.

الكترا: اعلمي إذن ما هي الخُطّة التي قررتُ القيام بتنفيذها. أنت تعرفين مثلما أعرف أنا أنه لا يوجد أقرباء بالقرب منا، لأن العالم السفلي قد أخذهم جميعاً. وقد بقينا نحن وحدنا. فيما يتعلق بي، فإنه طالما أخبروني أن أخي في تمام قوّته، فقد كان عندي مئات الأسباب للأمل في أن يرجع بنفسه لينتقم من مقتل أبي. أما اليوم، فإنه لم يَعُد حيّاً، وإني أتطلّع إليك أنت. وأنا واثقة بأنك لن تترددي في الانضمام إلى أختك من أجل قتل من قام بقتل أبيك ـ وهو أجيست. ولست في حاجة بعدُ لأن أخفي شيئاً ـ فلماذا تبقين هكذا كسلى، وعيناك تحترقان في أَمَل؟ لم يَعُدْ لديك أيّ أمل. لم يبق أمامك إلاّ أن تنوحي على فقدان الكنوز الأبوية، ومعاناة الآلام بغير انقطاع، وتقدم السّن بدون زوج وزفاف. ومع ذلك فإنك لن تتخيلي أن هذه الخيرات ستكون لك ذات يوم؟ إن أجيست ليس من الحماقة بحيث يسمح بأن يتحدر منك أو منّي ذريّة ستكون السبب الأكيد في خرابه. ولو اتبعت نصائحي، فستكسبين أولاً مزيّة التقوى تجاه الموتى الذين لك تحت الأرض: أبيك وأخيك معاً وبعد ذلك ستعتبرين من الآن فصاعداً فتاة حرّة كما كنت يوم مولدك، وسيكون لك الزوج الذي تستحقينه: فلا يوجد رجل لا يهتم أولاً بنبالة المولد. وبعد ذلك، فإن الناس حين سيتكلمون عنّا، فهل لا تبصرين ما هو المجد الذي ستكسبين لنا: لك ولي، لو أنك انضممت إلى نصائحي؟ فمن هو حينئذ المواطن أو الأجنبي الذي إذا رآنا لن يجيبنا بعبارات حافلة بالمديح؟ قائلاً: «انظروا يا أصدقائي إلى هاتين الأختين اللتين أنقذتا بيت أبيهما، وأنتقمتا من أعدائه لمقتله متحديتين قوتهم ودون أن تخافا على حياتهما! هؤلاء هما اللتان ينبغي عليش الجميع محبّتهما وتقيرهما؛ وهاتان هما اللتان في أعيادنا واجتماعاتنا يجب على الجميع أن يحتفلوا بهما لشجاعتهما!» هذا هو ما سيقال عنّا في كل مكان، دون أن ينطفىء مجدنا، سواء أكُنا أحياء أم أمواتاً. هيّا يا عزيزتي، اسمعي كلامي، وتعالي في عون أبيك، وتعالي لنجدة أخيك، وضعي حدّاً لمصائبي، ولمصائبك أنت أيضاً. واعلمي أخيراً أن الحياة بدون شرف عار على القلوب الطيّبة المولد.

قائد الكورس: على الناصح والمنصُوح معاً أن ينشد الفطنة في مثل هذه الأحوال.

خروسوثميس: نعم، وحتى قبل الكلام، أيتها النسوة، لو كانت عاقلة لكن عليها مراعاة الفطنة والحذر ـ لكنها لم تفعل ذلك. على ماذا تعتمدين إذن للتسلح بهذه الجرأة ولدعوتي إلى أن أكون في خدمتك؟ ألا تدركين أنك لستِ رجلاً، بل امرأة فحسب؟ ليست لذراعيك القوة التي يملكها أعداؤك. وفضلاً عن ذلك فإنهم الآن مزودون بعطف المصير، بينما حظنا نحن في انحلال وعما قليل لن يكون شيئاً. مَنْ عسى أن يفكر في التغلب على مثل هذا العدوّ وأن يخلص من ذلك دون كارثة ثقيلة تصيبه؟! نحن بائستان؛ واحذري ألا نعاني مصائب أكبر لو علموا بما نقوله. لن نحظى بمكسب ولا بمواساة إذا نحن، بعد الظفر بشهرة مجيدة، وقعنا في البلاء والشقاء. إن أسوأ المصائر ليس هو الموت، بل هو ألا نقدر على الموت إن نحن أردناه. أتوسّل إليك، اللهم إلاّ إذا كنت تريدين أن نهلك نحن جميعاً، وعن هذا الطريق نقضي على سلالتنا كلها. فاضبطي غضبك. وأنا من ناحيتي سأعمل على كون الكلمات التي تفوّه بها هنا لم تُقَل ولن يكون لها أثر. وأنت، اليومَ على الأقل، عليك أن يكون لديك من التعقل بحيث تستسلمين ـ حين تكونين عاجزة ـ لأولئك الذين هم أقوى منك.

قائد الكورس: اجعلي نفسك تقتنع. لا شيء أكثر فائدة لبني الإنسان من الحيطة والحذر ومن العقل الحكيم.

الكترا: أنت لا تقولين لي شيئاً لم أحسب له حساباً من قبل. كنت أعلم أنك سترفضين الخُطّة التي قدمتها لك. إذن سأقوم أنا وحدي وبيدي أنا بإنجاز هذه العملية: ولا أروغ إلى أن تظلّ معلّقة.

خروسوثميس: ولماذا لم تظهري هذا العزم والتصميم في الساعة التي مات فيها أبونا! إذن لكانت المسألة سوّيت بضربة واحدة.

الكترا: كان عندي آنذاك نفس القلب، لكن حُكْمي لم يكن أكيداً بدرجة كافية.

خروسوثميس: إذن اعملي على الاحتفاظ به في هذه الحالة طوال حياتك.

الكترا: ما ينبغي استخلاصه من هذا هو أنك ترفضين أن تساعديني؟

خروسوثميس: كل مغامرة يساء تدبيرها قد تنتهي بالسوء.

الكترا: أنا امتدح حكمك، لكني أكره جُبنك.

خروسوثميس: سأقبل بدون انفعال مجاملاتك في يوم[1] آخر.
الكترا: آه! هذا هو ما ليس لك أن تتوقعيه أبداً مِنّي.
خروسوثميس: للفصل في هذا لدينا وقت طويل أمامنا.
الكترا: اذهبي إذن! أنت عاجزة عن مساعدتي.
خروسوثميس: بل أنت أنت العاجزة عن فهمي.
الكترا: اذهبي إذن إلى أُمّك، واروي لها كل شيء.
خروسوثميس: مرّة أخرى أنت تخطئين: إني لا أكرهك إلى هذا الحد.
الكترا: إذن اعلمي على الأقل كم أنت تهينني.
خروسوثميس: لا أريد أن أهينك، بل فقط أن أحذّرك.
الكترا: هل ينبغي عليَّ أن أخضع لتصورك لما هو حق؟
خروسوثميس: فَكّري أولاً بتعقل؛ وبعد هذا لك أن تقودينا.
الكترا: يعجبني التكلم جيداً للانخداع تماماً.
خروسوثميس: أنت تصفين تماماً الداء الذي أنت تعانينه.
الكترا: وكيف كان ذلك؟ هل ترينني ههنا أتكلم ضد الحق؟
خروسوثميس: في أحوال كثيرة ينطوي الحق على مخاطر عديدة.
الكترا: هذه مبادىء لن تتحكم أبداً في حياتي.
خروسوثميس: اذهبي الآن، وتابعي خُطّتك: وستنصفينني ذات يوم.
الكترا: وأنا مصممة فعلاً على إنجازها؛ ولن تستطيعي أنت تخويفي.
خروسوثميس: صحيح؟ أنت لا تريدين إذن تغيير رأيك؟
الكترا: لا شيء يفزعني أكثر من الرأي الجالب للعار.
خروسوثميس: يلوح لي أنك لا تؤمنين بأيّ حجّة من حُجَجي؟
الكترا: إن قراري ليس وليد الأمس، بل يعود إلى وقت بعيد.

(١) خروسوثميس تريد أن تقول إن الكترا ستضطر ذات يوم إلى الإقرار بأن فطنة وحذر أختها كان لهما ما يبررهما.

خروسوثميس: أنا ذاهبة: إنك لن تُقِرّي بأن آرائي صائبة كما أنني لن أقرّ بصواب تصرّفاتك.

الكترا: ادخلي إذن. إنني لن أجري وراءك، حتى لو كانت هذه رغبتك الحارّة. إن أسوأ الحماقات هي الاندفاع نحو سعي لا جدوى منه.

خروسوثميس: إذا كنت تعتقدين بأن لديك أسباباً جيّدة، فاذهبي، واحتفظي بأسبابك. بيد أنك متى ما وقعت في بلاء، فإنك ستدركين أن آرائي كانت حكيمة.

(تدخل في القصر).

الكورس: حينما نشاهد أن أعقل الطيور[١] تهتم بتغذية صغارها التي تدين لها بكل شيء ـ فلماذا لا نفعل نحن نفس الشيء؟

كلا، بحق صواعق زيوس، وبحق ثميس التي تحكم في السماء ـ إن من يتصرف هكذا لا يستمر وقتاً طويلاً دون أن يتحمل المشقة عن ذلك.

إيه أيتها الشُّهْرة! أنت يا مَنْ بواسطتك صوت الناس ينفذ حتى أعماق الأرض ـ اذهبي ـ أرجوك ـ واحملي إلى آل أتريوس في العالم السفلي نداء صوتي المتألم، وهو نداء محمَّل بألوان من العار منحوسة. خبريهم بأن بيتهم قد انحط ـ مع الأسف ـ إلى الحضيض، وأن اثنين من ذريتهم تتصارعان صراعاً لا يكفي أرق المؤانسة لتهدئته. إن الكترا، وحدها، ومهجورة، وألعوبة في يد الأمواج، بقيت هناك تكرر ـ وهي تنوح ـ موضوع أبيها الذي لا ينتهي، مَثَلَها مَثَل العندليب النوّاح، غير عابئة بالموت، ومستعدة لإغلاق عينيها إلى الأبد في اليوم الذي تنقل فيه على هاتين الفوريتين. هل وجدت أبداً بنت أشد إخلاصاً لأبيها منها هي؟

إن النفس الكريمة لا تقبل أن تدنّس مجدها بأن تحيا حياة جبانة وأن تترك سمعتها تنهار. نعم يا ابنتي، يا ابنتي!

وهذا ما فعلتِه أنت: فقد اخترتِ لنفسك حياة طويلة من الحِداد، وسلّحت ذراعك بما يجعلك تتغلبين على العار، وبضربة واحدة ظفرت بنجاح مزدوج: هو الشهرة بأنك فتاة عاقلة وشجاعة في وقتٍ معاً.

---

(١) يقول واضع إحدى الحواشي إن البلشون (القفنص) هو أذكى الطيور.

آه! ألا ليتك من الآن فصاعداً تتغلبين على أعدائك بالقوة والثروة، وإن كنتِ حتى الآن تعيشين هنا خاضعة لهما!

وسيكون هذا من العدل، لأني سأكون قد شاهدتك تعانين أسوأ مصير، ورغم ذلك فإنك في نظر القوانين العظمى لهذا العالم ستنالين المرتبة الأولى بتوقيرك لزيوس.

(يدخل أورست وفولاد، يتبعهما عبيد يحملون أمتعة. وأحدهما يحمل إجانة جنائزية).

أورست: هل قالوا لنا الصدق، أيتها النسوة؟ هل نحن حقاً على الطريق إلى الأماكن التي نريد الذهاب إليها؟

قائدة الكورس: عمّ تبحث إذن؟ وماذا تريد ههنا؟

أورست: هل هذا هو بيت إيجيست الذي أبحث عنه في كل مكان منذ مدة؟

قائدة الكورس: ها هو ذا: وليس لك أن تشكو ممن أرشدك.

أورست: مَنْ منكنّ إذن تريد أن تخبر أصحاب هذا البيت عن الوصول المزدوج الذي من شأنه أن يحقق أمانيهم؟

قائدة الكورس (مشيراً إلى الكترا): هنا، إن كانت أقربهن إليهم نَسَباً هي الأجدر بحمل رسالتك إليهم.

أورست (مخاطباً الكترا): في هذه الحال، ادخلي، أيتها المرأة، وأخبريهم أن أناساً من فوقس موجودن، ويطلبون لقاء إيجيست.

الكترا: آه! يا لشقائي! أرجو ألا يأتوا بأدلة يقينية على الشائعة التي وصلت إلينا؟

أورست: إني أجهل الشائعة التي تتكلمين عنها. أما عن نفسي، فإن استروفيوس العجوز هو الذي كلفني بأخبار عن أورست.

الكترا: ماذا تقول، أيها الأجنبي؟ آه! إن الفزع يتملكني.

أورست: إننا نحمل ـ كما ترين ـ في إجانة صغيرة البقية القليلة الباقية من جسمه.

الكترا: يا حسرتاه! أهذا هو الأمر؟ إني أرى أمامي، وتحت يدي وقد صار أمراً يقينياً، الألم الذي كنت أخشاه.

أورست: إذا كنت تبكين هنا على مصيبة أورست، فاعلمي أن هذه الإجانة تحتوي على جسمه.

الكترا: أيها الأجنبي! باسم الآلهة، إذا كان أورست في هذه الإجانة، فدعني آخذها بين ذراعيّ، كي أبكي على هذا الرماد وأنوح على نفسي وعلى سلالتي كلها.

أورست (مخاطباً عبيده): اقتربوا، وأعطوها لها. إني لا أعرف مَنْ هي، لكن رجاءها لا يدل على سوء نية. إنها لا شك صديقة، أو امرأة من سلالته.

(الكترا تأخذ الإجانة وتضمها إلى صدرها بحرارة).

الكترا: يا آخر ذكرىٰ لأحبّ الناس لمن كان يدعى أورست وهو حيّ. آه! كم هي مختلفة الآمال التي أودعتها فيه في اليوم الذي جعلتك فيه ترحل عن هذه الأماكن، وفي اليوم الذي أتلقاك الآن هنا! إني أُمسك بك اليوم بين ذراعيّ وقدتحوّلت إلى لا شيء، بينما أنت رحلت من هذا القصر متلئلئاً بالصحة. آه! لماذا لم أغادر الحياة: بدلاً من إرسالك إلى بلد آخر، بعد أن أختلسك مني الموت خفيةً؟ لقد كنت ستجد مكانك حينئذ في قبر أبيك. أما اليوم فقد مُتُّ ميتة بائسة، وأنت منفيٌّ على أرض أجنبية، بعيداً جداً عن أختك، ولم أستطع - أنا البائسة - أن أغسلك وأن أزيّنك بيديّ المحبّتين لك، ولا أن أستخلص من النار الملتهمة هذا الحِمْل الحزين الذي أحمله الآن كما كان واجباً عليَّ إنك لم تتلق، يا صاحبي العزيز، العناية بك إلا من أيد أجنبية، وها أنت تعود إلينا حفنة هزيلة من الرماد في إجّانة هزيلة! لم تُفِدْ في شيءٍ إذن كل هذه العناية التي أحاطتك بها أختك المسكينة ولقيت فيها الكثير من المتاعب الحلوة! إنك لم تكن أبداً أثيراً عند أُمّي بقدر ما كنت عندي أنا. ليس أهلنا هم الذين رَبَّوْك، بل أنا، وكنتَ تدعوني دائماً باسم: «يا أختي!» والآن وقد مُتّ فقد انهار في يوم واحد كلُّ شيء بالنسبة إليّ. لقد هلكت، حاملاً كل شيء كضربة ريح. مات أبي، وأنا ميتة بالنسبة إليك؛ واختفيت أنت في الموت. وأعداؤنا يضحكون، وأمك تُرَى وهي تهذي من الفرح؛ هذه الأم التي ليست جديرة باسم الأم؛ وأنت كنت تقول لي عنها خفيةً إنك ستأتي

إلى هنا بنفسك لعقابها. لكن الموت الأليم الذي هو مصير كلينا قد منع من ذلك، لأنه أعادك إليّ الآن على هذا الشكل: فبدلاً من قَسماتِك النجيبة، بعث إلينا بالرماد وبالظل الباطل! آه! وارحمتاه! أيتها الجثة الحزينة! واأسفاه! واأسفاه! - وارحمتاه! إنك بهذه العودة المروّعة قد قتلتني، يا عزيزي. أجل، أنت قتلتني، أيها الأخ الحبيب! عليك إذن أن تتقبّلني في هذا المأوى الذي ترقد الآن فيه: ففيه سينضم عدم كل واحد منّا إلى عدم الآخر. سأسكن تحت الثرى معك من الآن فصاعداً. وكما شاركتك كل شيء على هذه الأرض، فإنني، اليوم أيضاً، أتمنى ألا أبقى خارج قبرك. إني أرى أن الموتى لا يحزنون على شيء.

قائدة الكورس: أنت وُلِدْت من كائن فانٍ، يا الكترا - فَكّري في هذا. وأورست كان كائناً فانياً هو الآخر. لا تُفْرطي إذن في النواح: فنحن جميعاً مقدَّرون لقَدَر واحد.

أورست: آه! ماذا ينبغي عليّ أن أقول؟ وأيّ كلمات انطق بها في اضطرابي؟ لم أعد أملك القدرة على إمساك لساني.

الكترا: أيّ حُزْن تشعر به إذن؟ ماذا تقصد بهذه العبارة؟

أورست: هل ينبغي عليّ إذن أن أرى فيك وجه الكترا النبيل؟

الكترا: إنني هي - ولكن في حالة مُزْرية.

أورست: أُدْرك هذا. آه! أي مصير يدعو إلى الشفقة!

الكترا: أيها الأجنبي، أنت لا ترثي لحالي أنا على هذا النحو؟

أورست: أيها الجمال الذي دُمِّر ظلماً وعدواناً!

الكترا: أجل، أنت تتكلم عني أنا، لا عن غيري، أيها الأجنبي، بهذه العبارات الحزينة.

أورست: أيّة حياة بائسة ومحرومة من الزواج إلى الأبد!

الكترا: لماذا تتطلع فيّ هكذا، أيها الأجنبي، وأنت تئنّ؟

أورست: أية مصائب كنت أجهلها وهي مع ذلك مصائبي؟

الكترا: أي كلام من كلامي قد جعلك تفهم ذلك؟

أورست: إني أراك فريسة للعديد من الآلام!

الكترا: ومع ذلك فأنت لم تر إلاّ القليل من مصائبي.
أورست: وهل يمكن أن توجد مصائب أشدّ ترويعاً من هذه؟
الكترا: نعم، لأنني أعيش مع قَتَلة.
أورست: لمن؟ مَنْ الذي ارتكب الجريمة التي تومئين إليها؟
الكترا: قتلة أب، وأنا عَبْدة لهم.
أورست: ومَنْ الذي يرغمك على مثل هذا القهر؟
الكترا: تلك التي يسمونها أُمّي - لكنها ليست من الأمومة في شيء.
أورست: هل تعاملك بقسوة؟ هل تَمُنُّ عليك خُبْزَك؟
الكترا: معاملة قاسية، ورفض للخبز معاً!
أورست: وليس لك أحد يردّها إلى الصواب ويدافع عنك ويحميك؟
الكترا: من كان يستطيع ذلك أنت قد حملتَ إليّ رماده.
أورست: مسكينة! كم تهزّني الشفقة عليك!
الكترا: كن واثقاً أنك أنت الوحيد الذي شعر بالشفقة نحوي.
أورست: ذلك لأنني وحدي الذي أتألم بمصائبك.
الكترا: أنت لست مع ذلك هنا بوصفك أحد أقاربي؟
أورست: سأشرح لك، لو كانت هذه النسوة صديقات لنا.
الكترا: نعم هنّ كذلك؛ إنك تتكلم أمام صديقات مؤكّدات.
أورست: إذن اتركي هذه الإجانة، إن شئت أن تعرفي كل شيء.
الكترا: كلا، بحق الآلهة لا تفعل هذا أيها الأجنبي.
أورست: صدّقيني، إنك لن تندمي على هذا.
الكترا: لا، أرجوك، لا؛ لا تنتزع منّي أعزّ شيء عندي.
أورست: لا، لا، لن أسمح بهذا.
الكترا: آه! الويل لي إذا كان ينبغي عليّ، يا أورست، أن أتخلى عن دفنك!
أورست: تكلمي خيراً من هذا، صدّقيني، أنت تخطئين حين تنوحين.
الكترا: ماذا! أنا أخطىء حين أنوح، بينما أخي ميّت؟

أورست: نعم، لا يحق لك أن تستخدمي مثل هذه الكلمات.

الكترا: إذن أنا أُحرَم من ميّت هو لي!

أورست: كلا، أنت لا تُحْرَمين من شيء؛ إن هذا ليس لك.

الكترا: بلى، ما دام هو أورست هذا الذي أحمله بين ذراعيّ.

أورست: أورست ليس هنا إلا مجرد اسم، مجرد وهم.

الكترا: أين إذن قبر أورست المسكين؟

أورست: ليس في أيّ مكان: إن الحيَّ ليس في حاجة إلى قبر.

الكترا: ماذا تقول، يا وَلَدي؟

أورست: لا أقول إلاّ ما هو حق.

الكترا: إذن أورست حيٌّ؟

أورست: نعم، ما دمت أنا أتنفّس.

الكترا: إذن أنت أورست؟

أورست: انظري فقط إلى خاتم أبي هذا، تعلمي حينئذ أن ما أقوله صحيح.

(الكترا تلقي بنفسها بين ذراعي أورست).

الكترا: إيه يا أجمل الأيام!

أورست: نعم هو الأجمل، أنا أيضاً أشهد بهذا.

الكترا: إيه أيها الصوت الحبيب، لقد جئت إليَّ!

أورست: لا تبحثي عنه في مكان آخر.

الكترا: إني أُمسِك به بين ذراعيَّ.

أورست: ألا ليتك تمسكين به إلى الأبد.

الكترا: أيتها النسوة العزيزات، يا نساء مدينتي، انظرن إلى أورست هذا الذي أوهم الخداع أنه مات، لكن الخداع أنقذه اليوم.

قائدة الكورس: نحن نرى، يا فتاة؛ وأمام هذه الواقعة تصاعد دموع الفرح إلى أعيننا.

الكترا: آه! أيها الغصن المتفرّع من أعزّ الموجودات[1] عندي! ها أنت ذا أخيراً. لقد أتيت ووجدتَ، وشاهدت أولئك الذين اشتقت إليهم.

أورست: نعم، ها أنا ذا. لكن اسكتي وانتظري.

الكترا: ماذا تقصد؟

أورست: الأحسن أن نسكت، حتى لا يسمعنا أحدٌ خلف هذه الجدران.

الكترا: لا، بحق أرتميس العذراء دائماً؛ لا، لن أتنازل وأخاف من هؤلاء النسوة: «حِمْل الأرض الزائف»[2]، المحبوسات دائماً بين هذه الجدران.

أورست: خذي حِذْركِ: حتى بين النساء هناك مكان لآرس Ares: أنت جربت هذا، وأنت تَعْلمينه.

الكترا: واأسفاه! ها أنت ذا تذكر شقاءنا الهائل: لا شيء يمكن أن يلغيه، ولا شيء يمكن أن يُنْسِي كيف كان.

أورست: وهذا أيضاً أنا أَعْلمه؛ لكن متى ما أشارت علينا الفرصة، فسيكون هناك ما يذكِّر بهذه الجرائم.

الكترا: لكن بالنسبة إليّ، إنها الحياة، الحياة الكاملة هي التي تستطيع أن تهيّيء لي الفرصة الدائمة بالاعلان عنها. إني أجد صعوبة في ضبط لساني الذي صار حُرَّاً.

أورست: أنا مِنْ رأيك، ولهذا أقول لك: صِيني هذه الحرية.

الكترا: وكيف؟

أورست: طالما لم تسنح الفرصة بعدُ، امتنعي عن الكلام الطويل.

الكترا: مَنْ ذا الذي يستطيع إذن أن يستبدل الصمت بالكلام، من أجل الاحتفاء بعودتك، بينما أنا أشاهدك حاضراً هنا، على عكس كل أَمَل، وكلّ توقع؟

---

(١) جمع يراد به المفرد، إذ المقصود هو أجاممنون.

(٢) وصف أخيلوس نفسه بهذا الوصف في النشيد رقم ١٨ من «الإلياذة»! كما أن الخُطّاب نعتوا أودسيوس بهذا النعت في النشيد العشرين من «الأوديسا».

أورست: إن اليوم الذي ترينني فيه هو اليوم الذي فيه وضعني الآلهة على طريق العودة.

الكترا: إنك بهذا تتكلم عن نِعْمة أكبر من الأولى، إذا كان حقاً أن إلاهاً قد وضعك على الطريق المؤدي إلى مَسْكني! إني أرى في هذا نِعمةً من السماء.

أورست: إني أتردد في وضع حدود لسرورك. لكنني أخشى كثيراً أن تتغلب عليك الفرحة.

الكترا: ما دمت، بعد وقت طويل، قد تنازلت وظهرت، بعد سَفْرة حبيبة إلى قلبي، فلا يحق لك الآن، وأنت تراني قد عانيت محنة قاسية...

أورست: ماذا تخشين من ناحيتي؟

الكترا: أن تحرمني من السرور الذي غمرني به وَجْهُك وأن ترغمني على التخلي عنه.

أورست: كلا، بل أنا سأتضايق لو رأيت غيري يفعل ذلك.

الكترا: إذن أنت تَعِد؟

أورست: وهل أستطيع أن أصنع غير هذا؟

الكترا: إيه يا صديقي! إني أسمع بهذا كلمة لم آمُل فيها أبداً. وبسماعها فإنني، أنا البائسة، أفرض الصمت على حُمّاها. وها هي ذي تلتزم الصمت، وتحبس أقلّ صراخ.

الآن أنا أملكك، لقد تجلّيت لي كرؤية أعزّ من كل شيء، ولا يستطيع الشقاء هو نفسه أن يجعلني أنسى.

أورست: دعونا الآن من هذه الأقوال التي لا جدوى منها. لا تعلميني إذن أن أمّي غادرة، ولا أنّ إيجيست هو بسبيل تبديد الكنوز التي كوّنها آباؤنا، في هذا البيت، بإنفاقها عبثاً وحيثما اتفق. إن الإفراط في الكلام سيجعلنا نضيّع الفرصة السانحة. أحرى بك أن تدلّيني على ما هو الأنسب للظروف. خبّريني أين ينبغي علينا أن نظهر أو أن نختبىء، من أجل أن يضع مجيئي حدّاً لانتصار أعدائنا. وأخشى من أن تدرك أُمّي الحقيقة استنتاجاً من وجهك المشرق، حينما ندخل

القصر. وعليك بدلاً من ذلك أن تستمري في النحيب على هذه الكارثة الوهمية. وفقط بعد النجاح سيكون من حقنا أن نعلن انتصارنا وأن نضحك بكل حرية.

الكترا: ما يسرّك يا أخي هو ما يسرّني إني أدين لك بالسرور، وليس لي حقوق فيه. ولن أسمح لنفسي أن أسبب لك أيّ متاعب، حتى لو كان في ذلك مكسب لي. وإلاّ لكان ذلك سوء تقدير للحظ الذي ننعم به اليوم. أما فيما يتعلق بما يمر ههنا، فأنت على علم به ولا شك أنهم أخبروك أن إيجيست ليس موجوداً في القصر، أما أمّنا فموجودةً في مخدعها. ولا تَخْشَ من رؤيتها إيّاي مستبشرة الوجه من الفرح: فإن في قلبي كراهية عميقة الجذور. ومن ناحية أخرى، فإنني منذ أن رأيتك لا أستطيع أن أضع حدّاً للسرور الذي ينتزع مني هذه الدموع. وكيف أستطيع ذلك، إذا كانت نفس السَّفْرة قد جعلتك تظهر أمام عيني ميّتاً وحيّاً معاً؟ لقد جعلتني أرى أموراً لا تصدَّق، إلى درجة أنه لو عاد أبي اليوم حيّاً فإنني لن أعدّ ذلك معجزة بل سأكون متأكدة بأنه ماثل أمام عينيّ. وما دمت قد وصلت إلينا على هذا النحو السعيد، فهيّا وقُدْنا كما تريد. وأنا وحدي أستطيع أن أحقق أحد الهدفين وهو: أن أنجو على نحوٍ مجيد، أو أن أهْلِك على نحوٍ مجيد أيضاً.

أورست: أعتقد أن الأفضل هو أن نسكت. إني أسمع من الداخل صوت إنسان يقترب من أجل أن يخرج.

الكترا (وهي تغيّر اللهجة): ادخلوا إذن أيها الأجانب. إنكم أتيتم بأخبار لا يستطيع أحدٌ في هذا البيت أن يستبعدها ولا أن يتقبلها بسرور.

(تتوجه نحو القصر. لكن في هذه اللحظة يفتح المربي باب القصر فجأة).

المربّي: أيها المجانين الكبار، لقد فقدتم إذن عقولكم! ألم يَعُدْ لديكم إذن أيّ اهتمام بحياتكم؟ أو لم يكن عندكم أبداً ذرة من العقل بحيث لم تدركوا أنكم ههنا لا في مواجهة بل في وسط أخطار شديدة؟ لو لم أكن ههنا منذ مدة لمراقبة هذا الباب، لكانت خُطَطكم قد دخلت القصر قبلكم. لحسن الحظ أنني اتخذتُ الاحتياطات المطلوبة. ضعوا حدّاً إذن لهذه الخُطَب الطويلة ولصيحات السرور التي لا تَشْبع، وادخلوا إذن. إن الإبطاء رذيلةٌ في مثل هذه المسألة، وقد دقت ساعة إنجاز هذه المهمّة.

أورست: كيف سأجد الأمور في القصر حينما أدخل فيه؟

المربّي: كما ينبغي. مزيّتك أن أحداً لا يعرف مَنْ أنت.

أورست: أعتقد أنك أعلنت عن موتي؟

المربّي: أعلم أنك في نظرهم من سُكّان العالم السفلي.

أورست: إنهم إذن في فرحة الانتصار؟ وإلاّ، فماذا يقولون؟

المربّي: سأجيب عن سؤالك هذا، حينما نصل إلى هدفنا. أما الآن فإن قضيتهم حسنة حتى لو لم تكن في الواقع كذلك.

الكترا: مَنْ هذا الرجل، يا أخي؟ خبّرني، أرجوك.

أورست: ألا تدركين؟

الكترا: كلا، وليست لديّ أية فكرة عنه.

أورست: ألم تعودي تعرفين إلى مَنْ سلّمتني أنت فيما مضى؟

الكترا: إلى مَنْ؟ ماذا تقول؟

أورست: إني أتكلم عن الشخص الذي كنتُ أنا بين ذراعيه، بفضل فطنتك، محولاً سرّاً إلى بلاد فوقيس.

الكترا: ماذا؟ أيكون هوذلك الرجل الذي وجدته هو وحده المُخْلص بين الآلاف، في الساعة التي قتلوا فيها أبي؟

أورست: إنه هو. فلا تسأليني بعد ذلك طويلاً.

الكترا: إيه يا أجمل الأيام! إيه أيها المنقذ الوحيد لآل أجاممنون، كيف أتيت إلى هنا؟ أأنت حقاً من أنقذني وأنقذ أورست من مصائب لا حصر لها؟ إيه أيتها الأيدي العزيزة! أيها الصديق الذي أسْدَت قدماه إليّ أجلّ الخدمات! كيف خدعتَ عيني وأنا قد عرفتك زمناً طويلاً؟ كيف لم أتعرّفك، بدلاً من أن تقتلني بأقوال كاذبة، بينما كنتَ أنت تعرف حقائقَ جميلة! السلام عليك، أيها الأب، لأني أرى فيك أباً، السلام عليك ولتعلم أنك من بين جميع الناس أنت الرجل الذي في نفس اليوم كان أبغضهم إليَّ وأحبّهم عندي، في وقت واحدٍ معاً.

المربّي: أعتقد أنك قلت ما فيه الكفاية: أمّا فيما يتعلق بما حدث في تلك الأثناء، فستأتي الأيام والليالي، يا الكترا، بما يسمح لك بأن تسمعي الحكاية

الصادقة عنه. أمّا فيما يتعلق بكما كليكما هنا، فإني أعلن أن هذه هي اللحظة للعمل. في هذا الوقت، قلوطمنستره موجودة وحدها، ولا يوجد أي رجل في القصر فلو تأخرتم، فاحذروا أن عليكم أن تقاتلوا ليس فقط ضد هؤلاء الأعداء، بل وأيضاً ضد آخرين أكثر عدداً وبراعة.

أورست: يا فولاد! قضيتنا لا تحتاج إلى المزيد من الكلام. علينا أن ندخل فوراً، لكن بعد أن نركع أمام صور آلهة آبائنا الذين يقيمون في هذا الدهليز.

(يدخل الثلاثة في القصر).

الكترا: يا مولاي أپولون! أَعِرْهم أذناً صاغية ـ وأنا أيضاً، أنا التي مَثَلْتُ مراراً أمامك، حاملةً بيديَّ المتوسلتين القليلَ الذي كنت أَمْلِك تقديمه إليك. وهذه المرّة، أي أپولون اللوقياني، وبدون قرابين أخرى أتوسّل إليك أن تهب خُطَطنا أكبر العون، وأن تُرِي للناس ما هي العقوبات التي تنزلها الآلهة بالفاسقين.

(تدخل هي الأخرى في القصر).

الكورس: انظروا إلى آرس Ares وهو يتقدّم ويُسْتَروح منه القتل. الذي لا يرحم.

إن زبانية الانتقام (الفوريات) قد دخلت هذه اللحظة تحت سقف هذا القصر؛ إنها في إثر ألوان الغدر الشريرة، ولا يمكن الإفلات منها.

والحُلْم الذي شاهدته بقلبي لن يبقى طويلاً معلقاً في الهواء. ها هو ذا قد دخل في هذا المسكن، بخُطى غدارة البَطَلُ المدافع عن الأموات.

إنه يدخل مسكن أبيه وينفذ في فخفخته القديمة. وهو يمسك في يده بسلاح الموت وقد شُحِذ حديثاً. إنه ابن مايا Maia، إنه هرمس، هو الذي يقوده إلى الهدف، ويختبىء مكره في الظلام، ويرفض أن ينتظر.

(الكترا تخرج من القصر).

الكترا: يا صديقاتي العزيزات! إن رجالنا بسبيل إنجاز مهمتهم. ابقين صامتات الآن.

قائد الكورس: لكن كيف تجري الأمور؟ ماذا يفعلون الآن؟

الكترا: إنها تزيّن الإجانة من أجل مراسم الجنازة. والابنتان الأُخريان إلى جوارها.

قائد الكورس: وأنتِ، لماذا خرجتِ فجأةً؟

الكترا: لأعمل على ألا يفاجئنا إيجيست بالدخول.

قلوطمنستره (في الداخل): آه! يا لك من بيتٍ خالٍ من الأصدقاء ومملوء بالقَتَلة!

الكترا: يا صديقاتي، في الداخل صُرَاخ، ألا تسمعنه؟

الكورس: يا للبائسة! إنّي أسمع صرخات لم أكن أود أن أسمعها؛ إنها تبعث القشعريرة في نفسي.

قلوطمنستره: يا للشقاء! يا إيجيست أين أنت إذن؟

الكترا: اسمعن، صراخ آخر!

قلوطمنستره: يا ابني، يا ابني، ارحم أُمَّك!

الكترا: وهل رحمتَه أنت، ورحمتِ أباه مما دبرته لهما؟

الكورس: أيتها المدينة! أيتها السلالة البائسة، ها هي ذي الساعة التي فيها المصير المصاحب لأيامك قد بدأ يضعف ويضعف.

قلوطمنستره: واحسرتاه! إنهم أصابوني!

الكترا: هيّا إذن، وضربة أخرى إن أحسستِ بقوّتها.

قلوطمنستره: واحسرتاه! ضربة أخرى!

الكترا: ولماذا لا يضرب إيجيست في نفس الوقت!

الكورس: اللعنات تتحقق: إنهم أحياء: الموتى الراقدون تحت الثرى. إن ضحايا الماضي ينتقمون من دم قَتَلتهم.

(أورست وفولاد يعودان للظهور عند عتبة القصر).

قائد الكورس: لكن ها هما. أيديهم الحمراء تقطر بالدم المسفوح على مذبح آرس Arès. ليس عندي أيّ لوم أوجّهه إليهما.

الكترا: أورست، ماذا تم؟

أورست: في القصر كل شيء على ما يرام، إن كان أپولون ـ من ناحية ـ قد تنبأ تنبؤاً صحيحاً كما ينبغي.

الكترا: هل ماتت هذه الشقيّة؟

أورست: اطمئنّي: إن غطرسة الأمّ لن تهينك بعدُ أبداً.

الكترا: . . . .[1]

أورست: . . . .

قائد الكورس: توقفوا. إني أرى أجيست. إنه هو.

أورست: . . . .

الكترا: ادخلوا يا أولادي!

أورست: هل تشاهدين الرجل؟ هل هو بين أيدينا؟

الكترا: لقد جاء من الضاحية، وعلى وجهه سيماء السرور.

الكورس: ادخلوا في الدهليز، لإنجاز المهمّة الثانية كما أنجزتم الأولى.

أورست: لا تَخْشي شيئاً، سنستطيع إنجازها.

الكترا: أَسْرِع إذن ـ بحسب خُطّتك.

أورست: ها أنا ذا ذاهب.

الكترا: فيما يتعلق بالأمر هنا، هذا يخصُّني أنا.

الكورس: من اللائق التلفظ ببعض الكلمات التي تتملق أذنه، من أجل أن يأتي هو من تلقاء نفسه وينخرط في النضال الغدّار الذي فيه ينتظره العقاب.

(أورست وفولاد يدخلان القصر. إيجيست وصل).

إيجيست: هل تعرف إحداكن أين توجد جماعة من أهل فوقس قيل إنهم يعلنون أن أورست قد مات تحت أنقاض عربته؟ (يخاطب الكترا): إنني أسألك أنتِ، أنتِ يا مَنْ كنت في الماضي متكبرة. إني أتصور أن الأمر يهمّك. وأنت إذن تستطيعين، خيراً من غيرك، أن تتكلمي.

---

(١) ههنا نقص مزدوج: نقص ثلاثة أبيات، ثم نقص بيت في المخطوطات اليونانية.

الكترا: نعم، أنا أعلم كل شيء، هذا أمر طبيعي. وهل أستطيع أن أظلّ خارج المصيبة التي أصابت أعزّ الناس عندي؟

إيجيست: أين هذه الجماعة؟ خبّريني.

الكترا: في القصر. لقد وقعوا على مُضيفة صديقة.

أجيست: وهل هم أعلنوا حقاً أنه مات؟

الكترا: لا، إنهم برهنوا على ذلك بأكثر من الكلمات.

إيجيست: هل أستطيع إذن أن أعتبر هذا النبأ مؤكداً؟

الكترا: بل وتستطيع أيضاً أن تشاهد منظره غير السارّ.

إيجيست: إنك تعجبينني هكذا، وليست هذه عادتك.

الكترا: على هواك! افرح، إن وجدت في هذا ما يدعوك إلى الفرح.

إيجيست: إني آمر بالصمت، وأن تفتح الأبواب، كي يستطيع سُكّان موقانا وأرجوس جميعاً أن يشاهدوا بعيونهم، وأن أولئك الذين تعلّلوا بالآمال الكاذبة التي أودعوها في هذا الرجل، يأتون اليوم أمام جثته، وأن يقبلوا سلطاني، وألاّ يرغموني على معاقبتهم وتعليمهم كيف يبلغ الإنسان سن الرُشد.

الكترا: هذا قد تمّ، فيما يتعلق بي أنا. لقد اكتسبت من التعقل ما يكفيني للتكيّف مع سادتي.

(يفتح الباب. تُشاهد جُثّة ممدودة على الأرض، ومغطاة بملاءة. **أورست** وفولاد واقفان إلى جوارها).

إيجيست: أيْ زيوس! إن أمام عينيَّ الآن منظرُ موتٍ سعيد. أقول هذا ولا أريد إهانة أحد؛ أما إن كانت الكلمة مزعجة، فإني أسحبها. أزيحوا الغطاء عن ملامحها، حتى يتلقى هذا القريب مني النواح الذي أدين به له.

أورست: ارفع الغطاء أنت بنفسك. ليس لي أنا، بل عليك أنت أن ترى ما هو موجود هناك وأن تُحَيّي قريباً لك.

إيجيست: رأيك صواب، وسأتبعه (مخاطباً الكترا) وأنت اذهبي وأحضري قلوطمنستره إن كانت في القصر.

أورست: إنها أمامك، فلا تبحث عنها في مكانٍ آخر.

إيجيست: (وهو يرفع الغطاء): آه! ماذا أرى؟

أورست: مِمّن تخاف! مَنْ تظن أنك لا تتعرّف من هو؟

إيجيست: في أحابيل مَنْ سقطُت أنا، أنا البائس؟

الكترا: ألا تدرك أنك منذ لحظات تتحدث مع أحياء كما لو كانوا أمواتاً؟

إيجيست: آه! فهمتُ اللغز. إن مَنْ يكلمني الآن لا يمكن أن يكون ألاّ أورست.

أورست: كيف، وأنت العرّاف البارع، بقيت مخدوعاً كل هذا الوقت؟

إيجيست: لقد قُضِي عليّ، أنا البائس ومع ذلك، دعني أُضِفْ كلمة.

الكترا: بحق الآلهة، لا تسمح له يا أخي بأن يقول أكثر من هذا. لا تدعه يَسْتَفِضْ في الكلام. حيثما يتعلق الأمر بأناس تعودوا على ارتكاب الجرائم، هل ثمّ أدنى فائدة لمن يجب أن يموت؟ أسْرِع في قتله، ثم اعرِضْ جثته. سيحظى حينئذ بحفاري القبور[1] اللائقين به... وكل هذا بعيداً عن عينيّ. ليست هناك أية وسيلة أخرى كي أتخلّص من آلامي الطويلة.

أورست: ادخل إذن، وبسرعة، إن الأمر لا يتعلق بمحاكمة رسمية، بل بحياتك.

إيجيست: لماذا تريد مني إذن أن أدخل في هذا القصر؟ لماذا، إذا كان الفعل جميلاً، يحتاج هذا الفعل إلى الظلام والستر؟ لماذا لست أنت مستعداً لضربي؟

أورست: لا تُصْدِر إليّ أوامر. سِرْ، واذهب إلى حيث قتلتَ أبي؛ وستموت في نفس المكان.

إيجيست: هل من الضروري أن يشهد هذا القصر مصائب جديدة تصيب أبناء أخي فالوفس Pelops، مثلما شاهد المصائب الماضية؟

أورست: نعم! مصائبك أنت، على الأقل؛ إني بالنسبة إليك أحسن العرّافين.

---

(١) أي أنه سيكون فريسة للكلاب والطيور الجارحة.

إيجيست: ومع ذلك فأنت لم تتلقَّ من أبيك الفنّ الذي تتفاخر به الآن.

أورست: أنت تتكلم أكثر مما ينبغي، وتؤخّرنا. هيّا، إلى الأمام!

إيجيست: أرني الطريق.

أورست: عليك أنت أن تتقدم أولاً.

إيجيست: هل تخشى إذن من أن أفلت منك؟

أورست: كلا، ولكني أخشى أن تموت الموتة التي تسرُّك. إني سأعنى بأن تكون ميتتك مُرّة لإنسان يحدث العقاب دائماً على الفور، بالنسبة إلى من يدّعي تجاوز القوانين: وهذا العقاب هو الموت. وهكذا يصبح عدد الأوغاد أقل.

(يدفع إيجيست في القصر).

قائد الكورس: يا سلالة أتريوس! خلال كم من المحن وصلت أخيراً وبعد عناء إلى الحرية! إن مجهود هذا اليوم يُتوّج تاريخك.

ختام

مسرحية «الكترا»

مَسْرحيَّة «أُوديبُ في كولُون»

مقدمة «أوديب ملكاً»

بقلم الدكتور عبد الرحمن بدوي

موضوع «أوديب في كولون» هو خاتمة حياة أوديب لما أن نُفِي إلى نواحي أثينا، بعد اكتشاف الخطايا الرهيبة التي ارتكبها دون أن يعلم وهي أنه قتل أباه، وتزوج أمّه فأنجب منها ولدين، وابنتين كانوا في وقت واحدٍ أولاده وإخوته معاً.

أما أن خاتمة حياة أوديب ستقع في ضواحي أثينا - فهذا أمر لم تشر إليه النصوص الأدبية اليونانية قبل مسرحية «الفينيقيات» تأليف يوريفيدس في سنة ٤٠٨ق.م. فقد ورد فيها أن أوديب قد صرّح بحسب وحي لوكسياس أنه سيموت في بلاد أتيكا، أي في نواحي مدينة أثينا؛ وستقتاده ابنته أنتيجونا إلى هناك (البيت رقم ١٧٠٣ وما يليه).

ومن المؤكد أن سوفقليس قد تأثر بمسرحية يوريفيدس هذه حين جعل منفى أوديب وموته يقعان في ضواحي أثينا. وقد اختار ضاحية منها بعينها هي: كولون، لأنها مسقط رأسه. والدليل على ذلك هو أن مسرحيات سوفقليس السابقة على «أوديب في كولون» لا تشير إلى كون خاتمة حياة أوديب ستكون في ضواحي أثينا، بل جعلتها تقع في مواضع أخرىٰ لم تشر إليها إطلاقاً.

أ - ففي مسرحية «أنتيجونا» لسوفقليس نجد أن أوديب يموت في مدينة ثيبا. ولا تحدد موعداً لموته، بل ولا تتحدث عن تشريده ومنفاه.

ب - ومسرحية «أوديب ملكاً» تنتهي بتوديع أوديب لابنتيه: أنتيجونا وإسمينا وهو بسبيل الذهاب إلى المنفى، لكنه يعود بعد ذلك بأمر كريون ليقبع في القصر الملكي حبيساً يشتكي آلامه وخطاياه.

والراجح هو أن «أوديب في كولون» كانت آخر مسرحية ألّفها سوفقليس، بدليل أن سوفقليس لم يتولّ تمثيلها، وإنما أشرف على تمثيلها حفيده، في أيام حكومة ميكون في أثينا، في السنة الثالثة من السنة الأولمبية رقم ٩٤، أعني في سنة ٤٠١ق.م.

(٢)

ومما يميز مسرحية «أوديب في كولون» عن سائر مسرحياته التي تناول فيها مأساة أوديب وآله ـ أننا نجد فيها «القدر» أو «المصير» أميل إلى الرحمة. فهذه القوة الطاغية صارت (في هذه المسرحية) أكثر رعاية وأوفر إحساناً: لقد تصالحت في النهاية مع أوديب، فأدخلت الهدوء في ضميره المضطرب؛ وواسته بواسطة العناية التي بذلها حنان ابنتيه ـ وخصوصاً أنتيجونا ـ ما أصابه من بلاء العمى والنفي؛ ومكّنته من الخروج من الحياة، واقتادته ـ وكأنما بيدها ـ إلى قبره، الذي تمناه وكان شارة مجده، وضماناً رائعاً للنصر الذي نازعه فيه أعداؤه، ودفع بذلك الجزاء الأوفى لما أنعم به عليه من استضافوه. وألوان اللوحة صارت (في هذه المسرحية) أقل سواداً؛ والتخويف والأفزاع صارا أقل حضوراً، والانفعالات طامنت من حدتها؛ وما يسود فيها هو نوع من النصاعة الدينية، والانفعالات المؤثّرة العذبة، والتشويق الهادىء الذي يسمح ـ في لطفٍ ـ بالتفصيلات الطويلة، بل وبالاعادات؛ واللمسات الأكثر رقةً، والعقل الأوفر نضوباً تجعلنا نشعر بشيخوخة العبقرية»[1].

فمنذ مطلع المسرحية ونحن أمام مناظر تقطع نياط القلوب، قلوب المشاهدين:

عجوز أعمى يظهر، مستنداً إلى فتاة ـ هذا المنظر تبدو فيه الرحمة قبل أن نعرف ـ من كلام الأشخاص أنهما يُسَمَّيان: أوديب، وأنتيجونا. وحينما يعلنان عن

---

(١) م. باتان M. Patin: «دراسات عن أصحاب المآسي اليونانيين»، ج٢: سوفقليس، ص٢٠٢؛ باريس ١٨٨١؛ وساليه Sallier في مجموعة «أبحاث أكاديمية النقوش» ج٦ ص٣٦٦ وما يليها، باريس.

أسميهما، فأننا ننسى لبعض الوقت ما يذكرنا به اسماهما وما سيكون مصدراً لتشويق في هذه المأساة، ابتغاءَ أن نرى فيهما ـ بحسب قصد الشاعر ـ تعبيراً تماماً عن المصائب والأحزان الإنسانية التي سنجد أنفسنا فيها. والأبيات التي بها استهل أوديب هذه المسرحية كانت مشهورة عند القدماء. إن حلاوة حزينة قد نقشتها في ذاكرات بعض الصفوة. وأرسطبّس رددها على شاطىء سرقوسة، حيث ألقى به غرق السفينة التي كانت تحمله. ونجد ما يشبه أن يكون صداها في إطراء شيشرون لها»[1].

وتجلسه ابنته أنتيجونا على حجر، عند مدخل غابة ظنت أنها مكان مقدّس وقالت إنها مزروعة بأشجار الغار والزيتون والكروم، وأن البلابل العديدة تغني فيها. ويتساءل أوديب: أين نحن؟ فتجيبه بأننا بالقرب من مدينة أثينا، حسبما قال المسافرون الذين كانوا يمرّون بالطريق. ومرّ بهما عابر طريق، ينبههما إلى أنهما في مكان ممنوع من الدخول، لأنه مكرّس لبنات الأرض والليل، وهن «اليومنيدات». لكن أوديب يرفض ترك هذا المكان، ويعلن أنه متوسّل (مستجير) بهن. وهذا المكان المكرّس لليومنيدات يقع في قرية تُدْعى: كولون، وكولون تتبع مدينة أثينا، وتخضع لملك أثينا: ثيسيوس، ابن أجايوس فيسأل أوديب وأين ثيسيوس؟ فيجيبه هذا العابر بأنه في أثينا. فيطلب أوديب أن يأتي ثيسيوس إليه. ويعجب الحاضرون من هذا الطلب إذ كيف يتطاول هذا العجوز الأعمى ويطلب أن يحضر إليه ملك أثينا. فيجيبهم أوديب بأن «ثيسيوس سيستجيب لهذا الطلب لو علم اسمي». ذلك لأن اسم «أوديب» قد اشتهر وصار ملء الأسماع.

وفعلاً جاء ثيسيوس إلى حيث كان أوديب وابنتاه: أنتيجونا وإسمينا. وأعفى أوديب من أن يذكر أحواله وما جرى له، لأن هذا معروف فلا حاجة لتكراره. وسأل أوديب ماذا دعاه إلى المجيء. فيجيب أوديب بأنه جاء ليقدم إليه جسمه الهزيل. ويوافق ثيسيوس على استضافة أوديب، لأن أخلاق ثيسيوس لا تسمح له بأن يرفض إيواء رجل جاء يسأل إيواءه ويقول أنه يستجير بآلهة ثيسيوس. فيعرض على أوديب أن يأخذه إلى بيته، لكن أوديب فضّل أن يبقى حيث هو، لسرّ سيكشفه فيما بعد لثيسيوس.

(١) باتان: الكتاب المذكور، ص٢١٢ ـ ٢١٣ ـ. وما قاله شيشرون نجده في كتابه: «في حدود الخير والشر»، ف٥، بند ١.

«ودور ثيسيوس لا بد أنه أعجب أهل مدينة أثينا أيّما إعجاب. فقد وجدوا فيه النموذج المثالي لفضائل الرحمة والكَرَم، ولشفقته على البائسين، وللإخلاص للضعفاء، وللاستهانة بالخطر، ممزوجاً بشيء من الرجولة غير المتحفظة وهو ما كانوا يفخرون به. إن ثيسيوس كان مدينة أثينا نفسها متجسدة في شخص»[1].

وفي مقابل هذه الشخصية الكاملة الفضيلة، وفي تناقض تام معها، يورد لنا سوفقليس شخصية حافلة بالرذيلة والدناءة وخِسّة الطبع، وأعني بها: كريون. وهو في البداية يبدو متواضعاً متسامحاً قد جاء في مهمة نبيلة: فزعم أنه قد جاء من طرف أهل ثيبا الذين يطلبون عودة أوديب وأنتيجونا إلى وطنهما: ثيبا، ويزعم أنه جاء يطلبهما ليرد إليهما الكرامة بوصفهما من أقاربه ولأنهما نفيا ظلماً. ويحاول بهذه العبارات الخداعة المعسولة أن يستدرّ عطف ثيسيوس وأهل كولون بل وأوديب نفسه.

وإذا بأوديب ينبري فوراً للرد على هذا الكذاب المخادع، ويكشف ما ارتكبه في حقه من مظالم، وإهانات وعنف.

فأُسقِط في يد كريون، واضطر إلى أن يخلع قناعه الزائف. وكان قد أحضر معه بعض الجنود. فأمر هؤلاء الجنود بأن يقبضوا على أنتيجونا وإسمينا ويخطفوهما إلى مكان بعيد. ولم يكن حاضراً إلاّ الشيوخ من أهل كولون فلم يستطيعوا إنقاذ الفتاتين... وقد ظن كريون أنه بهذا سيرغم أوديب على السير معه بدون مقاومة. لكن أوديب ثارت ثائرته واشتبك مع كريون مقاوماً إياه.

وفي وسط هذه المعركة التي غطتها صيحات رجال الكورس، ظهر ثيسيوس وسأل عن السبب في هذا الضجيج الذي شوّش عليه ما كان يقوم به من تقديم القرابين إلى الآلهة. وما كاد يعلم بما حدث، أثناء غيابه، حتى أصدر أوامره، فثار الشعب المجتمع آنذاك بالقرب من مذبح فوسيدون، بأن يركب الخيول وأن يهرع لسد الطريق أمام الخاطفين للفتاتين. وخلا بكريون، وانهال عليه باللوم بعبارات تكشف عن البطل الذي عاقب الكثير من المجرمين، وعن المشرّع الحكيم الذي يحكم بحكمة ووفقاً للقوانين. إنه يهدد كريون قائلاً: «إنك لن تخرج من هذه البلاد قبل أن أشاهد بعيني الفتاتين اللتين خطفتهما، وقد عادتا سالمتين إلى ههنا».

---

(١) باتان: الكتاب المذكور، ص٢٢٧.

وعادت الفتاتان: أنتيجونا وإسمينا سليمتين إلى أبيهما أوديب. وهنا يحدث الفصل الأخير، وهو المواجهة بين أوديب وابنه فولونيقوس الذي جاء ليستميل أباه إلى جانبه في نزاعه مع أخيه الأكبر أتيوكل. وكان قد تم الاتفاق بينهما على ولاية الحكم بعد أبيهما مناوبة. وتولى اتيوكل ـ بوصفه الأكبر سناً، الحكم لفترة عام؛ وكان عليه أن يترك الحكم لأخيه الأصغر بعد نهاية فترة ولايته؛ لكن اتيوكل رفض أن يترك الحكم لأخيه كما يقضي الاتفاق المبرم بينهما. هنالك استعان فولونيقوس بأبي زوجته، حاكم أرجوس، لشن حملة على أخيه في ثيبا. وقد تنبأ الوحي لفولونيقوس بأن الانتصار سيكون للجانب الذي يؤيده أوديب. ولهذا جاء إليه فولونيقوس ليستميله إلى جانبه. لكن أوديب انهال على فولونيقوس باللوم لأنه جرّد حملة ضد وطنه ثيبا.

ثم تأتي النهاية، بأن يطلب أوديب من ثيسيوس أن يتبعه إلى حيث يقتاده هو وحده ليرى كيف سيموت، وليفضي إليه هو وحده بالسرّ الذي يتوقف عليه نجاة أثينا من المصائب، نتيجةً لاحتفاظها بجثة أوديب مدفونة في أرضها. ويتم هذا بين الرجلين وحدهما؛ ويموت أوديب ويدفن في المكان الذي أشار إليه. ويأتي رسول ليخبرنا بكيفية موت أوديب. وقد قارن النقاد بين أوديب في «كولون» لسوفقليس، وبين «العاصفة» لشيكسبير. فكلتاهما أنتجها صاحبها في أخريات حياته. وفي كلتيهما يسود العنصر الشخصي بحيث تبدو المسرحية وكأنها اعترافات شخصية تتعلق بحياة المؤلف، كما هو واضح تماماً من نشيد شيوخ كولون وهم يأسون على الشيخوخة. فمثله مثل سوفقليس يقف أوديب على الوصيد الذي يؤدي من حكم إلى آخر، وكذلك يفعل شيكسبير حينما يأسى الساحر في مسرحية «العاصفة» على الانتقال من مملكة بني الإنسان إلى مملكة الأرواح. «بيد أن الفارق كبير بين الصوت الإلهي الذي يستدعي أوديب، وبين أصوات الأرواح التي يحشدها الساحر من حوله: إن الساحر عند شيكسبير يستعبد هذه الأصوات، ويقرعها، ويطردها. أما الصوت الإلٰهي الذي يخاطب أوديب فإنه يحمل مطلباً نهائياً. الساحر يأسر سحره ويرتدعه، ويغادر هذا العالم. أما عجوز سوفقليس فيعود إلى القُوَى الوطنية، وستجتذبه الأرواح الحامية للوطن»[١].

---

(١) كارل رينهرت: «سوفقليس»، ترجمة فرنسية، ص٢٥١، باريس ١٩٧١.

وفي «أوديب في كولون» يعود سوفقليس إلى جوهره الأصيل وهو أنه شاعر وكاهن معاً. لكن منحنى حياته لا يمثل خطّاً مستقيماً، بل هو بالأحرى يمثل منحنى لولبياً «لكن هذا العود على البدء طبيعيٌّ جداً إلى درجة أنه لا ينطوي على أي عنصر رومنتيكي، أو فنّي، بحيث أنه لا يمكن أن يقاس بكلمة من النوع الأدبي، بل ولا أن يردّ إلى تحوُّل... إن «أوديب في كولون» شاهد فريد وحيد على أن سوفقليس قد بلغ، في نهاية عمره، القُرْب من المنطقة «الأرضية الأوليّة» (الكتاب نفسه، ص٢٥٢).

لكننا نرى شبهاً أقوى من هذه المشابهة بين «أوديب في كولون» لسوفقليس وبين «العاصفة» لشيكسبير: وهذا الشبه الأقوى هو بين سوفقليس في مسرحية: «أوديب ملكاً» و«أوديب في كولون» وبين جيته في مسرحيته: «فاوست»[1] الأول، و«فاوست» الثاني. ففي هذه الحالة نحن بإزاء شخص واحد في كلتا المسرحيتين. وهو في الأولىٰ من كلتيهما شاب في كمال الشباب، وفي الثانية شيخ هرم عصفت به عواصف الحياة وتجاربها الأليمة فصار يشعر بالمرارة والاستهزاء بالحياة ويزدري الناس لما طبعوا عليه من رياء وشراسة ونفاق وحسد.

وكلا الشاعرين قد ألّفَ كلتا مسرحيتيه في سن متقاربة فيما بينهما: «فاوست» الأول و«أوديب ملكاً» في حدود سن الستين، و«فاوست» الثاني وجيته في الثانية والثمانين من عمره، و«أوديب في كولون» حين كان سوفقليس في سن التاسعة والثمانين. وخاتمة كلتا هاتين المسرحيتين تنتهي بالجذبة في عالم لا معقول: فأوديب «لم يمت مصحوباً بالنواح ولا وسط آلام المرض، بل بمعجزة تامة، لو أمكن أن يحدث هذا لإنسان»، ـ وفاوست ينتهي في جذبة جذبته فيها «الأنوثة الخالدة».

عبد الرحمن بدوي

باريس في ٢٦ ديسمبر ١٩٩٤

---

(١) راجع ترجمتنا مع دراسة مسهبة لمسرحية «فاوست» بجزئيها في مجموعة «مسرحيات عالمية»، الكويت، سنة ١٩٨٨.

«أوديب في كولون»

شخصيات المسرحية

أوديب: ابن لايوس ويوكاسته، وملك سابق على ثيبا

ثيسيوس: ابن أجيرس ملك أثينا

أنتيجونا: بنت أوديب ويوكاسته

كريون: أخو يوكاسته وملك ثيبا في المستقبل

الغريب

فولونيقوس: ابن أوديب ويوكاسته

كورس من الأتيكيين الشيوخ.

رسول.

إسمينا: أخت أنتيجونا.

[عند مدخل غابة صغيرةٍ أمامه يمرّ طريق. من هذا الطريق يصل أوديب، وهو أعمى وتقوده أنتيجونا. وعلى مسافة يشاهد تمثال رب الحنان، البطل كولون].

أوديب: يا ابنة الأعمى العجوز يا أنتيجونا، أين نحن هنا؟ إلى أي شعب تنتسب هذه البلاد؟ ومن ذا الذي يهب أوديب المتشرّد صدقة بسيطة؟ إني أطلب القليل، وأحصل على أقل من ذلك ـ ولكنه مع ذلك يكفيني: إن مِحني والسنين الطويلة التي عِشْتها علمتني ألا أكوّن طمّاعاً. وحريتي تتولى الباقي. هيا، يا ابنتي! إن شاهدتِ مكاناً أستطيع أن أجلس فيه: إمّا في أرض عادية، وإما في حَرَم إله، فقفي بي وأقيميني فيه. وبعد ذلك نستعلم عن الموضع[1] الذي نوجد فيه. نحن هنا أجانب، ونستشير أهل البلاد لنعمل ما سيقولونه لنا.

أنتيجونا: أيْ أبي المسكين أوديب! إني أبصر متاريس حول رابية، لكنها ـ بحسب ما تراه عيناي ـ لا تزال على مبعدة من هنا. نحن هنا في مكان مقدّس. لا مجال للخطأ في هذا: إنه حافل بأشجار الغار، وأشجار الزيتون، والكروم وتحت هذه الأوراق يوجد عالم من البلابل يصدر عنه العديد من الأغاني. فاسترح ههنا على هذا الحجر الممسوح. إنك قمت برحلة طويلة بالنسبة إلى شيخ عجوز.

أوديب: أجلسيني إذن عليه، ثم اسهري على هذا الأعمى.

---

(١) أوديب يسأل عن الموضع الذي وصل إليه تقوده ابنته أنتيجونا، لأنه يعلم أن مصيره سيتقرر في موضع معين (البيت رقم ٤٦).

أنتيجونا: إني أفعل ذلك منذوقت طويل بحيث لا أحتاج إلى من ينبهني إلى ذلك.

أوديب: والآن، هل تستطيعين أن تذكري لي اسم الموضع الذي نحن فيه؟

أنتيجونا: أنا أعلم على الأقل اسم: أثينا، لكنني أجهل اسم هذا الموضع.

أوديب: هذا هو ما قاله لنا كل المارّة.

أنتيجونا: هل ينبغي عليّ الآن أن أذهب لأسأل عن اسم هذا الموضع؟

أوديب: نعم، يا ابنتي، إن كان هذا المكان آهِلاً بالسُّكّان.

أنتيجونا: نعم، هو مسكون. وليس عليّ أن أتحرك: فها هو ذا رَجُل بالقرب منا.

أوديب: هل هو سائر ومتوجّه نحو هذا المكان؟

(بخطوات سريعة، يقترب رجل من كولون).

أنتيجونا: إنه صار أمامنا. قُلْ له ما تراه مناسباً أن تقوله: ها هو ذا أمامنا.

أوديب: أيها الأجنبي! هذه البنت ترى لي ولها في وقت واحد. يا لها من فرصة سعيدة أن تكون قد وصلت ـ إلى هنا، لتوضّح لنا ما نجهله ـ.

الغريب: قبل أن تسأل المزيد، ابدأ بترك هذا المقعد إن هذا المكان محرّم على كل خطوة إنسانية.

أوديب: ما هو إذن؟ والشعائر الخاصّة به بأيّ إله ترتبط؟

الغريب: لا أحد يستطيع أن يطأه بقدمه ولا أن يقيم به. إنه مِلْك لآلهات الرُّعب؛ بنات الأرض والظلّ[1].

أوديب: خبّرني: بأيّ اسم جليل ينبغي عليّ أن أدعوها؟

الغريب: اسم: اليومنيدات: اللواتي ترين كل شيء ـ هكذا سيقول لك أهل هذه البلاد. لكن الأسماء تختلف باختلاف المناطق.

---

(١) أي: اليومنيدات Eumenides (= المُحْسِنات) اسم يطلق على الأرنيس Erinys وهي القوى الإلاهية التي تعاقب على حنث اليمين، وقتل الأبوين. وإيذاء الأقارب، والإساءة إلى الضيوف، وهي مكلّفة بحفظ النظام في العالم.

أوديب (بحماسة): ألا ليتها إذن تُحسن استقبال المستجير بها. ولن أبرح هذا الموضع الذي أنا جالس فيه.

الغريب: ماذا تقول؟

أوديب: الكلمة التي تحدّد مصيري.

الغريب: تأكّدْ أنني لن أطردك من هنا إلا بعد استشارة أهل المدينة. سأعرض عليهم الوقائع وسأقول لهم: «ماذا ينبغي عليَّ أن أفعل؟».

أوديب: باسم الآلهة، أيها الغريب[1] العزيز، لا تمتنع من أن تجيب على ما يسألك عنه هذا الشارد المسكين.

الغريب: اشرح ما تريد، ولن أرفض الإجابة عما تسأل.

أوديب: ما اسم المكان الذي نزلنا فيه؟

الغريب: استمع إليَّ إذن، وستعرف كل ما أعرفه. هذا المكان كله مقدّس. وربّ هذا المكان هو فوسيدون الجليل. لكن الإله الذي يقيم فيه هو الإله حامل الشُعْلة: الطيطان برومثيوس. والأرض التي تطؤها هي ما يسمى باسم: «عتبة البرونز» لهذه البلاد، إنها «جادّة أثينا». والحقول المجاورة تفخر بأن خالقها هو الفارس الذي تشاهده هناك: كولون، والكل ههنا يحملون الاسم الذي استمدوه منه تلك أمور لم يكن من حظّها أن تسجلها القصص، وإنما يتعلمها المرء بزيارة هذه الأماكن.

أوديب: إذن يوجد ناسٌ يسكنون ههنا؟

الغريب: نعم، مدينون باسمهم لهذا الإله.

أوديب: هل لهم رئيس؟ وهل للشعب الحق في أن يتكلم؟

الغريب: إنهم يقرُّون لملك المدينة بأنه رئيسهم.

أوديب: ومَنْ هو هذا المَلِك الذي يجمع بين الكلام والقوّة؟

الغريب: إنه يسمى: ثيسيوس؛ وكان أبوه هو أيجيوس العجوز.

---

(١) إنه ليس «غريباً»، لأنه من سكان كولون؛ كما أنه ليس عابر طريق. بل هو رجل خرج من بيته وتوجه إلى المكان الذي كان يوجد فيه أوديب وابنته.

أوديب: هل يتفضل واحد منكم ويذهب إليه في شأني.

الغريب: لماذا؟ للتكلم معه، أو لدعوته إلى المجيء؟

أوديب: من أجل إحسان صغير يهيّىء له منفعة عظيمة.

الغريب: أية مساعدة عساه أن يتوقعها مِنْ أعمى؟

أوديب: لن أقول له إلاّ أموراً فائقة البصيرة.

الغريب: أتعلم أيها الأجنبي، ما ينبغي فعله لصونك عن الغلط؟ أنت نبيل، كما يبدو؛ والحظ فقط هو الذي يعاكسك. إذن، ابق هنا حيث شاهدتك في البداية، وسأذهب أنا إلى مواطنيّ ـ مواطنيّ هنا، لا أولئك الذين هم في المدينة. وهم الذين يقررون هل تبقى هنا، أو تعود أدراجك.

(يذهب).

أوديب: خبّريني يا ابنتي: هل رحل الرجل؟

أنتيجونا: نعم، رحل، وتستطيع أن تقول كل شيء دون خوف، يا أبي: إني وحدي إلى جانبك.

أوديب: إيه، أيتها الآلهات القوية الرهيبة! ما دمت أنت أولى من جلست عندها في هذه البلاد، فلا تكوني غير عابئة بصوت فوبوس، ولا بصوتي أنا. لأن فوبوس في اليوم الذي تنبأ لي بكل هذه البلايا التي لا يجهلها أحد ـ هو الذي أخبرني بالهدنة التي سأحصل عليها في نهاية فترة طويلة، وذلك حين أصِل إلى بلد أخير، فإنني سأجد ملجَأ ومقاماً مضيافاً عند الآلهات المخيفات. سأصِل هناك إلى تحوّل في حياتي البائسة، وحين أجثم فيه سأكون مُحْسِناً لمن يحسنون استقبالي، وكارثة على مَنْ ألقوا بي على قارعة الطريق وطردوني. وأعلمني في الوقت العلامات التي سأراها تظهر: زلزلة الأرض الصاعقة وبرق زيوس. أنا لا أتردد إذن: من المستحيل ألا تكون أنتِ، يا مَنْ قادتني التباشير إليه إلى هذه الخميلة المقدسة؛ وإلا لم تكوني أول مَنْ وجدته ههنا على طريقي، أنا الممتنع عن شرب الخمرة وأنت يا من لا تريدينه، وإلا لما كنت جلست على هذا الحجر الرهيب الذي لم يقطعه أحد. فعليك إذن، أيتها الآلهات، أن تخففي لي النبوات التي تنبأ لي بها أبولون، وأن تضعي حدّاً لحياتي وخاتمه ـ اللهم إلا إذا كنت ترين أن حسابي لم يأت أوانه، ومع ذلك فأنا قد عانيت أقسى الآلام الإنسانية. هيا إذن يا

أبناء الظل الأُولى. وهيّا يا مَنْ تستمدين اسمك من بلاّس Pallas العظيمة، أنت يا أثينا، المشرّفة بين الجميع، ارحمي الشبح البائس لمن يسمّونه: أوديب، ومن المؤكد أنه لم يَعُد ذلك الرجل الذي عرفه الناس في الماضي.

أنتيجونا: صَهْ فهؤلاء شيوخ جاءوا ليروا أين أقمت.

أوديب: سأسكت. أما أنت فاقتادي خُطَاي، سرّاً خارج الطريق إلى داخل الغابة. وأريد أن أعرف أولاً بأية لهجة سيتكلمون. إن الفطنة في العمل تتوقف على المعلومات.

(يدخل الغابة بصحبة أنتيجونا. يدخل الكورس. إنه مؤلف من شيوخ من كولون، يدخلون في الأوركسترا على شكل جماعات صغيرة، وهم يتساءلون بعضهم مع بعض).

الكورس: انتبهوا! مَنْ هذا؟ أين يقيم؟ إلى أين لجأ، أوقح بني الإنسان هذا؟ انظروا! لا بد من رجمه؛ اذهب، واستطلع من كل النواحي.

هذا العجوز ما هو إلاّ متشرّد، ولا شيء غير ذلك. إنه ليس من هذه البلاد؛ وإلا لما كان قد دخل أبداً في الغابة المحرّمة، غابة العذارى اللواتي لا يُقْهَرْن، ونحن نرتجف من النطق باسمهنّ، وبالقرب منهن نحن نمرّ دون أن ننظر، ودون صوت، ودون كلمة، غير مستخدمين إلاّ لغة التأمُّل وقد قالوا لي إنه يوجد اليوم هنا رجل لا يوقّر شيئاً. وعيوني تبحث عنه عبثاً، في كل هذا المكان المقدّس. إني لا أستطيع أن أتبيّن أين هو.

(أوديب يخرج من الغابة).

أوديب: ها أنا ذا. بالنسبة إليَّ السمع هو الإبصار، كما يقولون.

رئيس الكورس: أوه! يا له من منظر مخيف! ويا له من صوت مروّع!

أوديب: لا، أرجوك، لا تنظر إليَّ. أنا إنسان خارج القانون.

رئيس الكورس: أي زيوس الحافظ! مَنْ هذا العجوز!

أوديب: إنه عجوز لا ينبغي أن يُعدَّ في الصفّ الأول من السُّعَداء، صَدِّقوني يا زعماء هذه البلاد. وفي منظري ما ينبؤكم بما فيه الكفاية. إني لا أسير هكذا

بعيون شخص آخر، ولا أستند هكذا وأنا الكبير على صغير كهذا.

الكورس: أوه! هاتان العينان العمياوان! هل أنت كذلك منذ ميلادك؟ إن حياتك كانت طويلة، وكانت قاسية، هذا يستشف بغير عناء. لكن لو كان الأمر يتوقف عليَّ، فإن حياتك لن تضاف إليها لعنة أخرى.

أنت تذهب إلى بعيد، بعيد جداً. لكن لا يجوز، وأنت تقوم على عُشْب الغابة الخرساء، أن تَصِل إلى الفوهة المملوءة بالماء والتي تسهم بنصيبها في مزيج الرشّات العسلية[1].

آه! حذار من هذا أيها الأجنبي المسكين! تحوّل عن مكانك واخرج من هنا. لا شك أن بيننا وبينك مسافة كبيرة جداً: أتفهم ما أقول، أيها الشارد البائس؟ وإذا كان عندك كلام تريد أن تقوله لي، فغادر هذه الأماكن المحرّمة، وحينما تصبح في مكان يحق لكل إنسان فيه أن يتكلم، تكلم حينذاك. وقبل هذا، خُذْ حذرك.

أوديب: يا ابنتي، ماذا ينبغي عليَّ أن أُقرِّر؟

أنتيجونا: يا أبي! علينا أن نتبع أعراف أهل هذه البلاد، وأن نُسَلِّم لهم حين يجب وأن نطيعهم.

أوديب: اذن خذي يدي.

أنتيجونا: أنا أمسك بها.

أوديب: وأنتم أيها الأجانب لا تسيئوا إليَّ، لأنني صدقتكم وغادرت مكاني.

قائد الكورس: لا، لا تَخْشَى شيئاً، إذا توقفت هنا، أيها العجوز، فإن أحداً لن يزيحك على الرغم منك.

أوديب: هل أتقدم أكثر؟

الكورس: نعم، تقدّم أكثر.

أوديب: أكثر؟

الكورس: اجعليه يتقدم، يا فتاة، فأنت تستطيعين أن تقدّري.

---

(١) هي الرشات المخصصة لليومنيدات، فإنها لا يقدّم إليها الخمر.

أنتيجونا: تعال معي يا أبي، تقدم هكذا.

أوديب: آه! آه!

أنتيجونا: بخطوة الأعمى، إلى حيث أقودك..........[1].

أوديب: ....

الكورس: سَلِّم أمرك، أيها المسكين أيها الأجنبي في بلاد أجنبية. وعليك أن تكره كل ما تكرهه هذه البلاد بحسب أعرافها وأن تحترم كلَّ ما هو عزيز لديها.

أوديب: قوديني، يا ابنتي، إلى حيث أستطيع أن أتكلم، وأن أسمع، دون أن أنتهك التقوى، ولا نحاربنّ الضرورة.

قائد الكورس: توقف! ولا تتجاوز الدرجة التي تحددها الصخرة التي هي أمامك.

أوديب: هكذا؟

الكورس: ليس أبعد من هذا ـ أقول لك.

أوديب: هل أستطيع أن أجلس؟

الكورس: نعم، لكن بمَيْل، على نهاية الصخرة، مع انخفاضك بقدر ما ينبغي.

أنتيجونا: هذا أمرٌ يخصّني، يا أبي، بهدوء!

أوديب: آه! آه!

أنتيجونا: نَظِّم خطواتك على وفق خطواتي. واسند هذا الجسم العجوز إلى هذه الذراع الصديقة.

أوديب: آه! يا له من مصير قاسٍ!

الكورس: أيها المسكين! ما دامت هذه لحظة استراحة، فتكلم الآن. مَنْ أنت؟ من هذا السيء الحظ الذي جيء به إلى هنا؟ هل أستطيع أن أعرف مِنْ أي بلد أنت؟

---

(١) في النص اليوناني نقص بمقدار ثلاثة أبيات.

أوديب: أنا بدون وطن، أيها الأجانب! ليس لكم. . .

الكورس: ماذا تزعم أن تمنعنا منه، أيها العجوز؟

أوديب: ليس لكم، ليس لكم أن تسألوا مَنْ أنا. لا تفتشوا، ولا تسألوا أكثر من هذا.

الكورس: ما هذا؟

أوديب: مخيف هو مولدي.

الكورس: تكلم.

أوديب: يا ابنتي، ماذا ينبغي لي أن أقول؟

الكورس: أيها الأجنبي، من دم أيّ والد انحدرت؟

أوديب: يا ويلتاه! ماذا سأصير، يا ابنتي؟

أنتيجونا: تكلّم، ما دُمْت مُلْزماً.

أوديب: إذن سأتكلم. لم يَعُدْ لي ملجأ.

الكورس: أنت تبحث عن مُهْلة، هيّا أَسْرِع!

أوديب: هل تعرفون ابناً للايوس؟

الكورس: آه! آه!

أوديب: وتعرفون سُلالة اللبداكيين؟

الكورس: إيه يا زيوس!

أوديب: وأوديب البائس؟

الكورس: إنه أنت إذن!

أوديب: لا تَخْشوا شيئاً مما سأقوله.

الكورس: آه! آه!

أوديب: يا لي مِنْ بائس!

الكورس: آه! آه!

أوديب: ماذا سيحدث في التو، يا ابنتي؟

الكورس: ارحَلْ، اخرج من هذا البَلَد.

أوديب: ووعدك، متى إذن ستفي به؟

الكورس: إن المصير لا يعاقب إنساناً عاقب من استفز المصير. إن الخداع الذي يتلقى الجواب بخداعات أخرى لا يمكن أن يصيب من ارتكبه إلاّ بمتاعب، بدلاً من النجاح. قُمْ وارحل، واتخذ سبيلك واخرج بأسرع ما يمكنه عن أرضي. لا أريد أن تضيف متاعب إلى مدينتي.

(أنتيجونا تلقى بنفسها بين الكورس وأوديب).

أنتيجونا: أيها الأجانب ذوو القلوب الشفيقة! أنتم لم تريدوا سماع أبي العجوز، لأنكم على علم بالضجة التي أثيرت حول ما نسب إليه من أعمال سيئة هي في الحقيقة قد حدثت بغير إرادته.

أيها الأجانب! أتوسَّل إليكم أن تشفقوا عليّ، أنا البائسة؛ حين أتوسّل إليكم من أجل هذا الوالد، هذا المهجور. إن عينيّ أنا ليستا عيني إنسان أعمى، وبهذين العينين في أعينكم أتشفع من أجله كما لو كنتُ من دمِكم؛ ولينَلْ هذا التعيس الحظ رحمتكم! نحن بائسان، وها نحن بين أيديكم كما لو كُنّا بين أيدي إلٰه. هيا، لا ترددوا، امنحونا هذا اللطف الذي نحن يائسان منه.

إني أتوسّل إليكم باسم من هو أقرب وأعزّ لديكم: ابن، زوجه، كنز، أو إله. أنتم ترون بأنفسكم أنه لا يوجد فانٍ يستطيع أن يفلت مما هو مقدّر عليه، حينما يكون إله هو الذي يسوقه إليه.

(الكورس يتراجع. صَمْت).

قائد الكورس: اعلمي، يا ابنة أوديب، أن عطفنا واحد عليك وعليه، حينما نشاهد مصيركما. لكننا نخشى الآلهة، ولا نملك أن نقول لك أكثر مما قلناه.

أوديب: فيمَ يفيد إذن المجدُ والسُّمْعة الطيِّبَة؟ لقد كان وضاعة! لقد قالوا لنا إن أثينا بلدة تقيّة، وأنها وحدها القادرة على إنقاذ الضيف الذي هو في خطر، وأنها هي وحدها القادرة على حمايته[1]. وفيما يتعلق بي أنا، أين ذهب هذا كلّه؟ ألَم تحملوني على التخلّي عن مقعدي، من أجل أن تطردوني بعد ذلك بسبب اسمي؟

(١) كانت مدينة أثينا مشهورة بكرم الضيافة.

إن اسمي وحده يثير فيكم الفزع، وليس شخصي أو أفعالي. أما أفعالي فأنا الذي عانيتها ولست أنا الذي فعلتها إن سُمِح لي بأن أذكر أفعال أبي وأمّي. وها أنتم بسبب هذه الأفعال نفسها تنبذونني فزعين بعيداً عنكم ـ أنا أعلم هذا جيداً. هل أنا إذن قد وُلِدت مجرماً؟ إنني فقط رددت على الشر الذي أصابوني به. وحتى لو كنت فعلت هذا عن وعي كامل، فإنني لا أُعَدُّ مجرماً لهذا السبب. والحقيقة هي إنني قد صرتُ إلى ما صرتُ إليه دون علم مني؛ أما هم فقد كانوا يَعْلمون أولئك الذين تألمت بسببهم وأرادوا مَوْتِي! لهذا فإني أرجوكم، أيها الأجانب، باسم الآلهة ـ ما دمتم قد أرغمتموني على ترك مكاني، أن تنقذوني الآن؛ ثم إنكم ما دمتم توقّرون الآلهة كل هذا التوقير، فلا يحق لكم أن تهملوهم. واعلموا أن نظرة الآلهة تشمل الفاسقين كما تشمل الأتقياء، وبحسب عِلْمي فإنه لم يفلت منهم فاسق أبداً، فاستوحوهم هنا إذن. ولا تحجبوا روعة أثينا بارتكاب مثل هذا الفسوق. لقد قبلتم أن أكون مستجيراً، وأعطيتموني وعداً، فدافعوا عني وأجيروني، ولا تطردوني لمجرد أنني لا أقدّم إليكم سوى وَجْهٍ مخيف المنظر. لقد وصلتُ إلى هنا إنساناً مكرّماً تقيّاً وأتيت بنعمةٍ إلى كل هؤلاء المواطنين. وحينما يحضر هنا رئيس مؤهّل ـ وهو ملككم ـ فستعلمون كل شيء حينما يستمع إليّ. وحتى ذلك الحين لا تنظروا إليّ على أنني مجرم.

رئيس الكورس: أيها العجوز، أمام هذه الحُجَج أنا مضطر إلى التسليم؛ وللنطق بها أفلحتَ في التعبير عنها بكلمات مؤثرة. ورؤساء هذه البلاد سيحكمون. وحَسْبي هذا.

أوديب: ولكن أين سيّد هذه البلاد؟ خبّروني، أيها الأجانب.

رئيس الكورس: إنه يقيم ـ مثل آبائه ـ في عاصمة هذه البلاد. والرجل[1] الذي كان أول مَنْ رآك هنا وأرسلني هنا قد ذهب للبحث عنه.

أوديب: وهل تعتقد أن رجلاً أعمى يمكن أن يهمّه أو أن يشغل باله بحيث يقرر المجيء بنفسه إليه؟

رئيس الكورس: لا تشكّنّ في هذا، متى ما عرف اسمه.

---

(١) وهو الرجل الذي من كولون، وقد ظهر في أول المسرحية.

أوديب: ومَنْ الذي أخبره بخبري؟

رئيس الكورس: الطريق طويل[1]؛ لكن أقوال الرحّالة كثيراً ما تذهب بعيداً. وحين يسمع بها، فإنه سيأتي. لا تَخْشَ شيئاً. إن اسمك قد انتشر ذكره بعيداً في كل البلاد، لدرجة أنه حتى لو كان بسبيل أن يستريح، فإنه سيأتي سريعاً.

أوديب: ليأتِ إذن، فهذا من مصلحة مدينته، ومن مصلحتي أنا أيضاً، إذ لا يوجد مُحْسِن لا يفكر ولو قليلا في نفسه هو أيضاً.

أنتيجونا: أيْ زيوس! ماذا ينبغي عليَّ أن أقول؟ ماذا عليَّ أن أتصور، يا أبي؟

أوديب: ماذا هناك، يا ابنتي؟

أنتيجونا: إني أشاهد هناك امرأة تتّجه نحونا. إنها تركب فرساً من أفراس أتنا[2] Etna. وعلى رأسها قُبّعة تسالية تحمي وجهها من الشمس. ماذا أقول؟ هل هي؟... أو ليست هي! إن عقلي حائر. نعم؟ أوْ لا؟ لا أستطيع الكلام بعدُ. يا لشقائي! كلا، إنها ليست غيرها. إنها تداعبني بنظرة مسرورة وهي مقبلة نحوي، وتلوّح لي. هذا مؤكّد! إنها لا يمكن أن تكون إلاّ إياها، إنها إسمينا حبيبتي!

أوديب: ماذا تقولين، يا ابنتي؟

أنتيجونا: نعم، ابنتك وأختي. وفي وسعك الآن أن تتعرّف صوتها.

(تدخل إسمينا، يتبعها عبد عجوز).

إسمينا: أيها الاسم الحبيب المزدوج لـ«أبٍ» ولـ«أخت»! كم عانيت من مشقّة للعثور عليكما ـ، وأية مشقة في أن أراكما هنا، لأن الحزن يثير في نفسي الاضطراب!

أوديب: ابنتي، هل أنتِ هنا؟

إسمينا: أيها الوالد التعيس الحظ!

---

(١) المسافة حتى مدخل أثينا هي كيلومتران اثنان.

(٢) أي أفراس صقلية، وكانت مشهورة آنذاك.

أوديب: ها أنتِ ذي يا ابنتي!

إسمينا: نعم، وبعد معاناة الكثير من المصاعب.

أوذيب: المسيني يا ابنتي!

إسمينا: إني ألمسكما كليكما معاً.

أوديب: آه يا ابنتاه! آه، أيتها الأختان المسكينتان!

إسمينا: يا لبؤس هذه الحياة!

أوديب: هل تفكّرين فيها وفيّ أنا؟

إسمينا: وأنا أيضاً بنفس المقدار.

أوديب: وماذا دعاك إلى المجيء يا ابنتي؟

إسمينا: القلق عليك يا أبي.

أوديب: أهي الرغبة في رؤيتي؟

إسمينا: نعم، وأيضاً الرغبة في أن أوافيك بالأخبار، وبصحبتي خادم هو وحده الذي أثق به.

أوديب: والأولاد، إخوتك، أين هم يشتغلون؟

إسمينا: إنهم حيث هم، لكن حالتهم مروّعة.

أوديب: إنهم مهيّأون جيّداً للعادات والأعراف في مصر، ومزوّدون بغرائز لمثل هذه العيشة. إن الرجل هناك يبقى في بيته، وينسج القماش، بينما المرأة تبقى دائماً في الخارج تبحث له عن الطعام. وكذلك الأمر بالنسبة إليكم، يا أولادي. فبينما أولئك الذين يخصهم هذا العمل يبقون في البيت، مثل البنات، فإنكن أنتن، بدلاً منهم، تتحملن بمشقةٍ كل شقاء أبيكن. وإحدى الأثنتين منذ أن تركت سن الطفولة وشعرت بأن أعضاء جسمها قد رسخت، فإنها لم تتوقف عن التشرد معي، وعن القيام بوظيفة مرشد يقود الشيخ العجوز؛ يا لها من فتاة مسكينة! في بعض الأحيان تهيم على وجهها، دون خبز وبقدمين عاريتين، تسير حيثما اتفق خلال الغابة الوحشية؛ وفي أحيان أخرى تمشي بصبر تحت الثلوج الهاطلة أو في لهيب الشمس المُحرقة، دون أن تفكر في الحياة الناعمة في المنزل، بشرط أن يحصل أبوها على ما يأكله. وأنت يا ابنتي، لقد جئت بغير علم من أهل ثيبا، لتحملي إليّ

كل وحي نزل خاصّاً بي؛ وجعلت من نفسك حارسة مخلصة، منذ أن نفيتُ من وطني واليوم إذن، أيّ نبأ جئتِ لتنبئي به أباك؟ في أية مهمة جئت هذه المرة؟ أنت لم تأتي لغير داع، أنا واثق من هذا، ودون قصد إخباري بشيء مُخَوف.

إسمينا: كل المتاعب التي عانيتُها ـ وأنا أبحث عن المكان الذي تعيش أنت فيه ـ أنا أضرب عنها صفحاً، ولن أتحدث عنها. إني لا أريد أن أتألم مرّتين: أتألم ثم أحكي عن آلامي. لقد جئت لأخبرك عن البلايا التي يعانيها ابناك المسكينان. في البداية تنازعا شرف ترك العرش لكريون، وأن يدعا النجاسة في ثيبا. لكن التفكير دعاهم إلى رؤية العار القديم الذي أصيبت به سلالتهم، وإلى أية درجة هو ثقيل الوطأة على بيتهم البائس. أما اليوم، فبسبب إله وفكرة إجرامية، دخل في قلب ابنيك البائسين كل البؤس نزاع شديد آثم: إنهما يريدان كلاهما أن يمسكا بالصولجان وبالسلطة الملكية! وإذا بالأصغر منهما، والذي يعطيه عمره حقوقاً أقل، ينتزع العرش من فولونيقوس الأكبر منه سنّاً ويطرده من وطنه. هنالك نجد الآخر ـ إن صدقنا الشائعة الأكثر انتشاراً لدينا ـ يذهب إلى سهل أرجوس، ويجد العون في محالفة جديدة وجنود من أقاربه، وخُيّل إليه أن أرجوس ستستولي بالقوّة فوراً على أبناء كادموس ـ اللهم إلاّ إذا حقّق لثيبا نصراً يبلغ عنان السماء. وليست هذه مجرد ألفاظ، يا أبي، بل هي أفعال تثير الفزع. لكن متى تقرر الآلهة أن تضع حدّاً لآلامك؟ هذا ما لا أستطيع أن أعرفه.

أوديب: هل عندك إذن أملٌ اليوم في أن تهتم بي الآلهة إلى درجة أن تريد نجاتي؟

إسمينا: نعم يا أبي، إني أصدّق الوحي الجديد؟

أوديب: وما هو هذا الوحي الجديد؟ وماذا يقول، يا ابنتي؟

إسمينا: يقول إنه سيأتي يوم سيبحث فيه الناس هناك عنك في كل مكان، حيّاً أو ميّتاً، من أجل نجاتهم هم.

أوديب: وأيّ مكسب يمكن أن يُتَوقَّع من رجل مثل هذا الذي ترينه أمامك هنا؟

إسمينا: إنهم يقولون إنه عليك أنت يتوقف كل نجاحهم.

أوديب: إذن حينما أصبحت لا شيء، فإنني قد صِرْتُ رجلاً حقاً!

إسمينا: إن الآلهة ترفع شأنك اليوم، بينما هي بالأمس قد أضاعتك.

أوديب: يا له من إحسان هزيل! رفع شأن عجوز كان قد أنزل قدره حينما كان شاباً!

إسمينا: واعلم أيضاً أنه من أجل هذا أيضاً سيأتي كريون، ليس بعد عدة سنوات، بل في الحال.

أوديب: لكن لأيّ غرض؟ اشرحي يا ابنتي.

إسمينا: إنهم يريدون أن يقيموك بالقرب من أرض كادموس، لكي يتصرفوا بك، لكن دون أن تضع أنت قدميك على أرضهم.

أوديب: وأية خدمة ينتظرونها من ميّت مدفون عند بابهم؟

إسمينا: لو حدثت مصيبة لقبرك، فإنهم هم الذين سيدفعون التكاليف.

أوديب: ليس المرء في حاجة إلى إله كيما يفهم هذا كله بنفسه.

إسمينا: وهذا هو السبب في أنهم يريدون أن يضعوك بالقرب من حدودهم. إنه لا ينبغي أن تبقى في مكان تستطيع فيه أن تتصرف في نفسك.

أوديب: هل سينثرون عليّ من تراب ثيبا؟

إسمينا: هذا أمر يحظره عليك جريمة قتل الأب، يا أبي.

أوديب: إذن لن يتصرفوا فيَّ أبداً.

إسمينا: في هذه الحالة سيكلّف هذا الثيباويين غالياً.

أوديب: لأيّ سبب مفاجىء يحدث هذا؟

إسمينا: بسبب غَضْبك، لو اصطدموا بقبرك.

أوديب: لكن ممن عرفت هذا الذي تقولينه؟

إسمينا: من رُسُلٍ عادوا من معبد دلف.

أوديب: وهل هذا هو ما قاله فوبوس (= أبولون) عني؟

إسمينا: هذا ما أكّده مَنْ عادوا إلى ثيبا.

أوديب: واستطاع أحد أبنائي أن يسمع ذلك أيضاً؟

إسمينا: نعم، كلاهما يعرف ذلك.

أوديب: ولما سمعاه هل جعلا السلطة الملكية تمرّ قبل أي أسف عليَّ؟

إسمينا: إني أتألم لسماع ذلك، لكني لا أملك إلاّ الاستسلام لذلك.

أوديب: إذن! ألا ليت الآلهة لا تطفىء نزاعهم القاتل، وتتركني أقرّر أنا مصير المعركة التي يخوضانها الواحد ضد الآخر، في هذه الساعة عينها، والخنجر في قبضة اليد. ويا ليت الآلهة تمنع من يملك الصولجان والعرش من أن يحتفظ بهما، ومَنْ خرج من المدينة لا يعود إليها، لأنه لا واحد منهما - في اللحظة التي طرد فيها أبوهما من بلده مسربلاً بالعار - لم يستطع أن يستبقيه أو أن يدافع عنه، بل شاهده كلاهما وهو يُطْرَد من بيته، ويرمى به على قارعة الطُّرُق، وقد أعلن أنه منفيٌّ. ربما ستقولين لي إن هذه كانت رغبتي أنا، وأن ثيبا لم تفعل غير أن منحتني مِنّةً عادية. كلا، كلا، افهميني جيداً. في نفس اليوم، حينما كانت نفسي تَغْلِي، وحينما كان المصير أهون، فقد كان ذلك موتاً، لقد كان هلاكاً بواسطة الرجم؛ ولم يتقدم أحد حينئذ لمساعدتي، أنا الذي لم تكن لي رغبة غير هذه. وفقط فيما بعد، حين نضج ألمي، وحين أدركت أن غضبتي المهتاجة قد عاقبت بقسوة أخطائي الماضية - في تلك اللحظة طردتني ثيبا، قهراً وقسراً، هذه المرة، من أرضها - بعد ذلك بوقت طويل! -، وأبناء أبيهم الذين كانوا يستطيعون مساعدة هذا الأب، رفضوا أن يعملوا، إلى درجة أنه منذ ذلك الحين، وبسبب عدم قول أية كلمة فإنه بسببهم لم أتوقف عن التشرّد في البلاد الأجنبية، منفيّاً، وشحّاذاً. وعلى العكس من ذلك فإني أدين لهاتين، وما هما إلا ابنتان، بالوسيلة للعيش - بالقدر الذي يسمح به جنسهما - وبالأمان على الطريق وبالمساعدة، بينما الاثنان الآخران قد فضّلا على أبيهما السلطة المرتبطة بالصولجان والعرش، السلطة المطلقة على المدينة. لكن اطمئني، إني لن أكون حليفاً لهما، ولن يحصلا على أيّ مكسب من هذه المَلَكية في ثيبا. هذا أمرٌ أنا أعلمه، حين أسمع الوحي الذي أتت به هذه البنت، وحين أفكّر - في داخل نفسي - في هذه النبوآت التي أنبأ بها فوبوس من أجلي. فليرسلا إذن إليّ من أجل إعادتي إما كريون وإما أي شخص قويّ من ثيبا: وإذا شئتم، أيها الأجانب أن تنضموا إلى هذه الآلهات المروّعة، سيدات هذه الأماكن، من أجل توفير الحماية لي، فإنكم ستكفلون لبلدكم مُنْقِذاً قويّاً، وفي الوقت نفسه، وقوع البلاء على أعدائكم.

رئيس الكورس: لا شك يا أوديب في أنك تستحق العطف عليك أنت

وبنتيك. لكن ما دمت في كلامك تهيب بلقب منقذ أثينا، فإني أريد أن أقدّم إليك نصيحة مفيدة.

أوديب: يا عزيزي أرشدني، وأنا مستعد إلى عمل كل شيء.

رئيس الكورس: قَدّم قرباناً إلى الآلهات اللواتي لاقيتهن أوّلاً، واللواتي وطئتَ أرضهن.

أوديب: وكيف؟ خبروني، أيها الأجانب!

رئيس الكورس: قدّم إليهن أوّلاً رشّات تقيّة مأخوذة من الماء الحيّ لينبوع ومستقاة بأيد طاهرة.

أوديب: وإذا ما استقيت هذا الرش الطاهر؟

رئيس الكورس: توجد هنا أباريق، هي من عمل صانع ماهر: فتوّج رأسها وأيديها من كل جانب.

أوديب: بالأغصان وبالصوف؟ ـ أو بماذا غير ذلك؟

رئيس الكورس: خُذْ خصلة شعر طازجة مجزوزة من نعجة صغيرة.

أوديب: حَسَن؛ وبعد هذا، بأي شيء أختتم؟

رئيس الكورس: أنثر رشاتك وأنت واقف في مواجهة المشرق.

أوديب: مستخدماً في ذلك الأواني التي ذكرتها؟

رئيس الكورس: نعم، ثلاث رشّات منْ كل إناء، مفرغاً الأخيرة دفعة واحدة.

أوديب: وبماذا أملأ هذه الآنية الأخيرة قبل أن أضعها في مكانها؟ خبّرني عن هذا أيضاً.

رئيس الكورس: بالعسل والماء. وحذار أن تضع خمراً.

أوديب: وحينما تتلقى الأرض ذات الأوراق السوداء هذه الرشّات؟

رئيس الكورس: ضَعْ عليها بكلتا اليدين تسعة أغصان زيتون ثلاث مرات، ثم انطق بهذا الدعاء.

أوديب: هذا هو ما أريد سماعه، لأن هذا هو الأهمّ.

رئيس الكورس: ما دمنا نسميهم: «المُحْسنات» ـ فليتقبّلن إذن بقلب محسن مُنَجٍّ هذا المتوسّلَ إليهن. اطلب هذا منهنّ، أنت أو شخص آخر من أجلك، وبصوت غير مسموع لا يذهب بعيداً. ثم انسحب، دون أن تدير رأسك. ومتى ما تم هذا، فإني أستطيع أن أساعدك، دون خوف. وإلاّ لشعرتُ بالخوف عليك، أيها الأجنبي.

أوديب: أنتما تسمعان، يا ابنتاي، ما يقوله الذين يضيفوننا هنا.

إسمينا: نحن سامعتان. مُرْنا بما يجب علينا أن نفعله.

أوديب: لست أنا الذي أقدر على السير. لقد نقصت قُوَاي وفقدت بصري ـ وهذا عَجْز مزدوج. لكن لتذهب إحداكما ولتؤدّ هذا العمل. إذا اقتصر الأمر على أداء هذا الواجب، فإني أعتقد أن شخصاً واحداً كفيل بأن ينوب عن آخرين، بشرط أن يتقدم بقلب سليم هنا، اعملوا بسرعة. خصوصاً لا تتركوني. فإن جسمي عاجز عن المسير وحده بدون قائد يقوده.

إسمينا: إذن سأذهب أنا، وسأعمل كل شيء. لكن أين المكان الذي ينبغي أن أذهب إليه؟ هذا هو ما أريد أن أعرفه.

رئيس الكورس: من ناحية هذه الغابة، أيتها الأجنبية. وإذا احتجت إلى شيء فإنه يوجد في ذلك المكان شخص يستطيع أن يَدُلّك.

إسمينا: سأذهب إذن. وأنت يا أنتيجونا، أعْنَي بأبينا. إذا كانت المشقّة هي من أجل أب، فإنها لا تعدّ «مشقّة».

(إسمينا تدخل في الغابة).

الكورس: أيها الأجنبي، لا شك أنه من الخطر إيقاظ شرّ مدفون منذ العديد من السنين ومع ذلك فإني أتحرّق إلى معرفته...

أوديب: ماذا تقصد بهذا الكلام؟

الكورس: ... الألم المروّع الذي لا علاج له، والذي أصابك.

أوديب: من مجرد كونك «ضيفاً»، لا تكشف شيئاً هنا؛ لقد كانت هذه أموراً مروّعة.

الكورس: هناك شائعة متعددة وعنيدة، أريد، أيها الأجنبي، أن أعرف نصيبها من الصحّة.

أوديب: آه! الرحمة!

الكورس: حقّق أمنيتي، أرجوك.

أوديب: واأسفاه! واأسفاه!

الكورس: اعمل على إرضائي: وأنا بدوري سأسعى لإرضائك.

أوديب: أيها الأجنبي! لقد عانيتُ أنا الجريمة ضد إرادتي، والآلهة شهود على هذا. في كل هذا لم يحدث شيء بإرادتي.

الكورس: بأيّ معنى تقول هذا؟

أوديب: إنها ثيبا نفسها، وبدون أن تعلم، هي التي بزواج إجرامي قد أوقعتني في شبكة زواج كان هو شقائي.

الكورس: هل أنت ـ كما سمعتُ قد رقدت في سرير أعطته أُمّك اسماً منحوساً؟

أوديب: آه! أيها الأجنبي! إن سماع هذا هو الموت. هاتان البنتان اللتان أنجبتهما...

الكورس: ماذا تقول؟

أوديب: هاتان البنتان، هاتان البائستان...

الكورس: يا زيوس!

أوديب: ... قد خرجتا مثلي من رِحِم أُمّي.

الكورس: هما إذن في نفس الوقت ابنتاك...

أوديب: وأختا أبيهما أيضاً.

الكورس: آه!

أوديب: آه! آلام لا حصر لها تعاود الهجوم!

الكورس: أنت عانيتَ...

أوديب: لقد عانيتُ مَحِناً لا يمكن أن تُنسَى.

الكورس: أنت ارتكبت. . .

أوديب: أنا لم ارتكب شيئاً.

الكورس: ماذا تقول؟

أوديب: أنا تلقيت من مدينتي - ويا لبؤسي! - مكافأة على خدماتي لم أرد أن أحصل عليها أبداً.

الكورس: أيها البائس، ماذا تقول؟ أنت لست إذن الفاعل. . .

أوديب: ماذا تقول؟ ماذا تريد أن تعرف؟

الكورس: . . . لقتل أبيك؟

أوديب: آه! أنت تضربني ضربة جديدة - جُرْح على جُرْح!

الكورس: أنت قَتَلْتَ.

أوديب: أنا قتلتُ؛ لكن هذا القتل، من ناحية أخرى. . .

الكورس: ماذا؟

أوديب: . . . له ما يبرّره.

الكورس: ماذا تقول لنا؟

أوديب: هذه هي الحكاية. أنا كنت في غير وعيي، حينما قتلتُ. فأنا الآن بريئ في نظر القانون، وفضلاً عن ذلك فإني لم أعلم أننيْ فعلت هذا.

رئيس الكورس: لكن، ها هو ذا أميرنا، ثيسيوس، ابن أجايوس وقد جاء بناء على ندائك، وها هو ذا ماثل أمامي.

(يأتي ثيسيوس، وبصحبته حَرَس).

ثيسيوس: كثير من الناس أخبروني كيف أنك فقأت عينيك، ولهذا أدركت في الحال أن الأمر يتعلق بك، يا ابن لايوس؛ والآن بعد أن سمعتُ كلَّ ما سمعت أثناء الطريق، فإنني ازددت تأكُّداً. إن أسمالك البالية، ورأسك المصاب بالأوجاع تبيّن مَنْ أنت. وأنا أريد، وأنا مملوء بالشفقة عليك، أن أعرف منك أنت ماهو التماسك الذي تريد أن تقدمه في أثينا إليّ أنا، مع صاحبتك المسكينة. خبِّرنا به

إذن. لا بد أن مطالبك هي من الغرابة بحيث لا أملك التهرب منها. وأنا لا أنسى أنني أنا الآخر قد نشأت في المنفى غريباً مثلك أنت، وأنني ـ أكثر من غيري ـ قد خاطرتُ بحياتي في كثير من المعارك على أرض أجنبية[١]. ولهذا فإنني لا أستطيع أن أرفض مساعدة أجنبي مثلك اليوم. إنني أعلم كل العلم أنني إنسان، وأنني لا أعلم ما سيأتي به الغد.

أوديب: يا ثيسيوس، إن كَرَمك يعطيني ـ بهذا القول الموجز ـ الوسيلة كي أوجزفي كلامي. مَنْ أنا، مَنْ كان أبي، من أيّ بلد أنا ـ أنت قلت هذا. لم يَبْقَ إذن ألا أن أُخبِرك بما أريده، وبعد هذا يكون كل شيء قد قيل.

ثيسيوس: هذا هو؛ خبّرني إذن، وسأعلم كل شيء.

أوديب: إني أهبك جسمي الهزيل. إنه بحسب مرآه ليس ثميناً. لكن المكسب الذي يحققه يساوي أكبر من أجمل الأجسام.

ثيسيوس: أي مكسب تزعم أنك تقدّمه لنا؟

أوديب: ستعرف هذا فيما بعد؛ لم يأت الوقت المناسب بعدُ.

ثيسيوس: ومتى سيتكشف لنا هذا المكسب؟

أوديب: حينما أموت وتقوم أنت بدفني.

ثيسيوس: إذن أُمْنِيتك لا تتعلق إلاّ بلحظاتك الأخيرة. أما اللحظات الأخرى، فماذا ستفعل بها؟ هل ستنساها؟ هل لا تعدّها شيئاً؟

أوديب: بالنسبة إليَّ، هذه اللحظة وحدها تلخّص سائر اللحظات.

ثيسيوس: لكن بهذا أنت تطلب مِنّة بسيطة جداً.

أوديب: خُذْ حِذْرَك، مع ذلك. إن الأمر ليس بالنضال السهل.

ثيسيوس: أنت تتحدث عن أبنائك أو عنّي أنا؟

---

(١) ثيسيوس، ابن أجايوس، نشأ في تريزين بعيداً عن بيت أبيه، وذلك عند پتيوس جده لأمه، ولما صار شاباً أخبرته أمه ايثرا Aethra باسم أبيه. وللحاق بأبيه أجايوس ذهب برّاً إلى أثينا؛ وكان الطريق غير آمن، فاضطر إلى مقاتلة قطاع الطريق. وثيسيوس هو أشهر أبطال أثينا في الأساطير اليونانية.

أوديب: كأني أراهم وهم يأمرون بنقلي إلى هناك.

ثيسيوس: لكن إذا كانت هذه رغبتك أنت؟ إن المنفى ليس مما يرفع شأنك.

أوديب: لكن حتى لو كانت هذه هي رغبتي، فإنهم رفضوا لي هذا الحق.

ثيسيوس: يا لك من أحمق مسكين!! إن الوجدان لا يمكن إلاّ أن يضر بمن هو في شقاء.

أوديب: انتظر حتى تَعْلَم، قبل أن تلومني، وقبل ذلك، امتنع من توجيه اللوم إليَّ.

ثيسيوس: تكلَّمْ. لا أريد أن أقول شيئاً قبل أن أكوِّن رأياً.

أوديب: لقد عانيتُ، يا ثيسيوس، مصيراً مروّعاً - كارثة فوق كارثة.

ثيسيوس: أتريد أن تتحدث عن المصيبة القديمة التي أصابت أسرتك!

أوديب: كلاّ؛ هذا أمرٌ يتكلم عنه كل اليونانيين.

ثيسيوس: هل عانيت مصائب فوق طاقة الإنسان؟

أوديب: قضيّتي ها هي ذي: لقد طردني أبنائي خارج وطني، ومن المستحيل عليَّ أن أعود إليه أبداً، بوصفي قاتلاً لأبيه.

ثيسيوس: ولماذا يبحثون عنك، إذا كانوا يريدون أن يجعلوك تقيم بعيداً عنهم.

أوديب: إنه صوت الآلهة[1] وهو الذي يرغمهم على هذا.

ثيسيوس: وبماذا يخيفهم الوحي؟

أوديب: ضربة محتومة تصيب هذا البلد.

ثيسيوس: وكيف تَفْسُد الأمور بيننا وبين ثيبا؟

أوديب: أيها الابن العزيز جداً لأجايوس! إن الآلهة هي وحدها التي لا تعرف الشيخوخة ولا الموت. ومن عداها يعاني الاضطرابات التي يفرضها الزمان ذو السيادة على كل شيء. أو لا نرى قوة الأرض تبيد كما يبيد الجسم؟ والأمانة تموت، والخيانة تنمو، وليست نفس الروح هي التي تسود بين الأصدقاء، ولا بين

(١) أي: الوحي.

المدن بعضها وبعض: اليوم مع هؤلاء، وغداً مع أولئك. تتحول العذوبة إلى مرارة ثم تعود لتصبح صداقة. والأمر هكذا بالنسبة إلى ثيبا: فاليوم، بالنسبة إليك، يسود السلام الصافي. لكن الزمان اللامتناهي يلد إلى غير نهاية الليالي والأيام، وفي مجراها ـ لسبب آخر ـ تشاهد الحرب تنتشرفي كل مكان وتمزّق الطمأنينة التي توحّد بينكم اليوم. وحينئذ فإن جثتي الباردة، الراقدة تحت الثرى، لا بد لها أن تشرب الدم الساخن، إذا كان زيوس هو دائماً زيوس، وإذا كان فوبوس (= أبولون) ابنه صادقاً دائماً. لكن من المؤلم إثارة موضوعات محظورة. فاسمح لي إذن بأن أقتصر على تلك التي بدأت بها. راعِ فقط وعدك الصادق، ولن تستطيع أبداً أن تقول إنك استقبلت في شخص أوديبَ ساكناً لا يفيد هذه الأماكن في شيء ـ اللهم إلاّ إذا كانت الآلهة تنوي أن تخدعني.

رئيس الكورس: أيها الأمير! منذ مدة وهذا الرجل يبدو مستعداً لتحقيق هذه الأماني وكثيرة أخرى غيرها لصالح مدينتنا.

ثيسيوس: من ذا الذي يستطيع أن يرفض الإرادة الطيّبة لرجل مثل هذا الرجل؟ أولاً، إنه يجد هنا بيتاً مفتوحاً لضيوفنا لا يستطيع أن يشاركنا فيه. ثم إنه قد جاء إلى هنا مستجيراً بالآلهة. وليست الخدمة التي يريد أن يؤديها إليّ وإلى مدينتي بالخدمة الهيّنة. وأمام هذه الحقائق، أنا أنحني. إنني لا أرفض النعمة التي يقترحها، بل أنا سأجعله يقيم في هذا البلد. فإن طاب له إذن أن يستقرّ هنا، فإنني سأكلفك أنت بالعناية به. أما إذا فضّل هذا الأجنبي أن يرحل معي، فإني أترك له الاختيار: فاختر يا أوديب ما تشاء من هذين الأمرين، وسأوافق على ما تختاره.

أوديب: يا زيوس! كن كريماً مع مثل هؤلاء الناس!

ثيسيوس: ماذا تريد؟ أتريد أن تأتي عندي؟

أوديب: لو كان هذا من حقي. لكن هذا المكان هو المكان. . .

ثيسيوس: الذي ستفعل فيه ماذا؟ ـ لن أضع عقبة في هذا.

أوديب: . . . الذي فيه سأنتصر على كل مَنْ طردوني.

ثيسيوس: ستكون هذه إذن هِبَةً نادرة حضورك في هذا البلد.

أوديب: إذا كنت من ناحيتك تلتزم بتحقيق وعودك.

ثيسيوس: إذا توقّف الأمر عليَّ أنا، فاطمئن، إنني لن أتخلّى عنك.

أوديب: وأنا لن أربطك بِقَسَم تقسمه، شأن غير الشرفاء.

ثيسيوس: ولن يقدّم إليك (هذا القَسَم) أكثر مما تقدّمه كلمتي.

أوديب: ماذا تقصد إذن أن تفعل؟

ثيسيوس: قُلْ لي بالدقة من أيّ شيء تخاف؟

أوديب: سيأتي ناس هنا عما قليل...

ثيسيوس: (مشيراً إلى الكورس): هؤلاء سيتولّون أمرهم.

أوديب: خُذْ حذرك، إذا أنت تخلّيت عني...

ثيسيوس: لا تعلّمني ما يجب عليَّ أن أفعله.

أوديب: من يَخَفْ لا بد له حتماً...

ثيسيوس: إن قلبي أنا لا يعرف الخوف.

أوديب: إنك لا تعلم أية تهديدات...

ثيسيوس: إني لا أعرف إلا شيئاً واحداً، هو أنه لن يستطيع إنسان في العالم أن يقتادك من هنا على الرغم منّي. تحت تأثير الغضب، كثيراً ما يتفوه التهديد بعبارات جوفاء. لكن متى ما استمرأت النفس سيطرتها فإن التهديدات تزول. لو كان هؤلاء الناس يحسبون أنهم من القوة بحيث يسعون لتخويفنا، بالكلام عن اقتيادك من هنا، فأنا أعلم أنهم قبل أن يأتوا إلى هنا سيكونون بإزاء بحرٍ هائل لا يمكن اجتيازه. وحتى بدون وعدي أنا، فليس لك أن تخاف - صَدّقني - إذا كان فوبوس (أبولون) هو الذي قادك إلى هنا. ومن ناحية أخرى، وحتى لو ابتعدت، فاعلم أن اسمي يكفي وحده كي يصونك عن العُنف.

(يذهب هو وحاشيته).

الكورس: في هذا البلد ذي الأفراس الخبيرة أنت وجدت، أيها الغريب، أجمل مُقام على سطح الأرض.

ها هنا كولون البيضاء، حيث البلبل البغوم يفضل الغناء في أعماق الأودية المخضّرة.

إنه يسكن في العُلّيق الكابي، الأيكة المقدسة للإله، تحميه الأوراق الكثيفة من الشمس ومن الريح.

ريحُ كلِّ عاصفة، وهنا يتردد ديونوسوس، وإلى هنا يأتي ليقدم العناية للآلهات اللواتي غَذّينه.

وهنا، تحت نَدَى السماء، باستمرار، في كل يوم يزدهر، على شكل عناقيد فاخرة.

النرجس، هذا التاج القديم على جبين الإلاهتين الكبيرتين[1]، والزعفران ذو الانعكاسات الذهبية؛ هذا إذا لم نتحدث عن السيل الذي لا ينام، ولا ينخفض أبداً.

السيل الشارد لكيفيس Céphise الذي يسرع كل يوم في المجيء بأمواجه الصاخبة، فيُخْصِب السهل.

سهول هذه الأرض ذات الجوانب الفسيحة التي لا تبدي لها جوقات الموساوات شيئاً من البغضاء، ولا أفروديت ذات اللُّجُم الذهبية.

ثمّ نبتة لم ينبت مثلها أبداً، لا على أرض آسيا، ولا على الجزيرة الدُورِية الكبيرة فلوفس Pelops، نبتة لا تُقْهَر، وتسترد نفسها[2] وحدها نبتة تخاف منها جيوش الأعداء، وتنمو في هذه المواضع خيراً من نموّها في أي مكان آخر.

شجرة الزيتون ذات الأوراق الفضيّة، المغذّية لأولادنا، الشجرة التي لا يستطيع أحد، شاباً كان أو عجوزاً، أن يقضي عليها أو أن يدمّرها.

إن الساهر العظيم لزيوس ذي أشجار الزيتون لا يغفل عنها، لا هو ولا ساحر آثنا ذات العيون الزرقاء.

لكن عندي نشيداً آخراً أريد أن أترنّم به، ومدينتنا الأمّ تقدّره أكثر من غيره. إنه هبة من إله عظيم، وهو أعزّ ما نفخر به: خيولنا، أمهارنا، بحرنا!

إنه أنت يا ابن خرونوس، أنت الذي رفعتنا إلى هذه الدرجة من الاعتزاز، أنت، يا مولانا فوسيدون.

---

(١) هما: ديميتر، وكوريه. وقد اختطف هادس Hades كوريه في اللحظة التي كانت فيها تقطف نرجسة.

(٢) يقول هيرودوت إنه حينما أحرق الفُرْس شجرة الزيتون الموجودة في الأرختيون على الأكروبول، فإنها عادت للنموّ في اليوم التالي.

في اليوم الذي خلقت فيه، في هذا البلد للمرة الأولى، الشكيمة التي تهذّي الخيول.

بينما المجداف الجيّد، الذي قَيّضته لأيدينا[1]، يقفز على البحر، ويا للعجب، في إثر مائة نيريدة متراقصة[2].

(أنتيجونا، التي ظلت منذ خروج ثيسيوس، تراقب الطريق بقلق، تلتفت فجأة ناحية الكورس).

أنتيجونا: أيتها التربة التي اشتهرت بفضل ما قيل فيها من المدائح، عليك الآن أن تزدهي بأسطورتك اللمّاعة.

أوديب: أي حادث جديد يثير القلق في نفسك، يا ابنتي؟

أنتيجونا: ها هو ذا كريون قادم إلينا، ومعه حَرَس، يا أبي.

أوديب: أيها الشيوخ الأعزّاء، منكم وحدكم يمكن أن تأتي المعونة الحاسمة.

رئيس الكورس: لا تَخْشَ شيئاً، وستنتصر عليه. إذا كنتَ شيخاً، فإن قوّة مدينتي لم تَشِخ.

(يدخل كريون يتبعه رجالٌ مسلّحون).

كريون: يا أيها السكّان النبلاء في هذه البلاد! إني أشاهد رهبة مفاجأة في عيونكم لدى رؤيتكم. لا تخافوا مِنّي، ولا تنطقوا بكلمات شريرة. إني لم آت لأصيبكم بأيّ ضرر. أنا شيخ عجوز، وأعلم أنني أتيت إلى دولة قويّة لم يوجد مثلها في كل بلاد اليونان! إنني أنتدبت إلى هنا نظراً إلى علوّ سِنّي، من أجل أن أُقنع هذا الرجل الذي هناك بأن يتبعني إلى أرض كادموس. إني لم آت باسم رجل بعينه، بل البلد كله هو الذي أصدر إليّ هذا الأمر. ونبالة ميلادي هي التي خوّلت لي، من بين سكان مدينتنا، من أجل العطف على مصائب هذا الرجل البائس... هيا، يا أوديب المسكين، وعُدْ إلينا، إن شعب كادموس بأسره يدعوك، كما هو طبيعي وأنا قبل كل إنسان آخر؛ خصوصاً ـ إلاّ إذا كنتُ أنا شرّ البرية ـ وأنني لا

---

(١) فوسيدون هو في وقت واحد: إله الخيول، وإله السفن.

(٢) النيريدات، بنات نيريوس، هن حوريّات البحر.

يمكن أن أكون غير مكترث لمصيبتك. حينما أراك هنا تبصّرت أكثر من أجنبيّ بائس ومتشرداً دائماً، ومتسوّلاً لا سَنَد له إلا رفيقة وحيدة، ابنة لم أظنّ أبداً أن تنزل إلى هذا الدَّرَك من العار الذي أراها فيه الآن؛ هذه البنت البائسة، التي هي في هَمّ دائم من أجلك، ومن أجل حياتك، سالكة مَسْلك المتسولين، في سِنّها هذه، دون أن تعرف الزواج، وفريسة سهلة لأيّ إنسان؛ أليست هذه إهانة بالغة ألقتها، مع الأسف، عليك، وعلى نفسي، وعلى كل سُلالتنا؟ لكن، لما كان من غير الممكن أن يُحجَب عن الأنظار ما هو معروض في وَضَح النهار ـ فإن عليك، يا أوديب، أن تُبْعِد عن عيوننا نهائياً مثل هذا المنظر. بحق آلهة آبائنا إلاّ وافقت على العودة إلى مدينتك، وإلى بيت أجدادك، وودّع هذا البلد الصديق. إنه يستحق هذا؛ لكن بلدك أنت له حقوق أكثر فيما يتعلق بك، فإنه هو الذي غذّاك منذ زمان طويل.

أوديب: آه! أيها الصعلوك المستعدّ لكل شيء، والذي لا يفيده أيّ سبب شريف إلاّ في تدبير أية خديعة ـ لماذا تمتحنني هكذا؟ لماذا تسعى مرة ثانية إلى إيقاعي في الأحبولة التي سيكون وقوعي فيها أشدّ ما يؤلمني؟ في الماضي حينما بَرّحت بي المصائب الشخصية ورضيتُ بالمنفى، فإنك لم تَرِد ـ بينما أنا كنت أريد أن تمنحني هذه النعمة؛ ثم إنني في اللحظة التي أشبعت فيها غضبي، وكان يطيب لي أن أعيش في وطني، فإنك نبذتني وطردتني! وروابط الدم هذه التي تتحدث أنت عنها لم تحفل أنت بها. ولكنك حين شاهدت هذا البلد، وكلٌّ شعبه يسمح لي بالإقامة فيه بإحسان ـ تسعى أنت أن توجّهني في اتجاه مضاد تماماً، وتأتي لتزيد في القسوة عليّ ولكن بعبارات معسولة. أية لذة هذه تلك التي تدعوك إلى أن تحب الناس على الرغم منهم؟ افترض لحظةً ما يلي: أنت ترجو أن تُمْنَح شيئاً؛ لكنك لن تُمْنَح شيئاً، وسيرفضون أن يساعدوك، وحينما يتعب قلبك من رغبته، فإنها تُشْبَع، في اللحظة التي لا تكون فيها هذه النعمة نعمةً بالنسبة إليك أليس هذا رضا لا جدوى منه؟ وهذا هو تماماً ما تَعْرضه عليَّ: نِعَم بالألفاظ، ونِقَم بالأفعال. ولكنني أنا. سأتكلم من أجل الحاضرين هنا: وأريد أن أبين لهم سفالتك. لقد جئت لأخذي، لا لأخذي إلى بيتي، بل لإقامتي بالقرب منك، ولجعل مدينتك على هذا النحو في حِمى وأمان من الأخطار التي تخشاها من جانب هذه المدينة التي نحن فيها. كلا، ليس هذا هو المصير الذي ينتظرك. إن مصيرك هو أن ترى روح الانتقام عندي راسخةً إلى الأبد في هذا الركن من العالم؛ ومصير أبنائي هو

ألا يحصلوا من أراضيَّ إلاّ على ما ينبغي ليموتوا. أَلَسْتُ على علم أفضل منك بمصالح ثيبا؟ مؤكد، وبدرجة كبيرة جداً، خصوصاً وأنني تلقيته من أفواه أكثر صدقاً، من فم فوبوس (أپولون)، بل ومن فم زيوس أبيه. وها أنت ذا تأتي الآن بلسانٍ كَذِبٍ ومسنون حادّ! لكن الأقوال التي تقولها أنت ستسبب لك من الآلام أكثر من المكاسب. وما دمت لا تصدّق ما أقوله، فاذهب لحالك، واتركني لأعيش هنا: وحتى في الوضع الذي أنا فيه، فإنني لن أجد العيش أليماً، إذا حظيت بهذا الوضع.

كريون: أتحسب أنك بكلامك هذا قد أصبتني في مشروعاتي الخاصة بك، ولست بالأحرى أنت الذي أُصِبْتَ في مصلحتك؟

أوديب: فيما يتعلق بي، أجمل شيء هو أن تعجز عن إقناعي، أو إقناع أيّ واحد من الحاضرين هنا.

كريون: يا لك من شقيّ! حتى سِنّك التي أنت فيها الآن ليست سِنّ الرُّشْد. هذا واضح: إنك تسيىء إلى شيخوختك.

أوديب: لسانك بارع؛ لكن ليس من الشرف أن يكون المرء بارعاً في الكلام عن أية قضية.

كريون: هذان أمران مختلفان تماماً: أن يتكلم المرء طويلاً، وأن يتكلم كلاماً معقولاً.

أوديب: هل أفهم من هذا أنك تتكلم قليلاً، ولكن كلاماً معقولاً؟

كريون: نعم، ولكن ليس بالنسبة إلى قوم على شاكلتك.

أوديب: اذهب! (مشيراً إلى الكورس)، وأقول هذا باسمهم هم أيضاً. لا تراقب الأماكن التي سأقيم فيها.

كريون: لست أنت، بل هُمْ هم الذين أتخذهم شهوداً؛ وأمام الطريقة التي تجيب بها، فإنني لو أمسكت بك...

أوديب: ومَنْ ذا الذي يستطيعُ أن يقبض عليّ ضد رغبة حُلَفائي هؤلاء؟

كريون: لكن هذا لن يعفيك من العذاب، أُقْسِم لك.

أوديب: وبأيّ فعلٍ تسند تهديدك؟

كريون: إن لك ابنتين. إحداهما قد قبضت عليها منذ لحظة بَعَثْتُ بها؛ والأخرى سأقتادها في الحال.

أوديب: يا أيتها الآلهة!

كريون: نعم، ستزداد في النواح والعويل.

أوديب: هل ابنتي في قبضة يديك؟

كريون (مشيراً إلى أنتيجونا): وهذه أيضاً، قبل مرور وقت طويل.

أوديب (مخاطباً الكورس): آه، أيها الأجانب! ماذا ستعملون؟ هل ستتركوننا؟ ألا تطردون هذا الفاسق من بلدكم؟

رئيس الكورس (مخاطباً كريون): ارحل من هنا، أيها الأجنبي، وبسرعة. ليس من حقك أن تتصرف هكذا ولا أن تفعل ما فعلتَ.

كريون (مخاطباً حُرّاسه): عليكم! هذه هي الفرصة لاقتيادها بالقوة، إن رفضت السير طوعاً.

أنتيجونا: يا ويلتاه! أين نهرب؟ أين نجد نجدة إنسان أو إلٰه؟

زئيس الكورس: ماذا تفعل، أيها الأجنبي؟

كريون: لن أمسَّ الرجل؛ أما البنت فهي لي.

أوديب: يا زعماء هذا البلد؟

رئيس الكورس: أيها الأجنبي، ليس هذا من حقّك.

كريون: بلى، هذا حقي.

رئيس الكورس: كيف تقول إن هذا حقك؟

كريون: إني اقتاد من ينتسبون إليَّ.

أوديب: يا أثينا!

الكورس: آه! ما هذا الذي تفعله، أيها الأجنبي؟ أطلق سراحها، وإلاّ أذقت على الفور قوّة ذراعي.

كريون: ابتعد عني.

الكورس: ليس عنك قطعاً، إذا كانت هذه هي نيّتك.

كريون: سيكون عليكم أن تحاربوا بلدي، إذا أنتم اعتديتم عليَّ.

أوديب: ها أنتم ترون ما سبق أن قلتُه لكم!

رئيس الكورس: هيا بسرعة، على يديك أن تطلق سراح هذه الفتاة!

كريون: لا تُصْدر أوامر إليَّ: إنك لست رئيسي.

رئيس الكورس: أقول لك: أَطْلِق سراحها.

كريون: وأنا أقول لك اذهب لسبيلك.

الكورس: النجدة! ههنا تعالوا، تعالوا يا أهالي البلد. إن العنف يستعمل ضد هذا البلد ـ بلدنا ـ النجدة! إلى هنا!

أنتيجونا: أيها الأجانب، أيها الأجانب، إنهم يجرُّونني، يا ويلتاه!

أوديب: أين أنت، يا ابنتي؟

أنتيجونا: إنهم يدفعونني بالقوة.

أوديب: مُدّي إليَّ ذراعيك، يا ابنتي.

أنتيجونا: ليست لديّ القوة لذلك.

كريون (مخاطباً حُرّاسه): ألا تقتادونها أنتم؟

أوديب: الويل لي، الويل لي!

كريون: إني أتحداك الآن أن تمشي بعدُ على هاتين العكازتين[١]. أنت تدّعي إذن التغلّب على وطنك، وعلى أسرتك، وعلى أوامر من باسمه أعمل أنا ههنا، وأنا الملك. إذن انتظر. وأنا أعلم أنك سينتهي بك الأمر أنْ تفهم أنه لا اليوم ولا في الماضي، أنت تخدم قضيتك، حين تعمل ضد رغبة أهلك، وتطلق المجال واسعاً لهذا الوجدان الذي يعمل على هلاكك.

رئيس الكورس: كُفَّ، أيها الأجنبي.

كريون: إني أمنعك من أن تمسّني.

رئيس الكورس: كلا، لن أتركك، ما دمت قد قبضت على هاتين البنتين.

---

(١) كناية عن: انتيجونا وإسمينا.

كريون: ليكن! إنك لن تكسب إلاّ أن تجلب على بلدك أشد أنواع الانتقام. لن أكتفي بالقبض على هاتين البنتين. . .

رئيس الكورس: ماذا تنوي؟

كريون: سأقبض على هذا الرجل، وسأقتاده.

رئيس الكورس: آه! كلام عجيب!

كريون: وسيتم هذا في الحال، إلاّ إذا جاء ملك البلد بشخصه واعترض.

أوديب: يا لها من حماقة! ماذا! أنت تقبض عليّ؟

كريون: أرجوك أن تسكت.

أوديب: آه، كلا! ألا ليت آلهات هذه الأماكن لا تحجزْ طويلاً هذه اللعنة على شفاهي، لأنك ها أنت أيها الجبان بين الجبناء، تريد ـ حينما أكون بغير دفاع ـ أن تقتلع عيناً أخرى بعد عينيّ الماضيتين، ثم ترحل في هدوء! ألا ليت الشمس، هذا الإله الذي يرى كلَّ شيء، تهيّىء لك ـ ذات يوم ـ ولسلالتك معيشة مماثلة لعيشتي في شيخوختي.

كريون: أترون هذا يا أهل هذا البلد؟

أوديب: إنهم يروننا، أنت وأنا، ويدركون أنني على الأفعال التي أتألم منها ـ لا أرُدّ إلاّ بالكلمات.

كريون: لا، لا، لا أريد بعدُ أن أضبط غضبي. سأقتاده بالقوة، أنا وحدي وقد أثقلتني السنّ العالية.

أوديب: آه! يا للبؤس!

الكورس: بأية فكرة متسلطة على دماغك قد جئت، أيها الأجنبي، بحيث تتخيل أنك ستفلح؟

كريون: إني أتصور هذا.

الكورس: لن أكون إذن شيئاً مذكوراً في بلدي، على هذا التقدير!

كريون: الضعيف ينتصر على القويّ إذا كان الحق في جانبه.

أوديب: أتسمعون ما قاله هذا؟

رئيس الكورس: نعم، لكنه لن ينجزه. أنا أعلم هذا يقيناً.

كريون: زيوس يمكن أن يَعْلمه، أما أنت فلا.

رئيس الكورس: أليست هذه وقاحة؟

كريون: هي وقاحة من غير شك، لكن عليك أن تحسب لها حساباً.

الكورس: إليَّ أيها الرؤساء، تعالوا بسرعة: إنهم قد تجاوزوا حدودنا.

(ثيسيوس ورجاله يدخلون).

ثيسيوس: ما هذا النداء؟ وماذا حَدَث؟ أيُّ رُعْب قد جعلكم توقفون التضحية التي قدّمتها لإله البحار أمام معبده، هذا الإله الحامي لكولون؟ خَبّروني - إني أريد أن أعرف كلَّ شيء - لماذا توجّب عليَّ أن أقفز إلى هنا أسرع مما كانت تودّ ساقاي؟

أوديب: يا أيّها العزيز جداً - إني أتعرّف صوتك - لقد عاملني هذا الرجل الموجود هناك معاملة سيئة.

ثيسيوس: كيف عاملك؟ ومن الذي أساء إليك؟ خبّرني.

ثيسيوس: كريون هذا الذي تراه أمامك والذي يتهيّأ للرحيل بعد أن سلب مني مالي الوحيد، أعني ابنتيّ.

ثيسيوس: ماذا تقول؟

أوديب: أنت تعلم الآن تماماً كيف عاملني.

ثيسيوس: فليذهب أحد أتباعي بسرعة إلى المذابح وليَدْعُ الشعب كله - إما راجلاً وإما راكباً - إلى ترك التضحية، وليركض بأقصى سرعة إلى النقطة التي يتلاقى فيها الطريقان المعروضان للمسافرين[1]. ويجب ألا تتجاوزها هاتان الفتاتان، وألاّ أصبح أنا أضحوكة في نظر هذا الأجنبي، مغلوباً عليَّ بسبب أعماله العنيفة.

---

(١) الطريق الأوّل يمرّ بالبحر وبالوسيس، والطريق الآخر يجتاز سهل ثوريا - بعد أن يكون قد تجنّب مرتفعات إيا Ea، ويعود ليتصل بالطريق الأول أمام اينوئه Enoé.

اذهب، ونفّذ أمري دون إبطاء ـ أما فيما يتعلق بهذا الرجل، فإنني لو استسلمت لغضبي الذي يستحقه، فلن أدعه يفلت سليماً من بين يديّ. وإذا ادعى أنه يأتينا هنا بقوانين جديدة، فإنه وفقاً لهذه القوانين ـ وليس وفقاً لغيرها ـ سيُعامَل، إنك لن تخرج من هذا البلد قبل أن تُعِيد إليَّ هاتين البنتين، وتضعهما تحت نظري. إنك تصرّفت بطريقة شائنة غير لائقة بي، ولا بأولئك الذين أنجبوك، ولا ببلدك. ماذا! أنت تدخل دولة تمارس العدالة، ولا تفعل شيئاً دون استشارة القانون ـ وها أنت ذا لا تحفل برؤسائها وتندفع لتأخذ من تشاء وتستولي عليه بالقوة. يبدو أنه قد خُيّل إليك أن مدينتي خالية من الرجال، أو لا يسكنها خصوصاً إلاّ العبيد، وأنني لا أساوي شيئاً. لكن ثيبا لم تُنشّئك لارتكاب الشرور؛ وليس من عادتها أن تبث في أهلها روح الشر والخِسّة. ومن المؤكد أنها لن تهنّئك لو عَلِمت أنّك تنهب هنا مالي وأموال الآلهة، حينما أردت أن تخطف بالقوة هؤلاء المساكين الذين استجاروا بها. وأنا من ناحيتي لا أريد ـ حتى لو كان عندي لذلك خير الأسباب ـ أن أطأ أرض بلادك دون إذن من رئيسها أيّاً مَنْ كان. ولا أريد أن أنتزع منها ولا أن أقتاد منها أحداً، وأعلم كيف ينبغي على الأجنبي أن يتصرف بين المواطنين. أما أنت، فأنت تجلب العار على وطنك دون أن يستحق ذلك، وعدد سِني عمرك يجعل منك عجوزاً ومخبولاً. لقد قلت لك، وأكرّر: لا بد من إعادة هاتين الفتاتين بسرعة، إذا كنت لا تريد أن تصبح بالقوة ورغم أنفك أجنبياً مقيماً في هذا البلد. أقول قولي هذا بقلبي بقدر ما أقوله بفمي.

رئيس الكورس: ها أنت ترى ما وصلت إليه، أيها الأجنبيّ. بحسب أصولك يبدو أنك من أهل الخير، ولكنك أسأت التصرّف.

كريون: كلاّ، أنا لا أحسب مدينتك خاليّةً من الرجال، يا ابن أجايوس، ولم أكن مخبولاً حينما تصرّفت على النحو الذي فعلته؛ بل كنت واثقاً أن مدينتك لم يخطر ببالها أن تحتجز ناساً ينتسبون إليَّ، وأن تريد أعاشتهم على الرغم منّي. وكنت أعلم أن مدينتك لا تؤيد قتل الأب وما يجره ذلك من نجاسة، ولا تريد إيواء رجل تبيّن أن زواجه كان زنا بالمحارم. ولم أكن أجهل أنه يوجد على تربتها مجلس للقضاء حكيم يمنع أمثال هؤلاء المتشردين من الإقامة في هذا البلد. هذا هو ما كنت متأكداً منه، حينما قبضت بيدي على هذا الصَّيْد. وحتى هذا ما كنت لأفعله لو لم يتفوه بلعنات مُرّة ضِدّي وضد كل سلالتي. فلما عوملت على هذا

النحو، اعتقدت أن لي الحق في أن أعامله بالمثل. إن الغضب لا يهزم أبداً، ولا يستسلم إلاّ للموت: والموتى وحدهم هم الذين لا يشعرون. أقول قولي هذا، ولك أن تفعل ما تشاء. وعبثاً كنت سأسوق حججاً قويّة: لكن كوني وحيداً يجعل مِنّي أضعف الناس. ومع ذلك، فإن قوبلت بأفعال، فإنني ـ مهما أكن عجوزاً ـ سأردّ بنفس الطريقة.

أوديب: آه! أيها القلب العنيد في وقاحته، مَنْ تعتقد أنك تُهينه؟ العجوز الذي هو أنا، أو أنت ذاتك؟ خَبِّرْني. إن فمك يتدفق علينا بالاغتيالات، والزواجات، والبلايا من كل نوع، البلايا التي عانيتُها ـ ويا للأسف ـ على الرغم منّي؛ لكن هذه كانت مشيئة الآلهة التي أضمرت الشر لسلالتي منذ زمان بعيد، لأنك لن تجد أية خطيئة شائنة في نفسي جعلتني أصبح الفاعل لتلك التي أمكنني أن أفعلها تجاه ذاتي وتجاه أهلي.

خبّرني إذن: إذا جاء الصوت الإلهي بواسطة الوحي ليعلن لأبي أنه سيهلك بواسطة أبنائه، فبأيّ حق تلومني على هذا، تلومني أنا الذي لم يكن أبوه قد أنجبه بعدُ، ولم تحبل به أمه، أنا الذي لم أكن قد وُلِدتُ بعدُ! وبمصيبة فظيعة حدث أن تعاركت مع أبي وقتلتُه، دون علم مني بجريمتي ولا معرفة بمن كان فريستي، فكيف يمكن لومي على هذا الفعل غير الإرادي؟ وفيما يتعلق بأُمّي التي هي أختك ألا تخجل من أن ترغمني على ذكر كيف كان زواجها مني، لأنني لا أريد أن أظلّ صامتاً، بينما أنت تضلّ في طريق الأقاويل الشائنة! لقد كانت هي أُمّي ـ أمي، واأسفاه! ـ لكنني لم أكن أعلم ذلك، ولا هي كانت تَعْلَم ذلك. وهذه الأمّ هي نفسها التي أنجبتُ منها أولاداً هم عارٌ عليها لكن هناك شيء أعلمه جيداً وهو أنك تُشنّع بها وبي ههنا عن قصد وعمد، بينما أنا تزوجتها على الرغم مني، وأنا أتكلم عن هذه الأمور على الرغم مني أيضاً. لكنني لا أريد أنْ يعتبر جريمة ارتكبتها أنا هذا الزواج ولا هذا القتل لأبي، وأنت مع ذلك لا تكف عن اتهامي بهما وعليك أن تجيب فقط على واحد من الأمثلة التي ألقيها عليك. لو اقترب منك في هذه اللحظة إنسانٌ لقتلك، دون أن تكون قد ارتكبت ذنباً، فهل ستستعلم هل قاتلك هو أبوك، أو تعاقبه فوراً؟ فيما يتعلق بي أنا، إني أعتقد أنك ستعاقبه، اللهم إلاّ إذا كنت تكره الحياة، دون أن تتساءل هل لك الحق في هذا. وهذه تماماً هي المصيبة التي وقعتُ أنا فيها، وقد دبرتها الآلهة لي. وإذا كانت روح أبي لا تزال في قيد

الحياة، فإنها لم تكن لتلومني. أما أنت، أيها الخالي من الضمير والشعور، أنت يا من تظنّ أنك تتكلم كلاماً صائباً دائماً، سواء تعلّق الأمر بأشياء ينبغي قولها أو ينبغي عدم الخوض فيها، فإنك ترمينا بهذه المثالب بحضور هؤلاء الرجال!

وتحسب بهذا أنك تمجّد اسم ثيسيوس والكيفية العظيمة التي بها يحكم هذا البلد؟ لكن، من بين هذه المدائح، أنت تنسى واحدة وهي أنه إذا كانت هناك مدينة تعرف الرعاية التي ينبغي توفيرها للآلهة، فهي هذه المدينة قبل أية مدينة أخرى؛ ثم تزعم بعد هذا أن تسلب منها هذا الشيخ المستجير بها الذي هو أنا، وأن تأتي وتقبض على ابنتيّ وعليّ أنا معاً من أجل اقتيادنا بهدوء! لهذا فإنني بدوري أدعو الإلاهات المتولية على هذه الأماكن وأتوسّل إليها أن تستجيب لدعواتي، بوصفها مساعِدات وحليفات. وبهذا تعرف أنت ماذا يساوي القوم الذين يحرسون هذه الأرض.

رئيس الكورس: إن هذا الأجنبي، أيها الأمير، رجل طيّب. وبلاياه قد دَمَّرَتْ حياته تماماً؛ وهي تعطيه الحق في أن يُنْجَد.

ثيسيوس: كفى كلاماً؛ الخاطفون يُسْرعون، ونحن الضحايا لا نتحرك!

كريون: أنا إنسان بلا مُدَافع عنه: فبماذا تأمر؟

ثيسيوس: بَيّن لي الطريق المؤدي إلى هناك، وسأحرسك. وبهذه الوسيلة أنت تحتفظ بالفتاتين في الأماكن التي أتصوّرها، والتي ستبينها أنت لنا. فإن كان أولئك الذين يقبضون عليهما هم بسبيل الهَرَب، فإن هذه ليست مشكلتنا: لكن آخرين غيرنا يتولّون الأمر وبفضلهم ـ وأنا مسئول عن هذا ـ لا ينبغي لرجالك أن يشكروا الآلهة أبداً على أنهم استطاعوا الهرب من هذه البلاد. هيّا، ولنَر. اعلم أنك إن كنت تُمْسِك (بهما)، فإننا نمسك بك أنت. إن الصيّاد قد وقع في قبضة المصيدة. إن الكنز الذي يُحَصّل بالحيلة والخديعة لا يُحتفظ به، ولن تجد أحداً يساعدك على هذا. وأنا متأكّد أنك لم تصل إلى هذه الدرجة من الوقاحة دون أن يكون لك شُرَكاء وموارد، هذه الوقاحة التي يفضحها اجتراؤك. إنك قد استندت إلى ساعد جعلك تتصرف هذا التصرّف وعليّ أن أَرْقُب هذا ـ وعليّ ألا تبدو بلدي أقلّ قوّة من رجل منعزل. ألا تفهم هذا الكلام؟ أما ما أقوله يبدو لك عبثاً الآن كما بدا لك حينما دبرت ضربتك هذه؟

كريون: طالما كنت هنا، فلن تقول لي شيئاً سأقوم بنقده. لكني حينما أكون في وطني فإنني أعرف ماذا عليَّ أن أفعل.

ثيسيوس: الوقت يمر؛ هَدِّئ، ولكن سِرْ. وأنت، يا أوديب، ابْقَ هنا في سلام، وكن متأكّداً أنه طالما لم أُمتّ فإنني لن أهدأ قبل أن أُسَلِّم إليك في يديك ابنتيك.

أوديب: آه! جوزيت خير الجزاء! يا ثيسيوس! على كَرَمك وعلى تبصُّرك العادل اللذين تبديهما لي.

(ثيسيوس وكريون يذهبان ومعهما رجالهما).

الكورس: بودّي لو كنتُ في المواضع التي فيها أعداؤنا سيهبّون ويخوضون في القتال بين ضجيج البرونز، إما على شاطىء الإله الفوثاوي (أبولون)، أو على شاطىء المشاعل المقدّسة[1].

هناك آلهات عظيمة تصون أسراراً جليلة لصالح أُناس على شفاههم وضع المفتاح الذهبي[2] لخُدّامهم اليومولبيد وهناك - كما أتصور - البطلُ المثير للمعارك: ثيسيوس، والمسافرتان الأختان العذراوان ستجدان نفسيهما في وسط معمعة حاسمة، في الأماكن التي ذكرتُها. اللهم إلاّ إذا أرادوا التوجه - بعد اجتياز مراعي إيا Ea، إلى الغرب من السّن ذات العِوَج، وبحماسة شديدة للفرار على خيولهم أو على عرباتهم السريعة. ضياعهم أكيد. رهيبة هي الحرب التي تقترب منهم ورهيبة هي شجاعة أبناء ثيسيوس.

كلُّ اللجُم تلمع؛ وفرقة الفرسان المؤلفة من الشباب تتواثب كلها، مُطْلقة العنان لخيولها، وهم مُخْلصون لأثنا الفارسة ولإلٰه البحر الذي يضم البرّ، وهو ابن ريا Rhea العزيز.

هل انخرطوا في القتال؟ هل هم على وشك العمل؟ فِكْري يوحي إليَّ أنهم عما قليل سيعيدون سليمة معافيةً تلك التي عانت معاملة قاسية ومَرّت بمحن أليمة

---

(١) الطريق الأوّل يمر أمام معبد أبولون الفوثاوي قبل أن يصل إلى الوسيس حيث يحتفل بسهرة المشاعل.

(٢) كانت مهمة اليومولبيد أن تكشف الأسرار للمريدين بشرط أن يعدوا بحفظ الأسرار.

من جانب أُناس من مرتبتها. واليوم، نعم اليوم، زيوس سيضع لهذا حدّاً.

إني أتوقّع معارك نبيلة آه! بودي لو استطعت ـ مثل حمامة أسرع من الريح، ومن أعلى سحابة في أعماق الأثير ـ أن أَدَع عيوني تشاهد هذه المعارك.

أي زيوس! أنت يا مَنْ ترى كل شيء، أيها السيّد المطلق على الآلهة ـ مَكِّن أهل هذا البلد، بقوّتهم الظافرة، من أن يحققوا المفاجأة التي تُسْلِم إليهم قنيصهم. وإني لأناشد أيضاً ابنتك الجليلة: پلاّس أثنا.

وإلى أپولون الصيّاد، وإلى أخته رفيقة الظباء الرقطاء وذوات الأقدام الخفيفة ـ أوجّه رغبتي في أن يعينوا هذا البلد وأهله بنجدتهما المزدوجة.

قائد الكورس: أيها الأجنبي المسكين الشارد، إنك لن تستطيع أن تقول لراصدك إنه نبيٌّ كاذب. ابنتاك، ها أنا ذا أراهما. إنهما تقتربان، إنهما تعودان إلى هنا، تحت حراسة قويّة.

(أنتيجونا وإسمينا تظهران مع ثيسيوس).

أوديب: أين، أين إذن؟ ماذا هناك؟ وماذا قُلْتَ؟

أنتيجونا: أبي، أبي، آه! بودّي لو أن إلاهاً يمكنّك من رؤية البطل الذي أعادنا إليك.

أوديب: آه، يا ابنتي! هل أنتما كلتاكما ههنا؟

أنتيجونا: نعم، إننا ندين بالحياة لهاتين الذراعين: لثيسيوس ورفاقه الأخيار.

أوديب: تعالي، يا ابنتي، إلى أبيك، دعيه يلمس هذين الجسمين اللذين لم يؤمّل في العثور عليهما أبداً.

أنتيجونا: أمنيتك ستتحقق. رغبتك تتفق مع رغبتنا.

أوديب: أين أنتما إذن، أين؟

أنتيجونا: ههنا، بالقُرْب منك.

أوديب: إيه يا ابنتيّ العزيزتين!

أنتيجونا: كل شيء عزيزٌ بالنسبة إلى الأب.

أوديب: آه يا عُكّازتاي!

أنتيجونا: عكازتان مسكينتان لأبٍ مسكين!

أوديب: إنهما أعزّ ما أملك. وحتى في الموت فإنني لن أعرف الشقاء الكامل إذا أنا أشعرتُ بأنكما كلتيكما إلى جواري. اسندا فقط جانبيَّ، يا ابنتي، بأن تنضمّا إليَّ، وبهذا تضعان حدّاً لوحدتي الحزينة الشاردة. ثم خبّراني عما حدث باختصار شديد: رواية قصيرة تكفي بالنسبة إلى بنات في سِنكما.

أنتيجونا (مشيرةً إلى ثيسيوس): ها هوذا مخلصنا. يجب الاستماع إليه هو، يا أبي، وحينئذ ستكون مهمتي قصيرة كما طلبت.

أوديب: لا تندهش، أيها الأجنبي، إذا أنا تجاوزت قدري، وفي حضور بنتيّ اللتين عادتا بعد يأس، أن أتكلم طويلاً. إن السرور الذي يُظهرانه على وجهي أنا أعلم أنني أدين به لك أنت، ولك وحدك. فأنت الذي أنقذتهما، أنت ولا أحد غيرك. ليت الآلهة تعطيك كل ما تريد أنت وبلدك. إني لم أجد التقوى إلا عندك أنت وحدك من بين سائر الناس، وكذلك العدالة والإخلاص. وأنا أعرف ماذا أقول، حين أكافئك بهذه الكلمات. إن ما أملك، أنا أملكه بفضلك أنت وحدك ولا أحد غيرك: مُدّ إليّ إذن يدك كي ألمسها، ولتسمح لي بأن أقبّل جبينك. لكن، ماذا أقول؟ يا ويلتاه لي! كيف لي أن أطمع في أن أفرض عليك لمس رجلٍ تجمّعت فيه نجاسات كل الجرائم؟ كلا، أنا لا أريد أن ألمسك أو أن أدعكَ تلمسني. فقط أولئك الذين عانوا مثل هذه المِحَن هم المهيّأون للمشاركة في مِحَني. إني أقول لك شكراً، من بعيد وعلى مسافة... وواصل في المستقبل بذل المعونة المخلصة التي بذلتها لي حتى الآن.

ثيسيوس: أما أنك أطلت بعض الشيء في الكلام وأنت مسرور باستعادة ابنتيك ـ فليس في هذا ما يدهشني ولا أيضاً تفضيلك كلامهما على كلامي أنا. فليس في هذا ما يضايقني. فأنا لا أريد أن أزيّن حياتي بالكلمات، بل بالأفعال. وأنا أسوق إليك الدليل على هذا: إن الأقسام التي أقسمت بها، أيها الشيخ، أنا لم أقصر في أيّ واحد منها. فها أنت ترى أنني أعدتُ إليك ابنتيك سليمتين حَيّين لم يصبهما أيّ شيء هُدّدا به. أما الانتصار الذي ظفرت به في النضال، فلماذا أفتخر به دون فائدة؟ هذه أمور ستعرفها منهما ما داما قد عادتا للإقامة إلى جوارك. لكنّ هناك شائعة وصلت إلى مسامعي منذ قليل بينما كنت قادماً إلى هنا وأريد أن أستشيرك فيها. وإذا كانت ليست طويلة، فإنها تستحق مع ذلك أن تثير الدهشة:

ولا يحق لإنسان أن يهمل واقعة وقعت.

أوديب: وما هي، يا ابن أجايوس؟ وَضّح لي، لأنني أجهل كل شيء فيما يتعلق بالوقائع التي تريد أن أبدي رأيي فيها.

ثيسيوس: لقد أكّدوا لي أن رجلاً ليس من مواطنيك، بل هو من أقاربك قد ألقى بنفسه ـ متوسلاً ـ عند قاعدة المذبح المكرّس لفوسيدون الذي أمامه كنت أقدم تضحية في الوقت الذي فيه هُرِعت إلى هنا.

أوديب: ومِنْ أين هو؟ وماذا كان يرجو من توسّله؟

ثيسيوس: شيئاً واحداً، بحسب ما أعلم. قالوا لي إنه توجه نحوك بالأُمْنِية، وهي أمنية بسيطة ومتواضعة.

أوديب: وما هي؟ لا يتخذ المرء هذا الموقف بالنسبة إلى موضوع تافه.

ثيسيوس: يبدو أنه يريد أن يتكلم معك ثم يعود بكل أمان بعد ذلك.

أوديب: مَنْ عسى أن يوجّه إليَّ هذا الالتماس؟

ثيسيوس: انظر هل ليس لديك، في أرجوس، شخص من أقربائك يتمنى هذه الأمنية.

أوديب: كلا، يا عزيزي، وتوقفْ عند هذا.

ثيسيوس: ماذا تقصد؟

أوديب: لا تسألني.

ثيسيوس: ماذا هناك؟ تكلَّم.

أوديب: لقد فهمتُ؛ وأنا أعرف الآن مَنْ هذا المتوسل.

ثيسيوس: ومَنْ هو؟ وهل هو شخص أنا آخذ عليه شيئاً؟

أوديب: إنه ابني، أيّها الأمير، ابني المخيف. ويسؤوني كثيراً جداً أن أسمع صوته.

ثيسيوس: ماذا؟ ألا تستطيع أن تستمع إليه، دون أن تفعل ما لا تريد أن تفعله؟ وما هو المؤلم في مجرد الاستماع إليه؟

أوديب: إن صوته بغيضٌ إلى أذن أبيه. لا ترغمني، أيها الأمير، على أن أجيبك إلى طلبك هذا.

ثيسيوس: لكن إذا كان وضعه كمستجير هو الذي يلزمنا بهذا، فانظر ماذا تفعل مع الإله الذي يحميه.

أنتيجونا: يا أبي! استمع إليَّ مهما كنت صغيرة غير جديرة بإسداء نصيحة. مَكِّنْ الرجل الذي يكلّمك من أن يرضي ضميره ويرضي الإله، كما يريد. ومن أجلنا نحن أيضاً دع أخانا يحضر إلينا. وكُنْ مطمئناً أنه لن ينتزع منك بالقوة شعورك، إذا لم يتكلم وفقاً لمصلحتك أنت. بأيّ شيء تجازف لو سمعته يتكلم؟ الكل يَعْلم أن المؤامرة الآثمة تكشف عن نفسها بالكلام. إنك أنت الذي أنجبته: فهل يسيىء إليك اساءات بالغة؟ ليس من حقك يا أبي أن ترد عليه الشرّ بالشرّ. آباء كثيرون آخرون كان لهم أبناء مجرمون؛ فغضبوا عليهم أشدّ الغضب، لكن آراء أهلهم هدّأت من حركتهم الأولى وكان لها وقع السِّحْر عليهم. لا تتأمل في مصائب اليوم، بل تأمل في مصائب الماضي، تلك التي جناها عليك أبوك، وأُمّك، ولو أنك تأملت في هذه فإني واثقة أنك ستقرّ بأن الغضب الأسيف لن ينتهي إلاّ بخاتمة أسيفة. لا بد أن لديك الكثير مما يبلغك نظراً إلى عينيك اللتين لا تستطيعان الإبصار. هيّا، أَذْعِن لرجائنا. إن الإصرار لا يليق بمن لا يطالب إلا بما هو حق. ولا يليق أيضاً بمن تلقى خدمةً ألا يقدّم هو الآخر خدمة بدوره.

أوديب: أنت توفّرين لنفسك على حسابي، يا ابنتي، لذة إنجاح قاسٍ، بكلامك على هذا النحو: فليكن إذن ما تريدين ومع ذلك فإني أريد أن أقول كلمة، أيها الأجنبي: لو جاء الرجل إلى هنا، فلا يضعنّ أحدٌ يده على شخصي.

ثيسيوس: يكفي أن يقال هذا لي مرة واحدة، أيّها العجوز، فما أنا بحاجة إلى أن يقال مرّتين ولا أريد أن أفتخر بنفسي؛ لكن أعلم أن حياتك في أمان، طالما كان إله يؤمّن حياتي.

(ثيسيوس يذهب ومعه حاشيته).

الكورس: إن من لا يرضيه نصيب معتاد من الحياة ويتمنى نصيباً أكبر إنما يطيع الحماقة الخالصة: هذه في نظري حقيقة ساطعة.

إن السنوات الطويلة لم تؤمن للمرء إلاّ تجارب أقرب إلى الغم منها إلى

السرور فأين هي المسرّات؛ إن عينك تبحث عنها عبثاً؛ متى ما تجاوزت ـ لشقائك! ـ الحدّ الذي يعيّن نصيبك. ولا ملجأ لك حينئذ: إلا ما يُنْهى الجميع، في الساعة التي تنكشف فيها الأزمة القاتلة التي تُسْكت الأناشيد والكنارات والرقصات، وأعني به الموت الذي يُنْهِي كل شيء.

ألا يولد الإنسان: هذا أفضل من كل شيء آخر. أو إذا وُلِد أن يعود من حيث أتى، بأسرع ما يمكن ـ هذا هو المصير الذي يجب أن يُرْجى في الحال بعد ذلك.

ذلك أنه منذ الساعة التي يتوقف فيها مطلع العمر عن أن يوفر عدم الوعي اللذيذ ـ فهل يوجد أَلَم لا يصيبك بعض الإصابة؟ وهل يخلو حسابك من أيّ عذاب؟

الاغتيالات، المنازعات، المنافسات، المعارك ـ وخصوصاً: الحسد! النصيب الأخير، وهو الشيخوخة البغيضة، العاجزة، الشيخوخة المتوحّدة، غير المحبوبة، التي تتجمع فيها كل الشرور، وأسوأ الشرور.

إن المصير ليس خاصّاً بي أنا وحدي. انظر إلى هذا البائس. أو لا يشبه لساناً من الأرض مستديراً نحو الشمال، تضربه الأمواج من جميع الجوانب، وتهاجمه العواصف؟

وهو أيضاً تهاجمه المصائب المروّعة، مثلها مثل الأمواج التي ترتطم بالحواجز ـ من أجل تدميره، وهي تهاجمه باستمرار.

وها هي ذي قادمة من المغرب والمشرق، ومن الجنوب الساطع، ومن جبال ريبا[1] الغارقة في الظلام.

أنتيجونا: أعتقد أن هذا هو صاحبنا الأجنبي. إنه يمشي، يا أبي، دون حراسة، وأمواج من الدموع تتساقط من عينيه بينما هو يأتي إلينا.

أوديب: ومَنْ هو؟

أنتيجونا: إنه ذلك الذي كنا نفكر فيه منذ قليل: إنه فولونيقوس ماثل أمامك.

(يدخل فولونيقوس ويقف على بعد بضع خطوات من أبيه).

---

(١) في نظر الأوائل كانت جبال ريبا Rhipées تقع في أقصى شمال أسكوثيا، أي في نهاية العالم.

فولونيقوس: واحسرتاه! ماذا ينبغي عليَّ أن أفعل؟ هل يجب عليَّ أولاً، يا بنات، أن أبكي على مصائبي الخاصة بي؟ أو على مصائب أبي العجوز الذي أراه أمام عيني الآن؟ إني أجده إذن ههنا معكما، في أرض أجنبية، يرتدي أسمالاً بالية، والقذارة القديمة المروّعة تَقْرِض الجانبين اللذين تغطيهما، بينما على جبينه الخالي من عينيه يتهدّل شعره المضطرب وهو نهب الرياح. وما يحمله معه، ليغذي به بطنه الهزيل، يبدو أنه من نفس النوع... لقد علمت هذا متأخراً ههنا، وها أنا ذا أشهده بنفسي: نعم، لقد تجلى أنني أسوأ مجرم فيما يتعلق بالعناية التي هي واجبة لك. لا تعلمنّ هذا من أحد غيري أنا. لكن بالقرب من زيوس، ومشاركةً في عرشه، تقوم الرحمة لكل فعلٍ إنساني. فلتأتِ إذن لتأخذ مكانها إلى جوارك، يا أبي. أما الأخطاء الماضية فيمكن علاجها، لكن لا ينبغي أن يضاف إليها. أنت ساكت، لماذا؟ قُل شيئاً يا أبي، ولا تُشِحْ بوجهك عني. أنت لا تردّ عليَّ؟ أنت تريد إذن إهانتي بألا تجيب عليَّ بكلمة، ودون أن تخبرني لماذا أنت غاضب عليَّ؟ وأنتما، يا ابنتاه، ويا أختاه، حاولا، أنتما على الأقل أن تجعلا هاتين الشفتين تتحركان، وهما صامتتان مغلقتان دون أية كلمة استقبال، حتى لا يصوّب إلى مستجير بالله أمانة تركه يذهب دون أن يجيب عليه بكلمة واحدة.

أنتيجونا: خبّرنا أنت، أيها الشقيّ، ماذا دعاك إلى المجيء إلى هنا؟ إن الكلمات التي تُحسِن الإرضاء، الكلمات التي تغضب أو تُشفِق كثيراً ما أنطقت الصامتين.

فولونيقوس: إذن سأقول كل شيء، لأن نصيحتك جيّدة. وإني أتوسّل أولاً إلى الإله الذي كنت أجثو على ركبتين أمام مذبحه، حينما أنهضني مَلِك هذا البلد من أجل أن آتي إلى هنا، مانحاً إيّاي الحق في الكلام والاستماع، ثم الانسحاب في أمان. وهذا أيضاً هو ما أرجو أن أحصل عليه منكم، أيها الأجانب، ومنكما يا أختاي، ومن أبي، لماذا أتيت؟ عليَّ أن أقول فوراً، يا أبي: إنك ترى فيَّ منفيّاً، مطروداً من بلاد أبي، لأنه[1] ادّعى، بوصفه الأكبر سناً، الجلوس على عرشك القويّ، هو بدوره. وهذا هو السبب في أن اتيوكل، الأصغر مني سِناً، قد طردني خارج وطني ولم يكن ذلك لأنه أولاً بالحُجج، ولا لأنه عند التجربة قد أظهر قوة

(١) الضمير يعود إلى ذاته هو، أي فولونيقوس.

أكبر وشجاعة أعظم، ولكن لأنه استطاع أن يخدع مدينته. وإني أرى أن السبب في هذا كله راجع إلى إلاهة الانتقام الموكّلة بك، وأنا أسمع أيضاً عدداً من الوحي يتكلم بنفس المعنى. ولم أكد أصل إلى أرجوس الدُّورية حتى تصاهرت مع أدراست، وحشدت حولي، تحت القَسَم، كل أولئك الموصوفين في بلاد أپيس[1] بأنهم أول المقاتلين ويُقَدّرون بهذا التقدير. وحشدت معهم ضد ثيبا جيشاً من سبع فِرق، وكنت مستعدّاً إما أن أموت، أو أن أطرد من البلاد مَنْ عاملوني بهذه المعاملة. والآن: لماذا جئتُ أنا إلى هنا؟ إني جئتُ لكي أقدّم إليك يا أبي طلباً متوسّلاً، باسمي وباسم حلفائي، الذين في هذا الوقت بالذات، ومعهم قوّادهم السبعة، ورماحهم السبعة في قبضة أيديهم ـ يحاصرون سهل ثيبا كله... وهم: أمفياراوس الشجاع، الأول في القتال، والأول أيضاً في فن التنبؤ بالغيب. وبعده: توميا، ابن انيه وهو من أيوليا. والثالث: هو اتيوكلوس، وهو من أرجوس. والرابع هو هپوميدون، وقد بعث به أبوه طاروس. والخامس هو كاپانيا، وهو يفتخر بأنه خرب ثيباً حرقاً بالنار، من أجل أن يقضي عليها إلى الأبد. والسادس هو پارثنوپ الذي من أركاديا. وهو يدين باسمه لأُمّه التي بقيت عذراء مدّة طوْيلة قبل أن تَلِده: إنه پارثنوپ، الابن الملكي لأطلنطا. وأخيراً أنا، ابنك ـ أو إذا لم تلدني أنت فقد ولدني مصيرك الحزين، أنا الذي على الأقل يقولون عنه إنه ابنك ـ وأنا الذي وجهتُ نحو ثيبا جيش أرجوس الباسل. وها هم أولئك الذين معي، وبواسطة بناتك، وبحياتك أنت يا أبي، نحن جميعاً ههنا نتوسل إليك ونطلب منك أن تهدّىء من غضبك الشديد لصالح هذا الذي هو ماثل أمامك الآن، في الوقت الذي يرحل فيه للانتقام من أخ جرّده من حقوقه وطرده من وطنه. وإذا كان من الواجب تصديق الوحي، فإن النصر ـ كما يقول ـ سيكون للفريق الذي تنضم أنت إليه ولهذا أتوسل إليك، بأصولنا وبآلهة جيشنا أن تستمع إليَّ وأن تلين. مَنْ أنا ههنا؟ متسوّل، غريب كما أنك أنت أيضاً غريب. لن يستطيع الحياة، نحن كلانا أنت وأنا، إلاّ إذا تملّقنا الآخرين: إن حظّنا متماثل. أما هو، في هذه الأثناء ـ وارحمتا لي ـ فهو مَلِك في قصرنا، ويتفاخر فيه ويسخر منك ومنّي. آه! من ذلك الشخص! ساعدني في خُطّتي، وفي لحظة واحدة، وبضربة واحدة أنا أذرو رماده

---

(١) Apis: وبلاد أپيس هي إقليم الپلوپونيشر في جنوبي بلاد اليونان. وأپيس هذا كان ساحراً جاء من نوپاكت. وقد طهّر شبه الجزيرة هذه من الوحوش القاتلة للناس، وكانت كثيرة فيها.

في الهواء. وحينئذ سأقتادك وسأحميك في مسكنك، وأقيم أنا معك، حالما ألقيت به إلى الخارج. لكنني لا أستطيع أن أؤمل الحصول عليه إلاّ إذا أردته أنت كما أريده أنا. وإلا فلن أكون قادراً على صون حياتي أنا.

قائد الكورس: مراعاة لمن أرسله إليك لا تصرفن هذا الرجل، يا أوديب، قبل أن تخبره بما يفيده.

أوديب: آه! يا زعماء هذا البلد، إذا كان مَنْ أرسله إليَّ هنا ليس هو ثيسيوس، ثيسيوس الذي رأى أن يتلقى الجواب مِنّي، لما كان قد سمع صوتي. لكنه سينصرف راضياً، بعد أن يسمع من فمّي كلماتٍ لن تسرّ حياته. (متوجّهاً نحو فولونيقس): أيها البائس! حينما كنت تملك هذا العرش وهذا الصولجان[1] الذي يتملكه اليومَ أخوك، في ثيبا، فإنك طردت أباك وجعلت منه إنساناً بلا وطن ومغطّى بهذه الأسمال البالية التي استدرت الدموع من عينيك الآن حينما صِرْت أنت في نفس المحنة التي أعانيها أنا. المسألة ههنا ليست مسألة بكاء؛ بل، فيما يتعلق بي أنا على الأقل، مسألة تحمل شقائي، طالما كنت حيّاً، بأن تذكّرني بأن مَنْ قتلني هو أنت. إنك أنت الذي جعلتني أحيا في هذا البؤس؛ وأنت الذي طردتني؛ وبسببك أنت أنا أعيش متشرّداً، أشحذ من الآخرين خبزي كل يوم. ولو لم أنجب هاتين البنتين لترعياني، لكنت قد فارقت الحياة بقدر ما يتعلق ذلك بي. إنهما اللتان تنقذان حياتي، وهما اللتان تُطْعِماني، وهما اللتان تبديان أنهما رَجُلان وليستا امرأتين، من أجل مساعدتي في آلامي أما أنتما فقد ولدكما شخص آخر، غيري أنا؛ أنتما لستما ولداي: ولهذا فإن عيون الآلهة مركّزة عليك أنت، في هذه الساعة وفي الساعة التالية، إذا كانت القوات التي تتكلم عنها تتحرك نحو ثيبا. ذلك لأنك لن تستولي على هذه المدينة، وستكون أنت أول من يخرّ صريعاً مدنّساً بالقتل أنت وأخوك معك. تلك هي اللَّعَنات[2] التي صببتها عليك والتي أنشدها اليوم أن تساعدني، كي تقررا توقير مَنْ أنجبكما، بدلاً من أن تهزآ بالأب الأعمى الذي أنجبكما، بينما هاتان البنتان سلكتا مسلكاً مختلفاً تماماً.

---

(١) الواقع هو أن فولونيقوس لم يتولّ العرش.

(٢) بحسب القصيدة الدورية التي عنوانها «بلاد ثيبا»، فإن أوديب قبض عليه وحبس في القصر بعد الكشف عن جرائمه. ولما قدّم ذبيحة للقربان فإن ابنتيه أرسلتا إليه قطعة من لحم الفخذ، بدلاً من لحم الكتف، فغضب أوديب غضباً شديداً، ولعن ابنيه، وتمنى أن يقتل كلاهما الآخر.

ولهذا فإن هذه اللعنات ستكون أقوى من توسُّلك ومن عرشك، إن صحّ أن العدالة القديمة تقيم إلى جانب قوانين زيوس القديمة. اذهب إذن إلى هلاكك مسربلاً بالعار، دون أب منذ الآن، أيها الشرّير بين الأشرار، واحمل معك اللعنات التي جلبتها على رأسك. ألا ليت الرمح لا يتغلب على البلد الذي وُلِدْتَ فيه! ألا ليتك لا تعود أبداً إلى سهل أرجوس. ألا ليتك، بدلاً من ذلك، تسقط صريع يد أخيك وأن تَقْتل وتُقْتَل في وقت واحد، فريسةً لمن نفاك! على هذا النحو أنا أَلْعَنُك، وأدعوأولاً الشبح الرهيب لطرطاروس كي يبتلعك في جوفه! وأدعو أيضاً آلهات هذه الأماكن. وأخيراً أدعو آرس الذي وضع في قلبيكما هذه الكراهية المروّعة. ها أنت ذا قد سمعت قولي، فانصرف إذن، وأعْلِن لكل أهل كادموس، ولكل حلفائك المُخْلصين، ما هي المزايا التي وزعها أوديب على ابنيه في هذا اليوم.

قائد الكورس: يا فولونيقوس! أنا لا أستطيع أن أهنئك على أسفارك الأخيرة هذه، ولا أملك إلا أن أقول لك: ارحل، ارحل بأسرع ما يمكن.

فولونيقوس: يا لها من سفرة بائسة، ويا له من إخفاق شنيع! آه، يا أصدقائي البائسين! لأيّ مصير حزين رحلتُ إذن من أرجوس معهم؟ إنها نهاية لا أستطيع أن أكشف عنها لأحد من رفاقي؛ كما أنني لا أستطيع أن أعود بهم القهقرى. لم يبق أمامي إلاّ أن أسير في صمتٍ أمام مصيري. وأنتما يا أختاي! ما دمتما سمعتما اللعنات الرهيبة التي تفوّه بها أبي، إني أستحلفكما، بحق الآلهة، إذا تحققت هذه اللعنات ذات يوم، وإذا قُدّر لكما العودة إلى الوطن ـ فلا تهيناني، بل ادفناني في قبر وأحيطاني بالقرابين المقبرية. وحينئذ فإن المجد الذي حصلتما عليه بما أسديتما من خدمات إلى هذا الرجل سيزداد بما عساكما أن تقدماه لي من خدمة.

أنتيجونا: يا فولونيقوس! استمع إليّ، أرجوك.

فولونيقوس: يا عزيزتي الغالية أنتيجونا، ماذا تريدين منّي أن أسمع؟

أنتيجونا: آه! أَعِدْ جيشك أدراجه. اجعله يَعُدْ بأسرع ما يمكن إلى أرجوس، ولا تُضِع نفسك ووطنك بضربة واحدة.

فولونيقوس: هذا مستحيل. هل أعيد جيشي أدراجه سليماً، لأنني شعرتُ بالخوف فجأة؟!

أنتيجونا: أيّ عار في هذا، يا بُنَيّ؟ وماذا تكسب من تدمير وطنك؟

فولونيقوس: الهربُ عارٌ دائماً، خصوصاً وأنا الأكبر سِنّاً، فهل أدع لأخي أن يسخر منّي؟

أنتيجونا: ألا ترى إلى أين يقودك وحي أوديب؟ إنه يتنبأ لكليكما بموت متبادل.

فولونيقوس: لأنه يتمنى ذلك. ولكن لا يجوز لنا أن نستسلم.

أنتيجونا: آه! الويل! ومَنْ ذا الذي سيجرؤ على السير معك لو عَلِم بتنبؤات أبيك؟

فولونيقوس: لن أعلن أخباراً سيئة. إن القائد الماهر يعلن المزايا التي يملكها، ولا يتكلم أبداً عن تلك التي تُعوزه.

أنتيجونا: إذن، أيها الولد، بالنسبة إليك الأمر قد تقرّر؟

فولونيقوس: نعم! ولا تحاولي أن تمنعيني. ولِي وحدي أن أنظر هل تصرّفي ضارّ بسبب أبي وإلهات الانتقام الخاصة به. وليُعرِضْ عنك زيوس إذا أنت توليت العناية بجثتي لو متُّ لأنك لا تملكين العنايةَ بي وأنا حيّ. والآن، دعيني، ووداعاً! إنك لن تري فولونيقوس حيّاً.

أنتيجونا: آه! ويلي عليّ!

فولونيقوس: لا تبكي عليّ.

أنتيجونا: ومَنْ ذا الذي لا ينوح، يا أخي، حين يراك وأنت تُلْقِي بنفسك هكذا في الجحيم المفتوح أمامك؟

فولونيقوس: سأموت، إن كان هذا هو مصيري.

أنتيجونا: لا، لا! استمع إليّ.

فولونيقوس: لا تطلبي منّي أن أسمع ما يجب عليّ ألا أسمعه.

أنتيجونا: أيّ ألم سينتابني، إذا أنا حُرِمْت منك؟

فولونيقوس: يتوقف على الآلهة أن تجري الأمور في هذا الاتجاه أو في الاتجاه الآخر. وأيّاً ما كان الأمر بالنسبة إليك، فإني أنا سأتوسّل إليها ألا تضع

مصائب في طريقك، لأن الجميع متفقون على أنكما لا تستحقان كلتاكما أن تكونا بائستين.

(يبتعد بخطوات مندفعة).

الكورس: إن الآلام الشريرة التي كَلّفني إياها هذا الأجنبيّ الأعمى لم يسمع بمثلها ـ اللهم إلاّ أن يكون المصير هو نفسه قد بلغ اليوم مقصده. لأنني لا أستطيع أن أقول إن قولاً من أقوال الآلهة قد ذهب عَبثاً.

إن الزمان يرعاهم. بالنسبة إلى البعض هو يستغرق سنوات، وبالنسبة إلى البعض الآخر يستغرق يوماً واحداً، ليقودهم إلى نهايتهم ـ إن الأثير قد أَرْعَد. آه! يا زيوس.

أوديب: يا أولادي، يا أولادي، أودّ أن يأتيني واحدٌ من أهل هذه البلاد بثيسيوس، البطل الكامل!

أنتيجونا: ماذا تريد أن تطلب منه، يا أبي، بحيث تستدعيه على هذا النحو؟

أوديب: هذه هي الصاعقة المجنّحة التي بعث بها زيوس في هذه اللحظة عينها من أجل أن يسوقني إلى العالم السفلي. هيّا، أسرعوا في استدعاء ثيسيوس إليّ بأسرع ما يمكن.

الكورس: آه! الضوضاء المروّعة الرهيبة التي تنقضّ علينا، سَهْم زيوس! إن الفزع ينفذ في داخلي حتى أطراف الشَّعْر! ونفسي المرتاعة تنقبض. إن برقاً جديداً سيلهب السماء.

ماذا سيصبُّ في النهاية علينا؟ إني خائف، إن البوق لا يطير بدون هدفٍ أبداً. الشقاء دائماً يصحبه ـ آه! أيها الأثير الهائل! آه يا زيوس!

أوديب: يا ابنتاي، ها هي النهاية التي نبأتني الآلهة عن وقوعها قد أزفت. ولا شيء يمكن أن يصرفها عني.

أنتيجونا: وكيف تعرف هذا؟ إلى أيّ أساس تستند؟

أوديب: أنا أعلم هذا علم اليقين. فليذهب أحدٌ بأسرع ما يمكن ليأتيني بملك هذا البلد.

الكورس: آه! آه! ها هي ضوضاء هائلة تحيط بنا من جديد! كُنْ بنا رحيماً أيها الإلٰه، ارحمنا إن كنت ستُخضر إلى الأرض التي منها وُلِدنا هِبةً مستسرّة.

ليتني أجدك مستجيباً لدعائي، وليت رؤيتي لملعون لا تسبّب لي الإصابة بقسم من نِعَمك المروّعة ـ أي زيوس الحاكم الأعلى، إليك أصرخ!

أوديب: هل يقترب الملك؟ هل سيجدني، يا ابنتاي، لا أزال في قيد الحياة وفي كامل عقلي؟

أنتيجونا: أيّ سرّ تريد إذن أن تُودِعه في ذاكرته.

أوديب: أريد أن أقدّم إليه نعمة ملموسة ثمناً لنِعَمه، نعمةً هي تلك التي وعدتُه بها في الساعة التي حصلتُ عليها.

الكورس: يا بُنَيّ، تعالَ، تعالَ، سواء أكنت في هذه الساعة في الحقل، أم كنت تقدّم أضاحي في عمق السهل إلى مذبح إلٰه البحار، فوسيدون. آه! تعالَ!

إن الأجنبيّ يدّعي أنه سيقدّم إليك، وإلى مدينتك، وإلى كل أصدقائها، المكافأة العادلة عن النِّعَم التي يدين بها لنا ـ أَسْرِعِ أيها الأمير، اجْرِ.

(ثيسيوس يعود).

ثيسيوس: ما هذه الضجّة التي فيها ترنّ كل الأصوات معاً، ضجتكم أنتم، وضجة الأجنبي التي لا تقل عن ضجتكم ارتفاعاً؟ ماذا هناك؟ أهي صاعقة من صواعق زيوس؟ أو نَوْء ينفجر إلى مطر؟ يمكن افتراض كل شيء، حينما يطلق الإلٰه مثل هذه العاصفة.

أوديب: حضورك، أيها الملك، لبّى رغباتي، والإلٰه قد جعل من مجيئك فرصة سعيدة من أجلك.

ثيسيوس: أيّ حادث جديد حدث، يا ابن لايوس؟

أوديب: هذه هي الساعة الجاسمة بالنسبة إلى حياتي: أنا لا أريد أن أموت حارماً إياك، ومدينتك مما وعدتك به.

ثيسيوس: إلى أيّ دليل تستند حين تعلن هكذا عن موتك؟

أوديب: إن الآلهة، لتعلن لي عن ذلك، قد تولّت هي مهمّة المنادين. إنها

لم تُغْفِل أية علامة من العلامات المصطلح عليها.

ثيسيوس: وكيف تزعم، أيها الشيخ العجوز، أن هذه العلامات تتجلّى هنا؟

أوديب: إنها تتجلى في ضربات الرعد المتعددة المتطاولة، وفي البروق المتكررة المنطلقة من يدٍ خفيّة.

ثيسيوس: إنّي أصدّقك. وأنا أعلم أنك قُمْتَ بتنبؤات لم تكذبها الوقائع. قُلْ لنا إذن ماذا يجب أن نفعل؟

أوديب: يا ابن أجايوس! سأخبرك أيّ كنز ستحافظ عليه أنت ومدينتك، بمأمنٍ من السنّ وهمومه. إن الموضع الذي لا بد أن أموت فيه سأقودك أنا إليه فوراً، دون أن يمسك بيدي أيّ مُرْشد. وعليك أنت ألا تدلّ أحداً عليه، ولا تكشف أين هو مخبّأ، ولا في أيّ مكانٍ هو، إن كنت تريد أن أكون لك عوناً يساوي ألف درع، بل ويساوي جيشاً يُهْرَع من بلد مجاور نجدةً لك. لكن السرّ العظيم الذي ينبغي على الكلام أن لا يصرّح به أنت ستعلمه حينما نكون هناك - أنت وحدك، لأنني لا أستطيع أن أبوح به لأحد، ولا لأيّ واحد من هؤلاء المواطنين ولا لأيّ واحدة من بناتي على الرغم مما أحمل لهما من حب. حافظ على هذا السرّ أنت وحدك دائماً، وحينما تبلغ نهاية عُمْرك فأَفْضِ به إلى أجدر الناس به، حتى يفضي به هذا إلى مَنْ يَخْلُفه وهكذا باستمرار.

وعلى هذا النحو ستحافظ على بلدك وتجعلها في مأمن من الكوارث التي قد يصيبه بها أبناء الأرض[1]. كم مِنْ مدن، مهما كانت محكومة حكماً صالحاً، قد انساقت إلى التبذير! إن عين الآلهة تعرف جيداً كيف - تكتشف - وأحياناً بعد زمان طويل - أولئك الذين اتجهوا نحو الحماقة والجنون. صَمِّم إذن، يا ابن أجايوس، على ألا تصير كذلك - لكن لماذا ألقي درساً على من يعرف كل ذلك؟ فلنرحل دون إبطاء. إن نداء الإله يحثّني. لنرحل إلى المكان الذي أشرتُ إليه. يا ابنتاي اتبعاني، إنني في هذه المرة سأكون المرشد والدليل؛ إنه مرشد غريب من غير شك، لكنه مماثل لهذا الذي كنتما أنتما إياه بالنسبة إليّ. تعالوا، دون أن تمسّوني، ودعوني أنا وحدي أعثر على القبر المقدّس الذي فيه قرر المصير أن أُدفَن في هذه

---

(١) أي: أهل ثيبا، الذين ولدوا من أسنان التنين التي بذرها كادموس.

البلاد. من هنا، من هنا، تقدموا نعم، من هنا يقتادني هرمس، مرشد الموتى، وإلاهة العالم السفلي. أيها النور الخفيّ عن عينيّ، ومع ذلك كنت مرشدي زماناً طويلاً، إن جسمي يشعر اليوم بملمسك لآخر مرة. بهذه الخطى سأذهب لأخفي في العالم السفلي آخرَ يوم في حياتي. لك يا أحبّ المضيفين، ولهذا البلد، ولكل أولئك الذين يتبعونك ـ أتمنى السعادة؛ لكن في وسط هذه السعادة، لا تنسوني، حتى لو مُتُّ، إن كنتم تريدون أن يبقى الهناء نصيبكم إلى الأبد.

(يخرجون جميعاً خلف أوديب).

الكورس: إن أُذِن لي أن أوجّه نداء تقيّاً إلى الإلاهة الخفية. وإليك أنت، يا مَلِك الظلمات، يا ايدونيوس، يا ايدنيوس[1]، إني أتوسل إليك أن ينزل «الغريب» إلى سهل الأموات دون آلام ولا سكرات موت مؤلمة، سهل الأموات الذي يدفن فيه الكل، بيت استوكس!

حينما يكون (الميّت) بريئاً قد أصابته مصائب عديدة، فإن الألوهية ستكون عادلة بأن تُنْهِضه من جديد.

يا آلهات العالم السفلي! أيها الوحش الذي لم يُغلب، يا من ترقد في مغارتك وأنت تنبح باستمرار، أمام هذه الأبواب التي اجتاز منها مارّة لا حصر لهم، يا من تُعَدّ الحارس الذي لا يُقْهر لهادس! آه أيها الحارس ـ أرجو منك يا ابن الأرض والطرطاروس، أن تفسح الطريق أمام «الغريب» الذي يتوجه نحو السهل السفلي الذي يتجمع فيه الأموات. إني أناشدك أنت يا إله[2] القوم الذي لا نهاية له.

(الرسول يصل).

الرسول: أيها المواطنون، أقول لكم باختصار: إن أوديب قد مات. أما تفصيل ما حدث، فإن القصة لا يمكن أن تروى في كلمة، كما أن الوقائع نفسها لم تحدث في لحظة واحدة.

قائد الكورس: لقد مات هذا التعس الحظ؟

---

(١) أي: هادس Hades.

(٢) أي: كربيرس Cerbers: وهو كلب يحرس مدخل العالم السفلي، وله ثلاثة رؤوس.

الرسول: اعْلَمْ أنه حصل على حياة لا تنتهي أبداً.

قائد الكورس: لكن كيف؟ هل أعفاه من الألم حظٌّ إلٰهي؟

الرسول: في هذا فعلاً ما يدهشكم. أولاً: في اللحظة التي ابتعد فيها عن ههنا ـ وأنت كنت هنا، وتعلم ذلك مثلما أعلم أنا ـ لم يتولّ أحدٌ من أهله إرشاده وقيادته. بل هو الذي أرشدنا واقتادنا جميعاً. ووصل هكذا إلى عتبة السنّ المدببة التي تغوص قواعدها البرونزية في أرضنا[1]. وتوقف في أحد الطرق التي تنطلق من هذه النقطة، بالقرب من غور يكوّن ابريقاً، حيث يحتفظ إلى الأبد بالأقسام التي أقسم بها ثيسيوس وپريتوس[2]. وتوقف على مسافة متساوية من هذا الإبريق ومن صخرة ثوريكوس ومن الكمثرى الجوفاء ومن القبر الحجري. وهناك خلع أسماله البالية؛ ثم بصوتٍ مرتفع، طلب من ابنتيه أن تُحْضَرا إليه من حيث تستطيعان الماء المنعش الضروري لوضوئه ورشّاته. فتوجهت كلتاهما نحو الرابية التي شاهدتاها أمامهما[3]، رابية ديميتر إلاهة القمح الطريّ ونفذت أوامر والدهما. وبعد ذلك غسلتاه وألبستاه الثياب المخصصة لهذه الشعيرة من الشعائر. لكنه لم يكن سيشعر لذة رؤية هذا كله، فإنه في هذه اللحظة، لم تكن له أية رغبة يريد تحقيقها، وإذا بزيوس العالم السفلي يأخذ في الإرعاد. فلما سمعته الفتاتان اقشعرّتا وسقطتا عند قدمي أبيهما وهما تبكيان، ولم تَكُفّا عن لطم صدريهما والنواح الطويل. أما هو فإنه لم يكد يدرك هذا النداء الخشن حتى طوّقهما بذراعيه وقال لهما: «يا بناتي، منذ هذا اليوم لن يكون لكما أب. فكلٌّ ما كُنْتُه قد مات الآن. ولن تتحملا بعدُ همَّ إطعام أبيكما. لقد كان أمراً قاسياً عليكما، يا ابنتاي، أنا أعلم ذلك؛ لكن كلمة واحدة هنا ينبغي أن يكونَ فيها الجزاء عن آلامكما: «لا يوجد إنسان أوليتماه من الحنان أكثر من هذا الذي بدونه ستعيشان بقية عمركما».

هكذا تعانق ثلاثتهم وهم ينوحون ويبكون. وبلغوا نهاية التشكّي، ولم يعودوا يصرخون بل اعتصموا بالصمت، وإذا بصوتٍ جاء فجأةً وصدع أوديب، وأوقف

---

(١) أي: الموت.

(٢) موقع كولون كان يسمى «عتبة البرونز»، كما هو وارد في بداية هذه المسرحية.

(٣) في هذا المكان عقد ثيسيرس وپريثوس Pirithoos ميثاق صداقه، والإبريق الذي وضع فيه دم الأضاحي قد غرز في التراب. لكننا لا نعلم شيئاً عن صخرة ثوريكوس ولا الكمثرى الجوفاء ولا القبر الحجري.

شَعْر الجميع على جباههم من الخوف. إن إلاهاً قد ناداه وألّح في النداء قائلاً: «هيا، هيّا، لماذا تتأخر يا أوديب عن السير في الطريق؟ إنك جعلتنا ننتظر منذ وقت طويل». هنالك أدرك أوديب أن النداء جاءه من إلٰه، وطلب من ثيسيوس أن يأتي إليه؛ ثم لما اقترب ثيسيوس قال له: «أيها الصديق الذي أحبّه، امنحني الثقة القديمة التي تضمنها يدك من أجل ابنتي، وأنتما كذلك يا ابنتاي - وعِدني ألا تتخلى أبداً عن هاتين الفتاتين من تلقاء نفسك، واعمل بإحسانٍ كل ما يجب عليك من أجل مصلحتهما».

وتعهد ثيسيوس بشهامة ونبل وأقسم بأن يحقق أمنية «الغريب». ولما تم هذا، أسرع أوديب فوضع يديه العمياوين على ابنتيه وقال لهما: «يجب عليكما الآن، يا ابنتاي، أن تستردا الكبرياء في قلبيكما وأن تغادرا هذه الأماكن دون أن تشهدا أو تسمعا الأمور أو الكلمات المحرّمة عليكما. ارحلا بأسرع ما يمكن. وليَبْقَ ثيسيوس، فهو وحده المؤهّل لأن يعرف ما سيحدث».

ولم يسمع أيّ واحد منا ما قاله بعد ذلك، واصطحبنا نحن جميعاً الفتاتين. لكننا بعد قليل من الزمن والمسافة عُدْنا، وشاهدنا أن أحد الرجلين لم يَعُدْ هناك، أما الآخر - وهو ملكنا - فقد وضع كفّه على جبينه ساتراً عينيه كما لو كان في حضرة مشهد مروّع تجلّى له ولم يتحمل رؤيته. وبعد ذلك بقليل وبدون إبطاء، شاهدناه يتعبّد بدعاء واحدِ الأرضَ والأولمب الإلٰهي. لكن كيف مات الرجل الآخر؟ لن يستطيع أحد أن يخبر عن ذلك، باستثناء ملكنا ثيسيوس. مَنْ الذي جعله يختفي؟ لم يكن ذلك برقاً من السماء، ولا ريحاً قادمة من ناحية البحر في هذه اللحظة بل هو بالأحرى رسول من الآلهة اللهم إلاّ أن يكون جوف أرض الموتى الذي تفضل فانفتح أمامه. لقد رحل غير مشيّع بالنواح، ولا وسط آلام المرض، بل بمعجزة كاملة إن جاز أن يحدث مثل هذا لإنسان. ولو اعتقد أحدٌ أنني فقدت عقلي، فإنني لن أستطيع أن أمنح العقل لأولئك الذين يحرمونني منه.

قائد الكورس: لكن أين ابنتاه ومَنْ كان مِنْ رجالنا قد اصطحبهما؟

الرسول: إنهما ليستا بعيدتين: إن صوت هذه الزفرات واضح وضوحاً كافياً، ويؤكد لنا أنهما آتيتان إلى هنا.

أنتيجونا: آه! آه! نحن نستطيع، نحن نستطيع كلتانا أن ننوح في هذه المرة

دون تحفُّظٍ ـ على ذلك الدم الملعون، إرث أب، الذي يجري في عروقنا نحن البائستين.

لقد تحمّلنا دون انقطاع من أجل هذا الأب آلاماً طويلة؛ لكن عند ساعته الأخيرة سنروي لكم وقائع تتحدّى العقل، لكننا رغم ذلك شاهدناها وعانيناها.

الكورس: ما هي إذن؟

أنتيجونا: يمكن تصور ذلك، يا أصدقائي.

الكورس: إنه مات؟

أنتيجونا: على خير نحو يمكن أن يُرَجّى. وهل يمكن أن يقال غير ذلك؟ إنه لم يجد في طريقه معركة ولا بحراً. سهول الظلمات أمسكت به، وحملته في موتةٍ غامضة، أما بالنسبة إلينا نحن ـ ويا أسفاه! فإن ليلة من الموت سقطت على عيوننا. فأنّى لنا من الآن فصاعداً ونحن شاردتان في بلد بعيد أو على أمواج بحرية، أن نَحْصل على الخبز الذي يؤمّن لنا العيش؟

إسمينا: لست أدري. ألا فليجعلني هادس السفّاح فريسة له، كي أموت مع أبي العجوز. إنني تعيسة، وحياتي المقبلة لن تكون حياة.

الكورس: أيتها البنتان النموذجيتان إن المصير الذي يتحكّم فيكما ينبغي تحمُّله بشجاعة. لا تدعا نفسيكما تحترقان غيظاً. إن الطريق الذي اتخذتماه ليس من الطُّرُق التي تستدعي أيّ لوم.

أنتيجونا: نعم! إني أرى أن من الممكن أن يأسف المرء على بلاياه. إن الأمور الأقلّ عذوبة كانت عذبة عندي، حينما كنت أضمّه هو بين ذراعيَّ.

إيه أيها الأب الذي أحبّه، والذي يحيط به الآن ظل العالم السفلي ـ أنا مسؤولة عنك حتى وأنت في هذه الحال، ولن يتخلى عنك أبداً حبُّنا: حبّي أنا، وحبّها هي.

الكورس: لقد كان مصيره. . .

أنتيجونا: هو المصير الذي كان يتمناه.

الكورس: أيّ مصير إذن؟

أنتيجونا: إنه البلد الأجنبي الذي كان يرجوه هو الذي شاهد موته. إن مرقده

تحت الثرى، مستوراً إلى الأبد. إنه لم يترك وراءه حداداً يرفض أن يذرف العبرات. انظر إذن إلى عينيّ، يا أبي؛ إنهما تبكيان وتنوحان؛ ولست أدري ـ ويا حسرتاه، ماذا أستطيع أن أفعل لأضع حدّاً للحزن الذي تركته لي اليوم. لقد تمنيت أنت أن تموت بأرض أجنبية، لكن لماذا مُتَّ هكذا، بدوني أنا؟

إسمينا: آه! يا للشقاء! أيّ مصير ينتظرنا، أنتِ وأنا، يا عزيزتي، وقد حُرِمنا هكذا من أبينا. . . . .[1]

الكورس: لكن ما دامت حياته قد انتهت هذه النهاية السعيدة، فكُفّا، يا صديقتاي، عن الحزن. لا يوجد إنسان لن يكون يوماً فريسة للشقاء.

أنتيجونا: لنَعُدْ إلى هناك، يا عزيزتي.

إسمينا: لنعمل ماذا؟

أنتيجونا: إن رغبة حارّة تتملكني.

إسمينا: وما هي؟

أنتيجونا: هي أن أرى المُقام تحت الثرى. . .

إسمينا: مقام مَنْ؟

أنتيجونا: مُقام أبينا، ويا حسرتاه!

إسمينا: وكيف سيُسْمح لنا بهذا؟ ألا تُذْركين؟

أنتيجونا: لماذا هذا التوبيخ؟

إسمينا: وفَكّري في هذا أيضاً. . .

أنتيجونا: في ماذا؟

إسمينا: فَكّري أنه مات، ولم يُدْفن، بعيداً عن الجميع.

أنتيجونا: فليقتادوني إذن إلى هناك كيما أقتل نفسي أنا بدوري.

إسمينا: . . . .[2]

أنتيجونا: . . . .

(١) هنا نقص في الأصل اليوناني بمقدار بيت شعر واحد.

(٢) نقص في الأصل اليوناني بمقدار قولين لكلتيهما.

إسمينا: واحسرتاه! بائسة أنا في الحالة التي أنا فيها، وَحْدي في بليّتي، فأين إذن أستطيع أن أستأنف حياتي التعيسة؟

الكورس: يا صديقتاي، لا تخشيا شيئاً.

أنتيجونا: أين إذن سأجد المأوى؟

الكورس: لقد وجدتما كلتاكما مأوى.

أنتيجونا: ماذا تقصد؟

الكورس: ضد الانهيار المنحوس.

أنتيجونا: أنا أفكّر...

الكورس: لماذا تفكرين عبثاً؟

أنتيجونا: إني أفكّر في وسيلة للعودة إلى الوطن. لكنني لا أجد أية وسيلة.

الكورس: افعلي أحسن من هذا: وهو ألا تبحثي عن أية وسيلة.

أنتيجونا: التعب يستولي عليَّ.

الكورس: وكان يستولي عليك من قبل.

أنتيجونا: أحياناً هو جزع، وأحياناً أخرى هو أسوأ من ذلك.

الكورس: إن أمامك بحراً من المصائب.

أنتيجونا: أجل، حقاً.

الكورس: وأنا أوافق على ما تقولين.

أنتيجونا: واحسرتاه! واحسرتاه! أين أذهب، يا زيوس؟ أيّ أمل أبقاه لنا المصير؟

(ثيسيوس يعود).

ثيسيوس: قِفْن هذا النواح، يا بنات. لما كان فضل الموتى قد ضُمِن لنا جميعاً، فلا محل للنواح، وإلاّ لتضايقوا منّا.

أنتيجونا: إيه يا ابن أجايوس، إننا نرتميان عند قدميك.

ثيسيوس: ماذا تنتظران مني، يا بنات؟

أنتيجونا: نريد أن نرى بأعيننا قبر أبينا.

ثيسيوس: هذا أمرٌ محظور.

أنتيجونا: ماذا تقصد يا مولاي ويا سيّد أثينا؟

ثيسيوس: إنه هو الذي حظر ذلك، يا بناتي. ولا ينبغي لأي كائن فانٍ أن يقترب من هذه الأماكن، ولا أن يعكرّ بصوته القبرَ المقدس الذي يرقد فيه. وقد قال هو لي إنني إذا احترمت أمره هذا فإن بلدي سيغلق إلى الأبد دون الأحزان. وما التزمنا به قد تلقاه الإله، كما تلقاه مَنْ يسمع كل شيء، عن طريق «القَسَم»: ابن زيوس.

أنتيجونا: إذا كانت هذه هي أمنيته، فهذا كافٍ. أَعِدْنا إذن إلى مدينتنا القديمة ثيبا، كيما نسدّ الطريق ـ إن كان هذا ممكناً ـ على «القتل» الذي يسير نحو كلا أخوينا.

ثيسيوس: هذا هو ما سأعني به، وكل ما ينبغي أن يُنْجَز أيضاً، من أجل خدمتكما وتحقيق أماني الميّت الذي رحل عنا ـ كل هذا سأبذل جهدي فيه دون هوادة.

رئيس الكورس: كَفَى! لا توقظا الحزن بعدُ. إن القصة قد انتهت هنا نهائياً.

ختام

مسرحية «أوديب في كولون»

مَسْرحيَّة «فيلوكتيت»

مقدّمـة «فيلوكتيت»

بقلم: د. عبد الرحمن بدوي

(١)

من هو فيلوكتيت؟

هو ابن پوياس Poeas (من الكلمة Poa وPoia = عُشْب) الذي كان إما راعياً وإما ملكاً على ماليا Malia وديمونسّا Demonassa. وقد مرّ پوياس، أو ابنه فيلوكتيت في جبل أوتا Oeta باحثاً عن قطيعه، في الوقت الذي كان فيه هرقلس Heracles يعاني سكرات الموت على المَحرقة التي هيّأها، ولم يشأ أحدٌ من خدمه أن يشعل فيها النار طالما كان هرقلس حيّاً؛ فعرض هرقلس على كل إنسان يمرّ أن يأخذ قوسه وأسْهَمه في مقابل إسداء هذه الخدمة إليه، أعني إشعال النار في المحرقة. فلما مرّ به فيلوكتيت أسدى إليه هذه الخدمة، وفي مقابل ذلك ورث عنه قوسه الشهيرة التي تمكّن هرقلس بفضلها أن يدمّر طروادة (إليون).

وتذكر «الإلياذة» (النشيد رقم ٢) أن فيلوكتيت اشترك مع سائر اليونانيين في الحملة البحرية الحربية ضد طروادة. ذلك أنه كان أحد الطامعين في الزواج من هيلانه، فلما خطف پاريس ـ ابن فريام، ملك طروادة ـ هيلانة ومضى بها إلى طروادة، قامت حملة من اليونانيين لاستنقاذها. واشترك فيلوكتيت في هذه الحملة.

بوصفه كان واحداً من الطامعين في الزواج من هيلانة - ورأس سبع سفن محمّلة بالقرّابين، وأبحرت هذه المجموعة من ماليا Malia صوب طروادة. فلما بلغ هذا الأسطول تنيدوس Tenedos، تقرر تقديم الأضاحي إلى أپولون على جزيرة خروسيه Chrysé، واقتاد فيلوكتيت رؤساء الحملة إلى هذه الجزيرة. لكن حدث أثناء إجراء مراسم التضحية أن أفعى عضّت فيلوكتيت في قدمه، فنتج عن هذه العضة جرح ما لبث أن فَسَد، ولم يمكن علاجه، وانبعثت منه رائحة كريهة جداً.

ويقول بعض المؤلفين إن الأفعى كانت تحرس معبد أپولون، أو إن هيرا (زوجة زيوس وملكة السماء) هي التي أرسلت هذه الحيّة عقاباً لفيلوكتيت لأنه ساعد هرقلس.

ويقول آخرون إن الجرح الذي أصيب به فيلوكتيت لم يكن بسبب عضة أفعى، وإنما بسبب سهم من سهام هرقلس التي كانت مسمومة بدم الهيدرا (وهي أفعى مائية جسمها جسم كلب، وكانت إحدى أقرباء أول ضحية من ضحايا هرقلس؛ وأبوها هو توفون).

وتألّم فيلوكتيت بسبب هذا الجرح آلاماً بالغة، ولم يقو على كتم هذه الآلام، ولهذا كان يصرخ منها ويئنّ باستمرار، ويطلق اللعنات التي كان يفزع منها الجيش اليوناني. ثم إن الرائحة الكريهة التي كانت تنبعث من هذا الجرح كانت لا تحتمل. لهذا اقترح أودسيوس (ملك إيثاكا)، وابن لايرتس، وكان من أبرز قواد الحملة ضد طروادة، أن يتركوا فيلوكتيت على جزيرة لمنوس Lemnos (إحدى جزر بحرايجه)، بينما تابع الأسطول سيره نحو طروادة. وانتقلت قيادة مجموعة سفن فيلوكتيت إلى ميدون Medon، الابن غير الشرعي لأويليه Oilee.

فعاش فيلوكتيت وحيداً على جزيرة لمنوس، وكان يقتات مما يصطاده بقوسه من الطيور والحيوان البرّي؛ وكانت سهامه لا تخطىء الهدف أبداً. لكن جرحه ازداد سوءاً، وإيلاماً.

واستمر فيلوكتيت في هذه العيشة الموحشة طوال عشر سنوات. ثم حدث أن أودسيوس قد أَسَر نبيّ طروادة، واسمه هيلينوس Helenos، واستنبأه. فقال هيلينوس إن اليونانيين لن يستطيعوا الاستيلاء على طروادة إلاّ إذا أقنعوا فيلوكتيت بالمجيء إلى طروادة والاشتراك في القتال مستعملاً قوس هرقلس. ولما كان

أودسيوس يعلم تمام العلم أن فيلوكتيت يكرهه أشدّ الكراهية لأنه هو الذي اقترح التخلص منه بإنزاله في لمنوس، فإنه استعان بحيلة هي أن يأخذ معه إلى لمنوس نيوپتوليم - ابن أخيلوس، وهو لم يكن حاضراً مع الحملة حين أُنزِل فيلوكتيت في جزيرة لمنوس. وتولى نيوپتوليم إقناع فيلوكتيت بالذهاب إلى طروادة. واحتال نيوپتوليم لإنجاح هذه الحيلة بأن اقترح على فيلوكتيت بأنه مستعد لإعادته إلى وطنه الأصلي في اليونان. انطلت هذه الخدعة على فيلوكتيت، ووثق بهذا الفتى، ابن البطل النبيل أخيلوس، معتقداً أنه سيكون من نِجار أبيه في النبالة والأمانة وشرف الكلمة. ولهذا أعطى لهذا الفتى نيوپتوليم قوسه وسهامه.

وهنا يظهر أودسيوس ويأخذ القوس والسهام، ويريد - ومعه رجاله - أن يقتاد فيلوكتيت قسراً وقهراً إلى طروادة.

وهنا شعر نيوپتوليم بتوبيخ الضمير وبما ارتكبه من خزي وعار ونذالة في حق هذا الرجل الجريح الذي استأمنه. وأعاد القوس والسهام إلى صاحبها، أي إلى فيلوكتيت؛ وأبدى استعداده لتنفيذ ما وعد به من إعادة فيلوكتيت إلى وطنه في اليونان.

وفجأة يظهر هرقلس، وكان قد صار في رحاب الآلهة، وحث فيلوكتيت على الذهاب إلى طروادة لينال شرف تدميرها مرة ثانية، بعد أن كان هو - أي هرقلس - قد دمّرها من قبل؛ وأغراه بأنه هناك في طروادة سيجد الأطباء الذين يشفونه من جرحه.

وثم روايات أخرى تقول إن الذي صحب أودسيوس هو ديوميد Diomede، ابن توديا Tydée، وكان ملكاً على أرجوس، وكان من اشجع المحاربين اليونانيين الذين حاصروا طروادة، كما كان صديقاً حميماً لأودسيوس.

ووصل فيلوكتيت إلى طروادة؛ وهنا عالجه طبيبان (كلاهما أو أحدهما) هما ماخاؤن Machaon وپوداليريوس Podalirios. وشفى فيلوكتيت من جرحه هذا. ثم اشترك في القتال واستطاع قتل پاريس Paris بسهم مسموم من السهام التي ورثها عن هرقلس. وبهذا تم فتح طروادة.

واختلفت الروايات في مصير فيلوكتيت بعد ذلك. فقالت إحداها إنه عاد سعيداً إلى وطنه سليماً معافى. وقالت رواية أخرى إن ريحاً عنيفة دفعت بسفينته

إلى جنوبي إيطاليا، حيث أسّس هناك مدينة قريمسّا، بالقرب من مدينة قروطونا Crotona. وأقام فيها معبداً فيه كرّس أسلحته إلى أپولون، بوصفه حامي المسافرين.

(٢)

المآسي التي أُلّفت في موضوعه

وقد تناول موضوع فيلوكتيت الكثيرون من مؤلفي المآسي:

أ ـ وعلى رأسهم جميعاً كبار مؤلفي المآسي اليونانيين، وهم: اسخولوس، وسوفقليس، ويوريفيدس. لكن ضاعت مأساة الأول ومأساة الثالث، ولم تبق لنا إلاّ المأساة التي ألّفها سوفقليس.

بيد أن أپولّودو Apollodoe المؤلف في علم الخطابة قد ترك لنا تحليلاً للمأساة التي ألّفها أسخولوس. ونفهم من هذا التحليل أن أودسيوس ظهر لفيلوكتيت باسم مستعار، ولم يستطع فيلوكتيت أن يتعرّفه، لأن ما عاناه من آلام فظيعة قد أضعف ذاكرته وأشاع فيها الخلط والإضطراب بحيث لم يتعرّف أودسيوس. فراح هذا يغريه بكلام معسول يرضيه، إذ قال له إن أجاممنون قد مات، ثم دعاه إلى الذهاب إلى سهول طروادة كي ينتقم من منلاوس ـ زوج هيلانة ـ ومن أودسيوس، وكلاهما عدوّه. وكان الكورس في مأساة أسخولوس مؤلفاً من سُكّان جزيرة لمنوس.

لكن هذا التحليل الموجز لا يجيب عن الأسئلة التالية:

ـ هل أسخولوس هو الذي وضع أودسيوس مكان ديوميد في القيام بمهمة إقناع فيلوكتيت بالذهاب إلى طروادة؟

ـ كيف تخلى أودسيوس عن اسمه المستعار، وكشف لفيلوكتيت عن اسمه الحقيقي؟

ـ بأية حجج استطاع أودسيوس إقناع فيلوكتيت بالذهاب إلى طروادة؟

ـ ما هي الأفكار الدينية والأخلاقية التي بثها أسخولوس في مأساته هذه؟

ب ـ وبالمثل لدينا تلخيص لمسرحية يوريفيدس المفقودة والتي موضوعها هو فيلوكتيت. وهذا الملخص قد كتبه ديون الذهبيّ الفم Dion Chrosostome (حوالي ٣٠ أو ٤٠ ـ ١١٧م). ومن هذا الملخص نعرف أن أودسيوس قد جاء إلى جزيرة لمنوس مصحوباً بديوميد (وليس بنيوپتوليم). وقد غيّرت الإلاهة أثينا شكل أودسيوس، بحيث لم يستطع فيلوكتيت أن يتعرّفه. وادعى ديونسيوس ـ وهو في هذا التنكر ـ بأنه خادم أمين لصديقه القديم پالاميد، وأنه طُرد من الجيش؛ واقترح على فيلوكتيت أن يكون حليفاً له. لكن فيلوكتيت اقترح عليه أن يعيش معه عيشة هادئة. ولم تكن الأزمات المرضية تنتابه إلاّ في فترات متباعدة؛ وكان أهل لمنوس، وقد صاروا أصدقاءه، يعنون به أثناء هذه الأزمات. وهنا جاءت جماعة من سكان أفروجيا وحاولوا اغراءه بالهدايا. لكنه لم يستجب لهم، لأن أودسيوس اقترح على فيلوكتيت أن يعيده إلى وطنه. فعاد سكان أفروجيا هؤلاء خائبين.

وهنا يظهر أقطور Actor، أحد أعيان هذه البلاد، وكان صديقاً مخلصاً لفيلوكتيت. وكان ظهوره إيذاناً بقرب حدوث أزمة عصبية لفيلوكتيت. وحدثت الأزمة، وفي إثرها غرق فيلوكتيت في نوم عميق. فانتهز أودسيوس هذه الفرصة، وأخبر أقطور بالمكيدة واكتسبه لصفّه، واستولى على قوس فيلوكتيت وأسهمه. فلما استيقظ فيلوكتيت من نومه، مثل له ديونسيوس ـ بعد أن استولى على القوس والسهام إبان نوم فيلوكتيت ـ وبصحبته ديوميد، وكشف عن حقيقة ذاته. لكن فيلوكتيت ـ رغم أنه سُرِق منه ـ سلاحه ـ فإنه لم يستسلم.

وأخيراً نجده ـ في الملخص ـ يستسلم لأودسيوس ـ بعد أية حجج أو اغراءات ساقها إليه هذا الأخير ـ لسنا ندري!

وقد قارن ديون الذي من پروس في إحدى خطبه بين هذه المآسي الثلاث التي تدور حول فيلوكتيت، فنعت مأساة سوفقليس بأنها وَسَطٌ بين طرفين: أحدهما هو العنف العتيق عند أسخولوس، والآخر هو التنوع الخطابي والتشتت عند يوريفيدس.

ويقول كارل راينهرت في المقارنة بين هذه المآسي الثلاث:

«في مسرحية أسخولوس، كان أودسيوس هو وحده الذي يواجه آلام فيلوكتيت وصرخاته؛ وشكل الرواية المأساوية سيطر على الأحداث: وبينما كان

فيلوكتيت يلفظ شكاية أمام كورس من أهل لمنوس، فإن أودسيوس، دون أن يكشف عن هويته، اخترع ألف عارٍ ونسبها إلى نفسه ـ أما يوريفيدس فإنه أبقى على كورس أهل لمنوس، لكنه وضع مكان المبارزة الفردية (بين أودسيوس وفيلوكتيت) عملية أكثر تعقيداً: فالبطل المريض، المتروك منذ وقت طويل، وجد نفسه فجأةً محاطاً بطامعين ومصطاداً في شبكة ضيقة من المؤامرات، لأن فريقين: أحدهما وفد طروادة، والآخر أودسيوس يساعده پالاميد، راحا يتنازعان الفوز بخدماته ـ أما سوفقليس فهو أول من جعل من لمنوس جزيرة خالية من الناس، وأول من ألّف كورساً من البحّارة ـ وهذا من شأنه أن يزيد من وُحدة البطل ـ ثم إن إضافته لشخص نيوپتوليم مكنته من أن يُحِلّ محل التقابلات والمبارزات السابقة: عملية محكمة، دائرية، ذات حيوية أسهم فيها ثلاثة أشخاص. وهذا العدد من الأشخاص قد ولّد ـ لأول مرة ـ في وسط عملية ذات محور دائم، تبادلاً في الأدوار، وصارت العقدة هي الرابطة والمصير للنفوس التي تحيق بها.

«وعلى هذا النحو، صارت مأساة «فيلوكتيت» هي الدراما ذات العقدة الأكثر مخاطرة والأبعد عمقاً في المسرح الأتيكي، والتبرير الشعري لجماع هذا النوع. وهذه العقدة، البعيدة عن الفعل السياسي وعن المغامرة المتعثّرة، والمتعلّقة بحادث غريب عن كل ما كانت عليه الحال في مسرحية يوريفيدس ـ تقوم على الضرورة الوحيدة لما هو إنساني؛ إنها تحرّك وتستكشف الإرادة، والتردد، والآلام الإنسانية؛ وهي تزعزع، وتَفْصِل، وتلتقط ـ وكل هذا ليس مجرد نتيجة لظروف غير عادية، وهنا فقط نجد أن «الدهاء»، والالتواء يظهران كعناصر ضرورية للنجاح والانتصار. ولأن ميراث أبيه يفرض عليه أن ينتصر، فإن نيوپتوليم كان ملتزماً بأن يصارع هذا «المكر الذي بدونه لا يمكن أن يصير شيء سامٍ في هذا العالم. وبهذا صارت علاقته مع العقدة جوهرية وليست عَرَضية كما كانتَ الحال في علاقة أورست مع عقدة مسرحية «الكترا». أما فيما يتعلق بفيلوكتيت، هذا البطل الصامد في الآلام، فإنه لا يمكن فصله، بحسب أسلوبه ومصيره، عن هذه الحيلة التي تريغ إلى خدمته دون اهتمام بإنسانيته. والحيلة المسرحية القائمة على «التعرُّف» قد عادت وصارت شعراً بفضل مسرحية «الكترا»؛ وكذلك العقدة intrigue، بفضل مسرحية «فيلوكتيت»[1].

(١) كارل راينهرت: «سوفقليس» ص٢١٧ ـ ٢١٨، ترجمة فرنسية، باريس، ١٩٧١.

(٣)

مصادر سوفقليس

والمصادر التي اعتمد عليها سوفقليس واستلهم منها موضوع مأساته تنحصر فيما يلي:

أ ـ هوميروس: «الإلياذة» النشيد الثاني، الأبيات ٧١٦ وما يليها.

ب ـ هوميروس: «الأوديسّا»، النشيد الثالث، البيت ١٩٠ وما يليه.

ج ـ «الأناشيد القبرسية»[١] تصنيف استاسينوس.

د ـ «الإلياذة الصغرى»، تصنيف Lesches.

هـ ـ پندار: «القصائد الفوثاوية» ١ : ٩٨ (ألفها سنة ٤٧٠).

د ـ باخليدس: ديثرمبوس عن فيلوكتيت.

وخلاصة ما ورد في هذه الأصول هو ما يلي:

في أثناء سفرهم إلى طروادة لإخضاعها واستنقاذ هيلانة التي خطفها پاريس وأخذها معه إلى طروادة التي كان يحكمها أبوه ـ توقف الأسطول اليوناني في جزيرة خروسا[٢] إذ كان عليهم، بناء على توصية الوحي، أن يقدموا فيها القرابين على مذبح مكرّس للإلاهة أثينا أقامه ياسون، وفيه قدم هرقلس القرابين في حملة سابقة مشابهة، ولم يكن يعرف مكان هذا المذبح من أصحابه إلاّ فيلوكتيت. وأثناء ما كان فيلوكتيت يبحث عن هذا المذبح، عَضّته أفعى تتولى حراسة هذا المكان. فظن الجيش اليوناني أنه أصيب نتيجة غضبة سماوية، كما أن الجرح الذي أصابه كان ينبعث منه رائحة كريهة جداً ويسبب آلاماً شديدة لفيلوكتيت تضطره للصراخ والعويل ـ مما أزعج رجال الجيش اليوناني. لهذا قرر هذا الجيش، بناء على نصيحة أودسيوس، أن يترك فيلوكتيت في جزيرة لمنوس.

ومضى عليه في هذه الجزيرة القفر الموحشة عشر سنوات، حينما أسر

---

(١) باختصار بروقلس، نشرة Soreryns ص ١١١، ١٤٤ ـ ١٤٦.

(٢) وقد اختفت بعد ذلك تحت الأمواج. راجع پوسانياس م٨ ف٣٣.

الجيش اليوناني المحاصر لطروادة عرّافاً شهيراً من طروادة، اسمه هلينوس، فاستنبؤه فأخبرهم أنهم لن يستولوا على طروادة إلاّ بفضل قوس وأسهم هرقلس، وهي في حوزة فيلوكتيت الذي ورثها من هرقلس. لهذا قرروا أن يبعثوا بمن يأتيهم بفيلوكتيت وسلاحه؛ وكلفوا بهذه المهمة ديوميد بحسب ما ذكره لسخس Lesches مؤلف «الإلياذة الصغرى»؛ أما بحسب رواية أخرى فإنهم بعثوا بأودسيوس. ولم يذكر هوميروس ولا پندار اسم من أرسلوه إلى لمنوس في هذه المهمة.

وفي هذه المهمة الدقيقة عقدة المأساة: فكيف يستطيع أودسيوس وهو العدو اللدود لفيلوكتيت لأنه هو الذي أشار على الجيش اليوناني بإنزال فيلوكتيت في جزيرة لمنوس القفر الموحشة للتخلص من إزعاج فيلوكتيت الذي كان يصرخ من آلام جرحه الذي كان ينشر رائحة كريهة لا تطاق؟ لقد أدرك أودسيوس أنه لن يفلح في هذه المهمة لو أنه تولاها هو بنفسه. وأداه ذكاؤه إلى الاستعانة بابن أخيلوس، ويدعى نيوپتوليم وهو فتى ساذج قد وصل حديثاً للاشتراك في حصار طروادة، محاطاً بهالة من مجد أبيه.

واستخدام هذا الفتى هو ما تفتقت عنه عبقرية سوفقليس، ولم يسبق لسلفيه: أسخولوس ويوريفيدس أن استخدمه في مأساة كليهما عن فيلوكتيت. لقد ضمن سوفقليس بإدخال شخصية نيوپتوليم أمرين:

١ - خداع فيلوكتيت بسهولة.

٢ - تقديم شخصية شابة في تقابل مع عجوزين هما: أودسيوس وفيلوكتيت. فإن هذا يسمح بتنويع المواقف، وعرض مختلف المشاعر، وبث الحياة في الحوار.

وتبدأ مسرحية سوفقليس هكذا:

المسرح يمثل شاطىء جزيرة لمنوس؛ وقد رست عليه سفينة يونانية، نزل منها زعماء وبحارة يذكرون في أية مهمة جاءوا. ويذكّر أودسيوس نيوپتوليم بالغرض من مهمتهم، ويدعوه إلى البحث عن المغارة التي تركوا فيها - منذ عشر سنوات - فيلوكتيت الجريح. ويصف هذه المغارة بحسب ما بقي في ذاكرته عنها بعد عشر سنوات. وكانت هذه الأوصاف كافية لإرشاد نيوپتوليم إلى مكان المغارة، ولما عثر عليها راح يتأمّل فيها بعينيه؛ لكنه لم يجد فيها فيلوكتيت؛ بيد أنه وجد فيها من الآثار ما يدل على أن فيلوكتيت لا يزال يقيم فيها. وبهذا المطلع الحيّ يدخلنا سوفقليس في لُبّ مسرحيته.

وكما قلنا من قبل، لم يستخدم أسخولوس ولا يوريفيدس شخص نيوبتوليم كمرافق لأودسيوس في مهمته. وبدلاً منه استخدم يوريفيدس شخصاً آخر هو ديوميد. ومن المؤكد أن يوريفيدس قد أخفق في استخدامه لديوميد، لأن ديوميد كان صديقاً بارزاً لأودسيوس، وكان رفيقاً له في مغامراته، ولا بد أن فيلوكتيت كان يعرفه جيداً، ومن السهل عليه أن يتعرفه لو جاء إليه هذه المرة. ومعنى هذا أنه لن يستطيع الاستخفاءوالتنكر، وبالتالي لن يفلح في التوسط عند فيلوكتيت لأن هذا سيرى فيه حليفاً لخصمه اللدود أودسيوس الذي أشار على الجيش اليوناني بإطراح فيلوكتيت في جزيرة لمنوس الموحشة تخلصاً منه.

أما أسخولوس فقد حاول التخلص من هذه المشكلة بأن جعل أودسيوس يستخفي ويتنكر بحيث لا يتعرفه فيلوكتيت!! وهو أمرٌ بعيد عن الاحتمال، ولهذا استنكره المشاهدون لمسرحية أسخولوس؛ وحاول بعض النقاد الدفاع عن أسخولوس بحجج أدت - بالعكس - إلى مزيد من الإدانة لمسلك أسخولوس، إذ نجد ديون الذهبي الفم يبرر مسلك أسخولوس بأن يقول إن مرور عشر سنوات كان كافياً لأحداث تغييرات في ملامح أودسيوس بحيث لا يستطيع فيلوكتيت أن يتعرف هويته! يقول أيضاً إن ما عاناه فيلوكتيت في عزلته من آلام الوحدة والمرض لا بد أن يكون قد أفقده ذاكرته.

وإلى جانب أصحاب المآسي اليونانية الكبار هؤلاء، ممن تناولوا موضوع فيلوكتيت نجد في العصر اليوناني القديم:

١ - أفيخارموس Epicharme، الملقب بـ«المبتكر» لأنه أول ممثل للكوميديا الدورية؛ وقد عاش في سرقوسة، ولهذا كان يلقب أيضاً بـ«السرقوسي». (راجع فن الشعر) لأرسطو، ف٣٠). وعاش في العشرينات الأخيرة من القرن السادس قبل الميلاد والعشرينات الأولى من القرن الخامس. وهو مؤلف كوميديات (راجع «فن الشعر» لأرسطو ف٥، ومحاورة «ثائيطاطوس» لأفلاطون، ١٥ د، هـ). وقد ألّف كوميديا بعنوان: «فيلوكتيت». لكنها لم تصلنا، ولم يرد إلينا تحليل لمحتواها. ولسنا ندري كيف عالج أفيخارموس موضوع فيلوكتيت الأسيان الأليم في كوميديا!

٢ - فيلوكلس Philocles، ابن أخي (أو أخت) أسخولوس، الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد: فقد ألف مأساة بعنوان: «فيلوكتيت»، لكنها فُقِدت ولم يبق لدينا منها إلا شذرات قليلة، نشرها ناوك في كتابه: «شذرات من المآسي

اليونانية» (ليپتسك، عند الناشر Teubner).

٣ - ثيودكت Theodecte، الذي عاش فيما يظن، من سنة ٣٨١ إلى ٣٤٠ ق.م. وكان مؤلفاً مسرحياً مشهوراً في عصره. وقد ألف مسرحية عن فيلوكتيت ضاعت.

٤ - يوفوريون Euphorion، وهو شاعر ونحوي يوناني، عاش في القرن الثالث ق.م. وكان تلميذاً للشاعر الشهير كليماخوس. وقد ألّف قصائد قصيرة ذات أسلوب غامض معقّد، ومن بينها قصيدة عن فيلوكتيت. وما بقي لنا من هذه القصائد قد نشره شايدڤيلر Scheidweiler (في سنة ١٩٠٨ في مدينة بون Bonn).

٥ - وتحدث كونتوس الأزميري Quintus de smyrne عن فيلوكتيت في قصيدته التي عنوانها: «التاليات لهوميروس». وقد عاش في القرن الرابع قبل الميلاد.

٦ - وكذلك تحدث عنه ڤاليريوس فلاكّوس Valerius Flaccus الذي عاش في القرن الأول الميلادي. وقد أضاف إلى مغامرات فيلوكتيت المعهودة اشتراكه في حملة الأرجونوت.

أما في العصر الحديث في أوروبا، فقد تناول موضوع فيلوكتيت.

١ - جان فرانسوا لاهارپ Jean- François LaHarpe (١٧٣٩ - ١٨٠٣) الشاعر الناقد الشهير في القرن الثامن عشر. فقد ألّف مأساة بعنوان: Philoctète، ظهرت سنة ١٧٨٣ وفيها حاكى مأساة سوفقليس محاكاة أمينة ومُثّلت المسرحية فلقيت نجاحاً، بخلاف ما حدث لسائر مسرحياته التي أخفقت كلها.

٢ - أندريه جيد André Gide (١٨٦٩ - ١٩٥١): كتب مسرحية قصيدة بعنوان: «فيلوكتيت أو بحث في الأخلاق الثلاثة» Philoctete ou les trois morales. وتشتمل على ٥ فصول قصيرة جداً، عالج فيها موضوع فيلوكتيت بحسب مسرحية سوفقليس. لكن جيد إنما استخدم هذا الموضوع لمعالجة مشكلات أخلاقية ومساجلات أخلاقية، ويقترح عدّة حلول ثم ينتهي إلى تحبيذ الزهد المطلق لأنه وحده القادر على توفير الاستقلال الذاتي الروحي التام.

د. عبد الرحمن بدوي

باريس في ١١ يناير ١٩٩٥

«فيلوكتيت»

شخصيّاتُ المسْرحيَّة

أودسيوس ، ابن لائرتس : ملك إيثاكا

نيوپتوليم، ابن أخيلوس: زعيم المورميدون

فيلوكتيت، ابن فياس: زعيم المغنيسياويين

كورس مؤلّف من بَحّارة أخاويين

رسول

جاسوس متخفي في شخص تاجر

هرقلس، ابن زيوس وألقمينا

[في نهاية رأس بحري صخري. في وسط ارتفاع رابية صخرية تنفتح مغارة. منظر قفر. يدخل أودسيوس ونيوپتوليم يتبعه واحدٌ من بحّارته].

أودسيوس: على أرض لمنوس Lemnos التي تحيط بها الأمواج، ها هو إذن الرأس البحري القفر الذي لم تَطَأْه قَدُم إنسان، حيث في الماضي - يا ابن أشجع اليونانيين[1]، أيْ نيوپتوليم ابن أخيلوس - أنزلت رجل بلاد ماليا، ابن فِياس، حسبما أمرني بهذا رؤساؤنا. وكانت قدمه يسيل منها القَيْح بسبب داءٍ قارض. ولم يَعُد في استطاعتنا بعدُ أن نقوم في سلام بشعيرة الرش ولا بتقديم الأضاحي، لأنه كان يملأ الجيش كلَّه بصرخات مدويّة باستمرار، وكان يصيح وينوح. لكن ما الفائدة في التذكير بهذه الحكاية؟ فالوقت ليس وقت الأقاويل الطويلة. ويجب ألاّ يَعْلم أنني هنا. وإلاّ لكان في ذلك ضربة قاضية على الخطة التي وضعتُها للقبض عليه مفاجأةً وفيما عدا هذا فإن عليك أن تؤدي مهمتك دون إبطاء. وعليك أولاً أن تبحث في هذه النواحي عن مغارة ذات مدخلين، بحيث تقدّم في الأيام الباردة مقعداً مزدوجاً للشمس؛ وبحيث أيضاً إبان الصيف يمكن النسيم الذي يهبّ خلال هذا المأوى المفتوح من جهتين - من دخول النوم. وفي أسفل، على يسارك، ينبغي لك أن ترى ماء ينبوع، إذا لم يكن قد زال. تقدَّمْ وخبّرني - دون أن ترفع صوتك، هل هذه الأوصاف لا تزال صالحة - أو غير صالحة - بالنسبة إلى المكان الذي نحن فيه. وما يتلو هذا ستستطيع أن تسمعه أنت، وسأستطيع أنا أن أخبرك به، كيف

(١) فيلوكتيت، ابن فياس Peas ورفيق هرقلس؛ وأصله من ثساليا، لكنه سكن شبه جزيرة مغنيسيا، وصار حاكماً على أربع مدن هي: تومقيا، وميثون، وملبيا، وأوليزون. لكن سوفقليس يضعه في بلاد ماليا، على شواطىء نهر أسفرخيوس، بالقرب من إيتا Eta حيث كانت محرقة هرقلس.

يسير كل شيء على وفاقٍ فيما بين كلينا.

نيوپتوليم: يا مولاي أودسيوس! إن المهمّة سيتم إنجازها بسرعة. وأعتقد أنني أرى المغارة التي وَصَفْتَها.

أودسيوس: في أعلى؟ أو في أسفل؟ لا أستطيع أن أميّز.

نيوپتوليم: ههنا، في أعلى. ولا أثر لوقع أقدام.

أودسيوس: انظر عساه أن يكون نائماً في مأواه.

نيوپتوليم: إني أرى البيت خالياً، لا إنسان فيه.

أودسيوس: هل لا يوجد دليل على أن إنساناً قد أقام فيه؟

نيوپتوليم: بلى، يوجد سرير من أوراق الشجر. إن إنساناً يقيم هنا.

أودسيوس: وفيما عدا هذا، هل هو خاوٍ؟ لا دليل آخر تحت هذا السقف؟

نيوپتوليم: بلى! قَدَح من الخشب المتكتل - من صُنْع صانعٍ ساذج. ثم هناك أيضاً ما يمكن من إشعال نار.

أودسيوس: إنه هو! إن هذا هو خزينه الذي اختزنه.

نيوپتوليم: أوه! أوه! وهناك أيضاً أسمال تجفُّ وكلها مملؤة بقيح كريه الرائحة.

أودسيوس: إن مَنْ نبحث عنه يسكن هنا، هذا مؤكد ولا شك أيضاً في أنه ليس بعيداً عن هنا. لكن كيف يتسنى لهذا المريض، الذي تتألم قدمه من داء قديم جداً، أن يبتعد كثيراً عن هنا؟ لقد ذهب ليبحث عن طعامه، أو عن عُشْبة طبية تخفف آلامه، وهو يعرف أين يجدها. ابعث بهذا الرجل الذي يصحبك كي يراقبه. ليتحاشَ أن يعثر عليّ فجاءة. إنه يفضل أن يقبض عليَّ أنا أولى من أن يقبض على كل اليونانيين.

(بإشارة من نيوپتوليم، يذهب بحّاره المصاحب له).

نيوپتوليم: الرجل ذهب والطريق سيكون مراقباً. وعليك أنت أن تشرح لي بالتفصيل ما تريد.

أودسيوس: إن مهمتك، يا ابن أخيلوس، تتطلب الشجاعة وليست الشجاعة البدنية وحدها: من الممكن أن تسمع قولاً جديداً عليك تماماً. وعليك أن **تنفذه : إنك في مهمة** . [1]

نيوپتوليم: وما هي أوامرك؟

أودسيوس: يجب عليك أن تأسر روح فيلوكتيت بكلامك. وحينما يسألك مَنْ أنت، ومِنْ أين أتيت ـ فأجبه قائلاً: «أنا ابن أخيلوس» ـ فليس لك أن تُخفِي هذا ـ وأضف إلى هذا أنك عائد إلى وطنك وأنك تركت أسطول اليونانيين وجيشهم، لأن لديك أسباباً قويّة لكرههم: فهم حملوك على أن ترحل من بلدك وهم يتوسّلون إليك ويصوّرون لك أن هذا الرحيل هو الوسيلة الوحيدة لغزو طروادة؛ فلما رحلتَ رفضوا أن يعطوك أسلحة أخيلوس التي طالبتَ بها بحقّ والتي سلّموها إلى أودسيوس. وبعد ذلك أجمع ضدّي كل الفظائع التي تتصورها، فإنني لن أتضايق من ذلك؛ بل الأمر على العكس: إنك إن لم تفعل هذا، فإنك ستجلب على كل اليونانيين الحزن، لأنه إذا أفلت منّا قَوْسه، فلن تبقى أية وسيلة تعزز أرض دردانوس ـ لكن لماذا بك أنت، لا بي أنا، يمكنه أن يتصل اتصالاً واثقاً أكيداً؟ سأشرح لك. إنك أنت قد أبحرت دون أن تكون ملزماً بأيّ قَسَم، ودون أن تقع تحت أيّ إكراه. كذلك أنت لم تشارك في أول حملاتنا. أما أنا فلا أستطيع أن أُكَذِّب أية واقعة من هذه الوقائع. ولهذا فإنه لو رآني، ولا تزال القوس في يده، فإنني سأضيع وسأجّرك أنت أيضاً إلى الموت، بسبب أنك معي... ولهذا يجب عليك أن تحتاك لما يلي: أن تسرق منه سهامه التي لا تخطىء الهدف. وأنا أعلم جيداً أن دمك لا يؤهّلك للتكلم بهذه اللغة، ولا لنصب المصائد. لكن الانتصار حُلْوٌ إذا ما حصل عليه المرء. فاحرص على الظفر به. وفيما بعد سنبدي عن الأمانة والشرف. أمّا في هذه المرّة، فأَعِرْ نفسك لي مدة قصيرة ـ يومٍ واحد على الأكثر ـ من الوقاحة والخِسّة. وبعد هذا، ولآخر

(١) كان توندار قد اشترط على كل الذين تقدموا لخطبة ابنته هيلانة ـ أن يُقسموا على مساعدة من تختاره هي زوجاً لها، حينما يطلب هذا منهم ذلك. ولهذا فإن الزعماء الرئيسيين الأخاويين وافقوا على مصاحبة أجاممنون في حملة ضد طروادة. أما أودسيوس ـ وكانت فانلوفا قد أنجبت له ولداً هو تلماك ـ فإنه حاول أن يتهرّب من التزاماته بأن ادّعى الجنون، لكن پلميد هتك سرّه، فاضطر إلى الاشتراك في حرب طروادة.

حياتك، ستستطيع أن يدعوك الناس أنك أوفر الناس نزاهة وأمانة.

نيوپتوليم: يا ابن لائرتس، بالنسبة إليّ: الكلمات التي لا أحب سماعها أنا أتنزه عن تحويلها إلى أفعال. إني لم أُجبَل على أن أفعل مستخدماً حِيلاً خسيسة، وأبي ـ حسبما يقولون ـ لم يكن هو الآخر يفعل مستخدماً حيلاً خسيسة. بيد أنني مستعدٌ لإحضار هذا الرجل بالقوة، لا بالمكر والاحتيال. إن إنساناً لا يملك إلا قدماً واحدة لن يستطيع أن يتغلب علينا جميعاً بالقوة. لكن لما كانت مهمّتي هي أن أساعدك، فإني أخشى أن يتهمني الناس بالغَدر. وعلى الرغم من كل شيء، أيها الأمير، فإني أفضّل أن أُخفِق لأني تصرفت بأمانة على أن أنتظر نتيجة استخدامي للسفالة.

أودسيوس: آه! أيها الابن لأب نبيل! أنا أيضاً حينما كنتُ شاباً، كان لساني كسولاً، وذراعي كانت دائماً مستعدة للفعل. واليوم، وقد علّمتني التجارب، فإني أرى أن ما يسيّر كل شيء هو اللسان، وليس الأفعال.

نيوپتوليم: بماذا تأمرني إذن، إن لم يكن بالكذب؟

أودسيوس: أنا أدعوك إلى القبض على فيلوكتيت بالحيلة والدهاء.

نيوپتوليم: ولماذا نستخدم الحيلة، بدلاً من إقناعه؟

أودسيوس: إنه لن يستجيب لك؛ أما بالعنف فإنك لن تحصل على شيء.

نيوپتوليم: هل لديه أسباب قويّة للثقة بقوّته؟

أودسيوس: نعم، أسهم لا تخطىء الهدف، وتحمل الموت.

نيوپتوليم: ليس خطراً إذن الاتصالُ به؟

أودسيوس: إذا استُدرج بالحيلة، كما قلتَ.

نيوپتوليم: هل أنت لا ترى عاراً في استخدام الأكاذيب هكذا؟

أودسيوس: كلا، إذا كان الكذب ينقذ حياتك.

نيوپتوليم: كيف تتجاسر على النطق بهذا الكلام؟

أودسيوس: حينما يَنشُد المرء مكسباً، فإنه لا يستطيع التردُّد.

نيوپتوليم: وأيّ مكسب لي إذن في مجيئه إلى طروادة؟

أودسيوس: إن قوسه وحدها هي التي تستطيع أن تنتصر على طروادة.

نيوپتوليم: إذن لستُ أنا الذي يجب أن أفتح طروادة، كما قلت لي؟

أودسيوس: إنك لن تستطيع ذلك بدون القوس، والقوس لن تستطيع بدونك أنت.

نيوپتوليم: إذا كان الأمر كذلك، فيجب أن يقبض عليه.

أودسيوس: بهذا ستحصل على مكسبين بضربة واحدة.

نيوپتوليم: لو عرفتُ ما هي، فلن أتردد بعدُ.

أودسيوس: سيقولون عنك إنك ماهر بقدر ما أنت شجاع.

نيوپتوليم: حَسَن؛ سأعمل، مطّرحاً كل مبدأ.

أودسيوس: أنت تتذكر جيداً كل توصياتي؟

نيوپتوليم: لا تَخْشَ شيئاً؛ أَعِدك بذلك.

أودسيوس: إبْقَ أنت إذن، لاستقبال الرجل. أما أنا فسأذهب. أنا لا أُريد أن أفاجأ برؤيتي إلى جوارك. أما المترصّد فسأبعث به إلى السفينة؛ وإذا بدا لي أنك تضيّع وقتاً طويلاً، فإنني سأرسله إليك ههنا من جديد. سيكون نفس الرجل، لكن سأجعله يتنكر في ثياب ريِّس سفينة حتى لا يمكن تعرَّفه. استمع إليه، يا فتى. سيقول لك كلاماً مشْتَبِهاً: فخُذْ عنه ما ترى أنه مفيد. سألحق بالسفينة، وأَكِل الأمر إليك. ألا ليت هرمس، إله المكر والاحتيال، وهما في صفّنا، يكون مرشداً لنا كلينا هو و«أثينا» النصر، حامية مدينتي، وهي دائماً ترعاني.

(أودسيوس يذهب. الكورس يدخل. وهو مؤلف من بحّارة جاءوا من سفينة نيوپتوليم).

الكورس: ماذا يجب عليّ، ماذا يجب عليّ، أيها السيّد، الغريب في أرض أجنبية أن أقول أو أن أخفي في حضرة إنسان يملؤه سوء الظن؟ خَبِّرني. إن العلم والحُكْم العاليين على أيّ شيء آخر هما من نصيب الإنسان الذي ـ باسم زيوس يمسك الصولجان المقدّس في يديه الملكيتين.

وفي يديك، يا بُنَيّ، جاءت السلطة العليا من أعماق العصور السحيقة. فعليك إذن أن تخبرني بالخدمة التي تكلفني بها.

نيوپتوليم: في الوقت الراهن أنت تريد من غير شك أن ترى المكان الذي يسكن فيه، هناك في طرف الرأس البحري. انظر، ولا تَخَفْ. لكن، حين تظهر المدخنة المروّعة، فكُنْ خارج مسكنه، ورتّب خطواتك وفقاً لكل خطوة من خطواتي، واعمل على التجاوب مع حاجات اللحظة.

الكورس: هذا موضوع اهتمامي منذ وقت طويل، يا مولاي: أن أفتح عيني دائماً على مصلحتك قبل كل شيء.

لكن، خَبّرني أيّ مسكن اتخذه لنفسه، وفي أيّ مكان هو يقيم. معرفة هذا أمر لا يخلو من فائدة بالنسبة إليّ.

يجب ألاّ يقع علينا فجأة. كيف هو المكان وكيف إقامته؟ وأين تقوده خطواته؟ إلى الداخل أو إلى الخارج؟

نيوپتوليم: أنت ترى هناك مسكنه، وهو ذو فتحتين تفتحان على غرفته التي من الصخر.

رئيس الكورس: لكن أين ذهب هذا المسكين(١)؟

نيوپتوليم: من الواضح عندي أنه يشُقُّ طريقه ببطء في مكان ما بالقرب من هنا، باحثاً عن طعام له. ولا بد أن تنقضي حياته على هذا النحو: أعني أن يصطاد صيده بأسهمه المجنّحة، في بؤس، دون أن يأتي إليه معالج يشفيه من أوجاعه.

الكورس: إني أرثي لحاله، حينما أراه وحيداً، لا أحد يعني أو يهتم بمصيره، ودون أن ترعاه نظرة حنون، بائسة، متوحّداً دائماً ـ وهو يعاني من داء فظيع، في نفس الوقت الذي فيه يواجه العذاب عند كل حاجة مستجدّة. كيف، يصمد هذا البائس لهذا الحال؟

آه! يا للطاقة الإنسانية! يا لبؤس بني الإنسان الذين تفلت حياتهم من النظام العام!

إنه لم يكن قطعاً في منزلة أدنى من منزلة أنبل الأُسَر عندنا؛ لكن ها هو ذا يرقد ههنا، محروماً من كل خيرات الحياة، وحيداً، بعيداً عن أمثاله، لا يجد رفيقاً

(١) رئيس الكورس ألقى نظرة على داخل المغارة.

له غير الوحوش. ذوات الجلود الرقطاء أو ذوات الفِراء، فريسةً للآلام، وللجوع القاسي، تلتهمه هموم لا علاج لها، بينما «الصدى» الذي لا يُغْلق فمه شيء، «الصدى» الذي يرنّ بعيداً، يجيب بدوره، مصاحباً شكواه الأليمة.

نيوپتوليم: ليس في هذا كله ما يدهشني. إنها إرادة الآلهة - إذا كنت أملك بعض العلم - هي التي منها جاءت الآلام التي أصابته بها خروسيه[1] القاسية، وتلك التي يعانيها اليوم في هذه الأماكن، دون أن يحفل به أحد. ولا شك في أنها صادرة عن نيّة معيّنة للآلهة: إنها لا تريد أن تُطلِق ضد طروادة سلاحه الإلٰهي، سلاحه الذي لا يُقْهَر، قبل الساعة التي تُنُبِّئَ فيها لهذه المدينة أن تسقط تحت سهامه.

الكورس: أسكُت، يا فتى.

نيوپتوليم: ماذا هناك؟

الكورس: إن ضجة تتصاعد. وهي تشبه الضجة التي تصحب دائماً الإنسان الذي يشكو من الألم.

هل ههنا؟ هل هناك؟ نعم، هذه هي النبرة، النبرة الحقيقية لشخص لا يتقدم إلاّ بصعوبة بالغة.

وعلى الرغم من المسافة فإني لا أستطيع أن أجهل اللهجة الأليمة لإنسان نافد القوة. إن شكواه تفصح بوضوح... وفي هذه الحالة، يا فتى...

نيوپتوليم: قل ما تريد أن تخبر به.

الكورس: هيّيء نفسك لأمرٍ جديد. إن الرجل ليس بعيداً عن مأواه، إنه في هذه الأماكن نفسها. إنه لا ينفخ في ناي پان Pan، مثل راع في الحقول. هل هو يتعثر تعثراً شديداً؟ إنه ينادي على البُعْد. هل هو يتأمل هٰذا المرفأ غير الأمين، والذي لا توجد فيه سفينته؟ إن لصراخه نبرات غريبة.

(يدخل فيلوكتيت).

---

(١) معنى هذا هو أن الحورية خروسيه، التي عشقت فيلوكتيت دون نتيجة، كانت مسئولة بعض المسؤولية عن عضة الأفعى التي أصابته.

فيلوكتيت: أوه! أيها الأجانب، مَنْ أنتم؟ كيف جئتم إلى أرض بدون مرفأ، مستخدمين المجاذيف، أرض خالية من السُّكان؟ وما هو البلد، والجنس اللذان يجب عليَّ أن أنطق بهما نطقاً صحيحاً؟ إن ملابسكم، لدى النظرة الأولى، توحي إليَّ أنه الاسم الأحبّ إلى نفسي، أعني: بلاد اليونان. لكنني أودّ أن أسمع صوتكم. لا تضطربوا من الخوف؛ ولا تَخْشَوْا رجلاً تحوّل إلى متوحّش، بل أَشْفِقُوا على بائس مهجور، بدون أصدقاء. إنه يخاطبكم: فكلّموه، إن كنتم قد جئتم كأصدقاء. هيّا، أجيبوا عليَّ. لا يليق بكم أن ترفضوا، كما لا يليق بي أن أرفض الكلام معكم.

نيوپتوليم: اعلم أوّلاً، أيها الغريب، أننا يونانيون، ما دام هذا هو ما تريد أن تعرفه.

فيلوكتيت: يا لها من لغة عزيزة! ما أحلى أن أسمع يونانياً يتكلم بلغته بعد هذه المدة الطويلة لكن ما هي الحاجة، يا فتى، التي دفعتك إلى النزول هنا وساقتك إلى هذه الشواطىء؟ أيّ مطلب تطلب؟ وأيّ رياح عزيزة؟ خبّرني بكل شيء حتى أعرف مَنْ أنت.

نيوپتوليم: لقد وُلِدْتُ في أسقورس Scyros التي تحيط بها الأمواج وأنا عائد إلى وطني. واسمي: نيوپتوليم، ابن أخيلوس. وها أنت ذا تعرف كل شيء.

فيلوكتيت: إيه يا ابن والدٍ عزيز عند الجميع، يا ابن بلد عزيز، يا سليل لوقوميد[1] العجوز، أية مهمة أتت بك إلى هنا؟ ومِنْ أين أتيت؟

نيوپتوليم: إني قادم لفوري من إليون (طروادة).

فيلوكتيت: ماذا تقول؟ إنك لم تشارك في الأسطول الذي سافر معنا إلى طروادة في البداية؟

نيوپتوليم: وهل اشتركتَ أنت في هذه المغامرة؟

فيلوكتيت: أوه! يا ولدي! هل تجهل مَنْ هو الشخص الذي أمامك الآن.

---

(١) كان أخيلوس يعيش في أسقورس، وكان يتزيّا بزيّ النساء، ويعيش بين بنات لوقوميد ملك دولپ Dolpes. وقد عشق ديداميا Deidamie وأنجب منها ولداً هو نيوپتوليم وقام لوقوميد بتربية حفيده هذا، بينما كان أخيلوس يحارب في طروادة.

نيوپتوليم: وأنّى لي أن أعرف مَنْ لم أره من قبل؟

فيلوكتيت: إذن لم يبلغ سمعك اسمي، ولا ضوضاء المصائب التي قاتلت في ظلّها؟

نيوپتوليم: صدّقني، إنني أجهل كلَّ ما تكلّمني عنه.

فيلوكتيت: آه! هل لا بد أن أكون بائساً ومكروهاً من الآلهة إذا كانت الأخبار عن الحالة التي أنا فيها لم تبلغ وطني، ولا أيَّ مكان آخر في بلاد اليونان، وإذا كان أولئك الذين نبذوني على هذا النحو الإجرامي يسخرون منّي في صمت، بينما بؤسي لا يتوقف عن الازدياد والاتساع. أيْ بُنَيّ، يا ابن أخيلوس، أنا ذلك الذي ربما سمعتهم يقولون عنه أنه يملك أسلحة هرقلس: إنني ابن فياس، أنا فيلوكتيت الذي نبذه زعيما جيشنا، وكذلك مَلِك[1] الكفالونيين، نبذوني بشكل مهين، وتخلّى عني الجميع، بينما أنا أموت من هذا الداء الفتّاك الذي أصابتني به أفعى قاتلة للناس. لقد تركوني هناك، وأنا بصحبة هذا الداء، يا بُنَيّ، حينما ارتحلوا. وقد نزلت هنا في الوقت الذي فيه عادت سفينتي من حَمْلة، في خروسيه ـ التي[2] ـ في البحر لقد كانوا في غاية الفرح حينئذ حينما رأوني ـ وأنا خارج من بحر كبير ـ أنام على الشاطىء، في حِمى صخرة؛ ولم يتركوا لي إلاّ أسمالاً بالية وبعض الطعام؛ ثم رحلوا وتركوني وحدي، وكان ذلك عوناً لي تافهاً، أنا البائس. ليتهم يعانون ذات يومٍ مثل ما عانيتُ أنا، تصوّر، يا بني، كيف استيقظت بعد رحيلهم، وما صببته من دموع، وما تفوهت به من شكوى! لقد وجدتُ أن كل السفن التي أبحرت عليها قد رحلت كلها! ولم أجد هنا إنساناً واحداً يستطيع أن يساعدني، وأن يعطف عليَّ في آلامي. وتطلعت في كل مكان، فلم أعثر إلاّ على ما يزيد في آلامي، وما أكثرها، يا بُنَيّ! ومضى الوقت ساعة بعد ساعة، وتحتّم عليَّ أن أفكّر وحدي في كل شيء، تحت هذا السقف المتواضع. وفيما يتعلق بالجوع، فإن هذه القوس زودتني بما هو ضروري: إنها كانت تصيب القطا وهي تطير في الجو، وبعد ذلك كنت أزحف بقدمي المعتل إلى حيث يسقط الصيد الذي أصبته بالسهم

---

(١) وهو أودسيوس، وكان قائد القفالونيين ـ أي أهل أيثاكا، وقفالونيا، وزنطة.

(٢) يرى البعض أن فيلوكتيت قد لدغته حَيّة في تنيدوس، ويرى البعض الآخر أن ذلك حدث في جزيرة خروسيه التي تهيمن عليها الحورية خروسيه. وجزيرة خروسيه هذه قد اختفت الآن.

المنطلق من قوسي. وإذا تحتّم عليَّ أن أعثر على ما أشربه، أو ـ في أيام الشتاء ـ حينما ينتشر الصقيع في كل مكان، وتحتم عليَّ أن أكسّر بعض الخشب، فإنني كنت أبذل غاية الجهد زاحفاً للعثور على خشب. ولما كانت النار تعوزني فإنني كنت أَحُكّ حجراً على حجر لإطلاق شرارة مختبئة كانت الوسيلة لإنقاذ حياتي. حتى إذا ما حصلت على نار، فإن المأوى الذي كنت آوي فيه كان يؤمّن لي الباقي ـ باستثناء الشفاء! والآن، يا ولدي، أعرف ما هي هذه الجزيرة. إنها جزيرة لا يقترب منها بَحّار بإرادته وليس فيها مرفأ جيد للنزول فيها، وليس فيها موضع يمكن الأجنبي الذي ينزل فيها أن يتاجر فيه أو أن يجد فيه من يستضيفه. إنها ليست هدفاً لأي بحار ناصح. نعم، قد يقع لهذا أو ذاك أن ينزل فيها رغم إرادته ـ فتلك أمور قد تحدث في المجرى الطويل للحياة ـ لكن أولئك الذين يأتون إليها على هذا النحو يَرْثون لحالي، وأحياناً تدفعهم الشفقة إلى أن يقدموا إليَّ القليل من الطعام وبعض الملابس، لكن هناك شيء لا يسمحون به لي حين أطلبه منهم، وهو أن يحملوني إلى وطني. وهكذا أنا أموت هنا، منذ عشر سنوات، فريسةً للجوع والآلام والداء الذي يلتهمني. هذا، يا ولدي، ما فعله بي آل أتريوس وأودسيوس القويّ. آه! ألا ليت آلهة الأولمب تجعلهم يعانون ذات يومٍ ألوان العذاب التي أعانيها!

رئيس الكورس: وأنا بدوري أشعر بنفس الشفقة عليك يا ابن فياس، مَثَلي مثل كل الغرباء الذين يأتون إلى هنا.

نيوپتوليم: وأنا بدوري أشهد بصدق روايتك. إنها صادقة لأنني أنا نفسي وجدت أشراراً في آل أتريوس وأودسيوس القويّ.

فيلوكتيت: أنت أيضاً عندك ما تشكوه من آل أتريوس اللعينين هؤلاء! هل أنت ساخط على ما فعلوه؟

نيوپتوليم[1]: وهذا السخط أرجو ذات يوم أن يتولى ذراعي الانتقام له. وبهذه الطريقة ستعلم موقانا واسپرطة أن أسكيروس نفسها هي الأخرى أمٌّ لشجعان.

فيلوكتيت: مرحى! يا بُنَيّ، وما هو إذن موضوع الغضبة الكبيرة التي ستهتم بإثارتها في نفسك؟

(١) موقانا هي تحت سيطرة أجاممنون، واسبرطة هي تحت سيطرة منلاس.

نيوپتوليم: يا ابن فياس! إني أريد ـ رغم ما يكلّفني ذلك ـ أن أخبرك بما هي الإهانات التي أصابوني بها، لما التحقت بهم. لما أخذت «الپاركُ» أخيلوس للموت...

فيلوكتيت: آه! لا تذهب أبعد من هذا. أود قبل كل شيء أن أعرف هل مات ابنُ پيليوس[1].

نيوپتوليم: نعم مات، لكن ليس بذراع إنسان، بل بذراع إلٰه. إذ يقال إن سهماً أطلقه أپولون قد قضى عليه.

فيلوكتيت: إن الضحية والقاتل كانا ذوي دم نبيل. بيد أنّي أشعر بالضيق؛ يا ولدي، هل ينبغي لي أن أسألك أولاً عن مَحِنك أنت، أو أن أبكي على هذا البطل؟

نيوپتوليم: أظن أن مصائبك تكفيك، وليس عليك أن تبكي على مصائب الآخرين.

فيلوكتيت: أنت على حق. استأنف حديثك إذن عن الإهانة التي أصابوك بها.

نيوپتوليم: ذات يوم، على سفينة ذات ألوان زاهية، جاء يبحث عني أودسيوس الإلٰهي ومُرَبّي أبي. وقالا لي ـ هل هذه حقائق، أو كلام في الهواء؟ ـ أنه لما كان أبي قد مات فليس لغيري أن يأخذ مكانه. وأنا، الغريب، لم أكد أسمعهما يقولان هذا القول حتى منعتهما من أن يحتجزاني لحظة أخرى. وبأسرع ما يمكن ركبت السفينة، رغبة منّي في أن أرضي محبتي للميّت (أخيلوس) ـ إذ كان لا بدّ لي من أن أراه قبل أن يُدفن، وكنت لم أره بعدُ في حياتي! وكذلك لباعث نبيل آخر وهو أن مجيئي لا بد أن يتصادف مع الاستيلاء على متاريس طروادة. وكفاني يومان من الملاحة كي تقلّني سفينتي ـ بفضل ريح مواتية ـ إلى سيجيا، سيجيا التي سيقدر لها أن تكون كريهة عندي[2]. ولم أكد أنزل من السفينة حتى أحاط بي الجيش كله، واحتفل بي، وأقسم الجميع أنهم يرون فتَى أخيلوسَ حيّاً. لكن أخيلوس كان قد قضى نحبه، وكانت جثته راقدة هناك. بدأت أنا البائس أذرف

---

(١) أي: أخيلوس.

(٢) في رأس سيجيا سيقام قبر أخيلوس.

عليه الدموع؛ ثم ذهبت، دون إبطاء، كما كان طبيعياً، للعثور على أصدقائنا من آل أتريوس، وطلبت منهم أسلحة أبي، وكل ما تركه. فأجابوني بقول في غاية الوقاحة قائلين: «كل ما كان لأبيك هو لك يا ابن أخيلوس، فخذه؛ أما هذه الأسلحة فإنها لآخر غيرك. هو ابن لائرتيوس». فانخرطت في البكاء؛ وفجأة نهضت وأنا مملوء غضباً وبقلب جريح قلت: «ماذا أيها الوقحاء! هل تجاسرتم إذن على أن تعطوا لشخص آخر الأسلحة التي هي مستحقة لي دون أن تستشيروني؟» وهناك أجاب أودسيوس، لأنه كان بالقرب مني: «نعم، يا فتى، إنهم أعطوني إيّاها، ولهم كل الحق: فأنا الذي كنت هناك وأنا الذي استنقذتها، كما استنقذت جسمي». فثارت ثائرتي، وانهلت عليه في الحال بكل أنواع الشتائم والإهانات؛ ولم أدّخر وسعاً في ذلك، لما رأيت أن هذا الرجل قد جرّدني من الأسلحة التي كانت من حقي. فلما أُفحِم، وإن كان لم يهتَجّ إلا قليلاً، لكنه أصيب في الصميم بسبب ما سمعه مني، فإنه أجاب قائلاً: «أنت لم تكن حيث كُنّا، كنت بعيداً عن المكان الذي كان ينبغي عليك أن تكون فيه؛ وما دمت قد مضيت في الكلام إلى هذا الحدّ، فإني أؤكّد لك أنك لن تعود إلى اسكيروس ومعك هذه الأسلحة!» تلك كانت الكلمات التي تحتّم عليّ سماعها، والإهانة التي تحمّلتها والتي أعود بها إلى وطني محروما من ميراثي بواسطة هذا الشرير، ابن الأشرار: أودسيوس[1]. لكني أعدّه أقل جُرماً من أولئك الذين هم في السلطة. إن الدولة. بكاملها في أيدي زعمائها، وكل الجيش كذلك: والناس الذين يسلكون سلوكاً سيئاً إنما صاروا أشراراً بما تلقوه من دروس على يد سادتهم. لقد قلتُ لك كل شيء... ألا ليت مَنْ يفزع من آل أتريوس أن يكون أثيراً لدى الآلهة وعزيزاً عندي!

الكورس: أيتها الأرض الجبلية! أيتها الأرض المربية، يا أمّ زيوس هو نفسه يا مَنْ تملكين پاكتول الكبير الحامل للذهب، أنت، أيها الأمّ الجليلة[2]، التي ناشدتها هناك، حينما انفجر ظُلْم أبناء أتريوس ضد هذا البطل، بينما هم كانوا يسلّمون إلى ابن لائرتس أسلحة أبيه، يا أيتها الإلاهة التي تركب الأسود القاتلة للثيران، هم أوْلوه شرفاً لا نظير له.

---

(١) في الواقع كان أودسيوس قد سَلّم أسلحة أخيلوس إلى نيوپتوليم منذ أن عاد هذا الأخير إلى طروادة:

(٢) أي: كوباله Cybèle.

فيلوكتيت: الحقّ أنكم، أيها الأجانب تنزلون على شواطئنا، حاملين علامة حاسمة: حقداً أحتفظ بنصيب منه؛ ولهجتكم تتفق مع لهجتي إلى درجة أنني أتعرّف في هذه الحكاية كلها يد آل أتريوس وأودسيوس. لا توجد خطة خبيثة ـ أنا أعلم هذا تمام العلم ـ ولا توجد حيلة خداعة إلا ويحاول أودسيوس ـ بلسانه ـ أن يمارسها، ولن يخرج منها أمر شريف، لكن ليس هذا هو ما يدهشني هنا؛ وإنما أن يكون «أياس» العظيم قد تحمّل هذا المنظر إن كان قد شاهده.

نيوپتوليم: إنه كان قد غادر الدنيا، أيها الغريب. ولو كان حيّاً لما كنتُ قد جُرّدت من حقوقي على هذا النحو[١].

فيلوكتيت: كيف؟ هل مات هو الآخر أيضاً؟

نيوپتوليم: اعلَمْ إذن أن أياس قد فارق الحياة.

فيلوكتيت: آه! هذا التعيس. أما ابن توديوس أو ابن سيسوفوس الذي بيع للائرتس[٢] ـ هذان لا خطر عليهما من الموت، بينما هما الأحقّ بعدم الحياة.

نيوپتوليم: لا، لا خطر عليهما، كن واثقاً من هذا؛ بل هما مزدهران بين كل محاربي مدينة أرجوس.

فيلوكتيت: ثم الشجاع العجوز، صديقي نسطور Nestor الذي من فولوس Pylos ـ هل لا يزال حيّاً؟ لقد حاول، بنصائحه الحكيمة أن يمنع الشرّ الذي كان يرتكبه الآخرون.

نيوپتوليم: إنه في حالة محزنة. وقد مات أنتيلوخس، وكذلك مات ابنه[٣]. واأسفاه! هذان هما الرجلان اللذان كنت أود ألا أسمع أنهما ماتا. آه! ماذا ينبغي أن نظن، إذا كان أمثال هؤلاء الأبطال قد هلكوا، بينما أودسيوس لا يزال حيّاً، في الوقت الذي كان يجب فيه أن يكون قد مات.

---

(١) كان أياس Ajax قد انتحر لما أن أصيب بالجنون. راجع مسرحية «أياس».

(٢) يرى البعض أن أنتكليا، أم اودسيوس، كانت حاملاً بفعل سيسفوس لما تزوجت لائرتس. وبحسب هذا الرأي فإن سيسفوس هو الوالد الحقيقي لأودسيوس. وقد حرص أعداء أودسيوس على إذاعة هذا الخبر.

(٣) كان ممنون Memnon قد قتل أنتيلوخس.

نيوپتوليم: إنه مناضل بارع، لا شك في هذا؛ لكن ـ صدقني يا فيلوكتيت ـ أبرع النفوس كثيراً ما يسقطون فرائس لبراعتهم.

فيلوكتيت: لكن خبّرني، بحق الآلهة: أين كان إذن پاتروكل Patrocle، حبيب أبيك؟

نيوپتوليم: كان قد مات هو أيضاً، كلمة واحدة تخبرك بكل شيء: الحرب لاتُهْلِك أيّ شرير عن طيب خاطر ـ أما الأفاضل، فعلى العكس من ذلك تهلكهم الحرب في كل ضربة.

فيلوكتيت: في وسعي أن أوافقك على ما تقول؛ وهذا هو السبب في أني أريد أن أسألك عن كائن خسيس، لكن لسانه بارع حاذق. أين هو هذا الشخص؟

نيوپتوليم: عمّن تتكلم، إن لم يكن عن أودسيوس؟

فيلوكتيت: كلا، ليس عنه هو؛ لكن كان هناك شخص يدعى ترسيت[1] Thersite لم يكن أبداً يكتفي بالكلام الموجز، حتى لو لم يشأ أحد أن يسمع منه شيئاً. هل تعلم أنه لا يزال في قيد الحياة؟

نيوپتوليم: أنا لم أره، لكني سمعت أنه لا يزال حيّاً.

فيلوكتيت: طبعاً: فمن الأوغاد لم يهلك أحدٌ بعد. بل الأمر على العكس تماماً: إن الآلهة لا ترعى أحداً سواهم. كل الصعاليك والخبثاء الآلهة يلذ لها أن تُصْعِدهم من العالم السفلي، بينما يعاجلون بإرسال كل من هو شريف ومستقيم إلى العالم السفلي. كيف يمكن تصوّر هذه الأمور؟ وكيف يجوز التهليل لها إذا كنت ـ حين أريد الثناء على فعل الآلهة ـ أجد أفعالهم ضارّة؟

نيوپتوليم: من ناحيتي، يا ابن بلاد أوتا Óeta النبيل، أنا سأكون في المستقبل على حذر، ولا أريد أن أنظر إلى طروادة وآل أتريوس إلاّ من بعيد. إن الناس الذين عندهم يتغلب الوغد على الرجل الشريف، وتنحطّ الكفاية، بينما ينتصر الجبان ـ هؤلاء أنا لن أثق فيهم أبداً. إن مدينة أسكيروس الصخرية تكفيني في المستقبل لتقدم إليّ المأوى الذي يرضيني. وقد جاءت الساعة التي ينبغي فيها أن

(١) هو نموذج الجندي الرديء، الساخط دائماً، الواشي دائماً، المتشاجر دائماً، والجبان أيضاً.

ألحق بسفينتي. أما أنت، يا ابن فياس، فوداعاً لك! بكل قلبي أودّعك! وأرجو أن تشفيك الآلهة، كما تؤمل أنت، من دائك. أما نحن فلنرحل، حتى نقدر، حين يَسْمح لنا الإله بالإبحار، على أن نأخذ طريقنا في البحر فوراً.

فيلوكتيت: ماذا! هل أنت على عزم الإبحار، يا ولدي؟

نيوپتوليم: إن الفرصة تدعونا للتفكير في أن الرحيل ليس بعيداً بل هو قريب جداً.

(فجأة يمد فيلوكتيت نحوه يديه المتوسلتين، ويحاول أن يمسّ ذقنه).

فيلوكتيت: باسم أبيك، وأُمّك، يا ولدي، وباسم كل ما هو عزيز عليك، إنني مستجيرٌ بك، وأتوسّل إليك ألا تتركني هكذا وحدي، دون عَوْن، وفريسة لمثل هذه البلايا، وأنت تراها بعينيك وقد سمعتها بأذنيك. آه! فَكِّرْ فيَّ قليلاً. صحيح أن هذا التكليف يثير نفوراً كبيراً. لكن تحمَّله، مع ذلك، في النفوس الكريمة العار يثير الفزع، والفضيلة وحدها هي عنوانهم للمجد: إنك لو تغافلت عنها هنا، فسيكون ذلك عاراً عليك شنيعاً. فافعل ما تتطلبّه؛ وإن أثمن شرف، بالنسبة إليك يا بُنَيّ، هو أن أعود حيّاً إلى بلدي أوتا Oeta. وهذه المهمّة الثقيلة لن تكلّفك أكثر من سفرة يوم واحد؛ فتقبّلها. أَلْقِ بي في أي موضع تريد ـ بشرط أن توصّلني: في قاع السفينة، أو في مقدمها، أو في مُؤَخِرها، في أي موضع منها لا يضايق رفاقك إلا أقل مضايقة: أجبني بنعم، بحق زيوس المستجار به؛ وافق، يا ولدي. إني أركع على ركبتيّ، أنا العاجز الأعرج! لا تتركني هنا، بعيداً عن كل خطوة يخطوها إنسان، خُذْ بي إلى وطنك، أو إلى بلدة «خلقودون التي في يوبيا»[1]: إن المسافة ليست طويلة حتى أوتا، في أعالي تراخيس، أو عند مياه اسپرخيوس، وهكذا ستضعني في مواجهة أبٍ عزيز أخشى أن يكون قد مات منذ زمان طويل. وكثيراً ما كَلَّفتُ مسافرين أن يبلّغوه ندآتي المتوسّلة، ليأتي هو بنفسه ليجيء إلى هنا ويعود بي إلى وطني. لكنه إما أن يكون قد مات، أو ـ كما هي في الغالب عادة الوسطاء ـ هم اعتبروا حالتي أمراً ثانوياً، وعاجلوا العودة. أما في هذه المرّة فإني أُسْلِم إليك مهمة سفري ومهمة رسالتي: على الأقل أنقذني أنت، وأَشْفِق عليّ. تأمّل كيف أنه بالنسبة إلى بني الإنسان كل شيء ليس إلاّ أخطاراً،

---

(١) خلقودون Chalcodon هو رفيق هرقلس، وقد قُتِل ابنه اليفنور Elephenur أمام طروادة، قتله أجينور؛ ودفن في قبر في الشمال الغربي من يوبيا Eubée، في مواجهة جبل إيتا.

وكيف أنهم يعانون المخاطر بنفس القدر في السرّاء كما في الضرّاء، وخارج الخطر يجب عليهم أن يتوقعوا الأسوأ، وإذا ساعدهم الحظّ فعليهم أن يسهروا حتى لا يتحول إلى رماد، دون أن يدركوا ذلك.

الكورس: الرحمة، يا مولاي[1]! إنه يكشف لنا عن المِحَن الأليمة التي لا بد أنه عاناها. إن أحداً من أهلنا لن يلقى مثلها أبداً. يا مولاي! لو كنت في مكانك، وارتعت من آل أتريوس القُساة لجعلت من البلاء الذي أصابوا به هذا الرجل ذريعة لمعاونته، ولحمله في أسرع وقتٍ، على سفينة جيّدة، إلى حيث يتمنى أن يذهب: إلى وطنه، إلى بيته، كي أفلت أنا من انتقام الآلهة.

نيوپتوليم: حذار! إنك! متساهل الآن؛ لكن متى ما اقتربت من دائه، فإنك ستكفُّ عن الكلام بمثل ما تكلمت به[2].

رئيس الكورس: كلا، لن يحقّ لك أبداً أن توجّه إليّ هذا اللوم.

نيوپتوليم: على الرغم من كل شيء فمن العار عليَّ أن أبدو أقل منك استعداداً لعمل شيء لهذا الرجل الأجنبي، حين تسنح الفرصة. هيا إذن وليكن ما أردتم. تهيّأوا للإبحار، وليأت بأسرع ما يمكن. إن سفينتي لن ترفض استقباله وتوصيله. ألا ليت الآلهة تمكننا من العودة سالمين من هذه الأرض، وأن نصل إلى الشواطىء التي نريد الوصول إليها.

فيلوكتيت: آه! يا أجمل يوم، وأنت، أنبل إنسان! آه! أيها البحّارة الأعزّاء، بودّي أن أبيّن لكم بالأفعال أيَّ صديق اكتسبتم! فلنرحل، يا بُنَيّ، لكن ليس قبل أن نحيّي معاً المسكن - إن جاز أن يسمّى هذا مسكناً - الذي اتخذته لنفسي ههنا. فبهذا ستعرف بأيّ شيء عِشت، وأيّ تجلُّد أبديته. لا أعتقد أن إنساناً آخر غيري سيتحمل هذه العيشة، لو أنه شاهد هذا المنظر. لكنّي تعلّمت، منذ نعومة أظفاري، أن أصبر على مصائبي.

قائد الكورس: توقّفوا، ولنسمع أولاً. إن رجلين يقتربان: أحدهما بحّار على سفينتك، والآخر رجل أجنبي. استمعوا إليهما قبل أن يدخلا.

---

(١) الخطاب موجه إلى نيوپتوليم.

(٢) الخطاب موجّه إلى الكورس.

(يظهر التاجر، يقوده بحّار).

التاجر: يا ابن أخيلوس، أنت ترى هذا الرفيق. إنه مع شخصين آخرين كانوا يحرسون سفينتك، وقد دعوتُه أنا ليخبرني أين أنت وقد عثرت عليه دون أن أفكرَ؛ الصُّدْفة وحدها هي التي جعلتني أُرسِي في نفس المكان. لقد كنت في البحر، بوصفي رئيساً، ولم تكن معي حمولة كبيرة، لأنني كنت عائداً من إليون (طروادة)[1] إلى وطني پيپارثيوس Peparethos، بلد العِنَب، حينما علمت أن كل هؤلاء البحّارة كانوا يبحرون بصحبتك. فرأيت من المستحسن حينئذ بدلاً من أن أسكته ألا أتابع طريقي إلا بعد أن أتكلّم معك ـ لكن بمقابل؛ وأظن أنك لا تعلم ما يتعلق بك من الإجراءات الجديدة التي اتخذها أهل أرجوس فيما يختص بك؛ وهي ليست مجرد إجراآت، بل هي أفعال يجري تنفيذها دون إبطاء.

نيوپتوليم: من المؤكد أن الخدمة التي سأدين بها لتبصُّرك، أيها الأجنبي، ستبقى غالية، إذا لم أكن شريراً. لكن اشرح لي جيداً ما قلته حتى أعلم ما هو الإجراء الجديد الذي تقول إن أهل أرجوس قد اتخذوه بشأني.

التاجر: لمطاردتك أبحرت سفينة عليها فنكس العجوز وابنا ثيسيوس[2].

نيوپتوليم: لإقناعي بالعودة؟ أو لإرجاعي بالقوة؟

التاجر: لست أدري؛ ما جئتُ هنا إلاّ لأخبرك بالخبر.

نيوپتوليم: وهل فينكس ورفيقاه تكلفوا القيام بهذه المهمة بحماسة، ابتغاء إرضاء آل أتريوس؟

التاجر: الأمر يجري تنفيذه، كن متأكداً من هذا، ولا محل للتردّد.

نيوپتوليم: لكن كيف حدث أن أودسيوس لم يتولّ بنفسه تبليغ هذه الرسالة ولم يكن مستعداً للرحيل؟ هل احتجزه خوف؟

التاجر: ذلك لأنه كان قد رحل، وبصحبته ابن توريا، للبحث عن شخص آخر، في اللحظة التي أبحرتُ أنا فيها.

---

(١) پيباريثوس: جزيرة في بحر إيجه، وقد أسهمت في تموين جيش أخايا المحاصر لطروادة.

(٢) وهما: ديموفون، وأقماس.

نيوپتوليم: ومَنْ هو هذا الشخص الآخر الذي من أجله أبحر أودسيوس بنفسه؟

التاجر: يزعمون أنه هو[1]... لكن خبّرني أولاً من هذا الماثل هناك - وأنا لا ألحّ في أن تجيب على سؤالي؟

نيوپتوليم: إنه فيلوكتيت الشهير هو الماثل أمامك، أيها الأجنبي.

التاجر: لا تطلب مني أكثر من هذا، وارحل بأسرع ما يمكن من هنا، دون أن تأخذ معك أحداً.

فيلوكتيت: ماذا تقول إذن، يا بُنَيّ؟ ولماذا يتاجر بي هذا البحّار في الظلام، بكل أقواله؟

نيوپتوليم: إنني لا أعرف بعدُ جيداً ماذا يقصد. إذا كان عليه أن يتكلم، فليتكلم علناً وصراحة أمامي، وأمامك، وأمام كل الموجودين هنا.

التاجر: آه! يا ابن أخيلوس، لا تجعلني أقع في نزاع مع كل الجيش اليوناني، بجعلي أقول ما لا ينبغي أن يقال. بيني وبين هذا الجيش تبادل لخدمات صغيرة متعددة، من ذلك النوع الذي يستطيع رجل مسكين أن يؤديه.

نيوپتوليم: أنا أكره آل أتريوس، وهذا الرجلُ الماثل هناك هو أكبر أصدقائي لأنه يبغض آل أتريوس. لهذا يجب عليك - إن كنت قد جئت بصفة صديق - ألا تخفي عنّا أيّ شيء مما استطعت سماعه.

التاجر: فكرّ جيداً، يا فتى، فيما تريد أن تفعل.

نيوپتوليم: إني أفكّر في الأمر منذ زمان طويل.

التاجر: سأحمّلك أنت المسؤولية.

نيوپتوليم: إذا شئت، لكن تكلّمْ.

التاجر: سأتكلم إذن. إنه من أجل اللحاق بهذا الماثل ههنا أبحر هذان الملكان، وهما: ابن توريا، وأودسيوس القويّ. لقد أقسما على أخذه إما بالإقناع،

(١) في مسرحية «فيلوكتيت» يوريفيدس أن الذي كان مع أودسيوس هو ديوميد، ابن توديا.

وإما بالقوة. وكل اليونانيين سمعوا أودسيوس يؤكد هذا بوضوح، لأنه كان أكثر عزماً من الآخر على القيام بهذه العملية.

نيوبتوليم: ولماذا انتظر آل أتريوس كل هذا الوقت الطويل للاهتمام بهذه المسألة، منذ أن نبذوا هذا الرجل من سنوات طويلة؟ كيف جاءتهم هذه الرغبة فجأة؟ أو هل هذا قهر إلٰهي، وغضب من الآلهة الذين ينتقمون للجريمة؟

التاجر: سأقول لك كل شيء، لأنك تجهل الأمر من غير شك. كان هناك عرّاف من جنس نبيل، اسمه هيلينوس Helenos، ابن فريام Priam. وأثناء غارة قام بها في الليل الرجلُ الذي لا يرتبط اسمه إلاّ بالعار والسفالة وهو: أودسيوس الغدّار، قام هذا بالقبض على هذا العرّاف وساقه أسيراً إلى اجتماع اليونانيين، كأنه غنيمة رائعة. وهيلينوس - من بين ما تنبأ به من نبوءات - أعلن حينئذ أنه بالنسبة إلى أسوار طروادة، فإن اليونانيين لن يستولوا عليها قبل أن يقبضوا على فيلوكتيت ويجلبوه من الجزيرة التي لا يزال موجوداً بها. ولم يكد ابن لائرتس (= أودسيوس) يسمع ما قاله هذا العرّاف حتى آلى على نفسه فوراً أن يجلبه هو بنفسه وإحضاره أمام أعين كل اليونانيين. وقد تصوّر أولاً أنه سيأخذه برضاه؛ فإن رفض فإنه سيأخذه بالقوة. وأعلن أنه مستعدٌّ أن يقطع رأسه متى شاء، إذا لم يفلح في هذا العمل. لقد قلتُ لك كل شيء، يا بُنَيّ، وأدعوك للتعجيل، من أجل مصلحتك أنت ومصلحة أولئك الذين يهمّك أمرهم.

فيلوكتيت: آه! يا ويلتاه! إذن هذا الرجل، الذي هو الشرّ متجسّداً، هو الذي أقسم أن يقنعني وأن يُحْضِرني إلى الأخاويين. إن إقناعي سيكون من السهولة بقدر سهولة إصعاد الموتى من العالم السفلي إلى ضوء الشمس، حينما أكون ميّتاً، كما فعل أبوه[1].

التاجر: أنا لا أعلم شيئاً عن هذه المسألة، وأنا عائد إلى سفينتي. وأرجو أن تساعدك السماء على تسويتها على خير وجه.

(يخرج).

فيلوكتيت: إيه يا بُنَيّ! أليس هذا أمراً فظيعاً؟ أن أتصور أن ابن لائرتس

---

(١) أي سيسفوس، المفروض أنه والد أودسيوس.

(=أودسيوس) يجرؤ على أن يؤمّل أنه بكلمات معسولة سينزلني من سفينته ويَعْرضني على نظرات عيون اليونانيين جميعاً! كلا! كلا! إني أفضّل على هذا أن أطيع الأفعى اللعينة التي جعلت مني إنساناً مُقْعداً. لكن ذلك الرجل يستطيع أن يقول أيّ شيء وأن يجرؤ على كل شيء. ولهذا فأنا واثق أنه سيأتي فوراً. آه! لنرحل، يا بُنَيّ، حتى نستطيع أن نجعل بيننا وبين سفينة أودسيوس بحراً شاسعاً. هيّا! الكل يعلم أن الإسراع المناسب هو وحده الذي سيحقق لنا - بعد زوال المتاعب - النوم والراحة.

نيوپتوليم: متى ما هدأت قليلاً الريح التي تهب في مقدم السفينة فإننا سنبحر. أما الآن فإنها تواجهنا مباشرة.

فيلوكتيت: الوقت دائماً ملائم للإبحار، حينما نهرب من البلاء.

نيوپتوليم: كلا، إن الريح معاكسة لهم ولنا أيضاً.

فيلوكتيت: إن الريح ليست أبداً معاكسة للقرصان، إن قصدوا إلى السرقة أو النهب.

نيوپتوليم: أنت تريد الرحيل؟ لنرحل إذن، حالما تأخذ من هنا ما أنت في أشد الحاجة إليه أو الرغبة فيه.

فيلوكتيت: عندي هنا ما هو ضروري، وإن كنت لا أملك الكثير.

نيوپتوليم: لكن ماذا عندك مما لا تستطيع أن تجده على ظهر السفينة؟

فيلوكتيت: عندي هنا عُشْبة تخدّرني أفضل من غيرها، فهي تهدّىء آلام جرحي تماماً.

نيوپتوليم: خذها معك! إذن. وماذا تريد أن تأخذ أيضاً؟

فيلوكتيت: إذا كان سهم قد انزلق على الأرض دون علمي، فإنني لا أريد أن يأخذه أحد.

نيوپتوليم: أهذه إذن هي القوس الشهيرة التي تملكها الآن؟

فيلوكتيت: إنها هي، إنها نفس القوس التي أُمْسِك بها في يدي.

نيوپتوليم: هل تسمح لي بأن أتأملها عن قُرْب، وأن أرفعها إلى أعلى، وأن أتعبدها كما أتعبد الإله؟

فيلوكتيت: بالنسبة إليك نعم يا بُنَيّ، وجوابي هو نفس الجواب بالنسبة إلى كل ما أملكه أنا وتريده أنت.

نيوپتوليم: هذه رغبتي، لا شك في ذلك، لكن بهذا الشرط وهو أنه إذا كانت هذه الرغبة مسموحاً بها، فإنني أريد تحقيقها؛ أما إن لم تكن مسموحاً بها، فإنني لا أرغب فيها.

فيلوكتيت: إن لغتك، يا بنيّ، ورعة، ورغبتك مسموح بها. إنك أنت وحدك الذي مكنتني من أن أؤمّل في العودة إلى بلدي أوتا، ورؤية أبي العجوز وأقاربي. إنك أنهضتني من الأرض، ووضعتني فوق أعدائي. فاطمئنَّ إذن: هذه القوس أنت تستطيع أن تلمسها، وأن تعيرها إلى من تشاء، وأن تتباهى بأنك الإنسان الوحيد الذي استحقت فضيلته أن تمسك بها. في يدها. إنه من أجل خدمة أُسْدِيت إليَّ فإنني صرت السيّد ذات يوم.

نيوپتوليم: ليس لي أن أشكو أبداً من كوني التقيت بك وكسبت صداقتك. إن الرجل الذي يعرف كيف يردّ إحساناً بإحسان هو صديق من النوع الذي يساوي كل الكنوز. هل تريد أن تدخل؟

فيلوكتيت: نعم، بل وسأجعلك تدخل معي: إن عاهتي تطالب بمعونتك.

(يدخلان كلاهما في المغارة).

الكورس: لقد رووا لي قصة ذلك الذي تجاسر في الماضي على الاعتداء على سرير زيوس، فأمسك به الابن القدير لخرونوس وربطه بعجلة تدور باستمرار[1] وباستثناء هذا الشخص، لا أعلم عن إنسان شاهدته بعيني أو سمعت عنه أنه أصابه مصير معاكس مثل هذا الرجل الماثل هناك. إنه لم يرتكب أيّ شِرّ، ولم يؤذِ أحداً، وكان مع الآخرين مثلما كانوا هم معه. والآن هو يموت أخسَّ ميتة: وثم أمر آخر يدهشني: - بينما هو في وُحْدته لا يسمع من كل ناحية إلاّ ضجيج الأمواج - كيف استطاع أن يداوم على هذه الحياة المليئة بالدموع؟

لم يكن له من جارٍ غير نفسه، لأنه لم يستطع التحرك. ولم يقترب أحد من الأهالي من شقائه، ولم يجد صَدى له، بينما كان في بكائه يبث شكواه الدامية التي

(١) هذه القصة تتعلق باكسيون.

كانت تلتهمه. ولم يوجد أحد، حينما كان دمه الملتهب يتقطّر من جروحه على قدمه التي تعج بالدود - يهدّىء أزماته بواسطة أعشاب مهدّئة، حينما تفاجئه، كان ينتزع أعشاباً من التربة الحقيقية، وكان لزاماً عليه هو وحده أن يزحف هنا وهناك مثل طفل تركته ظئره، حتى يصل إلى أماكن يوجد فيها ما يقتات به حين يهدأ الداء الذي كان يعضّ قلبه. وهو لم يقطف لغذائه الحَبَّ الذي يأتينا من الأرض المقدسة، ولا أي ثمرة من الثمار التي نغرسها، نحن الفانين الآكلين للخبز.

لوحدها كانت القوس ذات الأسهم السريعة تزوّده أحياناً - بفضل طلقاتها المجنّحة - بما يسدّ غائلة الجوع! آه! يا لها من حياة بائسة تلك التي عاشها طوال عشر سنوات هذا الرجل الذي لم يستمتع بصبّ الخمر له، بل على العكس من ذلك كان متى ما أبصر بالصدفة ماءً آسناً فإنه كان يذهب إليه.

لكنه التقى في طريقه - اليوم - بسليل جنسٍ من الكرام سيخرجه من بؤسه ويجعله سعيداً وعظيماً، وسيعيده - على سفينته - بعد أشهر طويلة - إلى بلد أجداده، مُقام الحوريات المليًاوية، وإلى شواطىء أسپرخيوس، حيث المحارب ذو الدرع البرونزية[1] يصعد إلى كل الآلهة، في وَضَح النار السماوية، فوق قمم إيتا.

(فيلوكتيت. يخرج من المغارة، مستنداً إلى نيوپتوليم. وهو يمشي بصعوبة، ويتوقف فجأة وكأنه تملكه ألَمٌ حاد).

نيوپتوليم: تقدّم، مِنْ فضلك، لماذا تَصْمَت هكذا بدون سبب، وتقف هكذا وقد استولت عليك الدهشة؟

فيلوكتيت: أوه! أوه!

نيوپتوليم: ماذا بك؟

فيلوكتيت: لا شيء شديداً. هيا، سِرْ، يا ولدي.

نيوپتوليم: هل أشتدّ عليك الداء؟

فيلوكتيت: كلا. وقد بدأ يهدأ. إني أعتقد - آه! يا للآلهة!

نيوپتوليم: لماذا تبتهل هكذا إلى الآلهة وأنت تئن؟

---

(١) وهو هرقلس.

فيلوكتيت[1]: من أجل أن تأتي إلينا للنجدة والرحمة! آه! آه!

نيوپتوليم: بماذا تُحِسّ؟ ألا تتكلم، بدلاً من أن تظل صامتاً هكذا؟ يبدو عليك أنك تعاني من الألَم.

فيلوكتيت: أنا ميّت، يا ولدي. كلا، لا أستطيع أن أتظاهر بألَمي وأنا بينكم. أوه! أوه! إنه ينفذ في داخلي. آه، يا ويلتاه! وارحمتاه لي! أنا ميّت، يا ولدي. الداء يلتهمني، يا ولدي. آه! آه! أوه! أوه! باسم الآلهة، يا ولدي، إن كان في متناول يدك سيف؛ فاخبرني به، اقطع قدمي بسرعة. لا تُبْقِ على حياتي، يا ولدي!

نيوپتوليم: ماذا أصابك فجأة حتى تصرخ هذه الصرخات وتتنهد هذه التنهُّدات؟

فيلوكتيت: أنت تعلم، يا ولدي...

نيوپتوليم: ماذا؟ أرجوك. في الحقيقة أنا لا أعلم شيئاً.

فيلوكتيت: هل من الممكن ألاّ تَعْلم؟ أوه! آه! آه!

نيوپتوليم: إن ضغط الداء يتزايد بشكل مخيف.

فيلوكتيت: مخيف، لا يمكن وصفه. أشْفِق عليّ!

نيوپتوليم: ماذا يجب عليّ أن أفعل إذن؟

فيلوكتيت: لا تَخَفْ. لا تتركني. إن الداء لا يعود إلاّ بعد أيام طويلة، حينما يبعث من الجَرْي.

نيوپتوليم: آه! يا له من بائس مسكين! بائس مسكين! أنت تعرف كل ألوان الآلام. هل تريد مني أن آخذك وأُمسِكك؟

فيلوكتيت: كلا، كلا! بل خُذْ هذه القوس، كما طلبت مني منذ قليل. وطالما لم يهدأ هذا الألم المستولي عليّ الآن، فاحتفظ بها جيداً واسهر عليها: إن النوم يغلب عليّ، إذا ما ذهب الداء: وقبل ذلك لا يمكن أن يتوقف الداء. لكن

(١) في الواقع كان هناك ينبوع بالقرب من مغارة فيلوكتيت.

يجب حينئذ أن تتركني أنام في هدوء. لو جاء أولئك، الذين تعرفهم[1]، في تلك اللحظة، فباسم الآلهة لا تسلّم إليهم هذه القوس لا طوعاً ولا قهراً مهما يكن الثمن، أنا آمرك بهذا. وإلاّ لكان معنى هذا قتلك أنت وقتل من يتوسل إليك.

نيوپتوليم: إذا كان المقصود هو الاحتياط، فلا تَخْشَ شيئاً. إنه لن يُسَلَّم إلاّ إليك أنت، أو إليَّ أنا. أعطني إياها، ولتكن مصدر حظٍّ حَسَنٍ لي.

فيلوكتيت: ها هي ذي، خذها يا ولدي، واحمد الآلهة الغيورين حتى لا تكون مصدراً للشقاء لك كما كانت مصدر شقائي ومصدر شقاء من كان يملكها قبلي.

نيوپتوليم: يا للسماء! لتكن هذه الأمنية لكلينا معاً، ألا ليت سَفْرة سعيدة وسهلة تقودنا إلى حيث ترضى الآلهة وإلى الهدف الذي نقصده.

فيلوكتيت: يا بُنَيّ، إني أخشى كثيراً أن تكون أُمْنيتك بلا فائدة. ها هو من جديدٍ الدمُ الذي تقطُره يقتلني، وهو يجري من أعماق جُرْحي. إنني أتوقع شيئاً مروِّعاً. أوه! أوه! واحسرتاه! آه يا قدمي، أيُّ شرّ ستصيبيني أنت به؟ إنه يأتي، إنه يقترب، إنه قريب جداً. آه! وارحمتاه لي! أنت تعلم الآن ما هو. لا تهرب مني، أتوسل إليك. أوه! أوه! أوه! ـ أوه! رجل قفالونيا[2]! ألا ليت مثل هذا الألم ينفذ في صدرك أنت! وأنتما أيضاً أيها الزعيمان: أجاممنون ومنلاس، بودّي لو أراكما تعانيان من نفس الداء بدلاً مني أنا ولمدة طويلة مثل مدّتي أنا! آه! آه! آه! أيها الموت، أيّها الموت الذي أَنْشُده كلَّ يوم بدون انقطاع هكذا ـ ألا تستطيع أن تنجلي أخيراً! يا ولدي، أيها القلب النبيل، هيّا، خُذْني وأَحْرِقني في نار لمنوس هذه، واطلبها لهذا الغرض، أيها الولد النبيل. هذا هو ما اعتقدت أن من واجبي أن أفعله أنا بالنسبة إلى ابن زيوس فيما مضى، في مقابل السلاح الذي أنت تَحْرُسه اليوم. ماذا تقول، يا ولدي؟ ماذا تقول؟ لماذا تسكت؟ لكن، أين أنت، يا ولدي؟

نيوپتوليم: إني آسي منذ وقت طويل لأن عليَّ أن أحزن على بلاياك.

(١) أي: أودسيوس وديوميد، وكان التاجر قد أعلن عن مجيئهما.
(٢) أي: أودسيوس.

فيلوكتيت: هيا، يا ولدي، واحرص على الثقة. إن هذا الداء يأتي فجأة ويذهب بسرعة كبيرة جداً. لكني أرجوك ألا تتركني وحدي.

نيوبتوليم: لا تَخَفْ، سنبقى.

فيلوكتيت: صحيح، أنك ستبقى؟

نيوبتوليم: تأكد من هذا.

فيلوكتيت: ألا تريد، يا بُنَيّ، أن تربط نفسك بقَسَم؟

نيوبتوليم: وأنا ليس من حقي أن أذهب من هنا بدونك.

فيلوكتيت: أعطِني إذن يدك وثقتك معاً.

نيوبتوليم: ها هي ذي يدي، وسأبقى.

فيلوكتيت: آه! هناك، هناك، الآن...

فيلوكتيت: ماذا تقصد؟

فيلوكتيت: هناك...

نيوبتوليم: أيّ هذيان جديد استولى عليك؟ لماذا تدير عينيك نحو الشمس؟ هناك في أعلى؟

فيلوكتيت: اتركني، اتركني.

نيوبتوليم: أين ستذهب، إن أنا تركتك؟

فيلوكتيت: اتركني إذن أخيراً.

نيوبتوليم: كلا، لن أتركك.

فيلوكتيت: أنت تقتلني، إذا منعتني.

نيوبتوليم: إذن ليكن! إني أتركك: هل أنت أكثر تعقُّلاً؟

فيلوكتيت: أيتها الأرض! تقبّليني ميّتاً، كما أنا ههنا. إن الداء الذي يرهقني لا يسمح لي بعدُ بالنهوض.

(ينهار على الأرض).

الكورس: أنت يا من تجهل الألَم، أنت يا من تجهل الغموم، أيها النوم! حقق رجائي وتعالَ هنا لتنشر أنفاسك العذبة، يا حامل السلام، السلام، يا مولاي! استبقِ أمام عينيه هذا الضوء الساجي الذي انتشر عليهما، تعالَ، أرجوك، تعالَ أيها الشافي! وأنت أنت يا ولدي، ماذا عليك أن تفعل ـ أن تبقى أو أن ترحل؟ ـ وما تتوقع أن ينتج: أنت تراه بالفعل. لماذا تتأخر عن العمل؟

إن الفرصة التي تقرّر كل شيء، تحصل في برهةٍ على الانتصار الكامل.

نيوپتوليم: إنه لا يسمع شيئاً ـ ليكُنْ! لكن ما أشاهده أنا هو أننا حصلنا على هذه القوس دون مقابل، فلنرحل بدون الرجل. إن التاج ينتسب إلى الرجل، والرجل هو الذي قال الإله بإرجاعه. إن التفاخر بالإخفاق، الذي صَحِبته أيضاً أكاذيب ـ أمرٌ لا يستحق إلاّ العار والخجل.

الكورس: يا بني، السماء ستهتم بهذا. لكن إذا كان عليك أن تجيب بعدُ، فقُلْ لي بصوت خفيض، خفيض جداً، يا ولدي، الكلماتِ التي تودّ أن تحملها إلى أذنيّ. إن نوم المريض ليس نوماً حقيقياً: إنه يدرك كل شيء بدون مشقّة. بخير ما تستطيع، أرجوك، أرجوك أن تعمل ما تقصد أن تعمله دون أن يدركه، ودونِ أن يشعر به. أنت تعرف عمّن أتكلم.

إذا كانت نيّتك فيما يخصُّه قد بقيت كما قلت، فليس للناس العاقلين أن يتوقعوا إلاّ بلايا بدون نتيجة.

الرياح، يا ولدي، في صالحنا. فالرجل ماثل هناك بدون نظرة ولا دفاع. ممدَّد في ليله: إن النوم في الشمس أَمْرٌ حَسَن! إنه لا يسيطر على ذراعيه أو على ساقيه ولا على أيّ عضو من أعضائه. إنه يبدو فريسة مكرّسة لإله الموتى.

خذ حِذْرك، وانظر هل كلامك يتناسب مع ما يقتضيه الوقت الآن. إن الشيء الوحيد، الذي يدركه عقلي، يا بني، هو أن أفضل قرار هو ذلك الذي لا يدعو إلى الخوف.

(فيلوكتيت يستيقظ وينهض شيئاً فشيئاً).

نيوپتوليم: أرجوك أن تسكت، بدلاً من أن تهذي. إنه يحرّك عينيه، ويرفع رأسه.

فيلوكتيت: آه! هذا الضوء عند الهبوب من النوم! وهذه الحراسة غير المتوقعة، وغير القابلة للتصديق، والتي أقامها حولي هؤلاء الأجانب! ما كنت لأؤمّل أبداً، يا ولدي، أن يقبل قلبك تحمل بلاياي بكل هذا الإحسان، ببقائك إلى جانبي وتقديم المساعدة لي. إن آل أتريوس لم يكن لديهم الشجاعة لاحتمالها بهذه السهولة وهم القواد الصناديد! أما أنت، يا ولدي، أنت القلب النبيل المنحدر من جنس نبيل، فقد صَمَّمْت على تحمل الصراخ والرائحة الكريهة. وما دام دائي يلوح أنه يريد أن يترك لي برهة من النسيان والمهادنة فأنهضني أنت وحدك يا ولدي. نعم، أوقفني، يا ولدي، من أجل أنه حين يتركني التعب، فإننا سنلحق بسفينتنا ولا نتخلف عن الإبحار.

نيوپتوليم: يسرّني أن أراك - وعلى خلاف كل توقع - قد تخلّصت من آلامك، وحيّاً لا تزال تتنفّس، بينما لاح أنك قد مُتَّ، بحسب ما بدا من علامات في هذه المناسبة. فانهض واقفاً الآن. أو - إذا فَضّلت - سيحملك هؤلاء الناس. لا محل بعدُ للشكوى من الآلام، ما دام القرار قد اتُخِذ بهذا المعنى، من جانبك ومن جانبي أنا.

فيلوكتيت: شكراً، يا ولدي. أنهِضني إذن، كما ترى أنت؛ أما هؤلاء الناس فدعهم وشأنهم هادئين، إذ لا ينبغي أن يتألموا من الرائحة الكريهة قبل أن يكون ذلك ضرورياً. إنهم سيتضايقون كثيراً من وجودهم معي على السفينة.

نيوپتوليم: هذا مفهوم. فقِفْ إذن وتماسك جيداً، أنت وحدك، على قدميك.

فيلوكتيت: لا تَخَفْ: إن تعوّدا طويلاً من شأنه أن يمسك بي واقفاً.

(يخطوان بضع خطوات. لكن نيوپتوليم يتوقف فجأة).

نيوپتوليم: واأسفاه! وماذا يجب عليَّ أن أفعل أنا؟

فيلوكتيت: ماذا حدث، يا ولدي؟ إلى أين يذهب كلامك؟

نيوپتوليم: لست أدري كيف أدير كلاماً يحيِّرني؟

فيلوكتيت: ثَمَّ شيء يحيّرك؟ آه! لا تقل هذا، يا ولدي.

نيوپتوليم: لكن هذه هي الحالة النفسية التي أنا فيها الآن.

فيلوكتيت: أرجو ألا يكون النفور الذي يسببه لك دائي هو الذي يدعوك فجأة إلى عدم أخذي إلى سفينتك.

نيوپتوليم: كل شيء يثير النفور عند من ينسى طبيعته الخاصة به ويتخذ مسلكاً لا يناسبه.

فيلوكتيت: أنت لا تفعل ولا تقول شيئاً غير لائق بأبيك حين تقوم بمساعدة رجل شريف.

نيوپتوليم: سأكشف عن كوني إنساناً خسيساً، وهذه الفكرة تعذّبني منذ وقت طويل.

فيلوكتيت: في سلوكك؟ قطعاً لا. في كلامك، أخشى هذا.

نيوپتوليم: يا زيوس، ماذا ينبغي عليَّ أن أفعل؟ هل ينبغي عليَّ أن ارتكب خطيئة مرة ثانية، وأنا أعلم ماذا ينبغي ألا يكون، وأستخدم لغة خسيسة؟

فيلوكتيت: الإنسان الماثل أمامي ـ إن لم أكن مغفّلاً ساذجاً ـ يلوح لي أنه مستعد لاستئناف السير في البحر بعد أن يكون قد خانني وتركني.

نيوپتوليم: أتركك؟ كلا؛ بل بالأحرى أن أجعلك تسافر سفرة تسبّب لك الحزن ـ وهذا هو ما يعذّبني منذ زمان طويل.

فيلوكتيت: ماذا تقول، يا ولدي؟ أنا غير فاهم.

نيوپتوليم: لن أُخفِي عنك شيئاً. يجب عليك أن تسافر إلى طروادة وأن تلحق بالأخاويين وبأسطول آل أتريوس.

فيلوكتيت: آه! ماذا تقول؟

نيوپتوليم: لا تتألم قبل أن تعرف.

فيلوكتيت: أعْرِف! أعْرِف ماذا؟ ماذا تنوي إذن أن تفعل بي؟

نيوپتوليم: أنوي أن أخلّصك من دائك أولاً، وأن أذهب معك بعدذلك لتدير سهول طروادة.

فيلوكتيت: صحيحٌ؟ أهذا هو ما تنوي أن تفعله؟

نيوپتوليم: الضرورة القصوى تريد هذا. لا تغضب، إذاً قلت لك هذا.

فيلوكتيت: أنا ميّت، بائس. خانوني. ماذا فعلت بي، أيها الأجنبي؟ رُدَّ إليَّ قوسي بسرعة.

نيوپتوليم: مستحيل. ينبغي عليَّ أن أطيع السلطات القائمة، العدالة والمصلحة معاً تقتضيان هذا.

فيلوكتيت: آه! أنت مصيبة أفظع من النار، أنت وحش رهيب! أنت نموذج لعين لغدّارٍ مروّع! أيّ شرّ ارتكبته أنت في حقي. كم خدعتني! ألا تخجل من أن تتطلع في وجه من لجأإليك، واستجار بك! آه! أيها الوغد، إنك انتزعت مِنّي الحياة بانتزاعك قوسي مني! ردّها إليَّ، استحلفك؛ هيا، ردّها إليَّ يا ولدي، أتوسّل إليك؛ بحق آلهة آبائك، لا تنتزع الحياة منّي. آه! يا ويلتاه! إنه لا يفتح فمه بعدُ، ولن يردّ إليَّ شيئاً: نظراته التي تتهرب مني تدل على ذلك. أيتها المرافىء، أيتها الرؤوس البحرية، أيتها الصخور ذوات النتوءات، يا وحوش الجبال يا رُفَقائي الوحيدين ـ إليك، يا شهودي في كل ساعة، أرفع شكواي ضد البلاء الذي ارتكبه ضدي الابن الذي أنجبه أخيلوس. بعد أن أقسم على أن يعيدني إلى بلدي، ها هو ذا يريد أن يحملني إلى طروادة! لقد بسط إليَّ كفه اليمنى، لكن ها هو ذا يحتجز في يديه قوس هرقلس المقدّسة، هرقلس ابن زيوس، وأخذها ويريد أن يبرزها أمام الأرجوسيين!. وهو يخطفني، كما لو كان انتصر بالقوة على رجل قويّ، ودون أن يدرك أنه إنما يقتل جُثّة هامدة، وظلَّ دخان، وشبحاً زائلاً! لو كنت لا أزال سليم البدن، لما كان قد استطاع أبداً أن يأخذني، وحتى في الحالة التي أنا عليها لما كان في وسعه أن يفعل ذلك، لولا أنه استخدم المكر والحيلة. لكنني خُدِعت أنا البائس. ما العمل إذن؟ آه رُدّها إليَّ. وعلى الأقل الآن عُدْ إلى نفسك. أجبْ. أنت تسكت؟ يا ويلتاه! لقد قُضِي عليَّ. أيها الشكل الرهيب لهذا الباب المزدوج المفتوح في الصخر، ها أنا ذا أعود إذن إليك: أعزلَ، جائعاً، أعود لأهلك وحدي في هذا المأوى. وقوسي لن تصيب بعدُ الطائرَ ذا الجناح ولا وحوش الجبال، وأنا البائس أنا الذي سأزوّد بالطعام الصغير الذي كان يغذّيني. إن الحيوان الذي كنت أصيده سيصيدني أنا هو بدوره. وسأدفع بدمي ثمن دمها، أنا البائس! وهذا إنما حدث بفعل ولد بدا أنه لا يعرف الشرّ. هيا، فلتهلك إذن! لكن، كلا، كلاّ، ليس بعدُ، ليس قبل أن أعرف هل ستتصرف بمشاعر أخرى وإلاّ، فلتهلك في البؤس.

رئيس الكورس (مخاطباً نيوپتوليم): ماذا يجب علينا أن نفعل؟ عليك، يا سيدي، يتوقف الأمر: إما أن نرحل، أو أن نستجيب لرجاء هذا الرجل.

نيوپتوليم: إن شفقة غريبة نحوه قد استولت عليّ، ليس في هذه اللحظة الآن، بل منذ زمان طويلة.

فيلوكتيت: كن رحيماً، يا ولدي، بحق الآلهة. لا تدع الناس يسربلونك بالعار، بأن يقولوا إنك اللص الذي سرقني.

نيوپتوليم: ما العمل؟ آه! ليتني لم أغادر أسكوروس أبداً، لأنني أشعر بألم شديد لما يحدث.

فيلوكتيت: أنت لست شريراً، أنت؛ لكن لا شك في أن أشراراً قد علّموك الخِسّة. اترك هذه الخِسّة للآخرين، لأولئك الذين تناسبهم، وارحل تاركاً لي أسلحتي.

نيوپتوليم: ما العمل؟ خبّروني، أنتم.

(أودسيوس يظهر فجأة. ويتبعه بحّاران).

أودسيوس (مخاطباً نيوپتوليم): يا آخر البائسين، ماذا تفعل؟ أعطني هذه القوس، واذهب بعيداً.

فيلوكتيت: أوه! أوه! مَنْ هذا الرجل؟ هل هو أودسيوس، هذا الذي أسمع صوته؟

أودسيوس: نعم، هو بذاته. أنا أقف أمامك الآن.

فيلوكتيت: أوه! لقد باعوني، لقد ضِعت. هذا هو خاطفي وهذا هو سارق أسلحتي!

أودسيوس: إنه أنا، وليس إنساناً آخر، كن واثقاً من هذا؛ أنا أُقِرّ بهذا.

فيلوكتيت: آه! أَعْطِني هذه القوس، يا ولدي.

أودسيوس: إنه لن يفعل هذا، حتى لو أراد. ولا بد أن ترحل مع هذه القوس؛ وإلا جعلك هؤلاء الرجال[1] ترحل بالقوة القاهرة.

---

(١) يقصد البحّارين اللذين دخلا مع أودسيوس.

فيلوكتيت: ماذا؟ شرير بين أشرار، فاجر بين فُجّار ـ هؤلاء الناس سيأخذونني بالقوة القاهرة؟

أودسيوس: إذا لم ترد أن تأتي طوعاً.

فيلوكتيت: يا أرض لمنوس، يا أيّها الضوء القوي، انتاج هيفايستوس، هل ترون من المحتمل أن ينتزعني منك هذا الرجل بالقوة؟

أودسيوس: إنه زيوس ـ يجب أن تَعْلم هذا ـ إنه زيوس، ربُّ هذه الأرض، إنه زيوس هو الذي قرّر هذا. وما أنا إلاّ خادمه.

فيلوكتيت: آه! أيها الكائن البغيض، أيّ شيء لا تستطيع أن تخترعه؟ إنك بتسترك خلف الآلهة تجعل منهم كذّابين.

أودسيوس: كلا، بل أنبياء صادقين. هذا هو طريقك، وعليك أن تسير فيه.

فيلوكتيت: لا.

أودسيوس: يجب عليك أن تطيع.

فيلوكتيت: آه! يا للشقاء! هل أنجبنا آباؤنا لنكون عبيداً، لا لنكون أحراراً؟

أودسيوس: قُلْ أحسن من هذا: لنكون مساوين لأبسل المحاربين، الذين يجب عليك أن تفتح معهم طروادة وتدمّرها.

فيلوكتيت: أبداً! مهما كلفني ذلك من آلام؛ أبداً، طالما كان قدماي يطآن الأرض العميقة لهذا البلد.

أودسيوس: ماذا تريد إذن أن تفعل؟

فيلوكتيت: أُذمِي جبهتي في الحال بأن ألقي بنفسي من أعلى هذه الصخرة على الصخرة التي في أسفل.

أودسيوس (مخاطباً بحارته): اقبضوا عليه، حتى لا يستطيع أن يفعل شيئاً.

فيلوكتيت: إيه يا يداي[1]! كيف يعاملكما! لقد حُرِمتما من قوسكما المحبوبة، وصرتما قنيصاً لهذا الرجل! إن قلبك لا يشعر بأي شعور حليم أو حرّ،

---

(١) فيلوكتيت محتجز فقط بواسطة البحارة، لكن يديه ليستا مربوطتين.

وقد خدعتني مرة أخرى من جديد واصطدتني في شباكك، بالتستر وراء هذا **الطفل**، الذي لم أكن أعرف مَنْ هو، وهو أشبه بي وأبعد ما يكون عنك، وهو لا يعرف شيئاً غير أن يتبع ما كُلّف به، وهو في هذه الساعة يكشف عن أنه يحزن للأخطاء التي ارتكبها والأضرار التي تسبّب فيها. لكن فِكْرَك الشّرير، المترصّد دائماً في زوايا الظلام الدامس، أفلح في تعليمه بسرعة، على الرغم من أنه لم يكن مهيّئاً لارتكاب الشرّ بل كان ينفر منه. واليوم، بعد أن أوثقتني بالأغلال، أنت تزعم أن تبعدني عن هذا الرأس البحري، الذي ألقيت بي عليه في الماضي وحيداً بغير صديق، ولا وطن - ميّتاً بين الأحياء! آه!

ليتك تَهْلك! هذه أمنية طالما تمنيتُها لك؛ لكن، لما كانت الآلهة لا تمحني أيّ سرور، فإنك أنت الذي تنعم بلذة الحياة، بينما أنا أتألم من الحياة! الحياة - وأسفاه! في وسط ما لا حصر له من المصائب، هدفاً للسخرية من جانبك ومن جانب الزعيمين ابنَيْ أتريوس، اللذين تتبع أنت أوامرهما. ومع ذلك فقد كان لا بد من الترهيب والحيلة معاً لوضعك تحت النّير، ولإرغامك على الإبحار معهما[1]. أمّا أنا، أنا السيء الحظ فقد أبحرت عن طيب خاطر على رأس سبع سفُن لكنهم نبذوني على نحوٍ ينطوي على الإهانة، حسبما تدّعي أنت، أما هم فيقولون إنك أنت الذي فعلت ذلك. إذن لماذا تقتادني وتجرّني معكم؟ ما هي حُجّتك؟ إنني لم أَعُد شيئاً مذكوراً. أنا ميّت منذ وقت طويل بالنسبة إليكم؛ كيف يتأتى إذن، وأنا المكره، من الآلهة، ألاّ أكون بالنسبة إليك اليوم رجلاً عاجزاً تنبعث منه رائحة كريهة؛ وكيف منذ اليوم الذي أُبْحِر فيه يكون ممكناً أن تقدّم القرابين إلى الآلهة وأن تقدم إليها شعائر الرّش؟ ألم يكن هذا هو السبب في طردي؟ نعم! ألا ليتكم تهلكون! وستهلكون بالداء الذي أصبتموني به، إذا كانت الآلهة تَحْفِل بإحقاق العدالة. وأنا أعلم أنها تحفل بهذا؛ وإلا فبدون ذلك لما كنتم قد قمتم بهذه الرحلة البحرية من أجل هذا البائس الذي هو أنا: لقد كان من الضروري أن يكون الدافع إلى هذا وارداً من إله. إذن، يا أرض آبائي، ويا أيتها الآلهة الساهرة العيون، اضربيهم، اضربيهم جميعاً بضربة واحدة، إن كنتم تشفقون عليّ. إن حياتي جديرة بالشفقة؛ لكني إذا رأيتهم أمواتاً فسأشعر بأنني تخلّصت من الداء الذي أصابني.

---

(١) راجع ثاني تعليق في أول المسرحية.

رئيس الكورس: الرجل خَشِنٌ، يا أودسيوس، ويتكلم بلهجة خشنة؛ صُلْبة وسط آلام مبرّحة.

أودسيوس: عندي الكثير الذي أستطيع أن أجيب به على هذا الرجل، لو كان الوقت يسمح بهذا. أما الآن، فليس عندي غير كلمة واحدة أقولها. في كل مرة يُحتاج فيها إلى هذا النوع من الناس أو ذاك، فإنني من النوع المطلوب؛ وإذا كان على المرء أن يختار بين العادلين والأمناء، فإنك لن تجد شخصاً أكثر مني نزاهة. ومع ذلك، فإنني جُبِلْت على أن أنتصر دائماً لكن ليس عليك أنت، بل أنا اليوم أُخْلِي لك المكان عن طيب خاطر. خَلُّوا عنه، لا تحتجزوه؛ اتركوه يبقى ههنا. لم نَعُدْ في حاجة إليك لأننا أخذنا أسلحتك. ولدينا تويكروس Teucros، وهو خبير في هذه المهنة ـ فضلاً عنّي أنا، فأنا مساوٍ لك ـ فيما أظن ـ في استعمال هذا السلاح بمهارة وتوجيهه بيدي نحو الهدف[1]. فما هي إذن حاجتي إليك؟. وداعاً إذن، وطَأْ كما تشاء أرض جزيرة لمنوس. أما نحن فسنرحل. ومن الممكن أن يحقق لي السلاح الذي تفاخر أنت به ـ المجد الذي كان ينبغي أن ينسب إليك.

فيلوكتيت: آه! ما العمل؟ يا ويلتاه! (مخاطباً أودسيوس): إذن ستتباهى بأسلحتي أمام الأرجوسيين؟

أودسيوس: لا تُجِب عليَّ. إنني فعلاً في طريقي.

فيلوكتيت: ومنك أنت، يا ابن أخيلوس، لن أسمع منك كلمة؟ وستسافر أيضاً هكذا؟

أودسيوس (مخاطباً نيوپتوليم): تعالَ إذن، ولا تنظر إليه. خُذْ حِذْرَك، ولا تُفْسِد ـ بالكَرَم ـ حَظَّنا.

فيلوكتيت (مخاطباً الكورس:) ماذا؟ أتتركونني هكذا وحدي، الآن، أيها الأجانب[2]. ألا تشفقون عليَّ؟

---

(١) كان أودسيوس ماهراً في استعمال القوس. وقد برهن على ذلك بقتله لخُطّاب هيلانة (راجع النشيد رقم ٢١ في «الأوديسا»).

(٢) اللفظ: «أجانب» تعني فقط: مَنْ ليسوا من وطني أو بلدي. وهكذا أينما وردت في كل مسرحيات سوفقليس.

رئيس الكورس: إن هذا الطفل هو رئيسنا الوحيد على ظهر السفينة. ما سيقوله لك، سنقوله نحن لك.

نيوپتوليم (مخاطباً الكورس): سأسمع من هذا الجانب (مشيراً إلى أودسيوس) أنني أشعر بشفقة مُفْرطة. ابقَوْا، مع ذلك، ابقوا في كل الوقت المطلوب لبحارتنا لتحضير سفنها، والمطلوب منا لأداء الصلاة للآلهة. فمن الممكن أن تتكون لدى الرجل (فيلوكتيت) مشاعر أفضل نحونا. أما فيما يتصل بنا نحن الاثنين، فإننا سنرحل وحينما نناديكم فارحلوا أنتم بأسرع ما يمكن.

(نيوپتوليم يذهب خلف أودسيوس).

فيلوكتيت: أيها المأوى المحفور في الصخر، الملتهب حيناً، والبارد كالثلج حيناً آخر، لقد صار لزاماً عليّ ألا أتركك أبداً، أنا البائس، وستكون أنت وحدك الشاهد الوحيد على موتي.

واأسفاه! واأسفاه! أيها المأوى المملوء بالحزن الذي أستروحه فيه، كيف ستكون حياتي كل يوم من الآن فصاعداً؟ وممن، ومِنْ أين سأستمد، أنا البائس - الأمل في إطعام نفسي؟ إذهبي إلى أعلى في الأثير، أيتها القطا التي تشق الهواء: لم تَعُد لديّ القوة على اصطيادك.

الكورس: إنك أنت، نعم أنت، أيها البائس، الذي أردت ذلك. إن هذا المصير لم يأت من غيرك، من قوة عالية. لقد كان في استطاعتك أن تكون عاقلاً؛ لكنك أنت الذي اخترت الطريق الأسوأ، بدلاً من الطريق الأفضل.

فيلوكتيت: آه! أنا البائس، أنا البائس! حَطّمني الشقاء، وسأهلك عما قليل إذا قَدّر عليّ ألا أرى إنساناً، وأنا مثبّت ههنا.

واحسرتاه! واحسرتاه! لأنني لن أتسطيع أن أحصّل لنفسي الغذاء بواسطة السهام المجنّحة التي تطلقها يداي القويتان. إن اللغة العجيبة، اللغة المريبة، التي نطق بها غدّار[1] قد خدعتني خداعاً خبيثاً. آه! بودي لو أراه هذا الذي دبّر هذه الحيلة، وهو يعاني ما عانيت من آلام! ولمدة طويلة طول مدة آلامي أنا.

---

(١) فيلوكتيت سيموت جوعاً بدون قوسه التي أخذها نيوپتوليم وأودسيوس.

الكورس: إن هذا المصير الآلهة هي التي فرضته عليك، وليس خدعة كنت أنا الوسيلة فيها. إن لعناتك الرهيبة المنحوسة عليك أن توجهها إذن نحو آخرين. أما أنا فأودّ ألا أراك ترفض صداقتي.

فيلوكتيت: واحسرتاه! واحسرتاه! إنه جالس على الرمل عند شاطىء الأمواج البيضاء، وهو يسخر مني؛ ويُشْهر في يده ما كان[1] حياتي. هذا السلاح الذي يحمله أحدٌ غيري. إيه يا قوسي، التي انتزعوها من يدي؛ إن كنت تشعر بشيء، ألا تشعر بالشفقة حين ترى أن الوارث البائس لهرقلس لن يستطيع من الآن فصاعداً أن يستعملك، وأن إنساناً آخر يستعملك، إنساناً خبيثاً ماكراً يستخدم الآن الحِيل، وسيكون عليك أن تشهد حِيَله الغدّارة، وأن ترى العدوّ الذي أكرهه يولّد من مخازيه شروراً أكثر مما دبّره الناس ضدي؟

الكورس: يجب على كل إنسان أن يدافع عن حقه قدر المستطاع وعلى خيروجه؛ لكن يجب عليه أيضاً، حين يدافع عنه، أن يمتنع عن أن يدفع السنّ الدامية التي تتضمنها لغة الكراهية. إن الرجل الذي تتكلم عنه قد اختير من بين كثيرين آخرين، ونفذ الأمر الذي أُمِر به، من أجل مساندة القضية التي هي قضيتنا جميعاً.

فيلوكتيت: إيه أيتها الطيور الجوارح ذات الأجنحة، إيه أيتها الوحوش ذوات العيون الحادّة المتقدّة، يا سادة الجبال - إنك لم تعودي تقتربين من مغارتي لتهربي منها خائفة في الحال. ويداي لا تملك - مثلما في الماضي - أسهماً تستطيع أن تدافع. آه! أية مصيبة هي مصيبتي!

إن حراسة هذه الأماكن قد تراخت، إنها لم يَعُدْ لديها شيء يخيفك. تعالوا مسرعين! لقد جاءت ساعة الانتقام. هيّا أشبِعوا مناقيركم من لحمي المتحلّل. بعد لحظة سأكون قد غادرت الحياة.

أنى لي أن أجد الآن ما أتغذى به؟ من ذا الذي يستطيع أن يتغذى بأنفاس الهواء، حين لم يَعُدْ في وسعه أن يتغذى بالثمار التي تنبتها الأرض؟

الكورس: بحق الآلهة، أرجوك، إن كنت تحتفظ ببعض الاحترام للأجنبي،

---

(١) وهو نيوبتوليم.

اذهب إليه إن جاء إليك بقلب لا يحمل إلاّ النيّة الطيبة. لكن افهَمْ، افهَمْ جيداً أنه إنما يتوقف عليك أنت وحدك أن تهرب من هذا البؤس. إنه مما يثير الشفقة أن يبقى إنسان في البؤس؛ لكن ليس من المقدّر تحمل الآلام المقرونة بهذا البؤس.

فيلوكتيت: ها أنت ذا توقظ حزني القديم، يا أفضل أولئك الذين نزلوا إلى هذه الشواطىء. أيُّ موت تريد أن تفوضه عليَّ! أي شر تفعله بي...

الكورس: ماذا؟ ماذا تقصد؟

فيلوكتيت: حينما تريد أن تقتادني نحو أرض طروادة التي أكرهها.

الكورس: أجل، لأن هذا هو الطريق السليم.

فيلوكتيت: إذن اتركني فوراً.

الكورس: هذا الأمر يناسبني، يناسبني جداً. وأنا مستعد لإطاعته. هيا، وليذهب كل واحد إلى مكانه على السفينة.

فيلوكتيت: لا، باسم زيوس، زيوس الضامن للعناتي؛ لا، لا تذهب: إني مستجير بك.

الكورس: اهدأ.

فيلوكتيت: باسم الآلهة، ابقوا أيها الأجانب.

الكورس: ماذا تطلب؟

فيلوكتيت: واأسفاه! أيّ مصير هو مصيري! أنا ميّت، أنا البائس آه، يا قدمي، ماذا يجب عليَّ أن أفعل بك في الأيام الباقية لي من العمر؟ عودوا، أيها الأجانب، عودوا إليّ[1].

الكورس[2]: لماذا؟ من أجل خُطّة تختلف عن تلك الخطط التي أفصحت عنها منذ قليل!

فيلوكتيت: لا ينبغي الغضب من إنسان قد أضلّته عاصفة من الآلام، فراح يتكلم بكلام غير معقول.

---

(١) أي: ما كان يكفل لي القوت، وهو قوسه.

(٢) كان الكورس قد توجه نحو الخروج، بناءً على أمر فيلوكتيت.

الكورس: ارحل إذن، أيها البائس، كما دعوتك.

فيلوكتيت: كلا أبداً، لن أتغير أبداً. كلا، حتى لو جاء زيوس العظيم مُرْعداً وحاملاً اللهيب الذي سيحرقني بصواعقه. ولتهلك إليون (طروادة) وكلُّ أولئك الذين يحاصرونها، وكل أولئك الذين تجاسروا على نبذي بسبب قدم مريضة. وامنحوني، أيها الأجانب الشيء الوحيد الذي أطلبه منكم.

الكورس: وماذا تقصد؟

فيلوكتيت: أمدّوني، إن كان معكم، بسيف، ببلطة، بأيّ سلاح.

الكورس: من أجل القيام بأيّ فعلٍ عنيف؟

فيلوكتيت: من أجل أن تقطع يدي، بضربة واحدة، رأسي وفقراتي. إن قلبي يريد الموت، الموت في الحال.

الكورس: ولماذا؟

فيلوكتيت: لأعود إلى أبي.

الكورس: في أيّ مكان؟

فيلوكتيت: في العالم السفلي. إنه لم يَعُدْ يرى ضوء النهار. إيه يا مدينتي، مدينة آبائي، ألا ليتني أشاهدك أنا البائس، أنا الذي غادرت نهرك المقدس لنجدة أولئك اليونانيين البغيضين! وها أنا ذا ميّت من الآن فصاعداً.

(يدخل في مغارته).

رئيس الكورس: كنت سأكون رحلت، وكدت أن أصل إلى شاطئي، لو لم أر بالقرب مني أودسيوس وابن أخيلوس اللذين يقدمان نحونا.

(أودسيوس ونيوپتوليم يعودان وهما يتشاجران).

أودسيوس: هل تخبرني لماذا عُدْتَ أدراجك، وإلى أين أنت ذاهب بكل هذه السرعة؟

نيوپتوليم: أنا ذاهب لإصلاح الغلطة التي ارتكبتها.

أودسيوس: أوه! يا له من كلام غريب. وما هي هذه الغلطة؟

نيوپتوليم: هي أنني أطعتك وأطعتُ الجيش.
أودسيوس: وماذا فعلتَ مما كان ينبغي عليك ألا تفعله.
نيوپتوليم: إنني انتصرتُ بالحيلة والخداع الخسيسين.
أودسيوس: على مَنْ؟ أوه! هل تريد أن تصبح متمرّداً عاصياً؟
نيوپتوليم: متمرد عاص؟ كلا. لكن إلى ابن فياس...
أودسيوس: ماذا تريد أن تفعل. الخوف ينتابني.
نيوپتوليم: ... الذي أخذت منه هذه القوس، أنا بدوري...
أودسيوس: بحق زيوس، ماذا تقصد؟ أتفكر في أن تردّها إليه؟
نيوپتوليم: نعم، لأنها ليست من حقي وقد أخذتها بوسيلة خسيسة.
أودسيوس: بحق الآلهة، أتسخر وأنت تتكلم معي هكذا؟
نيوپتوليم: إذا كان إعلان الحق سخرية في نظرك!
أودسيوس: ماذا تقول، يا ابن أخيلوس؟ أية كلمات تستخدم هكذا؟
نيوپتوليم: هل ينبغي عليَّ أن أكررها مرتين وثلاث مرات؟
أودسيوس: كان بودّي ألا أسمعها، ولا مرة واحدة.
نيوپتوليم: اعلم الآن أنني قلتُ كلَّ شيء.
أودسيوس: لكن هناك شخص سيمنعك من ذلك.
نيوپتوليم: ماذا؟ مَنْ ذا الذي يستطيع أن يمنعني من ذلك؟
أودسيوس: جيش اليونانيين كله، وأنا على رأسه.
نيوپتوليم: إن كلماتك تنقصها البراعة، بالنسبة إلى شخص بارع.
أودسيوس: أنت ليست لديك براعة لا في الكلمات ولا في الأفعال.
نيوپتوليم: الأمانة ههنا أفضل من البراعة.
أودسيوس: هل من الأمانة أن تُسَلِّم ما تدين به لنصائحي؟
نيوپتوليم: إنني ارتكبت غلطة خسيسة؛ وسأحاول إصلاحها.
أودسيوس: ولا تخاف - إذا فعلت هذا - من جيش اليونانيين؟
نيوپتوليم: ما دام الحق في جانبي، فإني لا أخاف من جيشك.

أودسيوس: الخوف[1]............

نيوپتوليم: حتى لو استعملتَ القوة، فإنني لن أطيع.

أودسيوس: لن نحارب إذن ضد الطرواديين، بل ضدّك أنت.

نيوپتوليم: ليحدث إذن ما يجب أن يحدث.

أودسيوس: أنت ترى يدي؛ إنها تمسك بغمد سيفي.

نيوپتوليم: ستراني أفعل المِثْل، وبدون تأخير.

أودسيوس: لكن، لا؛ فعلى الرغم من كل شيء، فإني أفضل أن أتركك. وسأقدّم تقريري إلى الجيش كله، وهو الذي سيعاقبك.

نيوپتوليم: ها أنت قد صِرْتَ عاقلاً. حافظ على هذا الشعور، وبهذا تعفي نفسك من سفح الدموع. (مستديراً ناحية الصخرة) إيه يا ابن فياس، يا فيلوكتيت اخرُجْ، واجتَزْ العقبة الصخرية هذه.

(فيلوكتيت يظهر عند مدخل المغارة).

فيلوكتيت: أيّ نداء هذا الذي يرتفع إذن بالقرب من مغارتي؟ لماذا تنادونني؟ ماذا تريدون، أيها الأجانب؟ (يَلْمَح نيوپتوليم) أوه! أوه! هذه مصيبة! هل جئتني بمصيبة شنيعة، بعد كل المصائب التي عانيتها؟

نيوپتوليم: لا تَخْشَ شيئاً، وأَصْغِ إلى ما سأقوله لك.

فيلوكتيت: بلى، أنا خائف لقد أصابتني عباراتك الجميلة بكارثة: لقد خُدِعْتُ بها.

نيوپتوليم: هل من المستحيل إذن أن يغيّر المرء رأيه؟

فيلوكتيت: كانت عباراتك مشابهة لهذه لما أن سرقت أنت قوسي: كانت عبارات صديق ـ صديق أراد هلاكي.

نيوپتوليم: ليس الأمر هكذا، هذه المرّة، صَدِّقني، أريد منك أن تخبرني

---

(١) هنا نقص في الأصل اليوناني.

على أي شيء قرّ قرارك: أن تبقى وتتحمل مصيرك؟ أو أن تذهب معنا؟

فيلوكتيت: كفى، لا تقل أكثر من هذا: كل ما ستقوله لن يفيد في شيء.

نيوپتوليم: إذن قد اتخذت قرارك النهائي؟

فيلوكتيت: بتصميم وثبات أقوى مما أستطيع أن أعبّر عنه.

نيوپتوليم: كنتُ أفضل أن تكون قد اقتنعت بماسقتُه من حجَج. لكن، لما كان كلامي غير مُجْدٍ، فإني أتوقف عند هذا.

فيلوكتيت: كل ما عسى أن تقوله سيكون بلا فائدة. أنّى لك أن تجد عندي قلباً متعاطفاً معك، بينما أنت بمكرك قد انتزعت مِنّي حياتي ثم تأتي بعد ذلك تلقى عليّ درساً. أنت أيها الولد الكريه لأنبل الآباء؟ ألا ليتكم تهلكون جميعاً: آل أتريوس أولاً، ثم ابن لائرتس (= أودسيوس)، ثم أنت أخيراً!

نيوپتوليم: توقف إذن عن اللّعْن، واستلم هذه القوس من يدي.

فيلوكتيت: ماذا تقول؟ مرة أخرى تريد أن تخدعني؟

نيوپتوليم: كلا، إني أُقْسِم بزيوس الأعلى، وبجلالته المقدسة.

فيلوكتيت: آه! كلمات جميلة إن كانت صادقة!

نيوپتوليم: والفِعْل يدل على ذلك. ابسط ذراعك وخذ أسلحتك.

(أودسيوس يظهر فجأة).

أودسيوس: أنا أعترض على هذا، والآلهة شهود على ذلك، باسم أبناء أتريوس وكل الجيش.

فيلوكتيت: يا ولد، ما هذا الصوت؟ هل هو أودسيوس مَنْ أسمعه؟

أودسيوس: كن متأكداً من هذا. إن أمام عينيك مَنْ بالقوة سيقتادك إلى سهول طروادة، سواء سمح ابن أخيلوس بهذا، أو لم يسمح.

فيلوكتيت: لكن ليس بدون عقاب، على كل حالٍ، إذا انطلق هذا السهم إلى هدفه.

نيوپتوليم: آه! لا؛ بحق كل الآلهة، لا تُطْلِق هذا السهم.

فيلوكتيت: اترك ذراعي، بحق الآلهة، يا ولدي العزيز.

نيوپتوليم: كلا، لن أتركك.

فيلوكتيت: إنه خَصْمي وعدوّي. لا تمنعني من قتله بواسطة سهامي.

نيوپتوليم: إن الضربة ستكون عارية عن المجد بالنسبة إليك، كما بالنسبة إليَّ أنا.

فيلوكتيت: إذن فاعلم أن رؤساء هذا الجيش هؤلاء المنادون الكذابون اليونانيون، هم جسورون في الكلام، وجبناء في القتال.

(أودسيوس يذهب دون أن يجيب).

نيوپتوليم: ليكن! لكن معك الآن قوسك في يدك، ومن الآن فصاعداً لا سبب لديك يدعوك إلى الغضب منّي أو الشكوى.

فيلوكتيت: أنا أُسَلِّم بهذا، يا ولدي، إنك أثبتّ الدمَ الذي انحدرت منه. إن أباك ليس سيسوفوس[١]، بل هو أخيلوس الذي نال بين الأحياء أنبل أنواع المجد، كما هي حاله أيضاً بين الأموات.

نيوپتوليم: يطيب لي أن أسمعك تمدح أبي وتمدحني أنا في نفس الوقت. اسمع، مع ذلك، ما أتوقعه منك. كلُّ إنسان مرغمٌ على أن يتحمل المصير الذي تفرضه الآلهة عليه. لكنه حين يستطيب الشرور الصادرة عن ذاته، كما تفعل أنت، فمن الطبيعي ألا يلقى من الناس تسامحاً ولا رأفة. أنت تَفْزع، ولا تسمح بتقديم النصيحة، وإذا ألقى عليك أحدٌ درساً من باب الصداقة، فإنك تقابله بالكراهية، وترى فيه خصماً، وعدوّاً، ومع ذلك فإنني سأتكلم، وأستشهد زيوس، الضامن للقَسَم. أعلم ما يلي، وانقشه عميقاً في قلبك: إن الداء الذي تتألم منه قد جاءك من الآلهة، لأنك اقتربت من حارس خروسيه، الأفعى التي، في الظلام، على حراسة مأواها[٢] الذي لا سقف له؛ واعلم أنه طالما كانت هذه الشمس تشرق هنا وتغرب هناك[٣] ـ فإن هذا الداء القاسي لن تبرأ أنت منه أبداً إلاّ إذا ذهبت ـ عن طيب خاطر وإرادة ـ إلى سهول طروادة وقابلت عندنا أبناء اسقلاپيوس[٤]، وهم سيشفونك منه، وذلك حتى تستولي أنت على الميدان في النهاية بواسطة هذه

---

(١) الأب الحقيقي لأودسيوس، بحسب بعض الروايات.

(٢) لما كانت خروسيه هي مجرد حورية، فإنه لم يكن لها من مأوى غير زريبة.

(٣) في مسرح ديونسيوس كان الممثل ـ في مواجهة الجمهور ـ عن يمينه الشرق وعن يساره الغرب.

(٤) وهم: ماخاؤن وپروداببر.

القوس وبصحبتي أنا ـ كيف عرفت أنا أن الأمر سيكون كذلك؟ سأقول لك. إننا أسرنا من أهل طروادة أسيراً اسمه هيلينوس وهو عرّاف كامل، وقد تنبأ لنا صراحة بأن الأمر هو هكذا في المستقبل. وأضاف قائلاً أنه في هذا الصيف ستُفْتَح طروادة قطعاً. ويراهن برأسه على هذا، إن كان قد كذب. والآن، أنت تعرف كل شيء، فوافق إذن عن طيب خاطر. أليس هذا فضلاً لا مزيد عليه أن يُعْتَرف لك بأنك أشجع اليونانيين؟ وبعد أن تتولى علاجك تلك الأيدي فإنك باستيلائك على طروادة ـ وهي مصدر الكثير من الدموع، فإنك ستظفر بأسمى أنواع المجد؟

فيلوكتيت: آه! أيتها العيشة الكريهة، لماذا تحتفظين بي حيّاً على هذه الأرض، بدلاً من أن تتركيني أنزل إلى العالم السفلى؟ ماذا أستطيع أن أفعل؟ كيف أرفض أن أصدّق هذا الرجل، بينما هو ينصحني نصيحة صديق؟ لكن هل أوافق وأستسلم لنصيحته؟ وكيف أستطيع، أنا البائس، أن أظهر للنور، إذا ما أنا سلكت هذا المسلك؟ إلى من سأتوجه إذن؟ وأنّى لك، يا عيناي، اللتين رأتا ما عانيت، أن تستطيعا إذن احتمال هذا المنظر: فيلوكتيت إلى جانب آل أتريوس الذين تسببوا في ضياعك، إلى جانب ابن لائرتس البغيض؟ ليس غمُّ الماضي هو الذي يَعَضُّ على قلبي، بل تصوُّر ما عسى أن أحتمله منهم في المستقبل. حينما يؤدي التفكير إلى ارتكاب جريمة ما، فإنه يرتكب جرائم أخرى ناتجة عن هذه الجريمة. وفي حالتك أنت، هذا هو ما يدهشني أيضاً: إنك أنت لا ينبغي لك أن تذهب إلى طروادة، كما أنه ينبغي عليك أيضاً أن تبعدني عنها، لأن الأمر يتعلق بأناس أساءوا إليك، وسرقوا منك الأمجاد الأبوية. وها أنت ذا على استعداد للسفر من أجل القتال لصالحهم، وتريد أن ترغمني على أن أفعل نفس الشيء. كلا، يا ولدي. تمسّك بوعدك؛ اقتدني إلى وطني ثم أَقِمْ في أسكوروس، واترك هؤلاء البائسين يهلكون في بؤس. وبهذا تحصل على عِرفان بالجميل مزدوج: منّي ومن أبي ولن تظهر حينئذ بمظهر من هو من شاكلتهم بمساعدتك للأشرار.

نيوپتوليم: كلامك معقول جداً. لكن وعلى الرغم من كل شيء، فإني أودّ أن أراك تثق بالآلهة وبكلامي من أجل متابعة الصديق الذي تجده فيَّ أنا وأن تبتعد عن هذه الشواطىء معه.

فيلوكتيت: كي ألحق بتلك السهول الطروادية وبآل أتريوس الملاعين وبهذه القدم البائسة؟

نيوپتوليم: الأولىٰ أن تقول: كي ألحق بأولئك الذين يستطيعون، وحدهم، أن يضعوا نهاية لآلام هذه القدم ذات الغنغرينة وليخلصوك من دائك.

فيلوكتيت: آه يا لها من نصيحة غريبة تلك التي تنصحني بها!

نيوپتوليم: إنها في رأيي الأكثر فائدة لك ولي أنا.

فيلوكتيت: وأنت لا تخجل من أن تتكلم هذا الكلام في واجهة الآلهة؟

نيوپتوليم: ولماذا ينبغي عليّ أن أخجل من طلب فائدة؟

فيلوكتيت: فائدة لآل أتريوس، أو لي أنا؟ خبّرني.

نيوپتوليم: لك أنت، فيما أظن. إنني صديقك، وأنا أتكلم بوصفي صديقاً لك.

فيلوكتيت: «صديق!» حينما تقصد إلى تسليمي إلى أعدائي!

نيوپتوليم: يا عزيزي! تعلَّمْ من بلاياك ألا تبالغ في الكبرياء.

فيلوكتيت: إني أتكهن أنك ستسبب في هلاكي بهذه الكلمات.

نيوپتوليم: كلا، أبداً، أؤكدّ لك. إنك لا تفهمها.

فيلوكتيت: أو لا أعلم أن آل أتريوس هم الذين نبذوني ذات يوم؟

نيوپتوليم: والذين نبذوك ماذا لو أنهم أنقذوا حياتك هذه المرة؟

فيلوكتيت: بشرط ألا أوافق أبداً على العودة إلى طروادة.

نيوپتوليم: ماذا أستطيع أن أفعل؟ إذا كانت كل حُجّجي لا تستطيع إقناعك، فإن أبسط شيء بالنسبة إليّ هي أن أتخلى عن إسدائها إليك، وعليك أنت أن تعيش كما تعيش الآن، دون أن تفكّر في أن تُشْفَى من دائك.

فيلوكتيت: نعم! دعني أعانِ من الآلام ما أعاني، وتذكر الوعد الذي وعدتني به وأنت ممسك بيدي وهو أن تعيدني إلى وطني. افعل هذا. يا ولدي، دون إبطاء ولا تحدّثني بعد هذا عن طروادة. لقد بكيتُ ونُحتُ بما فيه الكفاية.

نيوپتوليم: أنت تريد هذا، فلنرحل إذن.

فيلوكتيت: آه! الوعد النبيل!

نيوپتوليم: ثبّت خطواتك.

فيلوكتيت: بقدر الإمكان.

نيوپتوليم: كيف سأتخلص إذن من لَوْم اليونانيين لي؟

فيلوكتيت: لا تقلق.

نيوپتوليم: ولو خرّبوا بلادي؟

فيلوكتيت: سأكون أنا هناك. . .

نيوپتوليم: وماذا ستفعل أنت لمساعدتي؟

فيلوكتيت: . . . ومعي سهام هرقلس. . .

نيوپتوليم: ماذا تَعْني؟

فيلوكتيت: وبها سأمنعهم من الاقتراب من بلادك.

نيوپتوليم: أَلْقِ السلام على هذه الأرض، وتعالَ.

(هرقلس يظهر فجأة في أعلى الصخرة).

هرقلس: ليس بعدُ، يا ابن فياس، ليس قبل أن تسمع ما أريد أن أخبرك به. قل لنفسك إن أذنيك تسمعان صوت هرقلس وأن عينيك تتطلعان فيه. من أجلك جئت إلى هنا تاركاً المقام السماوي؛ أتيتُ إليك لأكشف لك عن مقاصد زيوس، ولكي أمنعك من المضيّ في الطريق الذي تريد أن تسلكه. أعِرْ سمعك لنصائحي[1].

عليك أن تعلم أولاً ما هو مصيري، وبأية مِحَن مررت الواحدة بعد الأخرى قبل أن أحصل على هذا المجد الخالد الذي تستطيع أن تتأمله. فأعلم، أنت أيضاً، أن مصيراً مشابهاً ينتظرك. وحين تتخلص من هذه المِحَن، فإنك ستحظى بحياة مجيدة. فارحل إذن مع هذا الرجل[2] إلى مدينة طروادة. وهناك فيها ستجد أن داءك الرهيب قد زال. وبعد ذلك ستدفعك شجاعتك إلى الصف الأول في الجيش وستقتل پاريس Paris بفضل سهامي، وهو كان السبب في مصائبك؛ وستستولي على طروادة[3]. أما نصيبك من الغنائم الذي ستحصل عليه مكافأة لك على

(١) في المسرح يظهر هرقلس على آلة خاصة تسمى «ثيولوجيون» كانت تسمح برؤية الآلهة في الهواء.

(٢) نيوپتوليم.

(٣) كان هرقلس قد استولى على طروادة، بمساعدة طلامون.

شجاعتك بين كل محاربينا ـ فستبعث أنت به إلى أبيك فياس في قصرك القائم على هضبة الأوتا Oeta وطنك. أما النصيب الذي ستحصل عليه من الجيش كذكرى لسهامي، فاحمله إلى قبري.

أما أنت يا ابن أخيلوس، فإني أوجه إليك نفس النصائح. إنك بدونه لن تستطيع فتح سهل طروادة، وهو أيضاً لن يستطيع ذلك بدونك أنت. فلتكونا معاً مثل أسدين يسيران معاً متضامنين، يسهر كل واحد منكما على الآخر.

وفيما يتصل بي، سأرسل اسقلبيوس إلى طروادة، ليشفيك من عِلّتك. لا بد لقوسي أن تنتصر مرة أخرى على طروادة، لكن لا تنسيا، حينما تغزوانها،أن تراعيا التقوى الواجبة نحو الآلهة. بالنسبة إلى زيوس، كل شيء جائز بعد هذا. إن مجد الإنسان الفاني المتقي لا يزول بزواله هو؛ إنه لا ينطفىء أبداً عند الموتى ولا عند الأحياء.

فيلوكتيت: أنت يا من أتيتنا بكلام عذب، أنت يا من ظهرت لنا بعد زمان طويل ـ لن أتمرّد على صوتك.

نيوبتوليم: وهذا هو الرأي الذي آخذ أنا به.

هرقلس: لا تتأخروا إذن في الانتقال إلى الأفعال. إن الوقت والرياح مواتيان لكما.

(هرقلس يختفي).

فيلوكتيت: هيّا بنا! وفي الساعة التي ابتعد فيها عن هذه الأرض يجب عليّ أن أحيّيها. وداعاً، أيها المسكن الذي آواني وقتاً طويلاً؛ وأنت، يا حوريات المراعي الرطبة، وأنت يا ضجيج الأمواج العاتية؛ وأنت أيها الرأس البحريّ الذي عليه حتى وأنا في أعماق مغارتي، كانت تلفح جبيني ضربات ريح الجنوب، وفي كثير من الأحيان أرجع إليّ جبلُ هرمس[(١)] صدى أنّاتي إبّان عاصفة الشقاء. لقد حانت ساعة الرحيل عنكم في الحال، يا نافورة ومياه أپولون اللوقياني، وما كنت أظن أن هذا سيحدث أبداً. وداعاً يا أرض لمنوس التي تحيط بها الأمواج؛ اجعلي رحلة الاجتياز تحملني دون عناءٍ إلى حيث تقودني «الپارك» الكبيرة ونصائح

(١) جبل هرمس يقع في أقصى الشمال الشرقي من جزيرة لمنوس.

أصدقائي[1] ومَنْ ينحني أمامه كل شيء وأصدر قراره السامي.

رئيس الكورس: لنرحل نحن جميعاً إذن. لكن ليس قبل أن نصلّي لحوريات البحر كي تؤمّن عودتنا.

ختام

مسرحية «فيلوكتيت»

(١) هو زيوس.

مَسْرحيَّة «نسَاءُ تراخسْ»

مقدّمة «نساء تراخس»

بقلم: د. عبد الرحمن بدوي

(١)

أسطورة هرقلس

تدور مسرحيتنا هذه حول هرقلس وزوجته ديانيرا.

ولهذا ينبغي الإلمام «بأسطورة» هرقلس إلماماً سريعاً لأنها طويلة جداً ومعقدة. وهو أشهر أبطال «الأساطير» اليونانية، ونقول «الأساطير» لأنه لم يوجد في واقع التاريخ، ولا يمكن أن يوجد مثله: إنه يمثل أقصى ما استطاع الخيال اليوناني أن يتصوره نموذجاً للبطل الخرافي الذي انتصر ليس فقط على أكبر الأبطال من بني الإنسان، بل وأيضاً على أعتى الشياطين والمرَدَة.

والمعنى الحرفي لاسمه: هرقلس Heracles باليونانية هو: «مَجْد هيرا» وهيرا هي زوجة زيوس (إله الآلهة عند اليونانيين)، وملكة السماء، وكانت الأخت الكبرى لزيوس، وابنة خرونوس وأمها ريا Rhea. . ومن عجب أن يسمى بهذا الاسم، مع أن هيرا ناصبته العداء لأنها كانت تغار من أمه القمينا Alcemena زوجة زيوس الأخرى، وضرّتها إذن. وقد تنازعته مدينتان يونانيتان هما: أرجوس، وثيبا ـ

فادعت كلتاهما أنها بلده الأصلي الذي ولد فيه.

وقد خصّه أبوه زيوس بتولي المُلْك في أرجوس ولكن هيرا حاكت له المؤامرات حتى لا ينال هذا المُلْك.

وتقول الأسطورة إن قوّته قد تجلّت وهو لا يزال طفلاً عمره ثمانية أشهر! ذلك أنه كان، بصحبة أخيه غير الشقيق: افقلس Iphicles، في درع كان بمثابة فراش له. فأدخلت هيرا ثعبانين لقتل الطفل هرقلس في مخدعه. وشاهدهما افقلس أولاً وراح يصرخ: فأمسك هرقلس بكلا الثعبانين بيديه وخنقهما! ونجا الولدان، وفهم أمفتريون مَنْ من الطفلين هو ابن زيوس، أعني أنه أدرك أن هرقلس هو ابن زيوس، وأما أفقلس فهو ابنه هو من زوجته ألقمينا التي كانت في نفس المدة تنام مع زيوس! وبحسب رواية أخرى كان أمفتريون - وليس هيرا - هو الذي أدخل الثعبانين ليعرف من هو ابن زيوس ومن هو ابنه هو من بين الولدين التوأمين اللذين أنجبتهما ألقمينا.

وتولى تربية هرقلس نفر ممتاز: فأمفتريون - زوج أمه - علّمه ركوب الخيل وقيادة العَرَبات، ويوروطوس - ملك يوخاليا - علّمه الإصابة بالقوس، وأوطولوقوس علّمه المصارعة، ويولّوكس درّبه على استعمال السلاح، ولينوس Linos - أخو أورفيوس الموسيقار - علّمه العزف على الكنّارة. فلما شاهد لينوس أن هرقلس غير مجتهد، فقد عاقب هرقلس؛ فغضب هرقلس غضبة عنيفة وأمسك بالكنارة وغرزها في يافوخ معلّمه لينوس!

وبعد ذلك أرسله أمفتريون - زوج أمه - ليرعى القطعان على جبل قيثرون، بالقرب من ثيبا. وصار شاباً قويّ البنية، بارعاً في المصارعة، وفي الرمي بالقوس. فلما بلغ السابعة عشرة من عمره، صارع وحده أسداً وقتل الأسد. وبعد أن قتل أسد قيثرون التقى، أثناء عودته إلى مدينة ثيبا، برُسُل أرجينوس Erginos، ملك المنوائيين Minyiens وقد ذهبوا إلى ثيبا لتحصيل الجزية السنوية التي فرضها ذلك الملك عند موت أبيه كلومينوس Clymenos الذي قُتِلَ في ثيبا. وكان أرجينوس قد هزم أهل ثيبا، وجرّدهم من أسلحتهم وفرض عليهم هذه الجزية السنوية. فأستولى الغضب على هرقلس لهذه الإهانة المفروضة على مدينة ثيبا. فأمسك بهؤلاء الرسل، وقطع أنوفهم وآذانهم وربطها بأعناقهم، وردهم إلى سيّدهم أرجينوس. ثم سلّحته إلاهة الحرب: أثنا، فهاجم أرجينوس وهزمه في شِعْب في الجبل، بمساعدة أهل ثيبا. وحاصر أورخومينا Orchomina وتسلّق أسوارها أثناء الليل، وبدون مساعدة أحد أحرق قصر أرجينوس. وأخيراً فرض على هذه المدينة جزية تبلغ

مِثْلِي تلك التي كانت فُرِضت على ثيبا. ومكافأة له على هذا النصر، زوّجه كريون ـ ملك ثيبا آنذاك ـ من ابنته ميجارا، فأنجبت له ثلاثة أولاد.

وأثناء، ما كان هرقلس في أرجوس، توفي كريون، فاغتصب الحكم فيها لوقوس Lycos الذي جاء من يوبيا. وكان لوقوس قد اتُّهم بأنه هو الذي قتل كريون. وتضايق لوقوس من وجود بنات وأحفاد كريون في مدينة أرجوس، فتهيّأ لقتلهم، لكن هرقلس وصل فجأةً وقتل لوقوس. وفي أثناء الاحتفال بهذا النصر أصابته هيرا بنوبة جنون، في أثنائها أمسك بقوسه وقتل أولاده هو الثلاثة وزوجته ميجارا التي حاولت إنقاذ أولادها! وكان على وشك قتل زوج أمه امفتريون، لما أن ضربته أثنا بحجر.

وبحسب أشهر الروايات، فإن الآلهة قد عاقبته بأن فرضت عليه سلسلة من الأعمال الشاقة. ذلك أنه اضطر إلى ترك ثيبا، ولجأ إلى صديقه ثسپيوس Thespios، ملك ثسبيس Thespis الذي طهّره من الآثام وفقاً للشعائر الدينية المتّبعة. لكن ضمير هرقلس لم يطمئن، فذهب لاستشارة وحي دِلْف.

فأشار عليه هذا الوحي بالذهاب إلى ترونثه Tirynthe إحدى مدن مملكة يورسثيه Eurysthée، وأن ينجز عدداً معيناً من الأعمال التي سيفرضها عليه هذا الملك. ويتفق أقدم المؤلفين على أن عدد هذه الأعمال هو اثنا عشر، لكن اثنين منها قد عدهما يورسيثه أنهما ناقصان، ولهذا نجد غالبية المؤلفين يقصرون عددها على عشرة. وبعد أن أنجز هذه الأعمال العشرة سُمّي باسم: هرقلس، وقد سمّته الفوثا ـ كاهنة وحي دِلْف ـ بهذا الاسم ربما لاسترضاء هيرا لتكفّ عنه مؤامراتها. وقد كان اسمه قبل ذلك التاريخ هو القيد Alcide، وهو اسم والد أمفتريون. وقد تنبأت له هذه الكاهنة بالخلود إذا استطاع القيام بهذه الأعمال بنجاح.

وها نحن نورد بإيجاز هذه الأعمال:

١ ـ أسد نيميا: كان أول وحش قتله هرقلس وأتى به إلى يورسثيه هو أسد نيميا، في إقليم أرجوس. وقد فاجأه هرقلس على سفح رابية وأصابه بعدّة سهام، كان أپولون قد زوده بها. لكن هرقلس لاحظ أن الأسد لم يَصُب. بل هاجم هرقلس الذي استطاع تجنب وثبة الأسد، وضرب الأسد بعصا غليظة من خشب الزيتون؛ وخنقه ثم سلخه مستخدماً مخالب الأسد. ثم استخدم فروة الأسد معطفاً يتدثر به. هنالك وضع زيوس الأسد كأحد أبراج النجوم.

٢ ـ هودرا لرنا: كانت تعيش في بِرك لرنا ـ بالقرب من مدينة أرجوس ـ أفعى مائية جسمها جسم كلب؛ وكانت من أقرباء أول ضحية من ضحايا هرقلس. وكانت لهذه الحية رؤوس عديدة، أحدها خالد. فحاول هرقلس قتل الهودرا بسيفه، لكنه لاحظ أنه كلما أطاح برأس من رؤوسها، نبت مكانه رأسان آخران: لكنه استطاع أن يسحق هذا التنين بضربة من قَدَمه؛ وعوَّضت هيرا هذا التنين بأن جعلته برج السرطان من بين أبراج النجوم.

٣ ـ غزالة كرونيا Cyrenie: كانت هذه الغزالة بلاءً على أهل الإقليم، فقتلها هرقلس وكرّسها للإلاهة أرتميس.

٤ ـ الخنزير البرّي على جبل أرومنثه Erymanthe: ثم صدر الأمر لهرقلس بالقبض على خنزير برّي على جبل أرومنثه ـ في إقليم أركاديا ـ لأنه كان يعيث فساداً في منطقة پسوفيس Psophis. وبينما كان هرقلس يبحث عنه، قابله القنطور فولوس الذي استقبله عنده. فانجذبت القنطورات إلى مغارة فولوس بواسطة رائحة الخمر التي لم تتعود عليها، وبعد أن شربت من هذه الخمر هاجمت هرقلس. فاضطر هرقلس إلى الدفاع عن نفسه بسهامه المسمومة، فقتل معظم المهاجمين. وأحد هؤلاء المهاجمين، وهو نيسوس Nessos وكان قد أفلت من هذه المذبحة، سيكون السبب في موت هرقلس، كما سنرى في مسرحيتنا هذه. وبعد هذا الحادث استطاع هرقلس القبض على الخنزير البرّي بأن أرغمه على الخروج من مغارته بالصياح ودفعه إلى ثلج عميق. وحبس الخنزير في شبكة وأتى به إلى يورسثيه.

٥ ـ اسطبلات أوجياس Augias. أوجياس هو ابن هليوس ـ إله الشمس. وكان يملك، مثل أبيه ـ قطعاناً كثيرة يرسلها للرعي في مملكته في إقليم اليد Elide. فأمر يورسثيه هرقل بالذهاب إلى اسطبلات أوجياس التي كانت مملوءة بالروث إلى درجة أنه لم يكن من الممكن استخدامها؛ وأمره بأن ينظفها في يوم واحد. فوافق هرقلس بشرط أن يحصل في مقابل ذلك على عُشر القطعان. وكان فوليه Pylée ـ ابن أوجياس ـ شاهداً على تعهد أبيه بهذه المكافأة. فماذا فعل هرقلس؟ فتح ثغرات في السور المحيط بالاسطبلات وصرف ماء نهر الفا Alphee إليها، فتدفق الماء خلال الإسطبلات ثم أعاد النهر إلى وضعه السابق وسدّ الثغرات في أثناء الليل. وهكذا صارت الاسطبلات نظيفة. لكن أوجياس رفض أن ينفذ ما تعهد به، بدعوى أن هرقلس كان يعمل تحت أمرة يورسثيه واستنكر فوليه نكث أبيه بما تعهد به، فنفاه أبوه.

٦ ـ طيور بحيرة استومفاله Stymphale: وآخر أعمال هرقلس في إقليم البلوبونيز هو إبادة الطيور التي كانت تعيث فساداً على الشواطىء المزروعة بالغابات حول بحيرة استومفاله. وقد قتل هرقلس عدداً كبيراً منها بسهامه.

٧ ـ ثور كريت: ثم أمره يورروسته بالذهاب بعيداً، وأمره بإحضار الثور الذي أهمل مينوس Minos فلم يضحّ به لفوسيدون وكانت پاسيفاءه Pasiphaé قد رغبت في ذلك... وقد وافق مينوس على أن يعطي الثور إلى هرقلس، لأن هذا الثور قد سبب له متاعب كثيرة وكان خَطِراً: فأمسك به هرقلس والثور حيّ وأحضره إلى يورسثيه، ثم أطلق سراحه. وبعد ذلك ذهب الثور إلى ماراثون، وقتل بعد ذلك ابن مينوس.

٨ ـ أفراس ديوميد Diomede: وصدر الأمر إلى هرقلس بالذهاب إلى تراقيا ليحضر منها أفراساً (مؤنثة) تأكل بني الإنسان، وكان يملكها ديوميد، ملك البستون Bistones. ولما مرّ بإقليم ثساليا Thessalia استقبله أوميت، ملك الفير Pheres، وأنقذ زوجة هذا الملك، واسمها: الكاستا Alceste زوجته: ذلك أنها تأهّبت كي تحل محل زوجها في القبر، لكن هرقلس صارع «الموت» لما جاء يطلب فريسته. ومن هناك توجه إلى تراقيا، واستولى على الأفراس وساقها إلى الساحل لحملها في سفينته. لكن البستون، بتحريض من ديوميد، وكان قد اكتشف هذه السرقة، هاجموا هرقلس. بيد أن هرقلس هزمهم وأَسَر ملكهم وقدّمه طعاماً للأفراس التي صارت منذ هذه اللحظة وديعة مطيعة؛ كانت قبل ذلك قد التهمت الشاب المرافق لهرقلس، واسمه: أبديردس، وكان مكلّفاً بحراستها. وأسّس هرقلس مدينة أبديرا Abdera تخليداً لذكراه.

٩ ـ قنطور الأمازونات: أرادت أدميتا Admeté من أبيها يورسثيه أن يعطيها هدية نادرة. فأرسل أبوها هرقلس ليظفر بنطاق (= حزام) هپوليتا Hippolyté ملكة الأمازونات. وكنّ يقطنّ بالقرب من نهر ثومودون في شمالي آسيا الصغرى(١).

(١) الأمازونات: شعب خرافي مؤلف من نساء محاربات. وقد سماه اليونانيون بهذا الاسم ـ ومعناه: «من ليست لهن أثداء» ـ لأنهن كن يَبْتُرن الثدي الأيمن في بناتهن حتى يستطعن استعمال القوس في القتال. أصلهن من جبال القوقاز، ثم أقمن في أسقوثيا (في جنوب روسيا اليوم) أو في شمال آسيا الصغرى. ويقال إنهن ينحدرن من سلالة آرس، إله الحرب ومن أرتميس إلاهةُ البكارة والقوة النسائية.

فجمع هرقل جماعة من الزملاء، منهم ثيسيرس وطلامون، وأبحروا، وفي الطريق نزلوا في جزيرة فاروس Paros، إحدى جزر بحرايجه. فقتل أهلُ الجزيرة اثنين منهم. فقام هرقلس بحصار مدينتهم حتى استسلم أهل المدينة، وأخذ هرقلس ولدين من أولاد ملكهم كرهائن، وهما: القيوس Alcée واستينولوس Stenelos ثم أبحر حتى وصل إلى شواطىء آسيا الصغرى ومن ثم إلى بلاد الأمازونات. وكان الإله آرس هو الذي أعطى الشعلة لهپولينا، رمزاً على سلطة هذه الملكة على شعبها فلما طلب هرقلس منها هذا النطاق أعطته إياه دون معارضة. فغضبت هيرا من كون هرقلس ـ خصمها اللدود ـ قد حصل على النطاق بكل سهولة. فاتخذت هيئة أمازونة وأثارت سائر الأمازونات ضد هرقلس قائلةً إن هرقلس ينتوي اختطاف ملكتهن. هنالك ظن هرقلس أن هپولينا لم تف بوعدها، ولهذا قتلها، ثم انتزع النطاق من خصرها، وأبحر قافلاً.

١٠ ـ ثيران جريون: ولإنجاز الأعمال الباقية، كان على هرقلس أن يذهب إلى آخر حدود الأرض، بل وإلى العالم السفلي الذي وصفته ملحمة «الأوديسا» بأنه المنطقة المتاخمة للمحيط من ناحية الغرب. وفي هذه الأماكن قام هرقلس بسلسلة من المغامرات Parerga أضيفت إلى الأعمال العشرة.

ومن بين هذه المغامرات مغامرة تتعلق بثيران جريون. وجريون Jeryon كان مارداً له ثلاثة رؤوس؛ وكانت له ثيران ترعى على جزيرة أروثيا (الجزيرة الحمراء) التي كانت موجودة غربي أسپانيا. فكُلّف هرقلس باختطاف هذه الثيران وإحضارها إلى أرجوس. فذهب أولاً إلى ليبيا ثم سار نحو الغرب متجهاً صوب المحيط الأطلسي. ولما تضايق من شدّة الحرّ شدّ قوسه في اتجاه الشمس. فلم تتضايق الشمس (هليوس)، بل أعارته كأساً من الذهب كان يستدير فيه كل ليلة نحو الشرق. واجتاز هرقلس المحيط في هذه الكأس، حتى وصل إلى أروثيا Erythé لما اجتاز جبل طارق مشيّداً «أعمدة هرقلس» المشهورة. وبعد أن قتل الكلب أورثوس Orthos بضربة من عصاه الضخمة، قتل الراعي يورتيون Eurytion، ثم حمل القطيع على الكأس الذهبية. وكان مينوئتيس Menoetis يرعى قطعان العالم السفلي غير بعيد عن هناك، فأخبر المارد جريون بما حدث لقطيعه. فراح هذا المارد يطارد هرقلس؛ لكن هرقلس قتله بسهامه على شاطىء نهر أنثيموس. وبعد ذلك أبحر هرقلس صوب كرتيسوس Cartessos (مدينة لم تحدّد تقع في جنوب

غربي أسپانيا). وهناك أعاد الكأس إلى هليوس (الشمس). وواصل السير على قدميه مجتازاً أسپانيا وجنوب فرنسا. وحاول عدد من أهل ليجوريا الاستيلاء منه على قطيعه وقتله خصوصاً وأنه قد بدأت سهامه يقل عددها. بيد أن زيوس ـ رب الأرباب ـ أنقذه بأن أسقط على الليجوريين وابلاً من الحجارة استخدمها هرقلس لرجم أعدائه هؤلاء. ومنذ ذلك الحين كثرت الصخور والحجارة في إقليم البروڤانص (إقليم الليجوريين).

١١ ـ التفاحات الذهبية التي للهسپريدس: وهكذا أتم هرقلس إنجاز الأعمال العشرة التي فرضها وحي دلف. لكن لما كان يورسثيه قد رفض الإقرار باثنين منها، فقد اضطر هرقلس إلى القيام بعملين آخرين بدلاً منهما: إذ أمره يورسثيه بأن يُحْضر إليه التفاحات الذهبية الخاصة بالهسپريدس Hesperides (= «بنات الغروب») ويذكر أحياناً أن هؤلاء هن بنات المارد أطلس، الذي كان يقيم بالقرب من حديقتهن، حاملاً القُبّة السماوية على ظهره.

وكانت هذه التفاحات قد أهدتها جايا (= الأرض) إلى هيرا في زفافها؛ وقد نبتت هذه التفاحات على شجرة تفاح مغروسة في حديقة تقع عند حدود العالم، وكانت تحرسها بنات الغروب (الهسپريدس) والتنين لادون Ladon. وهذه المغامرة طويلة نجتزىء منها بأن نقول إن هرقلس قتل لادون، وقطف بنفسه التفاحات الموجودة على تلك الشجرة.

١٢ ـ النزول إلى العالم السفلي: وكانت آخر أعمال هرقلس هو النزول إلى العالم السفلي لإحضار كربيروس، الكلب الذي كان يحرس العالم السفلي وأبواب ملكوت هادس. وقد أراد يورسثيه بهذه المغامرة الهائلة أن يعجز هرقلس، وأن يتخلص منه إلى الأبد. فقبل هرقلس هذا التحدي. وبذا تمكن من الاطلاع على أسرار ألوسيس Eleusis والتطهر من قتل القنطورات. وبفضل شعائر پرسفونيه استطاع التوجه صوب ملكوت هادس (العالم السفلي). وبحسب بعض الروايات فإنه خلّص آنذاك الكست Alceste من الموت. وذهب إلى تينار Tenaré، في جنوب البلوپونيز، حيث جاء إلى لقائه كل من هرمس، مرشد الأرواح، وأثنا، حاميته، وصحباه إلى مقام الموتى. فلما بلغوا نهر الأستوكس Styx، خاف القائم على عبور النهر، خارون، من هرقلس إلى درجة أنه نقله إلى الشاطىء الآخر على الفور. وكان على هرقلس بعد ذلك أن يتصارع مع هادس هو نفسه كي يستطيع

دخول العالم السفلي، فجرحه أمام المدخل ثم سمح لهرقلس بعد ذلك بأخذ كربير، وكان عليه أن يأخذه بدون أن يستعمل سلاحاً. وأبصر هرقلس من بين الموتى ثيسيوس Theseus وپيريثوس Prithos جالسين على «كَراسي النسيان» وقد ربطا بها عقاباً لهما على أنهما حاولا اختطاف پرسفونيه (بنت زيوس وديميتر وزوجة هادس، وكانت بذلك ملكة على هادس). ووافق هادس على إطلاق سراح ثيسيوس. كذلك التقى هرقلس بشبح الجورجونة ميدوسا وشبح ملياجر. وقص ملياجر على هرقلس قصة موته فتوجع لها هرقلس وعرض أن يتزوج أخته: ديانيرا، وكان ملياجر أشاد بجمالها فوافق هرقلس: وأخذ هرقلس كربير ثم خرج من العالم السفلي إلى الهواء الطلق على الأرض. وفي أثناء عودته إلى ترونثه، كانت طلعة كربير الفظيعة سبباً في وقوع عدة مصائب ذلك لأن رغوة فمه ولّدت سُمّاً قاتلاً هو الأكونيت. لهذا أعاد هرقلس الكلب كربير إلى العالم السفلي، كما كان قد تعهد بذلك من قبل.

وبهذا أتم هرقلس إنجاز كلّ ما فرضه عليه يورسثيه من أعمال جبّارة، وبذلك نفّذ كل الشروط للحصول على الخلود.

(٢)

أسطورة ديانيرا

وثاني شخصية في مسرحيتنا هذه هي ديانيرا. وهي بنت أونيه Oenée ملك كاليدون، وأمها ألثيا Althée.

وقد سمع هرقلس عن جمالها من ملياجر كما قلنا، فقرر الزواج منها، وصارت زوجته الثانية. لكن كان ينافسه في طلب يدها نهر أخيلوس Achelos. فتقرر إجراء مصارعة بينهما، ليحصل الظافر منهما على الزواج بها: فحوّل أخيلوس نفسه إلى ثور؛ لكن هرقلس كسر قرنه وبذلك انتصر عليه. وتزوج ديانيرا. وساعد أباها على أخضاع الشسپروت Thesprotes. لكن حدث بعد ذلك أنه قتل دون قصدٍ ساقي أونيه، وكان عليه أن يغادر كالدون. فأخذ معه ديانيرا إلى مدينة تراخس؛ لكن نهر أيونوس Evenos وكان في فيضان حال بينها وبين الاستمرار في السفر،

فعرض القنطور نيسوس Nessos أن يعبر بديانيرا إلى الشاطىء الآخر، بينما يخوض هرقلس في النهر ماشياً. وبالرغم من العداوة القديمة بينهما، وافق هرقلس على هذا الاقتراح. لكن نيسوس استغل هذه الفرصة وحاول هتك عرْض ديانيرا. فلما أبصر هرقلس ذلك، صوّب سهماً مسموماً بدمّ الهودرا فأصاب مقتلاً من نيسوس. وقبل أن يموت، أراد الانتقام من هرقلس، فتظاهر بالندم والتوبة ونصح ديانيرا بأنها إذا رأت أن حب هرقلس لها قد بدأ يتناقص - أن تغمس قميصاً بدمه وتبعث بالقميص ليلبسه هرقلس؛ وإذا لبسه فإن حبه سيعود قوياً كما كان. فأخذت ديانيرا بعض الدم من جرح نيسوس في قارورة احتفظت بها سرّاً. وبعد ذلك بمدة طويلة، فيها أنجبت لهرقلس عدة أبناء، خصوصاً: هَلّوس Hyllos ومكاريا Macaria - علمت أن هرقلس قد شغف حبّاً بإيولا Iolé؛ التي كان قد أسرها. فقررت استخدام السائل الذي نصحها به نيسوس، فأرسلت إلى هرقلس قميصاً غمس بدم نيسوس. فلما لبسه هرقلس، احترق حتى الموت. فلما شاهدت ايولا العاقبة القاتلة لفعلتها هذه بزوجها، انتحرت.

(٣)

موضوع هذه المسرحية

تلك هي سيرة حياة بطلي مسرحيتنا هذه فماذا اتخذ منها سوفقليس موضوعاً لمسرحيته هذه؟

لقد استلهم سوفقليس في هذا الشأن ملحمة مفقودة عنوانها: «الاستيلاء على أوخاليا». وهي ملحمة نسبها الأقدمون إلى كريوفيل Créophyle الذي من شامس Samos، وهو شاعر كان معاصراً لهوميروس. لكن هذه الملحمة لم تصل إلينا ولم يصل إلينا أيّ عرض أو موجز لها. لهذا لا نملك أن نقول شيئاً محدداً عن العلاقة بين هذه الملحمة وبين مسرحية سوفقليس.

لهذا اتجه البحث إلى مقارنة أخرى، هي المقارنة بين مسرحية «هرقلس»: تأليف يوريفيدس وبين مسرحيتنا هذه. وهنا قامت صعوبة أخرى، وهي تحديد تاريخ تأليف سوفقليس لمسرحيته هذه. فإذا كان من الثابت أن يوريفيدس قد ألف

مسرحيته: «هرقلس» في سنة ٤١٥ ق.م، فقد اختلف النقاد اختلافاً هائلاً في تحديد تاريخ تأليف سوفقليس لمسرحيته: إذ نجد شادفلت[١] ويوحنا هانيتس يحددان هذا التاريخ بين على ٤٣٨ و٤٣١ق.م.، نجد آخرين يضعون هذا التاريخ بعد سنة ٤١٥ على أساس أن سوفقليس قصد إلى نقد يوريفيدس والسخرية منه. ومن أنصار هذا الرأي الثاني: ماسكريه Masqueray (في مقدمته لترجمة مسرحية «نساء تراخس»).

وبهذه المناسبة نذكر محاولتين لتأريخ تأليف سوفقليس لمسرحياته:

الأولى: هي محاولة وبستر[٢]، وقد قام بها على أساس ملاحظات لغوية وأسلوبية، فانتهى إلى ما يلي:

أ ـ أقدم فترة تشتمل على المسرحيات: «أياس»، و«أنتيجونا» و«نساء تراخس».

ب ـ الفترة الوسطى تشتمل على: «أوديب ملكاً».

جـ ـ الفترة الأخيرة تشتمل على: «الكترا» و«فيلوكتيت»، و«أوديب في كولون».

المحاولة الثانية: قام بها راينهرت ولا تختلف عن الأولى إلاّ فيما يلي:

ـ «أياس» و«نساء تراخس» هما أقدم مسرحيات سوفقليس.

ـ «أوديب ملكاً» و«أنتيجونا» في المرحلة الوسطى.

ـ «الكترا» و«فيلوكتيت» و«أوديب في كولون» في المرحلة الأخيرة من حياة سوفقليس.

وعنوان المسرحية «نساء تراخس» يعني أن الأحداث ستجري في مدينة تراخس، وتقع في ولاية ثساليا عند حضيض جبل أوتا Oeta؛ ـ وأن الكورس يتألف من بعض نساء هذه المدينة.

---

(١) Schadewelt في مجلة Deutsch Lit- Zeitung سنة ١٩٣٧ عمود ٩٩٩؛ Iah. Heinz في مجلة Hermes ١٩٣٧ ص٢٧٠ وما يليها.

(٢) Webster : Introduction to Sophocle ص١٤٥ ما يليها؛ مجلة Hermes مجلد ٣١ (سنة ١٩٣١ ص٦٨).

أما موضوعها فهو موت البطل العظيم هرقلس؛ وما تسبب في موته هو ما صنعته زوجته ديانيرا: ذلك أنها لما علمت بأن زوجها قد هام غراماً بفتاة تدعى إيولا كان قد أسرها ـ فإنها شعرت بالغيرة من هذه الضّرّة وخافت أن يقل حبّ هرقلس لها. وكانت قد تلقت نصيحة من القنطور نيسوس بأن تحتفظ في قارورة ببعض دمه وكان دمه مسموماً بفعل الهودرا؛ وأن تغمس قميصاً بدم هذه القارورة وترسله إلى زوجها هرقلس كي يلبسه، لأنه إذا لبسه ـ هكذا زعم لها نيسوس ـ فإن حبه لها سيزداد ولن ينصرف إلى غيرها. وفعلاً أرسلت إليه قميصاً مغموساً بهذا الدم السامّ، ولبسه هرقلس، فأصيب إصابة بالغة راح يصرخ من آلامها. ولم يجد وسيلة للشفاء منها غير أن يطلب من ابنه أن يشعل النار فيه حيّاً؛ فتنتهي حياته وتنتهي معها آلامه. فلما أدركت ديانيرا فداحة الكارثة التي أنزلتها ـ دون وعي منها ـ بزوجها، قررت الانتحار، وانتحرت قبل أن يلفظ زوجها هرقلس آخر أنفاسه حرقاً.

والمسرحية تتألف من قسمين: الأول أطول بكثير من الثاني ويحكي انحلال ديانيرا، والثاني، وهو أقصر، يحكي انحلال هرقلس. ولهذا كان كلاهما مؤثراً إلى أقصى درجة، ويزيد من مأساوية مصيرهما أنهما كانا ألعوبة في يد الآلهة، ولا إرادة لهما في الأفعال والأحداث. ويكاد كل قسم من هذين القسمين يكوّن مناجاة (مونولوج) يستتر وراءه المصير (أو: القَدَر).

وهذا الطابع المأساوي العنيف هو الذي جعل هذه المسرحية تلهم الكثيرين من الشعراء والكتاب في العصرين: القديم والحديث. فقد استلهمها الشاعر اللاتيني أوڤيد، كما استلهمها الكاتب الفرنسي الكلاسيكي فنلون Fénélon. كذلك استلهمها سنكا (توفي سنة ٦٥ ميلادية) في مسرحيته: «هرقلس على الأوتا». وعلى أساس مسرحية سنكا هذه وضع الشاعر الكلاسيكي الفرنسي: Jean de Rotrou (١٦٠٠ ـ ١٦٥٠) مسرحية بعنوان: «هرقل وهو يموت» وقد مُثّلت سنة ١٦٣٤.

ولقد أُخِذ على مسرحية سوفقليس: «نساء تراخس» أنها مسرحية مزدوجة، وليست مسرحية واحدة أو أحادية، وذلك للاختلاف البيّن بين القسم الأول، والقسم الثاني، أي بين عرض مأساة ديانيرا، وعَرْض مأساة هرقلس، فمأساة ديانيرا دراما باطنة، رقيقة، متنوّعة؛ عناصر ها هي: الزوج، الولد، الوُحْدة، الألم. أما مأساة هرقلس فهي خارجية وعنيفة: عضلات، قوة، مصير. فكلتا الشخصيتين

صورت على النقيض من الأخرى، فلا يمكن تصور رابطة تجمع بينهما: فالدوافع متباينة، ولهذا نجد أنفسنا إزاء مأساتين متمايزتين[١].

كذلك لاحظ بلومنتال[٢] Blumenthal أن «المظهر الخارجي قد أدى إلى الاعتقاد الخاطىء بأن مسرحية «نساء تراخس» هي دراما تدور حول الشهوة الجنسية، ولهذا تأسف البعض على عدم وجود مسار موحَّد حقاً من جراء عدم التبادل بين الشخصيتين الرئيستين. . لكن عند سوفقليس الوزن الحقيقي لا يقوم في عرض الأخلاق الإنسانية والمصائر دائماً في النقطة التي فيها تتلاقى الناس الصادرو، عن النظام العالمي الأولمپي مع ماهية طبقة أخرى وينهارون أمام الطباع العنصريه، بسبب رقة نوعهم. فالقنطور نيسوس ـ وهو من سكان الحياة البعيدة عن بني الإنسان منذ أول العصور ـ سيصير غنيمة لهرقلس الذي تحرر من ثقل الأرض. بيد أن الماهية الأرضية (هرقلس) لن يستطيع أن يطرد الماهية الجِنّية (نيسوس) دون أن يلقى العقاب على هذا. فاستخدمت الماهية الجِنّية الوجدانات الإنسانية، بوصفها القوى الطبيعية الباقية، وكذلك استخدمت السِّحْر الأسود. وفي هذا التصادم بين قوى رهيبة سقطت ديانيرا ضحية لا ذنب لها. أما هرقلس فإنه سيسمو إلى مرتبة الآلهة من خلال الموت حرقاً بالنار، ولهذا يبقى التوازن قائماً في النزاع القائم بين القوى الطيطانية وبين القوى الأولمپية.

عبد الرحمن بدوي

باريس في ٢٦ يناير ١٩٩٥

(١) راجع مادة «نساء تراخس» في «معجم المؤلفات» ج٤ ص٥٨٢ عمود أ ـ ب باريس ١٩٥٤.

(٢) دائرة معارف پاولي ـ ڤيسوڤا، مادة سوفقليس.

«نساء تراخس»

شخصيات المسرحية

ديانيرا Deianeira : ابنة أونيه، وزوجة هرقلس

المربّية

هولّوس Hyllos : ابن هرقل وديانيرا

كورس مؤلف من نساء من مدينة تراخس

رسول

ليخاس Lichas : رفيق هرقلس

هرقلس Heracles

شيخ عجوز

(في مدينة تراخس[1]، أمام المنزل الذي أعاره كيوكس إلى هرقلس. ديانيرا والمربية تخرجان من الحريم).

ديانيرا: إنها لحقيقةٌ مُسَلّم بها منذ زمان طويل عند بني الإنسان، ألا وهي أنه لا يمكن ـ بالنسبة إلى أي إنسان ـ أن يعْرِف ـ قبل أن يموت ـ هل الحياة التي حييَها كانت عنده عذبة أو قاسية[2]. وأنا أعلم، فيما يتصل بحياتي أنا، وقبل أن أنزل إلى العالم السفلي، أن الحياة لم تكن إلاّ شقاء وآلاماً. كنت لا أزال وأنا في پلودون أسكن في بيت أوينيو، أبي، لمّا عَلّمني الزواج أن أعرف أشدّ ما عانته امرأة في ايتوليا. وكان الذي جاء يخطبني نهراً، يسمى: أرخلوس[3]، واتخذ ثلاثة مظاهر: فحيناً كان ثوراً حقيقياً، وحيناً ثانياً كان ثعباناً ذا ثنيات لمّاعة، وحيناً ثالثاً كان على شكل إنسان ولكن جبهته هي جبهة ثور، ولحيته الكثّة كانت تسيل منها أمواج من الماء الحيّ. وفي انتظار مثل هذا الخطيب، كانت البائسة ـ التي هي أنا ـ تتمنى في كل ساعة أن تموت، لأن الموت أولى من الاقتراب من مثل هذا الفِراش. وفي

(١) تراخس Trachis، هي عاصمة بلاد بهذا الاسم، كان يسكنها التراخينيون أحد الأجناس الثلاثة الحالية. وبحسب هيرودوت (٧: ١٩٩) كانت تراخس تقع في أوسع مكان في السهل، أي في غرب ثرموپيليه، وعلى بعد١٥ سكاديا من ميلاس، وفي شمال غور أسوبس. وقد اتخذها الملك كيوكس عاصمة له في العهد السابق على الدوريين: وإليه جاء هرقلس.

(٢) هذا المثل قاله سولون، وقد عاش بعد ديانيرا، لكن سولون إنما ردد مثلاً قديماً في التراث الشعبي اليوناني.

(٣) نهر كبير، اسمه اليوم: اسپروپوتاموس (بحر اسپرو)، وكان هو الحدّ الغربي لايتوليا. وهو ينبع من البندس، ويجري في اتجاه من الشمال إلى الجنوب، ويصب في البحر الإيوني بالقرب من أونيادس في أكونانيا.

النهاية، وبعد وقت طويل، لكن لحسن حظي وسروري، جاء الابن الشهير لزيوس وألقمينا، ونافس الشخص الآخر ودخل في مبارزة[١] معه، وخلّصني منه. كيف جَرَت المعركة بينهما؟ لا أستطيع أن أقول. فأنا أجهل هذا، وأترك الكلام عنها لمن استطاع ـ دون انفعالٍ ـ أن يشاهد مثل هذا المنظر. أمّا أنا فقد كنت واقفة هناك ينتابني الخوف من أن لا يحقق لي جمالي إلاّ الآلام.. بيد أن زيوس المبارزات رتّب الأمور ترتيباً سعيداً. لكن هل أستطيع أن أقول «سعيداً»؟ لأنه منذ أن قرر زيوس أن يضعني زوجةً بين ذراعي هرقلس فإنني لا أكفُّ عن استشعار المخاوف تلو المخاوف والعذاب من أجله.. ونفس الليلة التي تزيل مني غَمّاً تأتيني بغمٍّ جديد. لقد أنجبنا أولاداً، لكنه ـ مَثَلَه مثل الفلاّح[٢] الذي تكلّف بمزرعة بعيدة ـ لم يرهم إلا نادراً إبّان وقت البذر أو الحصاد. هكذا فرضت عليه الحياة: فإنه متى عاد إلى أهله فإنه سرعان ما يفارقهم لأنه كان يعمل في خدمة شخص آخر. وفي الوقت الذي فيه تغلب على كل هذه المِحَن، فإنني شعرت بمزيد من الخَوْف أكثر من ذي قبل. فمنذ أن قَتَل أفيتوس[٣] القويّ، انتقلنا إلى تراخِس وأقمنا فيها عند ضيف استضافنا. أما هو ـ فأين هو؟ لا أحد يعلم. والشيء الوحيد المؤكّد هو أن غيابه يفرض عليّ عذابات مُرَّة. وإني شبه واثقة أنه حدث له حادث أليم. وليس هذا منذ أيام قليلة، بل منذ عشرة أشهر، تلتها خمسة أخرى، دون أن تصلنا منه أية رسالة[٤]. أجل! لا بد أنه قد حدثت له حادثة مؤسفة: ويحملني على تصديق هذا ما تقوله لي اللوحة التي تركها لي، وإني أتوسل إلى الآلهة مراراً ألاّ أكون قد تسلّمتها لسوء حظّي وشقائي.

المربّية: يا أيتها الملكة ديانيرا لقد شاهدتك مراراً تشكين مرّ الشكوى من

---

(١) سيأتي وصف هذه المبارزة فيما بعد ضمن نشيد الكورس.

(٢) كان صغار المزارعين اليونانيين يستأجرون مزارع في مناطق نائية، تاركين لنسائهم وأولادهم مهمة زرع ممتلكاتهم الصغيرة.

(٣) Iphitos، هو ابن يوروتوس، ملك يوخاليا في إقليم يوبيا. فلما ذهب هرقلس من بلدة تيرونثه التي كان يقيم فيها ـ أبي يوروتوس، هام جداً بابنة يوروتوس. فطرده هذا الأخير، وعاد إلى تيرونثه، وتلقى افيطوس وقتله غيلة. ونتيجة لهذا القتل، كان عليه أن ينقي نفسه، فلجأ حينئذ إلى مدينة تراخس عند ابن عمه كيوكس.

(٤) لما رحل هرقلس منذ خمسة عشر شهراً، بقي طوال عام عبداً عند أومفال، وبعد ذلك ذهب للقيام بالنهب والسلب في يوخاليا، وبهذا انتقم من يوروطس، واختطف إيولا.

غياب هرقلس. أما اليوم - إذا لم يكن من المعتاد إلقاء دروس على ناس أحرار بإسداء آراء عبيد - فإن من واجبي أن أقول لك - ببساطة - ما يلي: لماذا، ولديك أولاد كثيرون - لا ترسلين واحداً منهم للبحث عن زوجك؟ وخصوصاً منهم: هولّوس، إن كان لديه أيّ اهتمام بالتأكد من أن أباه لا يزال حيّاً. وها هو ذا يقترب، ويهرع إلى القصر. فإن بدت لك نصيحتي هذه سديدة، فإنك تستطيعين أن تستفيدي في وقت واحد من هذا الفتى ومن نصائحي.

(هولّوس يدخل، ويتوجه نحو المنزل. لكن أمّه تدعوه فوراً).

ديانيرا: يا ولدي، يا ابني! إني أرى أن أناساً ليسوا من أصل نبيل يمكن أن ينطقوا بكلمات صائبة. إن هذه المرأة ما هي إلا أمَة، ومع ذلك فإنها تكلمت كلاماً يضاهي كلام امرأة حُرّة.

هولّوس: وماذا قالت؟ خبّريني، يا أُمّي، على الأقل إن كان هذا مما يجوز لي أن أعرفه.

ديانيرا: تقول إنه في الوقت الذي فيه يتأخر أبوك طويلاً في بلاد أجنبية، فإنك لا تسعى إلى معرفة أين هو - وهذا عار عليك.

هولّوس: لكنني أعلم في الواقع أين هو، إن كان يحقّ لي أن أصدّق ما يرويه الناس.

ديانيرا: وفي أي مكانٍ إذن يقولون إنه مقيم، يا بُنَي؟

هولّوس: إنه أقام طوال السنة الماضية في خدمة امرأة من لوديا[1].

ديانيرا: على هذا الأساس يمكن سماع أيّ شيء، إذا كان فعلاً قد عانى هذا المصير.

هولّوس: لكنهم يقولون إنه تحرّر من هذا الرّق أيضاً.

ديانيرا: سواء كان حيّاً أو ميتاً، فأين يقيم إذن؟

هولّوس: إنهم يقولون إنه يقوم بحملة على أرض يوبيا، في ديار يوروطوس Eurytos، أو على الأقل إنه يحضّر نفسه لهذا.

---

(١) هي أومفال Omphale.

ديانيرا (محتدّةً): هل تعلم، في هذه الحالة، يا بُنَيّ، أنه ترك لي تنبؤات أكيدة عن هذه البلاد؟

هولّوس: وما هي؟ إني لا أعرف، يا أمي، ماذا تقصدين.

ديانيرا: إما أنه سيلقى هناك خاتمة حياته، وإما أنه سينتصر وحينئذ سيمضي البقية الباقية من عمره في هدوء. إنه إذن في الساعة الحاسمة: ألا تريد، يابني، أن تُهرع لمساعدته؟ سننجو نحن جميعاً إن نجا بحياته؛ وإلاّ هلكنا جميعاً معه.

هولّوس: إذن، يا أمي، سأرحل أنا! لو أنني كنت على علم بهذه التنبؤات، لكنتُ منذ ز ان طويل في مكان الأحداث. لكن المصير المعتاد لأبي لم يسمح لي بالتوجّس ولا بالخوف المُفْرط. أما اليوم فأنا أفهم، وأريد أن أفعل كل شيء كي أعلم عن هذه النقطة كلَّ الحقيقة.

ديانيرا: اذهب إذن، يا ولدي؛ فإن النجاح ـ حتى بالنسبة إلى من لم يذهب إلاّ متأخراً ـ إذا ما تجلّى فإنه يؤدي إلى المكسب.

(يخرج. الكورس يدخل، وهو يتألف من فتيات شابات من أهل البلد).

الكورس: أنت، يا مَنْ تتولّدين من الليل فتسلبينه من نجومه، كما أنه هو بدوره يُنيم شُعْلتك ـ أنت، أيتها الشمس، الشمس التي أتضرّع إليها ـ تعالَيْ وخبّريني أين يقيم، أين يقيم ابن ألقمينا، أنت أيتها الإلاهة التي تتلألأ بضوء شعشعاني!. هل هو في وسط مضايق[1] بحرية؟ هل يقيم في إحدى قارّتينا؟ عليك أنت أن تخبرينا: لا توجد عينٌ مبصرة مثل عينيك أنت.

لقد علمتُ أنه في قلبه العاشق: الخِطّيبي التي طالما تنوزع في الظفر بها: ديانيرا التي تشبه الآن طائراً مسكيناً، لا تستطيع أن تنيم الوجدان المرسوم في عينيها، ولا أن تكفكف دموعها، بل هي ـ على العكس من ذلك ـ يعتمل فيها القلق المُلِحُّ المتولّد عن رحيل زوجها؛ وعلى الفِراش القَلِق يتململ ترمُّلها، ولا تتوق البائسة شيئاً غير المصير الرهيب.

وكما يُشاهَد على البحر الفسيح، تحت الاندفاع المستمر لرياح الجنوب أو

---

(١) المقصود بها هو المضايق القائمة بين الجزر في بحر إيجه.

الشمال، تتباعد الأمواج بالآلاف، ثم تعود للهجوم، فكذلك صاحبنا الثيباوي تصرعه الأمواج أحياناً وترفعه أحياناً أخرى في حياة مليئة بأعمال شاقة لا نهاية لها، مَثَلَه مَثَلُ البحر، بحر كريت[1]! لكنّ ثم إلاهاً دائماً هناك، يصونه عن الهزيمة ويبعده عن أبواب هادس.

هذا هو ما آخذه عليك. باحترام، لكن في مواجهتك، أُسْدي إليك هذه النصيحة : لا ، لا : أن تدعي هذا الأمل يبرد ، إني أؤكد لك ذلك ـ هذا ليس من حقك. ولهذا فإن خرونس، الملك الذي ينظّم كل شيء، لم يَهَب الفانين مصائر خالية من الآلام. إن المسرّات والآلام تتوالى دوالَيْك دائماً على جميع بني الإنسان: يُخَيَّل إلى المرء أنه يشاهد نوبة نجوم الدُّبّ.

بالنسبة إلى بني الإنسان لا شيء يدوم: لأ الليل المرصّع بالنجوم، ولا المصائب، ولا الثراء؛ كلّ هذا يفرُّ ذات يومٍ فجأة، ويجيء الدور لإنسان آخر ليستمتع ـ قبل أن يضيع كل شيء.

ولهذا فأنا أدعوكِ، أيتها الملكة، إلى تأمل هذه الحقائق دائماً في ساعات الانتظار. مَنْ ذا الذي شاهد زيوس لا يحفل بأبنائه؟[2].

ديانيرا: لقد عَلِمْتَ متاعبي، وإني أتصور أنك موجود ههنا لهذا السبب. لكن البلايا التي يستشعرها قلبي ـ ليتك لا تعانيها من أجل أن تفهمها، وأن تجهلها فيما يتعلق بك غداً ومثل اليوم!

إن الشباب ينمو في ميدان لا ينتسب إلاّ إليه، فيه لا يأتي حرّ السماء القانط ولا الأمطار ولا الرياح لتثير انفعاله بل يقضي حياته في اللذات، بعيداً عن كل ألم، حتى اليوم الذي فيه العذراء، التي تتخذ اسم المرأة تتلقى حينئذ نصيبها من هموم الليل ولا تتوقف بعدُ عن القلق على زوجها، وعلى أولادها. هنالك فقط ستكون قادرة ـ بالحكم على مصيرها هي ـ على أن تفهم تماماً البلايا التي أحمل ثقلها. إن

---

(١) اعتاد البحارة اليونانيون على الإبحار من جزيرة إلى جزيرة، أو على المساحلة بحذاء الشواطىء، وليس على الإبحار في أعالي البحر؛ ولهذا فإنهم كانوا يستشعرون الخوف حين يبحرون في بحر كريت.

(٢) لما كان هرقلس هو ابن زيوس، رب الأرباب، فإن الكورس لا يمكن أن يظن أن زيوس سيتخلى عنه ولا يحفل به.

الأحزان قد جعلتني أبكي. ومن بينها حزنٌ لم أجد له نظيراً بعدُ، وأريد أن أخبرك به على الفور: في المرة الأخيرة التي رحل فيها ربُّ هذا البيت: هرقلس، ترك في بيته لوحة قديمة سُجّلت فيها تعليمات لم يكن قد قرّر أن يعطينا إيّاها كما هي، بينما هو قد رحل في سبيل معارك أخرى. ذلك أنه كان يدرك آنذاك أنه يسير نحو النجاح، لا نحو الموت.. أمّا هذه المرّة فعلى العكس: كان يشعر بأنه سيلاقي الموت، ولهذا بيّن ما هي الأملاك التي سأرثها بوصفي زوجته، وما هو نصيب أولاده في ميراثه. وحدّد تاريخاً وهو حينما يتغيب عن هذا البلد عاماً وثلاثة أشهر[١]، فإن الساعة الحاسمة تكون قد حانت: فإما أن يهلك، وإما أن ينجو من الموت ويعيش خالياً من الأحزان: ذلك كان ـ بحسب رأيه ـ المصير الذي قرره الآلهة، والذي سيحدد نهاية أعمال هرقلس: والسنديانة العتيقة لدودونة Dodone كانت قد أعلنت ذلك ذات يوم بواسطة صوت كاهنتيها[٢]. وحقيقة هذه التنبؤات تتفق تماماً، في هذه الساعة مع المعطيات المتوقعة لإنجازها؛ وهذا هو السبب في أنه، بينما كنت أستمتع بلذة النوم، فإن خوفاً مفاجئاً رماني من فوق سريري: إني أرتعد، يا صديقاتي، من فكرة بقائي محرومة مِنْ أنبل الناس.

رئيسة الكورس: لا تَقُلْ أكثر من هذا: إني أرى مقدم شخص يحمل تاجاً؛ وهذا ينبىء بأخبار سارّة.

(رجل من تراخس يَصِل وهو يعدو).

الرسول: أيتها الملكة ديانيرا، سأكون أول من تخلّصك رسالته من القلق. فاعلمي إذن أن ابن ألقمينا (= هرقلس) حيٌّ وأنه انتصر وأنه سيأتي ههنا، من أجل آلهة هذا البلد، ببواكير انتصاره.

ديانيرا: آه! أيها الشيخ، ماذا تقول لي؟

الرسول: أقول لك إن الزوج الذي يحسدك عليه كل الناس سيعود قريباً، إنه سيظهر، يتبعه انتصار رائع.

---

(١) كان وحي دودونه Dodone قد أنذر هرقلس بأن أعماله ستستمر اثني عشر عاماً. وتوصيات هرقلس لزوجته ديانيرا في ساعة ارتحاله الأخير تدل على أنه لم يبق من هذه المدة إلا ١٥ شهراً. وهذه الأشهر الخمسة عشر كانت قد مضت.

(٢) كانت كاهنات دودونه تسمى: «الحَمَامات».

ديانيرا: ومن أخبرك بهذا الخبر؟ أهو رجل أجنبي، أم مواطن؟

الرسول: إنه خادمه ليخاس Lichas، المنادي، الذي يقوم بالنداء في المراعي التي ترعى فيها ثيراننا. سمعتُ هذا من فمه، فوثبتُ في الحال. وكان لا بد أن أكون أول من يخبرك، كي يكون لي في ذلك بعض المكسب، ولكي أحظى برضاك.

ديانيرا: لكن كيف لا يكون هنا بشخصه، وقد نال مثل هذا الحظ؟

الرسول: إن الأمر ليس سهلاً بالنسبة إليه، أيتها السيّدة. إن الشعب المليا وي موجود كله هناك: يحيط به، ويسأله، فلا يستطيع التقدّم. إن كل واحد يريد أن يُشبع رغبته في أن يعرف كل شيء؛ ولا يتركه أحدٌ قبل أن يحمله على الكلام على هواه، وليس من أجل استمتاعه هو بل لاقناعهم هم يبقى هكذا وسطهم. لكنه سيكون أمامك هنا بعد لحظة.

ديانيرا: أي زيوس! يا ربّ المراعي العذراء في أوتا(١)! أخيراً وهبتنا السرور! ارفعوا أصواتكم، أيتها النسوة، سواء في البيت وخارج القصر. إن الرواء الذي ينبثق من هذا الخبر يتجاوز ما توقعته، ويسرُّنا الآن.

الكورس: أَجَل! سترنّ صيحات النصر حول مذبحه، هذا البيت الذي ينتظر الزوج. هيّا! لتصعد إلى السماء أصوات الأولاد، مقتفيّة بالإله الذي يحمل جُعبة السهام، أپولون الحافظ، بينما في نفس الوقت تتغنين أنتنّ، يا فتيات، بنشيد في تمجيد أپولون وتغنّين لأخته: أرتميس أورتوجيا(٢)، الإلاهة التي تصيد الغزلان وتحمل شعلتين في يدها، بصحبة الحوريات: جاراتها.

إني أشعر بأنني ارتفعت فوق الأرض، ولا أريد أن أفلت من نداء نايك، يا سيّد روحي(٣).

انظر! إن غارك يهزّني - أواه! أواه! - ويشيع في نفسي التنافس الباخوسي!

إيوا إيو، پيان Pean! انظري إذن، يا عزيزتي، المنظر الذي يتجلى أمامك بوضوح لعينيك.

---

(١) كانت قمة الأوتا مكرّسة لزيوس، ولهذا كان من الضروري تركها كما هي وكان من المحرّم حشّ العشب النابت عليها.

(٢) Ortygie: من المحتمل أن يكون هذا - هنا - هو اسم ديلوس.

(٣) الكورس يوجّه هنا الخطاب إلى ديونوسوس.

(يدخل ليخاس، يتبعه جماعة من الأَسيرات، وفي وسطهن ايولا Iole).

ديانيرا: إني أشاهد، يا صديقاتي، وعيوني ساهرة، وهذا الموكب لم يندّ عنها. وأقول للمنادي الذي طال انتظاره: «كن مسروراً، إن كنت قد أتيتنا ببعض السرور!».

ليخاس: نعم، كل شيء على خير ما يرام، وعودتنا واستقبالك لنا، أيتها السيّدة، لأنه يتفق مع النجاح الذي ظفر به. على الظافر السعيد سلامٌ فريد: إنه مكسبه المعتاد.

ديانيرا: يا أعزّ الرجال، خبّرني قبل كل شيء بما أريد قبل كل شيء أن أعرفه هل سأستقبل ههنا هرقلس حيّاً؟

ليخاس: لقد غادرته وهو في تمام القوة، ورواء الحياة، مزدهراً، لا يعاني أيّ ألم.

ديانيرا: لكن، أين؟ خبّرني. هل في أرض الآباء، أو في بلاد أجنبية؟

ليخاس: إنه في رأس يوبيا، حيث يعمل على تكريس مذابح وقرابين من الفاكهة، على شرف زيوس الكنياني[1] Cenéen.

ديانيرا: وفاءً لنذر؟ أو إطاعة لوحي؟

ليخاس: نعم، وفاءً لنذر قد نذره في الوقت الذي سعى فيه إلى غزو الأرض التي خرّبها بعد ذلك رُمحه، أرض هؤلاء النسوة الموجودات هناك أمام عينيك.

ديانيرا: بحق الآلهة! خبّرني من أين هؤلاء النسوة. ومَنْ هُنَّ؟ إنهن يستدعين الشفقة ـ اللهم إلاّ إذا كان بؤسهن يخدعني.

ليخاس: إنهن اللواتي حصل عليهن هرقلس، بعد أن دمّر مدينة يورروطس، كنصيب خاص به وبالآلهة.

ديانيرا: لكن أمام هذه المدينة إذن قد بقي زماناً طويلاً غير متوقّع، طوال أيام لا عِداد لها؟

---

(١) رأس كينيا ـ ويسمى اليوم: رأس ليثاوا، يقع على الطرف الشمالي الغربي ليوبيا ويمتد في الخليج المليَاوي. وكان لزيوس معبد هناك. وهرقلس، بعد أن استولى على يوخاليا، احتفل هناك بانتصاره.

ليخاس: كلا! لقد قضى معظم ذلك الوقت في لوديا، لا كرجل حُرّ، بل ـ كما اعترف هو نفسه ـ كعبدٍ مشترى، ولا محل لاستهجان هذه الكلمة، أيتها السيّدة، لأن زيوس هو الذي فعل ذلك. لقد بيع لأومفالا Omphale الأجنبية، وبقي عندها طوال سنة كاملة وحَزّت في نفسه هذه الإهانة إلى درجة أنه أقسم قسماً عظيماً بأن يستعبد بدوره الرجل الذي أصابه بهذه الإهانة، هو وزوجته وابنه. ولم يكن ذلك تهديداً بغير طائل. فلما تطهَّر عبّأ جيشاً وسار به إلى مدينة يورروطوس هذا، لأنه اعتقد أنه المسؤول الوحيد عن المصير الذي عاناه. ذلك أنه هو الذي، في اليوم الذي جاء فيه هرقلس إلى بيته بصفة ضيف قديم، فإنه تحداه مراراً عديدة بالكلمات القارصة وخبائث قلب شرير. لقد قال له: «إن كنت تملك «سهاماً لا تخطىء الهدف»، فإنك تظل على هذا بها في وضع أدنى من أبنائي[1] في مباراة للقوّاسين». وقال له أيضاً: ماذا! هل أنت أكثر من عبدٍ عند رجل حرّ يقوم بتدميرك؟». وفي أثناء عشاء، لما رآه مخموراً، طرده إلى خارج. ولهذا، وقد امتلأ غيظاً، لما جاء افيتوس Iphitos لصعود مرتفع تيروشه[2]، ليتتبّع أثر الأفراس الضالّة[3] ـ في اللحظة التي فيها كانت عينه في ناحية، وعقله في ناحية أخرى ـ فإن هرقلس دفع به من أعلى المتاريس. لكن هذه العملية الجليلة أثارت غضب سيّد الأولمپ (= زيوس)، والد الجميع، فأرسل الجاني إلى العبودية ولم يقبل أن يقتل هرقلس إنساناً غدراً وبالحيلة، ولا مرة واحدة. ولو كان قد انتقم لنفسه بطريقة شريفة لكان زيوس قد عفا عنه لأنه سيكون قد ضرب ضربته عن حق: إن الآلهة هم أول من يكره الإفراط وتجاوز الحدّ؛ والواقع أن الذين تبسّطوا في الأقوال الشريرة يقيمون اليوم في العالم السفلي؛ ومدينتهم صارت مستعبدة، والنسوة اللواتي ترينهنّ هناك سيستبدلن بفخفختهنّ مصيراً لا يتمناه أحد. إنهن جئن إليك بأمر من زوجك، أمرٍ أنا أنفذه بكل أمانة وإخلاص كخادم أمين أما فيما يتصل به، فقدّري أنه سيأتي حالما ينتهي من أداء التضحية الورعة التي يجب عليه تقديمها

(١) بحسب هزيودس، كان ليورروخس أربعة أولاد هم: دايون، وكلوثيوس، وتوكسيوس، وافيتوس.

(٢) كان هرقلس يقيم آنذاك في تيرونثه Tirynthe.

(٣) افيتوس أتهم هرقلس بأنه سرق منه أفراسه. وفي النشيد رقم ٢١ من «الأوديسا» يلوح أن هذه التهمة صحيحة. لكن هناك رواية أخرى تقول إن أوتولوقس Autolycos، جد أودسيوس لأمه، هو الذي قام بسرقة هذه الأفراس.

لأبيه زيوس لقاء ما وهبه من انتصار؛ وهذا ـ فيما أظن، أطيب ما يُسْمَع من كل هذه الرسالة الطويلة السعيدة.

رئيسة الكورس: في هذه المرة لديك مادة للسرور. أما الوقائع فبعضها تحت نظرك؛ والباقي قد أخبرتك به روايةً.

ديانيرا: وكيف لا أكون سعيدة، بكل قلبي، من نجاح زوجي؟! أليس من الطبيعي أن السرور يَعْقُب النجاح؟ ومع ذلك، فإننا إذا تدبّرنا الأمور، فثم ما يدعو إلى الخوف في نفس الظافر: إذ من الممكن أن يخفق ذات يوم. يا صديقاتي، إن شفقة غريبة تنفذ في داخل نفسي، حينما، أشاهد أولئك البائسات، الضائعات في بلد أجنبي، وبدون بيت ولا أهل. إنهن لا شك، قد ولدن لآباء أحرار، وها هن اليوم يعشن عيشة الإماء. يا زيوس، يا إله الهزيمة، ليتني لا أشاهدك تجيء هكذا على أولادي! أو، إذا كان لزاماً عليك أن تصيبهم بشرّ، فليكن ذلك ـ على الأقل ـ إبّان حياتي! إني أشعر بجزع بالغ لدى رؤية هؤلاء النسوة. (مخاطبةً ايولا Iyole:) يا ابنتي المسكينة، مَنْ أنت بين هؤلاء الفتيات؟ عذراء؟ أو أمٌّ بالفعل؟ إن كيانك يتأبى على كل هذا البؤس. أو لا تكونين من سلالةً نبيلة؟ ومن أين جاءت، يا ليخاس، هذه الأجنبية؟ خبرني: من هي الأمّ التي أنجبتها؟ لدى رؤيتها أشعر بشفقة لها أكثر من غيرها ـ خصوصاً لأنها الوحيدة التي تضبط نفسها.

ليخاس: أنّى لي أن أعرف هذا؟ ولماذا تسألينني هذا السؤال؟ لا شك أنها بنت من أسرة طيّبة هناك.

ديانيرا: أسرة مالكة ربما؟ يوروطس هل كان له أولاد؟

ليخاس: لست أدري؛ لم أحقق في هذا الأمر.

ديانيرا: ألم تعرف اسمها من إحدى زميلاتها؟

ليخاس: كلا؛ لقد قُمْتُ بوظيفتي في صمت.

ديانيرا: أيتها البنت المسكينة، خبّريني أنت باسمك طوعاً. إنها لمصيبة زائدة بالنسبة إليك إذا نحن لم نعرف مَنْ أنت.

(إيولا تظلّ صامتة).

ليخاس: كلا، إنها ستظلّ هي هي، وأشكّ في أنها ستقرر أن تتكلم. إنها لم

تنطق بعدُ بأية كلمة، قصيرة أو طويلة؛ لكن قلبها مُثْقَل دائماً بهذه المحنة القاسية؛ إن هذه البائسة تبكي دون انقطاع، منذ اليوم الذي غادرت فيه مدينتها التي صارت نَهْبَ الرياح. وإذا كان مصيرها أليماً، فلها مع ذلك الحق في بعض التسامح والرحمة.

ديانيرا: لنَدَعْها إذن في سلام. ولتدخل تحت هذا السقف بأقل إزعاج ممكن وليس لي أن أضيف إلى غمومها الحالية غموماً أخرى! وحسبها ما عانته وتعانيه. فلندخل إذن دون تأخير. وبهذه الطريقة في وسعك أن تذهب إلى حيث تريد؛ أما أنا فسأذهب لأرتب الأمور في المنزل على النحو الملائم.

(ليخاس يجتاز العتبة بصحبة الأسيرات. والملكة على وشك أن تتبعه، لما أن احتجزها الرسول).

الرسول: ابقي وانتظري برهة. لا بد لك أن تَعْلمي، بعيداً عن أولئك الذين تفتحين لهنّ الباب، الأمور التي لم يخبروك بها والتي ينبغي عليك أن تَعْلميها. إنني أعلمها تمام العلم.

ديانيرا: وما هي إذن؟ ولماذا توقفني على هذا النحو؟

الرسول: ابقي واسمعي. إنك لم تضيعي وقتك سدى منذ حين وسيكون الأمر كذلك هذه المرّة، حسبما أظن.

ديانيرا: هل ينبغي عليَّ أن أدعو الآخرين إلى هنا؟ أو هل أنت تريد أن تكلمني أنا وحدي وهؤلاء النسوة؟

الرسول: أن أكلمك أنت وهؤلاء النسوة ـ ليكن! لا اعتراض على هذا. لكن دعي الآخرين يذهبوا.

ديانيرا: لقد ذهبوا. والآن اشرح ما لديك.

الرسول: في كل ما حكاه لك هذا الرجل، لا يوجد شيء مُخْلص وحقيقيّ. وهو إما أنه في هذه الساعة يكذب، أو قبل أن يتجلّى رسولاً غيرَ أمين.

ديانيرا: ماذا تقول؟ خبّرني بالدقة ماذا يدور بخلدك. إنني لا أفهم جيداً ما تقوله لي.

الرسول: لقد سمعت هذا الرجل هو نفسه، وأمام شهود عديدين يصرّح بأنه من أجل هذه الفتاة دمّر هرقلس يوروطوس وتحصينات أوخاليا العالية. إن سِحْر الحب هو وحده الذي جعله يحمل السلاح، وليست إقامته في لوديا واستخدامه عبداً عند أومفالا[1]، ولا الهُوَّة القاتلة التي أسقط فيها أفيتوس - وإن كان رجلنا هذا ينحّي الحب جانباً ويقول كلاماً آخر مختلفاً تماماً. والحقيقة هي أن هرقلس، لما لم يستطع إقناع الوالد بأن يعطيه ابنته لزواج سِرّي، فإنه حينئذ، وقد وجد عذراً واهياً ومجرد تكأة بسيطة، ليشن حرباً ضد بلاد هذه الفتاة، حيث - كما قال ذلك الرجل لك - كان ليوروطس عرش ملكي. وعلى هذا النحو قتل أباها الملك.

وفي الوقت نفسه دمّر مدينته. وها هو ذا قد بعث بها إليك حينما قرر العودة إلى وطنه، ولا شك أنه لم يرسلها إلاّ لغرض، ولم يرسلها لتكون عَبْدة لك - لا تظني هذا أبداً، يا أيتها السيّدة. وهل يمكن أن يكون ذلك محتملاً، في الوقت الذي اشتعل هو حبّاً لها؟ لهذا قررتُ أنا أن اكشف لك، أيتها الملكة، كلّ ما عرفته من هذا الرجل. وهذه الحكاية، قد سمعها كثيرون غيري في ميدان مدينة تراخس، كما سمعتها أنا، وهم مستعدون لفضحه. فإذا كنت أخبرك هكذا بأمور من شأنها أن تُسْخطك، فأنا فعلت ذلك عن غير رضا مني: ولكنني قلت لك - على الأقل - كلّ الحقيقة.

ديانيرا: واحسرتاه! يا لشقائي! أية مصيبة أصابتني هكذا! لأية كارثة فتحت بابي دون أن أخطىء، أنا البائسة! هل صحيح أنه ليس لها اسم، كما أقسم على ذلك الدليل المكلّف بها؟

الرسول: قولي بالأحرى، إن لاسمها من الروعة ما لجمالها، فإنها من حيث المولد هي ابنة يوروطس، واسمها هو: إيولا. وإذا كان هذا الرجل لا يعرف أصلها، فذلك لأنه لم يبحث عن هذا.

رئيسة الكورس: آه! ليهلك إذن، إن لم يكن كل الأشرار، فعلى الأقل أولئك الذين يمارسون الغدر الذي يشوّه شرفهم.

---

(١) بعد مقتل افيتوس، وبأمر من زيوس، جاء هرمس بهرقلس إلى لوديا، وباعه لأومفالا عبداً أجيراً لمدة عام.

ديانيرا: ماذا أفعل، يا أيتها النسوة؟ إنني مذهولة مما سمعت.

رئيسة الكورس: اذهبي واسألي الرجل. فربما سيقول لك الحقيقة، إذا أنت استخدمت الشدّة في استجوابه.

ديانيرا: سأفعل ذلك؛ هذه النصيحة ليست غير معقولة.

الرسول: وأنا، هل ينبغي عليَّ أن أبقى؟ وإلا، فماذا عليَّ أن أفعل؟

ديانيرا: أبْقَ: إن الرجل هناك، ولا حاجة بي إلى البحث عنه. إنه قادم بنفسه، إنه يخرج من المنزل.

(ليخاس يظهر على العتبة ويخاطب الملكة).

ليخاس: إذن ماذا سأقول لهرقلس؟ خبريني، لأني ذاهب، كما ترين.

ديانيرا: إنك تتعجل الذهاب بعد أن انتظرناك طويلاً؛ إننا لم نستأنف بعدُ حديثنا.

ليخاس: هل لديك شيء آخر تريدين أن تسأليني عنه؟ إنني تحت أمرك.

ديانيرا: هل لديك من الأمانة ما يجعلك صريحاً صراحة تامة؟

ليخاس: أُقْسِم بزيوس العظيم على هذا ـ على الأقل فيما أعلمه.

ديانيرا: إذن! خبّرني مَنْ هي هذه المرأة التي أتيتنا بها إلى هنا.

ليخاس: إنها من يوبيا. أمّا ابنة مَنْ هي ـ فهذا هو ما لا أعلمه.

(الرسول يتدخل فجأةً).

الرسول: هيا أيها الرجل، انظر في وجهي! إلى من تظنُ أنك تتكلم؟

ليخاس: لكن لماذا تسألني أنت هذا السؤال؟

الرسول: أجب عن سؤالي، إن كنت سليم العقل!

ليخاس: إنني أتكلم مع الملكة، ديانيرا، ابنة أونيه، وزوجة هرقلس ـ إذا كانت عيناي لا تخدعانني ـ وهي فوق ذلك مولاتي.

الرسول: هذا صحيح، وهذا عينه هو ما أردتُ أن أسمعك تقوله. إنك تعترف هكذا بأنها مولاتك.

ليخاس: وبكل إخلاص.

الرسول: إذن أيّ عقاب تستحقه أنت إذا أقنعتك بأنك خُنتَها؟

ليخاس: خُنتَها؟ ماذا تقصد؟ بماذا تهذي؟

الرسول: أنا لا أهذي. هذا هو ما فعلته أنت.

ليخاس: سأترك لك هذا المكان. لقد كنتُ ساذجاً حينما سمحتُ لنفسي بالإصغاء إليك هذا الوقت الطويل.

الرسول: لكن ليس قبل أن تجيب عن سؤال بسيط.

ليخاس: تكلم إذن إن شئت. خصوصاً وأنت لا تعرف السكوت.

الرسول: الأسيرة التي أنت أتيت بها. أنت لا شك تعرفها؟

ليخاس: نعم. ولماذا هذا السؤال؟

الرسول: أليست هي ـ تلك التي اقتدتها، تلك التي تشاهدها عيناك دون أن تعرفها ـ أليست هي التي قُلْتَ عنها إنها هي إيولا، ابنة يورروطس؟

ليخاس: أمام مَنْ إذن؟ ومن هذا الذي سيشهد بأنه سمع بأذنيه مني أنا هذا القول؟

الرسول: مئات من المواطنين. إن حشداً هائلاً من الناس سمعوا ذلك من فمك، في الميدان العام لمدينة تراخس.

ليخاس: نعم! أنا ذكرتُ أنني سمعت من يقول ذلك. لكن ليس هو نفس الشيء أن تروي رأياً وأن تقرر واقعة محددة دقيقة.

الرسول: رأي ـ ما هذا! ألم تزعم ـ وأنت ضامن لذلك ـ بأنك أتيت إلى هنا بزوجة هرقلس؟

ليخاس: زوجة هرقلس ـ أنا! باسم الآلهة، يا مولاتي العزيزة، خبّريني إذن من هذا الشخص.

الرسول: رجل كان هناك حاضراً وسمعك تتكلم وتقول إنه من أجل حبّه لهذه الفتاة مضى هرقلس لغزو كل بلادها، وليست اللوديانية هي التي تسببت في هذا الدمار، بل هذا الحب.

ليخاس: آه! ليذهب إذن هذا الشخص، يا مولاتي! إن الإنسان العاقل لا يثرثر مع هذا المريض.

ديانيرا: لا، أرجوك، بحق زيوس الذي تضيء صاعقته قمة الأوتا Oeta، لا تُخْفِ عني الحقيقة. حين تكلمني، فإنك تكلّم امرأة متسامحة، وتعلم جيداً أن الطبيعة الإنسانية لا تستمتع دائماً بنفس الموضوعات[1]. ومن يُرِد أن يقاوم «الحب»، ويدعي ـ شأنه شأن المصارع ـ أنه يستطيع أن يدخل في نزاع معه، فإنه يشهد بذلك على قلة حظه من العقل والفهم. إن «الحب» يسيطر على الآلهة وفقاً لأهوائه ونزواته، كما يسيطر عليّ أنا، فكيف لا يستطيع إذن أن يفعل نفس الشيء مع أخريات مثلي؟ ولهذا فإن الشجار مع زوجي، في نفس اليوم الذي يصاب فيه بنفس الداء، سيكون أمراً غير معقول من ناحيتي؛ أو مع هذه الفتاة، بدعوى أنها السبب، فيما ليس عاراً ولا كارثة. الأمر لا يتعلق بهذا. كلا، لكن إذا كان مولاك هو الذي لقنك درساً كي تكذب على هذا النحو، فليس درساً جميلاً ما تريد أن تطبّقه هنا، وإن كان الأمر على عكس هذا وكنت أنت الذي لقنت نفسك هذا الدرس، فاعلم أنك ستظهر بمظهر الرجل الخسيس لما أردت أن تظهر بمظهر الشريف جداً. هيّا! خبّرني بالحقيقة. بالنسبة إلى الرجل الحرّ، أن يوصف بأنه كذّاب هذا أمر ليس عنواناً للمجد. أما أن تخدعني، فإنك لن تستطيع ذلك أيضاً: إن كثيراً من الناس قد سمعوا كلامك، وسيأتون لتبليغي إياه. وأخيراً، إن كنت خائفاً، فصدّقني أنك مخطىء في خوفك: بل عدم كلامك هو الذي يغضبني. ما هو الأمر الذي يضايقني العلمُ به؟: إن هرقلس وحده كانت له زوجات أخريات؛ فمن ذا الذي سمع مني أيّ لوم أو إهانة[2]؟ ولو كانت هذه مملوءة كلها بالحب، فإنها لن تسمع منّي أية كلمة لهذا السبب. منذ النظرة الأولى شعرت نحوها بالشفقة العميقة لأن جمالها قد دمّر حياتها وأنها ـ بغير إرادتها قد جلبت على وطنها الخراب والاستعباد. فلتأخذ الأمور إذن مجراها! لكني أقول لك: «في وسعك أن تغدر بالآخرين، أما معي فكُن دائماً صادقاً».

رئيسة الكورس: أَصْغِ إلى هذه السيّدة، فإن نصائحها سديدة: ولن تلومها

(١) أي تملّ من الاستمتاع بموضوع واحد بعينه، وهي تقصد نفسها كزوجة لهرقلس.

(٢) ذكر أبولودور عدداً كبيراً من الأبناء المنسوبين إلى هرقلس؛ وهذا يثبت صحة ما قالته ديانيرا.

فيما بعد عليها، وسأكون أنا أيضاً شاكرة لك.

ليخاس: إذن، يا مولاتي العزيزة. ما دمت أنك، وأنت الفانية، ذات قلب امرأة فانية، لا قلب قاضٍ غير حسّاس، فإني سأقول لك الحقيقة، ولن أُخْفِي عنك شيئاً. إن الأمر هو تماماً كما قال ذلك الرجل. إن محبة شديدة لهذه الفتاة قد نفذت في قلب هرقلس: ومن أجلها، دَمّرت أسلحتُه مدينة أبيها أو خاليا. ولا ننسَ أن نذكر ما يبرر تصرفه - فهو لم يأمرني أبداً بأن أخفي هذا، وهو لم ينكر هذا أبداً. وأنا وحدي، يا مولاتي، الذي ارتكبت هذه الغلطة، خوفاً من أُحْزِنك بهذه الأنباء، إن كانت هذه غلطة في نظرك. وها أنت الآن قد عرفتِ كل شيء، بالنسبة إليه وبالنسبة إليك أنت، لمصلحة كليكما. فاذهبي واسترضي هذه الفتاة؛ وما قلتهِ أنت عنها، فتفضلي بتحقيقه لأنه إذا كانت قوة هرقلس ستنتصر في كل مكان، فإن حب هذه الفتاة هنا هو الذي انتصر عليه.

ديانيرا: كُنْ مطمئناً؛ إن قلبي يدفعني إلى أن أتصرف كما تقول. ولن أستخدم السحر في جلب أي شرّ لها، وللوقوع في صراع مع الآلهة غير متكافىء. فلندخل المنزل: وعليك أن تنفذ التعليمات التي سأعطيك إياها، وعليَّ أنا - من ناحيتي استجابة للهدايا التي تلقيتُها، أن أعدّ هدايا أخرى مكافئة لها وعليك أن تأخذها. وليس من الطبيعي أن تذهب ويداك خاويتان بعد أن أتيت ومعك مثل هذا الموكب.

(ديانيرا تدخل المنزل ومعها ليخاس).

الكورس: رهيبة هي القوّة التي تؤمّن النصر دائماً: قوبريس Cypris.

لا نتحدث عن الآلهة: فهذه النقطة أنا أمرّ عليها مرّ الكرام، ولا أريد أن أذكر كيف أنها غررت بابن[1] خرونوس، وبهادس المظلم، وفوسيدون محرّك الأرض.

أما بالنسبة إلى الزوجة الماثلة هناك، فكم من مصارعين أشدّاء نزلوا في ساحة الصراع قبل أن يحصلوا عليها؟

(١) كتب سوفقليس مسرحية هجائية ساخرة بعنوان: «كلاب المصير» حفظت لنا بعض شذرات منها إحدى أوراق البردي؛ وفيها نموذج لما ارتكبه زيوس من خيانات زوجية في حق زوجته هيرا.

مَنْ هم أولئك الذين جاءوا للظفر بجائزة هذه المعارك التي لم يتراجع فيها أحدٌ أمام الضربات ولا أمام الجهود؟

أحدهم هو النهر القدير. بقوائمه الأربعة، وقرونه العالية، تبدّى على شكل ثور. إنه أخيلوس الذي من افياديس. والآخر قد جاء من بلد باخوس: من ثيبا. وقد شهر القوس الذي ينحني في المعركة، والبَدل، وعصا حلبة. إنه ابن زيوس، ونازل كلاهما الآخر في هذه الساعة طمعاً قوياً في الحصول على زوجة، وقوپريس Cypris إلاهة الحب، وحدها، تحمل عصا الحكم في يدها.

وهنالك ارتفع الضجيج الجميل للأذرع والأقواس وقرون الثور التي تتصادم. وها هي الاشتباكات تتلاقى، والجِباه تتصادم على نحوٍ رهيب؛ وتنطلق الشَّكاة المتهدّجة، بينما الناس والفتاة الجميلة يجلسون هناك على سفح مرتفع يمتد منظره بعيداً، والفتاة هادئة، قلقة من أجل زوج.

وأنا أتكلم بوصفي مشاهِداً بسيطاً. أما هي، الزوجة التي يتنازعانها، فإن عينها تدعو إلى الشفقة.

وفجأة، إذا بها تنفصل عن أمّها، هذه البقرة المسكينة المهجورة!

(ديانيرا تخرج من البيت، حاملة صندوقاً مغلقاً).

ديانيرا: إن الرجل موجود دائماً في المنزل يتكلم مع الأسيرات الشابّات اللواتي هو بسبيل تركهن. وأنا أستغل ذلك ابتغاء الخروج بدون ضوضاء والمجيء إليكنّ، يا صديقاتي. لا بد أن تَعْلَمن ما أعدته يداي. ولا بد لكن أن تبكين معي على ما يحدث لي. إنها ليست فتاة، بل امرأة حقيقية هي التي استقبلتها عندي بين سِلَع أخرى، مَثَلي مثل بحّار حَمّل حمولته؛ وهذه المرأة تملأ قلبي تهماماً وغمّا. ها نحن قد صرنا ابنتين تحت نفس الغطاء ننتظر أن يأخذنا رجل بين ذراعيه. وهذا هو الأَجْر الذي أرسله إليّ مَن كان عندي هو هرقلس المُخْلص النبيل، جزاءً وفاقاً للمتاعب التي طالما تحملتها وقتاً طويلاً في حراسة البيت! وأنا لا أستطيع أن أحقد عليه، إذا كان كثيراً ما يصاب بهذا الداء. لكن أن أعاشر هذه الفتاة - أية امرأة يمكن أن تطيق ذلك؟! وأية زوجة تقبل أن تتقاسم نفس الزوج مع أخرى؟ إنّي أشاهد الشباب الذي يتفتح في إحداهما، بينما الأخرى تذبل، وإن العين ليطيب لها أن تقتطف زهرة إحداهما، وأن تتجنّب الأخرى، إن لديّ إذن من الأسباب ما

يدعونني إلى الخوف من أنه إذا بقي هرقلس زوجاً لي بالاسم، فإنه في الواقع عاشق أكثرهما شباباً. لكنني أكرر وأقول أن الحَنَق ليس هو الأمر اللائق بزوجة عاقلة. وها هي ذي الوسيلة لمواساة نفسي، وتحريرها، والتي أريد أن أخبركن بها يا صديقاتي: منذ زمان طويل وأنا أحتفظ بهدية من القنطور العجوز، أخفيتها في صندوق من البرونز. وكنت وأنا شابة قد التقطتها من الجرح الدامي الذي أصيب به نسُّوس Nessos في صدره المُشْعَر في اللحظة التي مات فيها. إن نيسوس كان ينقل الناس على نهر إيونوس[1] ذي الأمواج العميقة؛ مقابل أجر، لقد كان يحملهم بين ذراعيه، ولم يستخدم للعبور بهم المجاديف ولا الشراع في أية عبّارة. ولهذا فإنني حين صحبت هرقلس لأول مرة بوصفي زوجته في الطريق الذي اختاره أبي، فإن نيسوس هو الذي حملني على كتفيه، وفجأة، في وسط النهر، لَمَسني بيديه الوقحتين فصرختُ، وفي الحال التفت ابن زيوس (= هرقلس) وراءه ورماه بسهم مريش اخترق صدره وأصاب رئتيه. ولم يستطع القنطور وهو يموت أن يقول إلاّ هذه الكلمات: «يا ابنة أونيه Oenée العجوز، اسمعي ما هي الفائدة التي تستطيعين، إذا صدقتيني، أن تستخلصيها لنفسك من هذا العبور، لأنك ستكونين آخر من أعبر به. يجب على يديك أن تلتقط دم الجرح المتجمد حول السهم، في الموضع الذي خُضِّب فيه هذا السهم بالسواد بواسطة وحش لونا: الهودرا، وسيكون لك تعويذة بالنسبة إلى قلب هرقلس، حتى لا يستطيع أن يفضل عليك أية امرأة أخرى يراها». لقد فكرتُ في هذا، يا صديقاتي. وكنتُ، بعد موت نيسوس، قد خبّأت واحتفظت بهذا الدم بعناية عندي. وقد دهنت به هذا القميص، وراعيت بدقة ما كان قد قاله لي قبل أن يموت. وهذا قديم الآن. آه! هذه الوقاحات الإجرامية التي لا أعرفها ولا أتعلّمها أبداً. إني أبغض النسوة الجَسُورات. لكن ألا أستطيع ـ بدلاً من ذلك ـ أن أتغلب على هذه الفتاة بواسطة المشروبات، والتمائم السحرية التي تؤثر في هرقلس؟ هذه هي الخطة التي أقصد تنفيذها، اللهم إلا إذا كنتَ تظنّ أنها ليست حكيمة، وإلاّ عدلتُ عنها.

رئيسة الكورس: إن كنتِ تثقين فيما تفعلينه هذا، فإني من ناحيتي أحسب أن المشروع ليس غير معقول.

---

(١) نهر إيونوس Euenos ـ ويسمى اليوم: فيدارس Phidaris ـ يصب في خليج پتراس Patras.

ديانيرا: ثقتي تنحصر في هذا: وهي أن لديّ أسباب للاعتقاد في سلامتها، لكنني لم أنتقل بعدُ إلى التجربة.

رئيسة الكورس: كي يكون المرء واثقاً، يجب عليه أن يعمل. وحتى لو كنت تعتقد أن لديك اليقين، فإنك لن تملكه قبل أن تحاول التجربة.

ديانيرا: سنعلم الأمر حالاً. إن رجلنا على الباب؛ وسيرحل عما قليل. ولا ألتمس منكن غير رجاء واحد: لا تكشفن عني، إن الأفعال غير الشريفة، حينما ترتكب في الظلام، لا تجلب العار.

ليخاس: ماذا ينبغي عليّ إذن أن أفعل؟ بيّنيه لي، يا ابنة أونيه. إنني قد تأخرت هنا طويلاً.

ديانيرا: لكن هذا هو ما فكرتُ فيه فعلاً، يا ليخاس، بينما كنتُ في المنزل أتحدث مع هؤلاء الأجنبيات. لا بد لك أن تحمل مِنّي هذا القميص الطويل. إنه الهدية التي أعددتها بيديّ لزوجي الذي ينتظر هناك. وحينما تعطيه إيّاه فقُل له إنه يجب ألا يلبسه قبله أحد، وألا يتعرض القميص لضوء الشمس ولا لنار أيّ موقد أو حظيرة مقدسة قبل أن يظهره هو ـ واقفاً ـ أمام أعين الآلهة في يوم الذبائح المئة ـ فهذا هو النذر الذي نذرته أنا لليوم الذي سأراه فيه أو أعلم علم اليقين أنه عاد إلى مسكنه: وهو أن يتزيا بهذا القميص ويتقدم إلى الآلهة بصفة مُقَدِّم للقرابين جديد متزين بهذا الثوب الجديد. وكعلامة على مهمتك احمل معك الرقم المنقوش على فَصّ خاتمي، وسيكون معناه واضحاً عنده. هيا، اذهب، وراعِ خصوصاً هذا القانون وهو: ليس على الرسول أن يُفرِط في الحماسة. لكن فكرّ أيضاً أنه إذا انضاف عرفانه الجميل إلى عرفاني أنا، فسيكون لك الفضل على اثنين بدلاً من واحد.

ليخاس: إذا كنت في ممارستي لمهنة هرمس[1] معروفاً عني بأنني موثوق به، فلا يمكن بالنسبة إليك أن أتهاون في مهمتي وأن أهمل في تسليم هذا الصندوق كما هو، مضيفاً إليه ضمان الكلمات التي سمعتها منك.

ديانيرا: ارحل إذن دون إبطاء. أنت تعلم في أية حال يوجد كل شيء في البيت.

---

(١) أي مهمة: الرسول؛ فقد كان هرمس الرسول بين الآلهة.

ليخاس: أنا أعلم ذلك وسأقول إن كل شيء فيه سليم.

ديانيرا: لكنك تعلم أيضاً ـ فقد رأيت ذلك ـ كيف رحّبت بالأجنبية[١]، لقد رحبت بها الترحيب اللائق بصديقة.

ليخاس: إلى درجة أن قلبي اهتز سروراً بذلك.

ديانيرا: هل لديك شيء آخر لتقوله له؟ كلا، إني أخشى أن نتكلم قبل الأوان عن رغباتي، قبل أن يكون من المؤكد أنه يشتاقني، أنا أيضاً، هناك.

(ليخاس يذهب. ديانيرا تدخل في البيت).

الكورس: يا من تسكنون بين المرفأ والجبل[٢]، في منطقة الينابيع الحارّة وصخور أوتا Oeta، أو البلاد التي تحيط بالبحر المالياوي، وكذلك العذراء ذات القوس الذهبية، حيث يجتمع لبلاد اليونان جماعة الأبواب الشهيرة.

عمّا قليل سيأتي إليكم الناي ذو النداءات الرنّانة، وقد تخلّى عن الأصوات الجنائزية، ولن تنطلق منه إلا نبرات شبيهة بتلك التي للكنّارة التي تصاحب النشيد الإلٰهي.

فها هو ذا ابن زيوس، وها هو ذا ابن ألقمينا، وهو يتوجه وحده نحو مسكنه، محمّلاً بالغنائم التي استولت عليها شجاعته التي لا غبار عليها.

بالنسبة إلينا كان هو مقطوعاً تماماً عن بلده، ونحن انتظرناه، بينما كان هو ـ منذ اثني عشر[٣] شهراً ـ قد امتطى صهوة البِحار دون أن نعلم عنه شيئاً، وامرأته المسكينة تتقطع نياط قلبها من البكاء.

لكن اليقظة المفاجئة لحماسته الحربية قد وضعت حداً لتلك الأيام الأليمة. فليأتِ إذن، ليأت إذن! ألا ليت السفينة المسلّحة بالمجاديف تسليحاً جيداً التي تحمله ـ لا تهدأ ولا تتوقف، قبل أن يصل إلى هذه المدينة! وليَعُد إلينا مليئاً بالشهوة الغرامية بعد مغادرته للجزيرة وللمذبح اللذين فيهما قدّم القرابين كما قالوا،

(١) أي: إيولا بنت يوروطس التي هام بها هرقلس.

(٢) أي: ثرموپيل Thermopyles، القريبة من تراخس.

(٣) هي في الواقع خمسة عشر شهراً.

حالما تضّمخ بالبلسم القويّ جداً للإغراء، بحسب ما تنبأ القنطور!

ديانيرا: أيتها النسوة! أخشى أن أكون قد ذهبت بعيداً جداً في تصرفي على النحو الذي فعلتُ.

رئيسة الكورس: ماذا جرى لك يا ديانيرا، يا ابنة أونويه؟

ديانيرا: لا أستطيع أن أقول؛ بيد أني أتساءل بقلقٍ خشية أن أكون قد أثرتُ كارثة رهيبة، بينما أَمّلْتُ في سرور عظيم.

رئيسة الكورس: أنت لا تريدين مع ذلك أن تتكلمي عن هداياك التي بعثتِ بها إلى هرقلس؟

ديانيرا: بلى! إلى درجة أنني أود أن أنصح كل واحد بالشكّ في كل حماسة ليس نجاحها مؤكّداً.

رئيسة الكورس: خبّريني، إن استطعت أن تخبريني، من أين يجيئوك مثل هذا الخوف.

ديانيرا: إن ما يحدث هو أمرٌ لو أنني رويته لكُنّ، أيتها النسوة فإنكن سترين فيه أعجوبة لا تصدَّق. لدهن القميص الأبيض الذي سيلبسه، أخذتُ من نعجةٍ قطعة من الصوف؛ لكنها اختفت. ومع ذلك لم يبتلعها أحدٌ في المنزل! كلا، كلا، إنها التهمت نفسها بنفسها وقضت على نفسها بنفسها، وتمددت على شكل ذرور (پودره) على الأرض المبلّطة. لكن لكي تعلموا كيف جرى كل ما جرى فإني أريد أن أحكي لكم الحكاية بالتفصيل:

لمّا أن جُرِح القنطور في جنبه بسهم مُرّ، أوصى بوصاياه. ولم أَنس أنا أيّ شيء من دَرْسه هذا: لقد حفظته عن ظهر قلب كما لو كان نقشاً نقش على لوحة من البرونز لا يستطيع الماء أن يمحوها. وهاكن ما أمر به وما فعلته بالدقة: لقد كان لزاماً عليَّ أن احتفظ بهذا البلسم بعيداً عن النار، وفي حِمى من كل أشعة يمكن أن تسخّنه - إلى اليوم الذي يجب عليّ فيه أن أُعِدّه لاستعماله على الفور. وهذا هو ما فعلته. واليوم، وقد حانت ساعة العمل، فإنني في بيتي، وخفيةً، دَهَنْتُ هديتي بقليل من الصوف المأخوذ من صوف مأخوذ من جِزّة حيوان من هذه المزرعة. وبعد ذلك طويتها ووضعتها بمأمن من الشمس في أعماق صندوق كما

شاهدتّنه. لكن في اللحظة التي تركتكنّ للدخول إلى المنزل، شاهدت شيئاً لا يمكن تصوّره ولا فهمه لمن ليس إلاّ إنساناً، ذلك أن قطعة الصوف التي استخدمتها لهذا الغرض، شاءت الصدفة أن أرميها في النار: أي في وسط شعاع الشمس؛ وإذا بها، لما سخنت، تتحلل وتزول نهائياً، وتتمدد على الأرض بشكل مشابه للنشارة التي يتركها النشر بالمنشار حين ننشر الخشب. إنها هناك على وشك أن تزول؛ ومن المكان الذي كانت ترقد فيه تتصاعد الآن رغوة دامية، كما لو كان قد أريق على الأرض ذلك السائل الذي تنتجه الثمرة اللزجة التي لكروم باخوس. إلى درجة أنني، أنا البائسة، لا أدري ماذا أفعل، وأرى نفسي قد ارتكبت جريمة مروّعة. وأنا أفكّر الآن: لماذا وكيف أبدى لي القنطور، وهو يموت، أقلّ إحسان إليَّ أنا وأنا السبب في موته؟ كلا، كلا، إنه لم يُرِد إلاّ أنْ يُهلِك مَنْ قتله، وأن يغريني على فعل ذلك. وبعد لأيٍ، حين لم يعد في هذا فائدة، أدركت هذا الأمر! وإذن فأنه ـ اللهم إلا إذا كان عقلي في ضلالة ـ أنا الذي تسببت في هلاكه إلى الأبد. إن السهم الذي أصاب نيسوس، أنا أعلم أنه ضايق أحد الآلهة، وهو خيرون[1]؛ وأنا أعلم أنه يُهْلِك كل وحش يمسّه؛ وهذا الدم الأسود المسموم. الذي دخل في جرح القنطور، أفلا يُهْلِك هرقلس بدوره؟ فيما يتعلق بي أنا متأكدة تماماً. ولهذا فقد صممت إذا هلك هرقلس، على أن أموت معه بنفس الضربة. إن الحياة كامرأة ملعونة مصير لا يحتمل، إذا حرصت قبل كل شيء أن تثبت أن لديها قلباً.

رئيسة الكورس: أعترف بأننا مضطرون إلى الخوف من أمور رهيبة. ومع ذلك، لا ينبغي أن نقدّم التوقّع على وقوع الحادث.

ديانيرا: إذا صمّم المرء خُططاً شريرة، فلا يمكن أيَّ توقع أن يؤتينا بأقل ثقة.

رئيسة الكورس: نعم ولكن حين يتعلق الأمر بأخطاء غير إرادية، فإن الحق يكون أقلّ حدّة: وينبغي أن تكون الحالة بالنسبة إليك كذلك.

ديانيرا: لا يحق لمن اشترك في الجريمة أن يتكلم على هذا النحو؛ فقط مَنْ لا يحمل أيّ عبء على قلبه هو الذي يستطيع أن يفعل ذلك.

---

(١) لجأت القنطورات إلى مغارة پليون، على البِليون، لما أن طاردها هرقل. وقد أصاب ـ عن طريق الخطأ ـ هرقل الإله خيرون بسهم، لكنه لم يمت لأنه إله، ولم يبرأ لأن السهم كان قد غمس في دم الهودرا، ولهذا نزل إلى العالم السفلي بدلاً من پرومثيوس.

رئيسة الكورس: الأفضل أن نتوقف عن مزيد من الكلام في هذا ـ اللهم إلا إذا كنت تريدين أن يعلم ابنُك شيئاً عن الموضوع لأنه ها هو قد عاد ذلك الذي ارتحل للبحث عن أبيه.

(يأتي هولّس وهو في غاية التأثر).

هولّوس: آه! أود يا أُمّي أن اختار بين ثلاثة تمنيات لك: وهي: إما أن تكوني قد مُتّ، أو أن تكوني أمّاً لغيري إن كنت قد بقيت في قيد الحياة، أو أن يكون لديك مشاعر أخرى أفضل من تلك التي لديك اليوم.

ديانيرا: ماذا فيّ، يا ابني، مما يبعث فيك هذا الفزع؟

هولّوس: اعلمي إذن أن مَنْ كان لك زوجاً ولي أباً أنت قد قتلتِه اليوم.

ديانيرا: أوه! أيّ خَبَر هذا الذي تأتيني به اليوم، يا بُنَيّ؟

هولّوس: خبرٌ ليس من الممكن ألاّ يكون حقيقياً، إن ما حدث لا يمكن ألاّ يكون قد حدث.

ديانيرا: ماذا تقول، يا بُنَيّ؟ مَنْ الذي أخبرك أموراً منْ شأنها أن تجعلك تزعم أنني ارتكبتُ جريمة مروّعة؟

هولّوس: أنا. لقد رأيت بعينيّ المصيبة الكبرى التي حلّت بأبي. إن الأمر ليس مجرد كلام.

ديانيرا: لكن أين قابلتَه إذن؟ وأين وجدت نفسك بالقرب منه؟

هولّوس: هل يجب أن تعرفي؟ في هذه الحالة، يجب عليّ أن أقول كل شيء. لقد كان عائداً، بعد أن دمّر مدينة يوروطس الشهيرة حاملاً معه الغنائم، وهي بواكير انتصاره. وثم رأس من البر في يوبيا، عند ساحلي الأمواج، يسمى رأس قينيا. وهناك كرّس لزيوس أبيه مذابح ومعبداً مخضارّاً؛ وهناك أيضاً عثرت عليه، وكنت في لهفة السرور. وكان يتهيّأ لذبح عدد كبير من الأضاحي، حينما جاء مناديه ليخاس من منزله حاملاً هديتَكِ ـ قميص الموت! فأخذ في التدثر به وفقاً لتعليماته، ثم في ذبح اثني عشر ثوراً لاشيّة عليها كبواكير لغنائمه، بينما ساق إلى المذابح قطيعاً من المواشي متعدد الأنواع وبعد ذلك بدأ هذا السيء الحظ في الدعاء، وقلبه مسرور، وهو فخور بالثوب الذي يزيّنه. لكن بينما نار التضحية

الورعة تبطىء في الاشتعال، بسبب الدم، في الخشب المليء بالعصارة - وإذا بالعَرَق يصعد إلى جلده، والتصق القميص بجانبيه والتصق التصاقاً شديداً بكل أعضائه كما لو كان عملاً من أعمال صانع التماثيل، وتخلله التهاب حتى العظام ويخيل إلى المرء أنه فريسة سُمّ زُعاف لأفعى رهيبة قَتّالة. وراح يصرخ ويهاجم ليخاس، الذي لا شأن له بجريمتك أنت، قائلاً: في إثر أية مناورات أتاه بهذا الثوب؟ فأجاب المسكين، الذي يجهل كل شيء، بأن هذه الهدية منكِ أنت، أنت وحدك، وأنه أحضرها تماماً كما تلقاها منكِ. وسمع هرقلس هذه الكلمات في نفس اللحظة التي كان فيها الألم يمزّق صدره. فأمسك بليخاس من قدمه في موضع المِفْصل، ورمى به على صخرة قريبة من البحر، فخرج النخاع من خلال الشعر، والمخ والدم سالا معاً. فعلا من الجمهور صياح نائح أمام هذا العمل الجنوني وأمام هذا الموت. لكن لم يجرؤ أحدٌ على مجابهة البطل. وراح يتلوّى على الأرض، أو يقفز ويصرخ ويصيح هائجاً؛ ومن حوله كانت الصخور تردد الأصداء، والرؤوس الجلية في إقليم لوكريس تردد الصدى هي الأخرى، وكذلك ألسنة البحر في يوبيا. وأخيراً توقف هذا المسكين عن الرمي بنفسه على الأرض، وعن الصراخ والعويل، وعن صب اللعنات على الفراش القاتل - فراشك أنت أيتها البائسة! - وعلى الثمن الذي دفعه لقاء مصاهرة أونيه. لقد كان الثمن هو القضاء على حياته! وفجأة رفع عينيه المقلوبتين، ومن خلال الضباب الذي كان يحيط بهما أبصرني وأنا أبكي في وسط الجمهور، فدعاني إليه قائلاً: «اقترب منّي يا بُنَيّ؛ لا تهرب من آلامي، حتى لو أدى ذلك إلى موتك بسبب موتي. أَنهِضني، واحملني، وأرقدني خصوصاً في مكانٍ لا يستطيع أحدٌ أن يراني فيه. أو إذا كانت الشفقة تمنعك من ذلك، اجعلني أترك هذه الشواطىء في أبكر وقت، حتى لا أموت ههنا!» ولم يقل أكثر من ذلك. فأرقدناه في قاع سفينة، وأتينا به إلى هنا بصعوبة بالغة، وهو يزمجر في وسط تشنُّجاته. وستشاهدينه بعد لحظة - حيّاً أو بعد أن لفظ أنفاسه الأخيرة؟ لستُ أدري! تلك، يا أماه، هي الجرائم التي ارتكبتها أنت ضد أبي؛ والتي ستعاقبك عليها العدالة المنتقمة والأرنيات Ernys. فإن كانت هذه الأمنية مشروعة، فإنني أعلنها ههنا. وهي مشروعة، لأنك أنت جعلتها مشروعة بقتلك أنبل الرجال الذين ظهروا على سطح الأرض، هذا الرجل الذي لن نرى له نظيراً أبداً.

(صمت. وفجأة تدير ديانيرا ظهرها وتدخل القصر).

رئيسة الكورس: لماذا تذهبين إذن دون أن تنبسي بكلمة؟ ألا تعلمين أن الصمت هو الكلام المؤيد لمن يتّهمك؟

هولّوس: دعها تذهب، ولتحملها الريح بعيداً عن عيني! - فهذا أفضل. لماذا إذن تتحلّى بهذا الاسم النبيل: أمّ، ما دامت لا تتصرف كأُمّ؟ فلترحل، وداعاً! ولتعرِفْ بدورها المسرّات التي جلبتها في هذه اللحظة لأبي.

(يخرج بخطوات متدافعة).

الكورس: انظروا إذن، يا أولاد، كيف بلغنا بسرعةٍ الوحيّ الذي أعلنه العلم الإلٰهي!

لقد أعلن هذا الوحي أنه، حينما تتم دورة أشهر السنة الثانية عشرة[1]، فإنه سيضع حدّاً للأعمال التي فرضها على ابن زيوس. وها هو ذا قد اقتاد الأحداث إلى هدفها بكل دقة ودون تعثر فكيف يتأتى إذن أن من أغمض عينيه يستطيع، بعد موته، أن يستمر في معاناة عبوديته القاسية؟

وإذا كانت معانقة غدّارة تمسك به في شبكة الموت التي اصطاده القنطور فيه وتعذّب اليوم جوانبه بدسّ السّمّ فيها - السم المتولد من «الموت»[2]، قبل أن يتغذى من التنّين اللامع - فكيف يستطيع إذن أن يرى شمس الغد؟ إن ظلّ الهودر رهيب وقد التصق به، بينما الوحش ذو العُرْف الأسود يُشْعِره - في نفس الوقت بالمهماز القاتل الذي أعدّته كلماته الكذّابة، ويثير الجنون في ضحيته.

لكن البائسة (= ديانيرا) لم تخش شيئاً من هذا كله ولم تتوقعه. إنها لم تر إلاّ الضرر القاسي الذي يهدّد بيتها من المجيء المفاجيء لزوجة جديدة. ثم أشيا هي لم تفهمها. وجاءتها أشياء أخرى من نصيحة أجنبية بواسطة تكهّنات قتّالة؛ وهي لا شك تنوح اليوم من تلك الأمور في يأس وقنوط؛ ولا شك في أنها تذرف أمواجاً من الدموع؛ بينما «المصير» السائر يكشف لها عن كارثة هائلة غدّارة.

---

(١) كان وحي دودونه Dodone قد أنذر هرقلس بأن أعماله ستستمر خمس عشرة سنة.

(٢) أي: دم الهودرا.

إن دموعي تتدفق كالسيل. إن بلاء أغار على هرقلس، بلاءً لم يشاهد بطلنا أبداً مجيئه من أعدى أعداء ولا ما هو أشدّ منه.

يا أيتها السنُّ المدبّبة لحربة شجاع، إنك في هذه الأيام مذ أتيت - في سرعة شديدة، من يوفاليا العالية، بالزوجة التي استولى عليها في القتال!

وأنت، يا قوبريس Cypris، يا من ساعدت على ذلك، لست في حاجة إلى فتح فمك للكشف بصراحة عن الفاعل لكل هذا.

(يُسْمَع نواح خلف الباب).

رئيسة النصف[1] الأول من الكورس: هل أنا إذن أحمق؟ أليس هذا نواحاً ما أسمعه من خلال هذه الجدران؟ ماذا أقول؟

رئيسة النصف الثاني من الكورس: الأمر يتعلق بصوت معناه في غاية الوضوح. إن نواحاً أليماً يرتفع في البيت هناك: إن مصيبة غير متوقعةً قد وقعت على هذا السقف.

رئيسة الكورس: انظر إذن إلى الطلعة الغريبة المهمومة لهذه العجوز القادمة إلينا، حاملةً بعض الأنباء.

(المربّية تخرج من بيت الحريم).

المربّية: آه، يا أولادي، الهدية المرسلة من هنا إلى هرقلس - كم كانت إنذاراً لنا بمصائب هائلة!

رئيسة الكورس: ما هي المصيبة إذن، أيتها العجوز، التي تعلنين لنا عنها؟

المربّية: ديانيرا رحلت في آخر سَفْرَة لها - دون أن تخطو خطوة.

رئيسة الكورس: أنت لا تقصدين مع ذلك أن تقولي إنها ماتت؟

المربّية: أنت قد سمعتِ كل شيء.

رئيسة الكورس: هذه المسكينة قد ماتت إذن؟

---

(١) كان الكورس مؤلفاً من خمسة عشر شخصاً يشمل: رئيس الكورس، ورئيس نصفي الكورس، ومجموعتين من أفراد الكورس كل واحدة منهما تتألف من ستة أفراد.

المربّية: نعم، وأنا أكرّر هذا.

الكورس: الفريسة المسكينة! خبّرينا كيف ماتت.

المربّية: أتعس ميتة، إذا شاهدنا النتيجة.

الكورس: آه تكلمي! أيّ موت لاقته؟

المربّية: لقد قضت على نفسها بنفسها.

الكورس: لكن أية نوبة جنون جندلتها تحت سِنٍّ قاسية؟ كيف ـ بعد قَتْل أول، تخيلت هي قتلاً آخر ونفذته بنفسها؟

المربّية: لقد أخذت الحديد المُؤلم الذي يشقُّ اللحم.

الكورس: وأنتِ، أيتها الحمقاء المسكينة، قد تأملت هذه النوبة الجنونية؟

المربّية: لقد تأملتها. إني كنت بالقرب منها، إلى جانبها.

الكورس: ومن الذي ضربها؟ كيف جرى هذا المنظر؟ هيّا، خبّرينا.

المربّية: إنها هي، بيديها، هي التي فعلت هذا في نفسها. على هذا النحو.

الكورس: آه! ماذا تقولين؟

المربّية: أقول الحقيقة.

الكورس: كانت لها إذن ابنة، ابنة مروِّعة، هي الزوجة الجديدة التي دخلت البيت حديثاً، ابنة هي الأرنيس[1]!

المربّية: هذا صحيح تماماً. وكنت ستكون أكثر شفقة عليها، لو أنك رأيت بنفسك كلَّ ما فعلت.

رئيسة الكورس: وهل في وسع يد امرأة أن تكون لديها هذه الشجاعة؟

المربّية: نعم! وإنها لشجاعة نادرة. لكن لا بد لك أن تعرف كل شيء، كيما تقدر على أن تشهد لي: لقد دخلت وحدها أولاً في القصر، وشاهدت ابنها الذي كان يفرش في الفِناء أغطية في عمق مَحِفّة، لكي يذهب لاستقبال أبيه. وراحت

---

(١) Erinys إلاهة الانتقام وقد جاءت للانتقام منها بسبب ما فعلته بزوجها هرقلس.

بعد ذلك تبحث عن مخبأ لا يستطيع أحد أن يراها فيه، وسجدت عند أسفل المذبح وراحت تبكي وتولول، وقد أدركت منذ ذلك اليوم أنها مطرودة. وكانت تبكي وهي تلمس الأدوات المنزلية التي كانت تستخدمها، هذه المخلوقة البائسة! وراحت تذرع البيت في كل اتجاه، فرأت خادماً محبوباً، ولدى مرآه تنهدت، وتذكرت مصيرها، وبيتها الذي صار منذ الآن خالياً من ابنها. وفجأة شاهدتها تندفع في غرفة هرقلس، وبينما أنا أجتهد في أن أخفي عنها نظرتي التي تترصدها في الخفاء، إذا بها فجأة تبسط الأغطية على سرير هرقلس. وبعد ذلك، وثبت على السرير، وجلست في وسطه. وراحت تذرف أمواجاً من الدموع الحارّة وتقول: «إيه أيتها الغرفة، يا مخدع الزوجية، قُضِي الأمر، ووداعاً إلى الأبد! لن تستقبليني عَوْضُ على فراش الزوجية هذا». هذا هو كل ما قالته. وبحركة سريعة فكّت مشبك ثوبها الذي يمسكه الدبّوس المطبق بين ثدييها، وكشف عن ذراعها وعن جنبها الأيسر كله. وفي هذه اللحظة عدوت بأقصى سرعة لأخبر ابنها بما تستعد له هناك. لكن لم يكد كلانا يصل حتى وجدنا الجنب الأيسر وقد نفذ فيه خنجر ذو حدّين، غُرِس في موضع تحت الكبد والحجاب الحاجز. ولدى رؤية ابنها لهذا المنظر أطلق النواح. إن هذا المسكين قد أدرك أنه هو بغضبه هو الذي حملها على فعل ذلك. وقد عَلِم ـ فيما بعد فوات الأوان ـ من خدم المنزل أنها فعلت ما فعلت ضد إرادتها بوحي من القنطور. ومنذ حينئذ فإن هذا الابن المسكين لا يكفُّ عن النواح. إنه يبكي على أمّه، ويرمي بنفسه على فمها، ويضع جنبه إلى جنبها ويظل هكذا في أنين ونواح قائلاً: لماذا ألقى في وجهها بالاتهام حماقةً منه؟ ويبكي بسبب فكرة أنه من الآن فصاعداً سيحيا حياة مزدوجة التيتُّم، لأن أمه وأباه يموتان. ذلك إذن هو مصير هذا البيت. والاعتماد على يومين أو أكثر ـ أليست هذه حماقة محضة؟ لا غد لمن لم يُمْضِ اليوم دون حادث.

(المربية تدخل في بيت الحريم).

الكورس: على أيّ بلايانا ينبغي عليَّ أن أنوح أولاً؟ ما هي هنا أكثر نداء من الصعب عليَّ أن أحددها.

بعضها نحن نعانيها، إنها موجودة بيننا، والبعض الآخر نحن ننتظرها في قلق. والمعاناة والانتظار هما سواء.

آه! بودي أن أشاهد رياحاً سعيدة وقوية. تهب على مسكني تحملني بعيداً

عن هنا، خشية أن أسقط فجأةً ميتة من الخوف لدى مشاهدة ابن زيوس الصنديد، لأنه ـ حسبما يقولون ـ في طريقه الآن إلى هذه الدار، وهو فريسة آلام لا علاج لها، فيا له من منظر مروِّع لا يوصف!

آه! إني أراه، إنه ليس بعيداً، بل هو قريب جداً الشقاء الذي كان عليَّ أن أتوجع منه مقدماً بصوت العندليب الحارّ.

لكن، ها هي ذي جماعة من الأجانب المجهولين! آه! انظر كيف يحملونه باحتياط. ويخيل إلى المرء أنه بالنسبة إليهم كأحد الأقرباء، لأنهم يمشون بخطى ثقيلة وصامتة.

واحسرتاه! إن مَنْ يحملونه يلتزم الصمت. ماذا يجب عليَّ أن أظنه؟ هل هو ميت؟ أو هو مستغرق في النوم؟

(يدخل هرقلس محمولاً على محفة. بالقرب منه هولّوس وشيخ عجوز يرافقانه ويعنيان به).

هولّوس: آه! الرحمة! كم أنا أتألم لك، يا أبي! كم أتألم لك! ماذا سأصير؟ أي قرار اتخذ؟ واحسرتاه!

العجوز[1]: (مخاطباً هولّوس): اسكت، يا ولدي! لا تستثِر الألم العنيف الذي أثار ثائرة أبيك. إنه لا يزال حيّاً، مهما يكن خائر القوى! عَضَّ على شفتيك، واسكت.

هولّوس: ماذا تقول، أيها العجوز؟ هل هو حقاً حيٌّ؟

العجوز: حذار تماماً من أن توقظ هذا الرجل المقيّد بالنوم. ولا تستثر ولا تبعث الداء ذا النكسات المروّعة، أرجوك يا ولدي.

هولّوس: لكني أنا الشقيّ أشعر بحمل ثقيل على عاتقي. إن قلبي محتار.

(صمت. وفجأ يرتفع صوت هرقلس من أعماق مَحَفّته).

هرقلس (مستيقظاً): يا زيوس! أين وصلتُ؟ في أي بلد أنا مُمَدَّدٌ تعذّبني آلام

(١) هذا العجوز يلوح من أقواله أنه طبيب.

لا نهاية لها؟ الشفقة، الشفقة عليّ، أنا البائس! ها هو ذا دائي يعود، ويستهلكني، هذا الداء اللعين! آه! آه!

العجوز (مخاطباً هولّوس): ألم أَقُلْ لك ما هي فائدة التزام الصمت، والتخفي، بدلاً من طرد النوم الذي كان يغطي رأسه وعينيه؟

هولّوس: الواقع أنني لا أملك الاستسلام لرؤية الشقاء الذي أشاهده أمامي.

هرقلس: آه! يا رأس قونيا، الذي شيدتُ عليه مذابحك، أيّ ثمن لقرابيني - وأيّ قرابين! - دفعتها إذن للبائس الذي هو أنا، يا زيوس؟

أي موضوع للعار صنعته وتصنعه مني؟ كم كنت أودّ ألا ترى عيناي هذا! واحسرتاه، كم كنت أودّ ألا أشاهد انطلاق هذا البلاء! آه! أين الساحر، أين الشافي النطاسي الذي يستطيع أن يخنق - بتعويذة سحرية - هذه المصيبة، إن لم يكن زيوس هو نفسه؟ ستكون هذه معجزة لا تزال بعيدة عن عينيّ.

كلا، كلا دعوني؛ اتركوا البائس ينام، ينام لآخر مرة؛ اتركوني لشقائي.

(مخاطباً العجوز): آه! أين تجسّني؟ في أيّ اتجاه تريد أن تديرني؟ إنك تريد موتي، تريد موتي! لقد قَلّبت الداء الذي كان قد نام.

إني في يديه، وها هو ذا قد عاد. لكن من أي دم انحدرتم، أيها الجاحدون من بين اليونانيين جميعاً، يا مَنْ من أجلكم اجتزت - أنا البائس - البحار والغابات، بينما لا أحد منكم الآن، وأنا أتألم، يعرف كيف يستخدم من أجلي ناراً ولا حديداً يساعدني؟

آه! آه! أليس بينكم إنسان واحد يوافق على أن يأتي ليقطع بضربة قوية رأس إنسان بائس؟ الشفقة!

العجوز: يا ابن هذا البطل، إن المهمة هنا تتجاوز قُواي. ساعدني. إن قبضة يدك تساوي على الأقل مثلين من ضربة يده لتسوية هذه المسألة.

هولّوس: إني أُمسِك به؛ لكن لا أنا، ولا غيري أجد لديه الوسيلة لجعله ينسى الآلام التي يعانيها. إن محن الحياة هذه زيوس هو الذي يتصرف فيها ويصيب بها.

هرقلس: آه! آه! يا بُنَيّ، أين أنت؟ أمسك بي من هناك وارفعني. آه! آه! واربّاه! ها هو ذا قد عاد للهجوم هذا الداء القاسي الذي يريد أن يقتلني، الداء المتوحش الذي لا علاج له.

آه، يا پلاّس Pallas! آه، يا پلاّس! لقد عاد الداء للهجوم، ارحم أباك يا ولدي! أَشْهِر سيفك، لن يلومك على ذلك أحد؛ اضربني به تحت الكتف، واشْفِ الذي به أثارت هياجي تلك المرأة الفاسقة التي هي أمُّك، أمّك التي أود أن أراها هي بدورها تسقط بنفس الطريقة التي بهاقضت عليّ.

آه! آه! يا أخا زيوس، يا هادس الرقيق، ارحمني، أرقدني تحت طيران موت سريع. أَغْدِم شقيّاً!

رئيسة الكورس: إني أقشعر، يا صديقاتي، حين أسمع مولاي. مشاهدة بطل كهذا وهو فريسة لمثل هذه البلايا!

هرقلس: كم من محن مُحْرقة ـ من مجرد ذكرها ـ تحملتها ذراعاي وقوامي! ومع ذلك، فلا زوجة زيوس ولا يورستيه Eurysthee البغيض قد أصابني حتى الآن بمثل ما أصابتني به ابنة اينيا Enée هذه الغدارة وأثقلت به كاهلي، على شكل هذه الشبكة التي صنعتها الأرنيات Erinyes لتقتلني. ها هي ذي، ملتصقة بجانبيّ. تأكل من لحمي العميق وتلتهم القصبة الهوائية التي عَلّقت بها رئتاي. إنها قد امتصت كل دمي الطازج، وبدني كله ينهار تحت سلطان هذه القيود التي لا اسم لها: هذا في الوقت الذي فيه لم يستطع الرمح في المعارك الحقيقية، ولا جيش المَرَدة الخارج من تحت الأرض، ولا قوة الوحوش[1]، ولا بلاد اليونان، ولا أي بلد يجهل لغة بني الإنسان، ولا أيّ أرض ذهبت لتطهيرها من بلاياها ـ لم يفعل واحد منها مثل هذا. إنها امرأة، ذات جسم هو جسم امرأة، وليس فيها أي ذكورة، هي التي قضت عليّ هكذا وحدها، وحتى بدون خنجر. يا بُنَيّ! أَثبت أنك ابني حقاً: ولا تفضِّل عليّ الاسم الباطل لأمّ. اذهب بنفسك إلى البيت وخُذْ تلكَ التي أنجبتك، ولتضعها ذراعاك بين ذراعيّ. وبهذا سأعرف أيها أحسُّ بك من بين جسمينا الهالكين: جسمي أنا، أو جسمها هي، حينما أعاملها كما تستحق. اذهب، يا

(١) كان هرقلس قد ساعد الآلهة في صراعها ضد المردة. أما الوحوش فالمقصود بها القنطورات.

بُنَيّ، وافعل هذا؛ واشْفِق على من يستحق ألف رحمة، ويصرخ ويبكي هنا مثل بِنْت، بينما لا يستطيع أحدٌ أن يقول إنه شاهد حدوث هذا لي. لقد كنت دائماً أتحمل الآلام دون أن أشكو. أما هذه المرّة، تحت وطأة هذه الضربة، أنا أبدو مثل امرأة، واسفاه! اقترب إذن، وكن قريباً من أبيك، واذرِك ما أتحمله من بلاء. سأريك إياه كاشفاً عنه تماماً! انظروا جميعاً إلى هذا الجسم البائس، وتأملوا هذا المسكين، وأبصروا حالته التعيسة، آه! الشفقة! آه! إن سكرة الموت تعاودني وتبث الحُمّى في جسمي، وتنفذ في جنبيّ، ويبدو كما لو كان يرفض أن يَهدأ عنّي هذا الداء الرهيب الذي يلتهمني! يا مولاي هادس Hades، استقبلني! ويا شعاع زيوس اضربني! آه! يا ربّاه! هيّا، وأَسْقِط عليَّ سهم صواعقك، يا بُنَيّ! إن الداء يعاودني باستمرار ليتغذى بي؛ وها هو ذا قد انتشر وانفجر! آه يا يداي آه يا أحشائي! آه يا صدري! آه يا ذراعاي! ومع ذلك فأنتم الذين جندلتم الأسد الرابض في نيميا Némée، وقد كان كارثة على حظائر الرعاة، وحيواناً مخيفاً ومتوحشاً، وهودرا لرنا Lerne؛ وكتيبة الفرسان المؤلفة من الوحوش الهجينة المتوحشة التي لم تكن إلاّ الوقاحة والوحشية والعنف الجنوني؛ وحيوان أرومنثا Erymanthe، والكلب ذو الثلاثة رؤوس في العالم السفلي، الوحش الظافر المولود من أخدنا تمروغه[1]؛ والتنّين الحارس على التفاحات الذهبية عند حدود[2] العالم! وكم من مغامرات أخرى قمت بها، دون أن يستطيع أحدٌ أن يتغلب على ذراعي! واليوم ها أنت ذا تراني محروماً من أعضائي، ممزّقاً إرباً إرباً، قد حطمتني كارثة عمياء، بائساً كما ترى! إنا الذي أحمل اسم أنبل أمّ، أنا الذي تحت كل سماء أُدْعَى ابن زيوس. اعلم هذا على الأقل: حتى لو صرتُ لا شيء، وحتى لو صرتُ عاجزاً عن المشي، فإن تلك التي عاملتني هذه المعاملة سأقدر أنا وحدي وأنا في هذه الحال أن أقتلها. فلتأت ههنا فقط، وسأعلّمها كيف تذهب في كل مكان وتصرخ قائلة إن هرقلس ـ حيّاً أو ميّتاً ـ قد عاقب الأشرار دائماً.

رئيسة الكورس : يا بلاد اليونان المسكينة ، أيّ حِداد سأراه تعانينه في اليوم الذي ستُحرمي فيه من هذا البطل!

---

(١) المقصود به كربيرس Cerbère.

(٢) التنين الحارس على حديقة الهسپريدس.

هولّوس: ما دمت بصحتك تهيّىء لي الفرصة، يا أبي، للردّ عليك، فاصْغِ إليّ بالرغم من دائك. ما أريد أن أطلبه منك عندي بعض الحق في أن أحصل عليه منك. أَعِرْني إذن أُذُنَك إن شئت أن يقلّ تألُمك من الحَنَق الذي يُثْقِل عليك؛ وإلا، فإنك تخاطر بألا تعلم كم هي باطلة رغباتك في الانتقام وأحقادك.

هرقلس: قُلْ ما شئت، وانته بسرعة. إني أتألم كثيراً فلا أدرك شيئاً من مماحكاتك المُرْهِقة.

هولّوس: لقد جئت كي أكلمّك عن أمّي: إلى أيّ شيء صارت، وما هي الأخطاء التي ارتكبتها على الرغم منها.

هرقلس: ماذا! أتتجاسر، أيها الشقيّ، على أن تكلّمني بعدُ عن أُمّك التي اغتالت أباك، وتزعم أنني سأصغي إليك!

هولّوس: في الحالة التي هي فيها الواجب يقضي عليَّ بألا أسكت عن شيء.

هرقلس: نعم، إذا تذكرت جرائمها الماضية!

هولّوس: لن تتكلم بعدُ هكذا، إذا علمتَ ما فعلته منذ قليل.

هرقلس: قُله لي إذن، واحذر أن تبدو أنت خائناً.

هولّوس: اعلم إذن أنها ماتت، وقد اخترق الحديد جسمها، منذ لحظة.

هرقلس: وبأيّ ذراع؟ هذه الكلمات الرهيبة وحي عجيب!

هولّوس: بذراعها هي. وليس هناك أجنبي في هذه المسألة.

هرقلس: آه! يا للأسف، بدلاً من أن تموت بطعنة من يدي أنا، كما هو الواجب أن يكون!

هولّوس: إن غضبتك كان سيتغير موضوعها، لو كنت عَلِمت كل شيء.

هرقلس: أنت تقول كلاماً غريباً. فيم تفكر؟

هولّوس: كل شيء يتلخص في كلمة: لقد أساءت الفعل وهي تظن أنها تفعل فعلاً حسناً.

هرقلس: «تفعل فعلاً حسناً» ـ أيها الشقيّ! بقتلها أباك.

هولّوس: إنها كانت تظن أنها تدهنك ببلسم سِحْري، لما رأت حبيبتك تدخل بين هذه الجدران ـ وقد أخطأت.

هرقلس: ومَنْ كان في تراخس ماهراً هكذا في تحضير السموم؟

هولّوس: القنطور نيسوس Nessos وهو الذي أقنعها ـ ومنذ زمان طويل ـ باستعمال هذا البلسم لجعلك مجنوناً بحُبّها.

هرقلس: آه! يا ويلتاه! لقدقُضِي عليّ. أنا البائس، لقد ضِعْتُ، لقد ضِعْتُ! لاشمسَ لي بعد الآن! واأسفاه! أنا أفهم إلى أية درجة من الشقاء وصلتُ. نعم، يا بُنَيّ، لم يَعُدْ لك أبٌ بعدُ. استدعِ إليّ كل أولادي، إخوتك. واستدع إليَّ ألقمينا المسكينة، ماذا أفادها أن كانت زوجةَ لزيوس؟ لا بد أن تعرف مني آخر كلمة للوحي، لأنني أنا وحدي الذي أعرفها.

هولّوس: مستحيل. إنّ أمّك ليست هنا فقد ذهبت لتقيم على شاطىء ترونثه Tirynthe؛ أما أولادك، فإن كانت ألقمينا أخذت بعضهم معها وتتولى تربيتهم، فإن الآخرين ـ أستطيع أن أقول لك هذا ـ يسكنون في مدينة ثيبا. أما نحن المقيمين هنا، إن كان هناك شيء لعمله، يا أبي فإننا سنطيع وسنخدمك حتى النهاية.

هرقلس: إذن أعلم أنت على الأقل، ما هي مهمتك. لقد جاءت بالنسبة إليك الساعة التي تبرهن فيها على أنك تستحق أن تسمى ابني. لقد تنبأ لي أبي أنني لن أموت بواسطة كائن حيّ، وإنما بواسطة ميّت هو ضيف في العالم السفلي. وفي الواقع فإن الوحش: القنطور، هو الذي سيحقق النبوءة الإلاهية؛ إنه وهو ميّت قد قتل إنساناً حيّاً. وأريد أيضاً أن أكشف لك أن النبوءات الجديدة التي تتفق معها، وتكرر كلمات الماضي، وفي الغابة المقدسة للسل Selles الجبليين الذين ينامون على الأرض[1] كتبتُ تحت املاء السنديانة ذات الألف صوت، وهي ترجمُان أبي، حينما أعلن لي أنه في هذا التاريخ، في الساعة التي نحن فيها الآن، سأشاهد نهاية البلايا التي ترهقني. فتصورت لنفسي مستقبلاً سعيداً إذن، بينما الحقيقة هي أن الأمر يتعلق بموتي، كما أرى: إن الموتى هم وحدهم المعفّوون من الألم. وما

(١) في دودونه كان مفسّرو زيوس يختارون من قبيلة السل Selles؛ وكانوا ملزمين بالنوم على الأرض، وكان محرّماً عليهم أن يغمسوا أرجلهم في الماء.

دامت هذه الأوجاع تتحقق اليوم بوضوح، فعليك، يا بُنَيّ أن تساعد أباك. لكن لا تُتعِب لساني؛ سَلِّم وكُنْ في صَفّي. وبَيِّن أخيراً أن أول الواجبات هو طاعة الأب.

هولّوس: يا أبي! إني أخاف من النقطة التي وصلنا إليها. ومع ذلك فسأفعل كلّ ما تريد.

هرقلس: إذن، ضع يدك أولاً في يدي.

هولّوس: لماذا تُصِرّ على هذا الضمان؟

هرقلس: أعطِني يدك بسرعة. هل تريد أن ترفض إسداء خدمة لأبيك؟

هولّوس: ها هي ذي، أنا أبسطها لك. أنا لا أفكرّ في الاعتراض عليك في شيء.

هرقلس: احلف برأس أبي زيوس...

هولّوس: أي حلف تريده مني؟ هل تقول هذا أيضاً؟

هرقلس: احلف على إنجاز ما سآمرك به.

هولّوس: أحلف، مستشهداً بزيوس.

هرقلس: وإذا نكثت العهد، فالْقِ بنفسك إلى الشقاء.

هولّوس: فيما يتصل بهذه النقطة ـ أنا مطمئن، فأنا قادر على التمسك بقَسمي. وأتعهد بهذا.

هرقلس: أنت تعرف أعلى قمة في أوتا، تلك التي فيها يَحْكُم زيوس؟

هولّوس: نعم أنا أعرفها. وقد قدمت الأضاحي مراراً هناك.

هرقلس: إذن يجب عليك أن تحملني إلى هناك، أنت بين ذراعيك، يساعدك في ذلك من تشاء من أهلك. وهناك أقطع كتلة من الخشب من السنديان العميق الجذور. واقطع أيضاً أغصاناً نافذة من أشجار زيتون بريّة قوية. وضَعْ جسمي على هذه الكومة من الخشب، وخذ شعلة ذات أضواء صمغية، وأشعل النار في هذا كله. لكن لا تتدخلن أية دمعة نائحة؛ وافعل ما يجب عليك دون دموع ولا شكوى، إن كنت ابني حقاً. وإلا فإني سأنتظرك حتى في أعماق العالم السفلي، وستشعر إلى الأبد بوطأة لعنتي.

هولّوس: ماذا تقول يا أبي؟ كيف تعاملني بهذه المعاملة؟

هرقلس: إني أقول لك ما يجب عليك أن تفعله. وإلاّ، فكُنْ ابناً لغيري، بدلاً من أن تُدْعى ابني.

هولّوس: واحسرتاه! إلى أي شيء تدعوني؟ إلى أن أصير قاتلاً لك.

هرقلس: كلا طبعاً، بل إلى أن تكون طبيبي، والشافي الوحيد لأدوائي كلها.

هولّوس: هل سأشفي جسمك إن أشعلتُ فيه النار؟

هرقلس: إذا كان هذا هو ما يخيفك، افعل الباقي على الأقل.

هولّوس: أنا لا أرفض أن أحملك إلى هناك.

هرقلس: وأن تهيّىء المَحْرقة التي ذكرتها لك؟

هولّوس: بالقدر الذي أستطيعه، دون أن تشارك يدي في هذا. وكل الباقي أنا سأفعله ولن تجد عائقاً من ناحيتي.

هرقلس: في هذه النقطة، هذا يكفي. لكن إلى هذه الخدمات الكبيرة أضف خدمة أخرى أصغر.

هولّوس: وحتى لو كانت أكبر فإني سأسديها إليك أيضاً.

هرقلس: أنت لا شك تعرف ابنة يوروطس؟

هولّوس: تقصد إيولا Yole. أنا على الأقل أزعم ذلك.

هرقلس: أنت فَهِمْتني. هذه، يا بني، هي توصياتي: حينما أموت - إن كنت تريد أن تكون برّاً بي - فأوفِ بالأقسام التي أقسمتَ بها لأبيك، واتخذها زوجةً لك. ولا تقل: «لا» لأبيك. لقد نامت إلى جواري: وأمنيتي هي ألا يملكها أحدٌ غيرك. هيّا، يا ولدي، عليك أن تعقد هذه الرابطة. صَدِّقني: أنت منحتني إخلاصك في أمور كبيرة؛ فرفضه في أمور أصغر هو إلغاء للخدمات التي سبق أن أسديتها.

هولّوس: ليس بحَسَنٍ الغضبُ من مريض. لكن مَنْ ذا الذي يستطيع أن يتحمل مسؤولية مثل هذه الفكرة الراسخة في مُخّك؟

هرقلس: أنت لا تريد أن تفعل ما أقوله لك ـ إن كنت أفهم جيداً ما تقول؟

هولّوس: في مواجهة فتاة كانت هي وحدها السبب في أن أمّي قد ماتت، وفي أنك كنت في هذه الحال التي أنت عليها ـ مَنْ ذا الذي يقدر أن يفعل هكذا، اللهم إلاّ إذا كان إله منتقم قد جعله مجنوناً؟ إني أفضّل أن أموت، يا أبي، على أن أعيش في المستقبل مع تلك التي أكرهها أكثر من أيّ إنسان آخر.

هرقلس: إن هذا الولد يلوح أنه يريد أن يرفض نصيبه من ميراث الميّت الذي هو أنا. في هذه الحالة، ليت اللعنة الإلاهية تنصبُّ عليك منذ اليوم الذي فيه ترفض أن تطيع صوتي.

هولّوس: واأسفاه! أعتقد أنك ستأخذ في الكلام مثل مجنون.

هرقلس: لماذا توقظني من داءٍ كان نائماً؟

هولّوس: آه! الرحمة! إن مصيبتي لا حدود لها.

هرقلس: لأنك ترفض أن تطيع أباك.

هولّوس: هل عليك أنت أن تعلمني عدم البِرّ، يا أبي؟

هرقلس: ليس في إرضاء رغبتي عدمُ برّ.

هولّوس: إذن هذه أوامر صارمة؟

هرقلس: نعم، وأنا أُشهِد الآلهة على هذا.

هولّوس: سأطيعك إذن ـ ولا أريد أن أقول لك: لا ـ لكن ذلك وأنا أعلن للآلهة أن هذا فِعْلِك أنت. إني لن أكون مذنباً، ما دمت إنما أطيع أبي.

هرقلس: هذا اتفاق حسن. لكن افعل أكثر من هذا، يا ولدي: ما وعدت به من خدمة، أَسْدِها إليّ في أسرع وقت. ولا تنتظر عودة الأزمة، كي تضعني على المحرقة. هيّا! أَسْرِع واحملني. هذه هي النهاية الحقيقية لآلامي: الساعة الأخيرة في حياتي!

هولّوس: هيّا! لا شيء يمنعنا من إرضاء رغبتك، ما دمت تأمرنا بذلك وتقسرنا عليه، يا أبي.

هرقلس: هيّا إذن، ولا تجعل التأخير يتسبب في عودة الألم. تجلّد يا قلبي،

وبوضع سيخ حديدي قويّ في فمي، سيخ مما يوضع في المرمر[١]، ستتوقف كل صرخاتي، وأنا أفكرّ في أنك تؤدي ـ بسرورٍ ـ عملاً لا ينجزه المرء إلاّ كارهاً.

هولّوس: احملوه إذن، يا رفاقي؛ وسامحوني مسامحة كبيرة جداً إن كنت ألاحظ عدم الاكتراث الهائل الذي يشهد به عند الآلهة ما يتمُّ في هذه الساعة. لقد أنجبوا أولاداً، وأعلنوا في كل مكان أنهم آباؤهم، ولكنهم يشاهدونهم وهم يتألمون هكذا؛ إذا كان المستقبل يُفْلِت منا الآن، فإن الحاضر ـ على كل حال، لا يقدّم إلينا إلاّ الدموع، وإليهم إلاّ العار. إنه لا يقدّم إلاّ الآلام، الآلام القاسية كل القسوة، لمن يعاني مثل هذه المحنة.

(موكب الجنازة يتباعد ببطء. وقائد الكورس يلتفت ناحية الكورس).

قائد الكورس: وأنت، أيتها الفتاة، لا تَبْقِي هناك، بعيداً عن بيتك. لقد شاهدتِ أنواعاً غريبة ورهيبة من الموت[٢]، ومصائب عديدة لم يُسْمَع بها ـ وفي كل هذا لا يوجد إلاّ ما هو زيوس!

ختام

مسرحية «نساء تراخس»

(١) كان اليونانيون في القرن الخامس ق.م. يشدون الأحجار بعضها إلى بعض بواسطة أسياخ من الحديد.

(٢) المقصود هو موت ديانيرا ومصائب هرقليس.

الفهرست

الموضوع	الصفحة



مؤلفات عبد الرحمن بدوي الصادرة عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر

- موسوعة الفلسفة ٢/١
- ملحق موسوعة الفلسفة
- موسوعة الحضارة العربية الإسلاميه - ٣مج / مؤلف مشارك
- تاريخ العالم لأوريسيوس
- جيته/ الديوان الشرقي للمؤلف الغربي
- حياة هيغل
- شلنج
- دراسات في الفلسفة الوجودية
- في الشعر الأوروبي المعاصر
- فلسفة الجمال والفن عند هيغل
- فلسفة القانون والسياسة عند هيغل
- تراجيديات أسخولوس
- تراجيديات سفوقليس


Bibliotheca Alexandrina
0415150
